جان م. صدقه

مُعجم الأعداد

رُموز ودلالات

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٤
رقم الكتاب 01 D 110150
طبع في لبنان

إلى زَوجتي مَهىٰ

فهرس المُحتوَيات

المقــدمــة

قَبْلَ خمسة وعشرين قرنًا، أعلن فيثاغوروس(١) أنّ كلّ شيء عدد، فأيّده أفلاطون(٢) لاحقًا. بَعْدَها، نقل حكماء الإسكندريّة هٰذه المعرفة إلى الغرب، فتَقبّلها عُلماء النّهضة هناك بدهشة كبيرة. ويبدو أنّ العالَم، منذ ذٰلك الحين، اكتشف في عِلْم العَدَد أساس العلوم، فهو يُغذّي أبواب المعرفة، ويَكشف الغموض المحيق بالكون، فالعدد إيقاع وقدرته كونيّة.

منذ القديم، إذًا، وبحسب تاريخ الميثولوجيا في العالَم، والإنسان يَتعامل مع العدد. وربّما يكون عِلْم العدد هو الأكثر قِدمًا والأشدّ غموضًا بين العلوم، فالإنسان عَدَّ طويلًا، بلا شَكّ، قَبْلَ أن يَعرف القراءة والكتابة والعلوم الباقية(٣). وفي هٰذا السّياق، وَجَدَ الخُبراء سلسلة من الخطوط المنقوشة على العِظام تَشهد على وجود كتابات حسابيّة يعود تاريخها إلى أكثر من ثلاثين ألف عام.

ومن الواضح أنّ عِلم العدد يَستقي كثيرًا لغته الرَّمزيّة مِن الميثولوجيا **(Mythology)** بالنّسبة للدّيانات القديمة، ومن الكتب المُقدّسة بالنّسبة للدّيانات التّوحيديّة، وكذٰلك مِن العادات والفلسفة والأخلاق... والميثولوجيا لفظة تُستخدَم بمعانٍ ثَلاثة:

أ - الميتات اليونانيّة والرُّومانيّة.

ب - الميتات عُمومًا ومن دون الاقتصار على اليونانيّة والرُّومانيّة.

ج - عِلْم الميتات الذي يَتناوَل طبيعتها ومظاهرها وتطوُّرها عند الشُّعوب.

والمَعنى المُستخدَم في مُعجَم الأعداد هو المعنى الثاني. ونظرًا لأنّ الميتة تختلف

---

(١) فيلسوف يونانيّ عاش في القرن السادس ق.م.

(٢) فيلسوف يونانيّ (٤٢٨ أو ٤٢٧ - ٣٤٨ أو ٣٤٧) ق.م.

(٣) Histoire Universelle des Chiffres - Georges IFRAH - P.4.

عن الخُرافة أو الأُسطورة عند بعضهم، وتَتَّفق معهما عند بعضهم الآخر، فقد تمّ استخدام اللَّفظة مُعرَّبة للابتعاد عن هٰذا الخلاف مستخدمين المعنى الذي يُقدِّمها كحكاية رمزيَّة أو أسلوب رمزيّ في التَّعبير عن مُعتقدات دينيّة أو أخلاقيَّة بِغَضّ النَّظر عن صِحَّة ما ترمز إليه على صعيد واقعيّ أو تاريخيّ، بحيث نتفادى فئة المحقِّرين للميتة وفئة المُغالين في مَدحها وتَعظيمها. ومهما تكن النَّظرة إلى الميتة، فهي حكاية تُفسِّر بِمَنطق الإنسان القديم ظواهر الحياة والكون والنِّظام وأوَّليّات المعرفة... وهي عند هٰذا الإنسان عقيدة يؤمن بها، وهي في الوقت الحاضر مصدر إيحاء في الفنّ والأدب. ومن الضَّروريّ التَّأكيد على أنّ النَّظرة المُعاصِرة إلى الميثولوجيا تَغيَّرت مع الزَّمن. فبدلاً من أن يَنظر إليها الناس على أنّها خرافات وأساطير، بدأ العلماء الغربيّون منذ أكثر من نصف قرن، يعتبرون الدِّيانات القديمة نظامًا، ومفهومًا تفسيريًّا، و«فلسفة» تشرح الكون، مثلما كانت مفهومة ومُعاشة في المُجتمَعات الغابرة، حيث كانت النَّظرة إلى الكون مُقدَّسة. وهٰذه النَّظرة مُهِمَّة جدًّا في تاريخ الفكر الإنسانيّ، وتُساعدنا على استيعاب أفضل وفهم أعمق لكيفيّة طريقة حياة وتفكير شعوب مَرَّت قبلنا، وهي طريقة تُتيح دِراسة أبعاد هٰذه المفاهيم، والاعتراف بها كوقائع إنسانيّة - ثقافيّة - فكريّة، وليس النّظر إليها كخرافات لا معنى لها، لأنّه يجب وضعها في إطار مفهومها الاجتماعيّ، وبُعْدها الدينيّ، كما عِيشَت ومُورِسَت في الأساس(١).

وفي الواقع، فقد جاءت الميثولوجيا العدديّة، عند مُختلِف الشُّعوب، كمُكوِّنات أساسيّة في لُغاتها الرَّمزيّة مع عناصر الكون. وبسبب هٰذه الميثولوجيا العدديّة، بات العدد صاحب شخصيّة رمزيّة تُمثِّل مبدأً مُستقِلاً بحدّ ذاته. لذٰلك يعتقد عُلماء العدد أنّ كلّ شيء في الكون يخضع لقوانين صارمة الدِّقّة، وأنّ العدد هو التَّعبير الأكثر وضوحًا، إذ إنّه يقف في أساس جذور عمليّة التَّكوين(٢).

أبعد من العَلاقة بين الكون والعدد، تُخبرنا الميثولوجيا أنّ الأعداد تُمثِّل كتابة خفيّة تُعبِّر عن شخصيّة الإنسان(٣). وتُوضِح هٰذه العَلاقة، بين الإنسان والعدد، أنّ الأعداد عَرفت مَنزلة مُقدَّسة أحيانًا كثيرة، وكان العامّة يَتهيَّبون عُلماء العدد، ويُبدون تجاههم

(١) راجع مقدّمة كتاب «رموز وطقوس» للمؤلّف.

(٢) Le symbolisme des nombres/ Dr. R. Allendy P.2.

(٣) Ibid - P.11

احترامًا ساميًا.

من هنا، ارتبط الإنسان القديم بالرّمزيّة الدينيّة للعدد إلى حدّ بعيد. فكَرَّمت الحضارات القديمة بعض الأعداد بِوصفها مُقدَّسة ونَبذت بعضها الآخَر[١]. فكانت الأعداد المُفرَدة تَرمز إلى الخير والفأل، بينما تُمثِّل الأعداد المُزدوِجة النَّحس والشُّؤم، وتَخضع لقوى الشَّرّ. وكان الأهل يَعتقدون بدنوّ أَجَل المريض إذا كانت إصابته في يوم غير مُقدَّس، وبِقُرب شِفائه إذا جاءت هٰذه الإصابة في يوم مُقدَّس. وفي حال وفاة أيّ شخص في يوم غير مُقدَّس، فإنّ الأهل كانوا يَنبذون الجُثّة مُعتقدين أنّ قُوَى الشَّرّ تُسيطر على روح الميت؛ أمّا إذا حَصلت الوفاة في يوم مُقدَّس، فإنّهم كانوا يَستبشرون خيرًا ويَرفعون الصَّلوات إلى القوى الخَيِّرة التي تستضيف روح الراحل. وكانت الشُّعوب ترفع الصَّلوات إلى الآلهة خلال الأيّام المُقدَّسة أكثر من باقي الأيّام.

وبشكلٍ عامّ، أسبغ العالَم القديم أهمّيّة كبيرة على رمزيّة الأَعداد[٢]، فساد الاعتقاد لَدى مُختلِف الحضارات أنّ لكلّ عدد شخصيّته الخاصّة في سلسلة الرُّموز، وأنّ لكلّ عَددٍ شكلًا يُجسِّد رمزيّة هٰذا العَدد ويَحمل مَعنًى خاصًّا به. فاعتقد الإنسان أنّ العدد (٧) مثلًا، يَرمز إلى الكَمال، ورأى في العَدد (١٣) رمزًا للتّشاؤم، واعتبر اكتشاف الصِّفر حدثًا يوازي اكتشاف النار، ورَبَطَ العَشَرَة بالانسجام، والسِّتّة بالنَّقص، والأربعين بالتَّطهير... ولِمَعرفة رموز العدد ودلالاته لدى الحضارات القديمة والدِّيانات التَّوحيديّة، ولِكَشْف مُخْتلِف المَفاهيم والمُعتقَدات المُرتبِطة بالعَدد، تَمَّ إعداد هٰذا المُعجَم الذي لا يَدَّعي الإحاطة بالعدد من مُختلِف جوانبه، بحيث تَجاوز النَّظر إلى العدد من الزَّوايا الحسابيّة - الرِّياضيّة، ورَكَّز على الزاويتين الميثولوجيّة والدينيّة؛ وفي بعض الأحيان جَرَى التَّعرُّض للعدد بصفة مُجرَّدة مِن دون أن يكون له عَلاقة بالدين أو الميثولوجيا. ومِن الأمثلة المُعبِّرة عن ذٰلك صفات رئيس المدينة الفاضلة الاثنتا عشرة كما وَرَدَت عند الفارابي.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّي استقيت المعلومات العَدديّة التي تختصّ بالحضارات القديمة من المَعاجم الميثولوجيّة، بشكل عامّ؛ وأمّا التي تَختصّ بالدِّيانات التَّوحيديّة،

---

(١) Dictionnaire des symboles-Laffont P.542.

(٢) مُعجَم اللاهوت الكتابيّ - دار المشرق - ص ٥٣١.

فإنّي اعتمدت في جمعها على الكتب المُقدَّسة التي وَضَعها أشهر عُلماء هٰذه الدِّيانات، وكذٰلك على التُّراث والأحاديث. ويُشدِّد هٰذا المُعجَم على عرض هٰذه المعلومات، إن في الميثولوجيا، أو في الكتب التَّوحيديّة، بشكل موضوعيّ، بحيث اقتصر عَرْض الرُّموز ودَلالاتها على أشهر شروحاتها وتفاسيرها المعترَف بها.

وفي أيّ حال، رُبّما يكون «مُعجَم الأعداد - رموز ودلالات» مُحاوَلة رائدة في اللُّغة العربيّة، على ما أعلم، لِسبر غور العدد. فطَوال فترة البحث لإعداد هٰذا المُعجَم، لم أعثر على مُؤلَّف عربيّ واحد خَصَّص صفحاته للبحث في علم العدد، رموزًا ودلالات. والمعلومات المنشورة في المراجع العربيّة مُبعثَرة في كتب دينيّة وتاريخيّة شتّى. إنّه عِلْم واسع كالبحر، مُترامي الأبعاد. لذٰلك، أرجو الله تعالى أن أكون قَدْ وُفِّقت إلى الهدَف الذي من أجْله كان هٰذا المُعجَم، كما أرجو أن تُشكِّل هٰذه المُحاوَلة انطلاقة جدِّيّة للباحثين في عِلْم العدد للوصول إلى أبحاث تفوقها شمولاً وتفصيلاً. كذٰلك آمل أن يَفرح القارئ بساعات مُطالَعة هٰذا المُعجم، بقدر ما فَرِحْتُ بإعداده طَوال سنوات. كما أتمنّى أن يُرضي هٰذا البحث حشريّة المُهتمّين بالميثولوجيا، سيّما ما يختصّ منها بعلم العدد: رموزًا ودلالات.

وأخيرًا، أتوجّه بالشُّكر إلى حضرة الأب اليسوعيّ الدُّكتور سليم دكّاش، رئيس تحرير مجلّة «المشرق»، وإلى الأستاذ أنطوان نقولا ناصيف اللّذين قَدَّما لي مراجع قيّمة ساعدتني كثيرًا في إعداد هٰذا المُعجَم، وإلى الشَّيخ الدُّكتور أنور فؤاد أبي خزام، أُستاذ مُحاضِر في الجامعة اللُّبنانيّة، على مُلاحَظاته القَيِّمة وبخاصَّة فيما يَتعلَّق ببعض ما وَرَدَ من رموز ودَلالات توحيديَّة، ومِن «مكتبة لبنان» إلى الأستاذ أحمد شفيق الخطيب رئيس دائرة المعاجم على مُلاحَظاته القيّمة، والدُّكتور جورج متري عبد المسيح المشرف على القسم العربي الذي تَكرَّم بِمُراجَعة مُسوَّدة المُعجَم.

جان مخايل صدقه.

٢٩ أيلول ١٩٩٣ .

حرف الألف

إثنان

□ يَرمز العدد «إثنان» إلى الازدواجيّة، حيث ترتكز كلُّ جدليّة، وكلّ جهد، وكلّ قتال، وكلّ حركة. كما يَدلّ على التّضادّ والصّراع والشّرّ. وكذلك يشير إلى التّوازُن. إنّه العدد الأكثر تَطرُّفًا بين كلّ الازدواجيّات - الخالق والمخلوق، الأبيض والأسود، المُذكّر والمُؤنّث، الروح والمادّة -... وفي الماضي، كان يُنسَب هٰذا العدد إلى الأمومة، فهو يُمثّل المبدأ النّسائيّ.

ولأنّ الاثنين يَرمز إلى الشّرّ، فهو عدد الشّيطان؛ ويقول الدُّكتور اللندي (Allendy)[(١)] إنّ العدد اثنين مُضادّ للوَحدة، فهو لا يَخرج من الوَحدة إلّا بالعنف لأنّه لا يُمكن للوَحدة أن تَتجزّأ، وحين تَتجزّأ الوَحدة، يَحصل الشّرّ. ويُضيف قائلًا إنّ العدد اثنين عدد خاطىء، بَشِع، ضَعيف، عقيم، وتعيس.

في سومر.

□ كان تَمّوز (Tamuz)[(٢)] وإنانا (Inanna)[(٣)] وَجهين مِثاليّين وأنموذَجين سماويّين لنساء سومر ورِجالها، ورَمزين إلٰهيّين للعمليّة الجسديّة التي تَهب السّعادة والمُتْعة. وكان سُكّان سومر يَتوجّهون بالدُّعاء إلى إنانا بوصفها الإلٰهة «التي تَفتح أرحام النِّساء» إذ كان على جميع النِّساء، امتثالًا بإنانا واقتداءً بها، أن يَتهيّأن لعرض فروجهنّ، عن رضًا، لأنظار الرِّجال لإيقاظ غريزتهم وحَضّهم على التّمتع بأجسادهنّ المنذورة لهم. وكان على الرِّجال أن يحذوا حذو تمّوز، إلٰه نموّ النّبات وتَكاثُر الحيوان، الذي يَخضع لإغواء إنانا وسِحْرها ويُقدّم لها مَنيَّه في كلّ مرّة ترجوه فيها ذٰلك. وكانت إنانا تَظهر على شكل إلٰهة مُلتحية مزوّدة بعضوي الذُّكورة والأُنوثة معًا. ويَدلّ نهداها العاريان إلى أنوثتها إذ إنّ إنانا كانت رَجُلًا أيضًا، ولحيتها لم تكن الدَّليل الوحيد الذي يَشهد على ذٰلك[(٤)].

في مصر.

□ يَرمز الاثنان، في مصر، إلى التّثنية، إلى

---

(١) مُؤلّف كتاب «Le symbolisme des nombres».

(٢) إلٰه سومريّ يَرمز إلى الإنبات وحيويّة الطّبيعة.

(٣) إلٰهة سومريّة، يعني اسمها مَلكة السّماء.

(٤) الجنس في العالم القديم. بول فريشاور - ص ٦١.

خَلْق ما هو أعلى وما هو أسفل، إلى خَلْق اللّيل والنّهار، إلى تثنية جنس الإله الذي لا جنس له، وإلى خَلْق الذّكر والأنثى.

ويُعبّر الاثنان عن التّضادّ وتَبايُن الطّبيعة والاستقطاب. وفي الميثولوجيا المصريّة، يَتمثّل هذا في التّضادّ بين أوزيريس (Osiris)[١] وست (Seth)[٢] ثمّ بين حورس (Horus)[٣] وست.

ويَعتقد المصريّون أنّ الإله حورس يَملك وجهين، فهو تارة له وَجْه هارويريس (Haroeris) الكبير[٤]، وطورًا وَجْه هوربوقراطس (Harpokrates) الصّغير[٥] في شكل طِفْل يَمصّ إصبعه[٦].

في اليونان.

□ في اليونان، أطلق إمبيدوكليس (Empédocle)[٧] نظريّة تقول إنّ العالَم خُلِقَ من قُوّتين مُتضادّتين: الحبّ والكُرْه. وتَحتفل اليونان بالألعاب الاستميّة (Isthmian games) وهي مُباريات تقام في إستميا قرب كورنثه (Corinth) مَرّة كلّ سنتين في الرّبيع على شرف بوسيدون (Poseidon)[٨]. وتأتي هذه الألعاب في المرتبة الثانية بَعْدَ الألعاب الأولميّة في شعبيّتها[٩]. وتَبدأ الأعداد الفيثاغوريّة بالعدد اثنين وليس بالواحد. وهذا النّظام الثُّنائيّ للأعداد يُشكّل رُكْن الرّياضيّات الحديثة.

وفي اليونان، كان الإسكندر يَستعملُ الحِكمةَ في مَقاصِده ويَستظهِرُ برأي مُعلّمِه أرسطوطاليسَ (Aristotle)[١٠] في مَطالبِهِ. قيل لذلك إنّه ذو القَرْنَيْن، وأوّلَ هذا اللّقبُ بُلوغه قَرْنَي الشّمْسِ أي مَطلَعها ومَغرِبها، وأوّله آخَرونَ أنّ ذلك لنجاته من بين قَرْنين مُختلِفين عَنَوا بذلك الرومَ والفُرْسَ[١١].

في روما.

□ رَأى الكاتب اللاتينيّ ماكروبوس (Macrobes)[١٢] في العدد اثنين رمزًا للقسمة. وكان الرومان يُهدون بلوتون (Pluto)[١٣] الشّهر الثاني مِن السّنة، وكان اليوم الثاني من هذا الشّهر مُخصّصًا لتكريم الدّيانة المانويّة. وربّما لذلك أصدر البابا يوحنّا التاسع عشر (John Nineteenth) منشورًا بابويًّا حدّد فيه تكريم الموتى في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر)، أي في اليوم الثاني من

(١) إله الإنبات والخِصْب عند الفراعنة.
(٢) شقيق أوزيريس.
(٣) إله الجَلَد والشّمس عند الفراعنة.
(٤) اسم دُعي به حورس.
(٥) اسم أطلقه الإغريق على حورس.
(٦) معجم الأساطير - شابيرو وهندريكس - ص ١٢٣.
(٧) فيلسوف ومُشرّع يوناني (عاش في القرن الخامس ق.م.).
(٨) إله البحر عند اليونان.
(٩) معجم الأساطير - ص ١٣٥.
(١٠) فيلسوف يونانيّ (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م.).
(١١) البيروني - الآثار الباقية عن القرون الخالية - ص ٣٧.
(١٢) كاتب لاتينيّ عاش في القرن الخامس ق.م.
(١٣) إله الجحيم عند الرومان.

الشَّهر الثاني في فصل الخريف.

في فارس

□ يَتمظهر الشَّرّ في العدد اثنين من خلال صِراع آهورا مازدا (Ahora-Mazda)[١] ضدّ اهـريـمـان (Angra-Mainyu)[٢]. وفي الميثولوجيا الفارسيّة يَرتبط العدد اثنان بجدليّة اللَّيل والنَّهار باعتبارهما وَجْهَيْن للزَّمن والحركة في السَّماء، وبالعالَمَيْن الأرضيّ والماورائيّ باعتبارهما مَقَرَّيْن أو قَصْرين، ويُرمَز إليهما بمَسكن مصنوع من الغبار له باب للدُّخول، وباب للخُروج أو الموت. وتعتقد المَجوسيّة، ديانة زرادشت (Zarathusta)[٣] بوجود إلٰهين: إلٰه للنور وإلٰه للظُّلمة، ولذٰلك سُمُّوا بالثَنويّة الدينيّة، وهم يَستخدمون بيوت النار للعبادة.

في الهند.

□ يَنظر الهنود إلى العدد اثنين على أنّه مَبدأ الشَّرّ. ويُؤمن البوذيّون بمبدأين يَتصارعان مدى الحياة: مَبدأ الراحة الذي يميل إلى تدمير الأشكال الحيَّة، ومَبدأ النَّشاط الفاعل الذي يَميل إلى خلق الأشكال المادّيّة. وفي الهند، يَملك آغني (Agni)[٤] وَجْهَيْن: وَجْه مُسالِم ووَجْه رَهيب[٥].

(١) رَبّ الملوك عند الفرس وهو يُمثِّل النور.

(٢) رَبّ الشَّرّ والظُّلمة عند الفُرس.

(٣) حكيم ومُعلِّم فارسيّ عاش في القرن الثامن ق.م.

(٤) إلٰه النار عند الهنود.

(٥) Les grandes figures des mythologies - p.33

في الصِّين.

□ تَقوم فلسفة الشَّرق الأقصى وعلومه على الازدواجيّة. ويَعرض فو- هي (Fu-Hi)[٦] في كتابه «إي- كينغ»، وهو الكتاب الأقدم في الصِّين، هٰذه العقيدة، فيقول إنّ الازدواجيّة هي في أساس الميتافيزيقيا الصينيّة، من خلال الين واليانغ (Yin-Yang) وهما الأثيران اللَّذان خرجا من انقسام الخليّة الأصليّة للفراغ البدائيّ تشي (Chi). الين (Yin) مُؤنَّث مُظلِم سَلبيّ، وهو من الأرض، ويُرمَز له بخطّ مُنقسِم أو مُنكسِر؛ واليانغ (Yang) مُذكَّر، مُشرِق إيجابيّ، ويُرمَز له بخطّ غير مُنكسِر، فهو من السَّماوات. الين (Yin) مُتوحِّد دائمًا مع الأبالسة، واليانغ (Yang) يُمثِّل الآلهة. والين واليانغ قاعدة الازدواجيّة الأساسيّة، حيث تقوم القُوى المُتناوِبة والمُتعارِضة بِخَلْق الكون، فالين يُشكِّل الأرض، واليانغ يُشكِّل الجَلَد أو السَّماء، والطَّبيعة الأساسيّة لكلّ الأشياء الحيّة[٧].

في اليابان.

□ يُشكِّل إيزانامي (Izanami) وإيزاناغي (Izanagi)[٨] الثُّنائيّ المُقدَّس في الميثولوجيا اليابانيّة. وقد وُلِدَت جُزُر الأرخبيل اليابانيّ وأربابه من اتِّحاد هٰذين الإلٰهين[٩].

(٦) كاتِب صينيّ.

(٧) معجم الأساطير - ص ٢٦٨.

(٨) إلٰها التكوين في اليابان.

(٩) معجم الأساطير - ص ١٣٦.

في أوستراليا.

▫ تقول الميثولوجيا إنّ بونجيل (Bun-jil)(١) هو الذي شَكَّل أوّل إنسانين من طين. كان بونجيل بطلاً سماويًّا، عَلَّم الزّراعة والصَّيْد لِشَعب أوستراليا(٢).

في أميركا.

▫ في الجنوب الأميركيّ. جاء في ميثولوجيا شعب الباكيري (Bakiris) الهنديّ أنّ كامي (Kami) وكيري (Keri)(٣) هما تَوأمان، صارا بَعْدَ الطُّوفان خالِقَيْن للبشريّة، يُوَلِدان النّاس من القَصب. وفي ميثولوجيا أخرى، خَلقا الحيوانات من جِذْع شجرة، وسَرَق كامي وكيري كرات الريش من صَقْر وصَنَعا الشّمس والقَمر(٤).

وفي الشّمال الأميركيّ، يُعتبَر آيوسكيها (Ioskeha) وتاويسكارا (Tawiscara)(٥) أخَوَيْن تَوأمين في ميثولوجيا قبيلة الهورون (Horons)، وهما يُمثّلان المبدأ الثُّنائيّ للخير والشّرّ. عندما وُلِدا ماتت أمّهما، فَلام تاويسكارا أخاه على ذٰلك. ذَهَب آيوسكيها إلى أبيه الذي قَدَّم له الحُبوب والقوس والسّهام، وبعدما حَصَلَ على أدوات الصَّيْد خَلَقَ الحيوانات ثُمّ خَلَقَ البَشريّة بعدما وَضَعَ الشّمس والقمر في الجَلَد. عَلَّم الإنسان صُنْع النار وأدخل المَهارات وفنون الثّقافة إلى قبيلة الهورون. أمّا أعمال تاويسكارا فهي وحشيّة وشاذّة. وقد صار أيوسكيها روح النار، وتاويسكارا روح اللّيل(٦).

في أفريقيا.

▫ في أفريقيا، تَرتكز الرُّموز الأفريقيّة على ازدواجيّة أساسيّة تُشَكِّل قانونًا كونيًّا بامتياز، فالإنسان يَعيش في ظِلّ الحياة والموت، الخير والشّرّ، اللّيل والنّهار، اليمين واليَسار...

في مالي (Mali) تُؤمن قبائل الدوغون (Dogons) بأنّ مَبدأ التّوأميّة يُنشّط ويُنظّم الخَلْق. ووفقًا لتصوّر الدوغون لنشوء الكون، أقدم أمّا (Amma) الإلٰه الأكبر على خَلْق الأرض وجَعَلَ منها زوجة له. ومن هٰذا الزّوَاج وُلِدَ ابن وحيد، هو يوروغو (Yurugu) أو الثّعْلَب الشاحب؛ لٰكنّ الأرض التي أرادت أن تقف بوجه قُوّة الإلٰه أمّا الذُّكوريّة عوقِبت بالختان، وصارت أكثر طاعة لزوجها. ومن بعد هٰذه العقوبة، أنجبت الأرض نومّو (Nommo) الذّكر والأنثى في آن، الزّوجان المثاليّان سيّدا المياه والكلام.

أمّا الثّعلب الشاحب، الوحيد، وبالتالي النّاقص، مبدأ العَبَث، فقد تاه بحثًا عن زوجة له. وهو لا يَعرف إلاّ أوّل الكلام، هٰذا الكلام الذي يَكشفه للعرّافين.

وقد صَنَعَ أمّا من الطين زوجين بشريّين أنجبا ثمانية أجداد أو أسلاف. وعَلّمَهم نومّو

(١) إلٰه الصَّيْد في أوستراليا.
(٢) معجم الأساطير – ص ٦٨.
(٣) إلٰها التّكوين عند شعب الباكيري.
(٤) معجم الأساطير – ص ١٤٠.
(٥) إلٰهان في شَمال أميركا يَرمزان إلى الخير والشّرّ.
(٦) معجم الأساطير – ص ١٣٢.

الكلام المرتبط بالرُّطوبة والحياكة، لأنّ الكلام هو عبارة عن أسئلة وأجوبة مُتشابكة. إذًا، إلى جانب نشوء العالَم وتكوينه، تُفسِّر ميثولوجيا الدوغون أصول التَّقاليد. لكن يبدو أحيانًا أنّ الميثولوجيا بحدّ ذاتها هي تعبير أو رمز لإيمان أعمق. فمثلًا الازدواجيّة ذَكر - أنثى ضروريّة للحياة، وهي مَنبع نزاع في قَلب كُلّ فرد. لذلك لا يصبح الصَّبيّ رجلًا حقيقيًا إلَّا بَعْدَ الخِتان الذي يَتخلّص عبره ممّا هو أنوثيّ فيه. كذلك، المُناظرَة أو التّضادّ بين نومّو المثالي والثّعلب الشاحب الملعون هو أيضًا يُكمّل بعضه بعضًا، إذ إنّ الثّعلب هو الذي يُلهِم العرّافين الذين يَلجأ إليهم الجميع في الأوقات الصَّعبة. إذًا، ليس هناك شَرّ مُطلَق، لكن هناك كسر تَوازُن أو خرق، إراديّ أوّلًا، لمُحرّمات، وقد تَمّ تصحيحه باللُّجوء إلى طَقس مُناسِب.

أمّا الكلام فهو ركيزة القُوّة الحيويّة ووسيلة انتقالها. ويُعتنَى بهذه القوّة الحيويّة بالعبادة ومُمارَسة العقائد. كذلك جوهر الموتى الروحيّ الذي يَتحرَّر ساعة الموت، ويَتمّ جمع أرواحهم وتوزيعها من جديد من خلال طقوس مأتميّة تُنفِّذها الأقنعة.

وعند الكونكومبا (Concombas)، يَلعب التّوائم دورًا مُميّزًا وهامًّا في الطُّقوس الزّراعيّة السّحريّة - الدينيّة. وفي مالي (Mali)، يُعتبَر العدد اثنان رمزًا للجمع والتّلاقي والحُبّ والصّداقة.

في توغو (Togo) تعتقد قبائل الكابري (Kabris) أنّ للإنسان نَفسين: الكاليساه (Kalisah) أي الروح التي يُمكِن أن تَتجسّد في عِدّة أطفال مع بقائها في مَسكن الأموات، وهي تخرج من جنّة المياه، والثانية هي النَّفس الحيويّة شيام (Ciyem) التي تَترك الجسد لحظة الموت وتعود إلى الله.

وفي داهومي (Dahomey) آلهة الفنون كلُّها خنثاوات، أو أنّها تعمل على شكل ثنائية توأميّة، حتّى إنّ هذه الثُّنائيّة تَظهر في المُؤسَّسات الاجتماعيّة حيث يُسمَّى الملك «اثنين في واحد كالإله». وهو يَملك لَقَبَيْن، وهو هَدف لِطَقْسين ملَكيّين، ويَحكم جهازين من المُوظَّفين أحدهما مُذكَّر والثاني أُنثوي. والتّماثيل الصّغيرة التي تُباع في أسواق داهومي هي تماثيل تَوائم. وإذا لَحِقَ الموت بواحد من التّوأمين، فإنّ الباقي على قيد الحياة يَحمل في زنّاره تِمْثالًا من جنس المُتوَفّي نَفْسه ولا يَنفصل عنه أبدًا. والأفعى ذات الرّأسين عند قبائل الباميليكي (Bamilikis) هي رمز المُلْكيَّة والخِصْب. وعندما تضع إحدى الأمّهات تَوأمين، يقال إنّهما إلٰهان مُتجسِّدان ويُقدّمون لهما غذاء غنيًّا بشكل خاصّ، وتُرفَع أمّهما إلى مَركز اجتماعيّ سامٍ، وتُسمَّى أمّ التَّوائم، وينبغي لها أن تَلزم بيتها دون عمل حتّى يُصبح ولداها قادِرَيْن على الاستغناء عنها. كما يُمكِنها أن تُصبح كاهنة. ويُظَنّ أنّه إذا كان لِزَوْجَيْن تَوأمان فمعنى ذلك أنّهما مُفضَّلان ومَرعيّان رعاية خاصّة من الأجداد؛ كما أنّ الأب والأمّ وأخوة التّوائم يُغيّرون أسماءهم، ويحمل الأب في ذراعه سِوارين يَدلّان إلى مَرتبته. وإلى التّوائم يَتوجّه الناس في حال العُقْم لِيَطلبوا من الله أن يَمنحهم الذُّرّيّة، ذلك لأنّ التّوائم يَمتلكون قُوّة خَيِّرة، وهم حَمَلَة حَظّ. وعندما يَكبر تَوأمان، يُعيَّن أحدهما في خدمة أمير بلاد

البامبليكي. ورَغم ذٰلك، فإنّ ثمّة مُجتمَعات تكون فيها التَّوائم مَوضع خوف ورُعب، وفي هٰذه الحال، يَتمّ قتل أحدهما بمُجرَّد وِلادته[١].

وفي الموزامبيق (Mozambique) تقول الميثولوجيا إنّ مولوكو (Molocoh) هو الرَّبّ الأعلى الذي خَلَق الذَّكر والأنثى من ثَقْبين حَفَرهما في الأرض، ثُمّ عَلَّمهما كيف يَستخدمان الأدوات والبذور التي قَدَّمها لهما.

وفي الميثولوجيا الأفريقيّة عمومًا، يَركع البَطل على رُكْبَتيه، عَلامة حُبّ أو احترام، وهو يَحمل بين يَدَيْه كأسَ نبيذ يُقدِّمها إلى الأميرة أو الحبيبة.

عند العبرانيّين.

◻ عند العبرانيّين، يَعتقد الناس أنّ الرَّبّ الإلٰه جَعَلَ من العدد اثنين أساسًا للعالَم. وفي التُّراث، يَرمز الاثنان إلى الشَّرّ، وهو عدد سلبيّ ونسائيّ، فيقول سفر التّكوين إنّ الرَّبّ الإلٰه خلق المرأة في المَرّة الثانية (٢: ٢٣). ويُؤكِّد النّصّ الأصليّ للتّوراة أنّ الرَّبّ الإلٰه خلقَ حَوّاء من عضو آدم وليس من ضُلْعه. وفي السِّفْر نَفْسه، قال الرَّبّ الإلٰه لنوح (Noah): «من كلّ حيّ من ذي جسد اثنين من كُلّ تَدخل التابوت لِتَحيا معك. ذَكرًا وأنثى تكونَ» (٦: ١٩)، وتفسيرها أنّ الكائنات غير الناطقة تَشترك للعقاب والخلاص في مصير الإنسان الذي أفْسَدَ شرُّه الخليقة كلّها. ويَذكر سفر التّكوين، أيضًا، أنّ لوط (Loth) كان له بنتان. فسقتا أباهما خمرًا وضاجَعتاه وحَمَلتا منه، ووَلدت الكبرى ابنًا وسَمَّته موآب وهو أبو الموآبيّين، والصُّغرى ولدت ابنًا وسمّته بنعمّي وهو أبو بني عمّون إلى اليوم (١٩: ٣٥-٣٨). ويحكي سفر التّكوين، كذٰلك، عن وجود أُمّتين في جوف رفقة (٢٥: ٢٣)، وتفسيرها أنّ صراع الولدين يُنذِر، وهما في بطن أُمّهما، بعداوة الشَّعبين الشَّقيقين. وعند العبرانيّين، يَتألَّف التُّلمود من قسمين: المشنة (Mishanah) والجمارة (Gemara). وكلمة مشنة تعني التَّثنية والتَّرديد، وهي توضيح للشَّريعة الشَّفهيّة وَضَعَه الرَّبابنة تحت إشراف الحاخام يهوذا هاناسي (Judah Hanasi) بعد التّمحيص في مُختلِف الأعراف. أمّا الجمارة، فهي مجموعة توضيحات وتعليقات على المشنة، وهنالك مجموعتان من هٰذه التّعليقات، وتاليًا تلمودان هما التُّلمود الأورشليميّ والتُّلمود البابليّ. وقد جرى تنظيم التُّلمود الأورشليميّ في فلسطين - صفوريّة وطبريّة وقيصريّة - وهو يُنسَب في غالبه إلى الحاخام يوحنان (١٩٩- ٢٧٩م)، إلّا أنّ تدوينه النِّهائيّ تَمّ في نهاية القرن الرابع. أمّا التُّلمود البابليّ فيتضمّن التّعاليم الصادرة عن رجال الدين في بابل، وهو أحدث من تلمود أورشليم وأكثر أهمّيّة منه، فالمسائل بُحِثَت فيه بصورة أكثر عمقًا، وهو يُشكِّل، إلى جانب العهد العتيق، مَرجعًا دينيًّا رسميًّا بالنِّسبة إلى الدِّيانة العبريّة[٢].

(١) ديانات الأرواح الوثنيّة في أفريقيا السوداء. ج. س. فرَوبليش - ص ٥٤.

(٢) مُعجَم الحضارات السّاميّة. هنري عبّودي - ص ٢٨١.

عند المسيحيّين.

□ عند المسيحيّين، العَدد اثنان هو رمز الصَّليب بامتياز. ويَتألَّف الصَّليب من خشبتين - عَلامتين: خطّ عَموديّ وخَطّ أُفقيّ، فيَنطلق العَموديّ من الأرض باتّجاه السَّماء، ومن السَّماء باتّجاه الأرض؛ والأُفقيّ من الذات إلى الغير، ومن الغير إلى الذات. وتلتقي الخَشبتان - الخَطّان عند موضع وَقَعَ على كَتِف السَّيِّد المسيح وهو يَحمل صليبه على طريق الجُلْجُلَة. والموضع ذاته كان خَلْفَ قَلْبه الذي طُعن بِحَرْبة، فالصَّليب مُجسِّم لِمُجمَل عَلاقات الإنسان، وذُرْوَة ما قَدَّمه الإنسان الإله.

لقد أعطى آباء الكنيسة العدد اثنين مَعنًى سلبيًا هو معنى القِسْمة وقلّة الكمال باعتباره يُمثِّل المادِّيّة الأخلاقيّة في الوَحدة الجسديّة. وفي العهد الجديد، تَحدَّث الإنجيليّ مَتّى عن سَمكتين في أعجوبة كَسْر الخُبْز (١٤ : ١٩)، وعن صَلْب لِصَّيْن عن يمين السَّيِّد المسيح ويساره (٢٧ : ٣٨)؛ وتكلَّم الإنجيليّ لوقا عن حَمامتين ويَمامتين (٢ : ٢٤)، وعن سَيفي بطرس (٢٢ : ٣٨). وذَكَرَ سفر أعمال الرُّسُل مَلاكين شَهدا على صُعود السَّيِّد المسيح إلى السَّماء (١ : ١٠). وجاء في سفر رؤيا يوحنّا كلام عن شاهِدَيْن وزيتونتين ومنارتينَ (١١ : ٣- ٤).

وفي الرَّمزيّة الهندسيّة، كانت الشَّبابيك المُزدوِجة في الكاتدرائيّات تَرمز إلى الطَّبيعة الثُّنائيّة للسَّيِّد المسيح - إله وإنسان -.

عند المسلمين.

□ جاء في الحديث الشَّريف أنّ النَّبيّ مُحمَّد ﷺ قال: «ما من مُسلِم يُذنب ذَنْبًا فيَتوضأ ويُصلّي ركعتين إلّا غُفِرَ له». وروى ابن ماجه على لسان النَّبيّ مُحَمد ﷺ قوله: «ما من صباح إلّا وملاكان يُناديان: «ويل للرِّجال من النِّساء وويل للنِّساء من الرِّجال». وروى البزار أنّ رسول الله ﷺ قال: «صوتان مَلعونان في الدُّنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنّة عند مصيبة». وروى جابر بن عبد الله أن النَّبيّ ﷺ كان إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبه حتّى وكأنّه مُنذِر جيش يقول: «صبحكم ومساءكم، ويضيف: بُعثت أنا والساعة، كهاتين، ويُفرِّق بين إصبعيه: السَّبابة والوسطى».

يسجد المُسلِم في كُلّ ركعة سجدتين، بأن يهوي إلى الأرض ويَجعل جبهته وكفّيه ورُكْبتيه وإبهامي قدميه على الأرض[١].

عند المتصوّفة.

□ يُؤمِن المُتصوِّفة بالإمامين، وهما شَخْصان أحدهما عن يمين الغوث ونَظَره في الملكوت، والآخر عن يساره ونَظَره في الملك، وهو أعلى من صاحِبه وهو الذي يَخلق الغوث[٢].

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السيّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٣٢.

(٢) Les sectes secrètes de l'Islam

عند البهائيّين.

□ شَجّع البهائيّون الزَّواج، وسمحوا به لاثنتين لا أكثر، فجاء في «الأقدس»: «قد كتب الله عليكم النّكاح إيّاكم أن تُجاوزوا عن الاثنتين والذي اقتنع بواحدة من الإماء استراحت نَفْسه ونَفْسها، ومن اتَّخذ بِكْرًا لخدمته لا بأس عليه»[١].

عند المُوحِّدين (الدُّروز).

□ يُقسَم المُوحِّدون، من الناحية الدينيّة إلى قسمين: عُقّال وجهّال.

ويُقسَم العُقَّال طبقتين: الشُّيوخ والأجاويد.

عند الماسونيّين.

□ تَرتكز الماسونيَّة على مَبدأين أساسيَّين هما حرِّيَّة الضَّمير المُطلَقة والتَّكامُل البشريّ[٢].

ومن المفروض أن يُوجَد في المَحفل عَمودان كبيران مُفرَغان من الداخل، وحَجران: الواحد غير مَنحوت والآخَر مَنحوت[٣]. ويُحدِّد العَمودان مَدخل المَحفل الماسونيّ، فالعمود الأوَّل مُخصَّص بالمنضوين الجُدد، والثاني بالإخوة[٤].

تُفسِّر الماسونيّة وجود هٰذين العمودين بأنّ البشريّة بدأت بنسيان مشيئة الله وتاهت في جهل المعرفة، فقام أبناء لاماك (Lamech)، وخوفًا من كارثة رهيبة، بكتابة نتائج اكتشافاتهم على عمودين كبيرين من حجر. بعدها أتى الطُّوفان وأمكن إنقاذ العمودين اللَّذين اكتشفهما هرمس، فأخذهما وذَهب بهما إلى بابل[٥].

لا بدّ، هنا، من الإشارة، إلى أنّه، في العام ١٩٦٠م. اكتشف العالِم الأرخيولوجيّ كاتلن كينون في أريحا قاعدة استناديّة لبيت طوله ستّة أمتار ونصف المتر تقريبًا، وعرضه ثلاثة أمتار. ولم يتمّ تحديد طول هٰذا البيت بدقّة نظرًا لامتداد جداره من الأسفل خارج رقعة السَّبر. أمّا أساسه فكان عبارة عن بناء من الغضار، يبلغ ارتفاعه حوالي ثلاثين سنتيمترًا، يَتقاطع مع حُفْرة تشبه معلقًا خاليًا، على الرُّغم من وجود طبقة ثخينة من الكسرات والأدوات تحيط بالبيت.

يبدو أنّ جدران هٰذا البيت كانت قد بُنِيَت من الأخشاب والغضار، غير أنّه لم يَبْقَ منه سوى الأساس الحجريّ. وكانت بجانبه حفرتان قطر الواحدة منهما ٣٠ سم، أمكن لهما أن تكونا قاعدتين للعمودين المُقدَّسين القائمين أمام المعبد. وقد تَمّ العثور على زوجين من الأعمدة كهٰذين العمودين أمام المعابد بعد تسعة آلاف عام في آسيا الأماميّة: أمام مَعابد الأشوريّين، وفي أورارتو وصور والخزر وأورشليم، وأمام معبد سليمان المشهور. وكما جاء في كتاب العهد القديم: «فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين، ثمّ

(١) البهائيّة والقاديانيّة د. أسعد السحمرانيّ - ص ١٠٩.

(٢) الدُّستور الماسونيّ العامّ، شاهين مكاريوس - ص ١.

(٣) نفس المرجع - ص ١٤.

(٤) La franc-maçonnerie - p.246

(٥) Ibid - p.33

أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز» (الملوك الأوّل (٧- ٢١). وهناك افتراض يقول إنّ أعمدة معبد سليمان تُمثّل الأساس الأبويّ والأموميّ لعشيرة الملك، لأنّ هٰذه الأعمدة كانت مُسمّاة بأسمائهم.

ومن المُمكِن أن نَسحب تفسيرات الكاتب السُّوري القديم لوقيان على الأعمدة، التي رأى فيها رمزًا للأعضاء التناسليّة الذّكريّة، التي كانت تَرمز إلى الأسلاف، كما جاء في الكتابات الصّينيّة القديمة من عصر البرونز. وفي العهد القديم نجد برهانًا على الافتراض الأوّل، حيث يصادف فيه وصف لتصوُّرات الكنعانيّين عن هٰذه الأعمدة الخشبيّة التي رأوا فيها رمزًا لإلهة الأمومة عشيرة. وانطلاقًا من هٰذا كُلّه يمكن التّوصُّل - برأينا - إلى الخلاصة التالية: إنّ عمودي معبد أريحا جَسَّدا التّركيب الثُّنائيّ للنّظام العشائريّ، أو إنّهما جَسّدا الأسلاف. وثَمّة مجموعة أخرى من علماء الآثار تقول إنّ هٰذا الهيكل كان يُعدُّ المعبد الرّئيس، وهٰذا ما يُفسِّر سِرّ ارتباط طقوس طلب زيادة الخصب بتقديس الأسلاف[1].

وفي الحضارة السومريّة تُعبِّر لفظة «عمود» عن كلمة «حياة»، لأنّ لفظهما باللُّغة السومريّة واحد تقريبًا وهو «تي». وورد في أحد النُّصوص اسم «إنليل - تي» ويعني «الإلٰه إنليل يَحفظ الحياة»؛ وتمّ التّعبير عن هٰذه الجملة بالرّمز المُعبِّر عن العَمود، فالعمود يَرمز، إذن، في السومريّة، إلى الحياة[2]. ولعلّ هٰذا هو الرّمز الرّئيس للعمودين في الماسونيّة.

هٰذا، وقد عُبِدَ العمود الحجريّ في الألْف الأوّل قبل الميلاد. وبِحَسب إنجيل بطرس، مثلًا، كان تقديس العمود الحجريّ رمزًا للعذراء، الإلٰهة الأمّ. وعِند العبرانيّين، إشارة إلى هٰذا الأمر. فعندما كان خدم المعبد يُخاطِبون الصّنم الحجريّ كانوا يقولون له: «أنت ولدتني» (إرميا: ٧: ٢)[3].

من جهته، يَعتقد الأب شيخو اليسوعيّ في كتابه[4]، «أنّ بعض الماسونيّين يَزعم أنّ هٰذين العمودين يشيران إلى عمودي النار والسَّحاب اللذين سخّرهما الله لبني اسرائيل في طريقهما، وهم يروون أنّ الملك سليمان أمَر بوضعهما عند مدخل الهيكل الأورشليميّ تذكارًا لبني إسرائيل. أمّا الصادقون منهم فيؤوّلونهما تأويلًا آخر شتّان بينهُ وبين عمودي بني إسرائيل أو هيكل سليمان. وفي هٰذا الموضوع قال الأخ راغون ما تعريبهُ: «انَّ عمودي جاكين وبُوعز يدلّان على المبدأين المتضادّين (يريد مبدأي ماني) النُّور والظُّلمة والخير والشّرّ وعلى مبدأي الحياة النَّسْلية (Phallus). فانَّ غاية تعليم الماسونيَّة إنَّما هو وجود ذينك المبدأين المتنافيين كما تراهما في تاريخ الشُّعوب كجهاد أتيس وميترا وكآهورامازدا وآهريمان وكأوزيريس وتيفون وكالمسيح والشيطان فانّ

(١) نشوء الحضارات القديمة - بورهارد بريتيس - ص ٢٢.

(٢) نفس المرجع - ص ١٠٢.

(٣) نفس المرجع - ص ٣٤.

(٤) السّرّ المصون في شيعة الفرمسون - الكرّاس الثاني - ص ٨- ٩.

كل ذلك إنّما هو الجهاد الدائم بين النور والظلمة. وأمّا معنى هٰذه الرموز فالمُراد بهما الكبرياء والعظمة والخرافات والمِراء والكذب والجهل والأوهام وظلمات النفس».

أمّا شاهين مكاريوس فيقول في كتابه «إنّه في العصور الوسطى كان الماسونيّون يقولون بقسمة العلوم إلى أقسام سبعة: علم النّحو والغرض منه تقويم عوج الألفاظ وضبطها، وعلم البيان، والمنطق، والحساب، والهندسة، والموسيقى، والفلك. وكان الصُّنّاع يردّون هٰذه العلوم إلى علم الهندسة الذي انبثقت منه، فالهندسة في زعمهم رأس العلوم. ويقولون إنّ لاماك ولد ثلاثة أولاد قبل الطوفان، كما جاء في التَّوراة، وهم يابال ويوبال وتوبال قايين، وأكبرهم مُكتشِف علم الهندسة، استعملها في قسمة مواشيه وقطعانه في البراري، وهو أول من نحت حجرًا واستعمل الأخشاب في بناء البيوت. وكان يوبال أبًا لكل ضارب بالقيثار والمزمار، فوضع فنّ الموسيقى وقواعد الغناء. واستنبط توبال قايين مَعادن الذَّهب والنُّحاس والفضّة والحديد والفولاذ، واكتشف قواعد تطريقها والانتفاع بها. وكان الإخوة الثّلاثة على علم بما ستؤول اليه حالة البشر. وإنّ كثرة ذنوبهم وآثامهم ستنزل عليهم نقمة الله، فيأتي الطُّوفان ويُدمِّر البلاد. فأشفقوا على علومهم وصناعاتهم أن تبلى بَعْدَ الطوفان، وعمدوا إلى تقييد قواعدها وأصولها. ثُمَّ دفنوا ما كتبوه في عمودين مجوّفين، أحدهما من الرُّخام والآخر من الخفّان.

وبعد أن انحسر الماء عن وجه الأرض عثر هرمس، حفيد سام وأبو الحكماء، على أحد العمودين، واستخرج منه الكتابات. فوقف على هٰذه الفنون، وعادت مَعرفتها إلى بني البشر»[1].

وبحسب «قاموس الرُّموز»، يُعتبَر هيكل سليمان من الأُسس الرَّمزيّة المهمّة في الماسونيّة، إذ يرمز كلّ محفل للهيكل، حيث يحتلّ عمودان مركزًا أساسيًّا، من كُلّ جهة من الباب، في مُواجَهة المُثلَّث المنير. يَحمل العمود الأوَّل حرف «J» (ياكين)، والثاني حرف «B» (بوعز). ويعتقد راغون، أحد الأساتذة الماسونيّين، أنّ المبتدئين يَصطفّون إلى جانب العمود «J»، والشغّالين إلى جانب العمود «B»، بينما يتواجد الأساتذة في الغرفة الوسطى. وبالعودة إلى عدد من التّفسيرات الماسونيّة، يُعتبَر العمود «J» مُذكَّرًا، فاعلًا، ناريًّا؛ فيما العمود «B» مُؤنَّث، سلبيّ، هوائيّ. يُلوَّن العمود الأوَّل باللَّون الأحمر، والثاني باللَّون الأبيض أو بالأسْوَد. وتتطابق الشَّمس (أحد الرُّموز الماسونيّة) مع العمود «J»، أمّا القمر (رمز ماسونيّ مهمّ) فهو يَتناسب مع العمود «B»، الأمر الذي يُعزِّز رمزيّة العمودين. من هنا، نعود إلى الرَّمزيّة الأساسيّة للعمودين، وهي رمزيّة قديمة بالطّبع، تتعلّق بعضوي الذُّكورة والأُنوثة[2].

من رموز العدد إثنين، أيضًا، يَجلس كاتب السِّرّ الأعظم تجاه الخطيب ويجلس مساعدوهُ بجوارهِ ولهُ الحقّ في مُخاطَبة الأُستاذ الأعظم رأسًا ولبسهُ مثل لبس الخطيب الأعظم إلّا أنّ

---

(١) تاريخ الماسونيّة القديمة وآثارها - ص ٦٩.

(٢) Dictionnaire des symboles-Laffont - p.224

علامتهُ خاصّة بهِ وهي ريشتان أو قلمان داخل مُثلّث تحيط بهِ أشِعَة(١).

أمّا التشريفاتي الأعظم فوظيفتهُ كوظيفة الخبيرين والمرشدين ويقوم مقام أحدهم إذا غاب أو انشغل في الجلسة وإذ انتخب لهُ مساعد فيكون لبسهُ مثل لبسِهِ وعلامتهُ عصوان مُكوّنتان زاوية قائمة مرتبطتان بشريط(٢).

أمّا السيّاف الأعظم فهو يَحمل السّيف مُشهرًا أمام الأُستاذ الأعظم عند دخولهِ وخروجه من المحفل ويقول في أثناء مسيرهِ «المجد لله». والسّيّاف في المحافل يُقدّم السُيوف للإخوان للاستقبال تحت القنطرة السلاحيّة، ولمُقابَلة المُتكرّسين وللرّئيس لتثبيت المتكرّسين، وعلامتهُ سيفان على شكل زاوية قائمة(٣).

في الفلك.

□ تَرمز ثنائيّة الشّمس - القمر إلى التّحديد واللاتحديد أو إلى الروح والمادّة؛ وبحسب أرسطو (Aristotle) إلى المادّة والشّكل. وجاء في الفيدا (Vedas)(٤): «الشّمس هي الحياة، والقمر هو المادّة».

إثْنا عَشَرَ

□ يَرمز العدد إثنا عشر عمومًا إلى الإمْتلاء، وكان رمزًا تَقتصر معرفته على كهنة المعابد فقط، فكانوا يَعتبرونه عددًا روحيًّا صرفًا.

في بابل.

□ قَسّم البابليّون دائرة البُروج - الزودياك - إلى اثني عشر بُرجًا. وكانوا يَقرنون كُلّ شَهر من شهور السَّنة ببُرج من الأبراج. وكُتبت مَلحمة جلجاميش (Gilgamesh) بالخطّ المسماريّ على اثني عشر لوحًا، وهي أعظم سجلّ كامل عُثِرَ عليه في مكتبة أشور بانيبال(٥).

في مصر.

□ لاحَظ المصريّون أنّ بداية الفيضان كانت تَتكرّر في المُتوسّط كلّ ٣٦٥ يومًا، ولهذا قَسّموا سنتهم المُشتمِلة على ثلاثة فصول إلى سنة تَتكوّن من اثني عشر شهرًا كلّ منها ٣٠ يومًا، وبإلحاق خمسة أيّام إضافيّة، وهي الأيّام الخمسة التي يُطلَق عليها اسم النَّسيء(٦).

في اليونان.

□ يُعتبَر جبل الأولمب (Olympus mountain) مَقرًّا لآلهة اليونان وعددهم اثنا عشر بزَعامة زوس (zeus) هم:

أبولون (Apollo)، ديونيزوس (Dionysus)، ديميتير (Demeter)، أرتميس (Artemis)، هيرا (Hera)، هيبي (Hebe)، آرس (Ares)، هرمس (Hermes)، أثينا

(١) الدستور الماسونيّ العام - ص ٢٨.
(٢) نفس المرجع - ص ٢٩.
(٣) نفس المرجع - ص ٣١.
(٤) الملحمة الهنديّة المُقدّسة.
(٥) ملك أشور في القرن السابع ق.م.
(٦) الجنس في العالم القديم - ص ١٠٩.

(Athena)، بوسيدون (Poseidon)، أفروديت (Aphrodite)، وهستيا (Hestia)[(١)].

وأنجب زوس اثني عشر ولدًا من جيا (Gea) من بينهم أوقيانوس (Oceanus)، تيتيس (Tethys)، تيميسي (Themis)، منيموسيني (Mnemosyne)، هبريون (Hyperion)، ثيا (Thia)، كرونوس (Cronus)، ريا (Rhea)، ويُطلَق عليهم تسمية التيتان (Titans)، ويُمثِّلون العنف في الطَّبيعة، وقد حَكموا قبل آلهة الأولمب. قام التيتان بِخَلْع أبيهم أورانوس (Uranos) عن عَرْشه، وصار كرونوس ملكًا، وصارت ريا ملكة على التيتان. وقد وَقَفَ الجميع ضدّ آلهة الأولمب ما عدا أوقيانوس. وبعد انهزامهم، سَجَنَهم زوس في تارتاروس (Tartarus)[(٢)].

وجاء في الميثولوجيا اليونانيَّة أنّ هرقل (Heracles) قام باثني عشر عملًا للحصول على نعمة الخلود يُطلَق عليها «أعمال هرقل» (Labors of Heracles) هي:

١- تَغلَّب على الأسد النيميّ بخنقه في كهفه، ثمّ حَمَله إلى يورسثيوس الذي انتقى له أعماله.
٢- ذَبَح الهيدرا (Hydra) في ليرنا بمُساعَدة ايولوس، الذي كان يَحرق الرَّقبة كلّما قَطَعَ هرقل رأسًا لئلاّ ينمو من جديد، فقطع رؤوسها التِّسعة ودَفَنَ الرَّأس الخالد تحت كومة من الصُّخور.
٣- طارَد الخِنزير البرّيّ الأريمانتاني في الثَّلج وأمْسَك به بإلقاء شبكة عليه، وعاد به حيًّا إلى يورسثيوس.
٤- لاحَق الظَّبية السيرينيّة مدّة سنة كاملة، ثمّ استطاع أن يَجرحها ويَحملها إلى يورسثيوس.
٥- بالخشخاشة البرونزيّة التي قَدَّمتها له أثينا، جَعَلَ الطُّيور الستمفاليّة تَطير فأطلَق عليها سهامه.
٦- نَظَّف زَرائب أوجياس بِتَسليط نَهرَي ألفيوس وبنيوس عليها.
٧- حَمَلَ على كَتِفَيْه الثَّور الكريتيّ وأخَذَه إلى يورسثيوس. لكنّ الملك أطْلَق الثَّور فعاث في الريف فسادًا إلى أن قَتَلَه تيسيوس.
٨- ساقَ أحصنة ديوميدس الوحشيّة إلى مسِّينا عندما هاجَمه ديوميدس، فَقَتَله وجَعَلَ جَسَده طَعامًا للأحصنة، وبهٰذه الطَّريقة رَوَّضها.
٩- أحْضَرَ حِزام هيبوليتي لابنة يورسثيوس أدميتي، لٰكن بطريق المُصادَفة، قَتَلَ هيبوليتي.
١٠- عندما كان يُحاوِل أسْر الثَّور الأحمر الجيريوني في الغرب وَضَعَ العواميد المُسمّاة عواميد هرقل على الحدّ الفاصل بين أوروبا وأفريقيا؛ ثُمَّ قَتَلَ المارد والكلب ذا الرَّأسين الذي كان يَحرس الثيران وذَبَحَ جيريون عندما حاوَل أن يَتبعه.
١١- أخبرَه نيريوس أين يَجد التُّفّاحات الذَّهبيّة التي بحوزة الهسبريدات. وفي طريقه حَرَّر بروميثيوس. وقد رَفَع هرقل السَّماء على كتفيه ريثما عاد أطلس بالتُّفّاحات له.

(١) Encyclopédie MEMO Larousse - p.299
(٢) معجم الأساطير – ص ٢٤٧.

وعندما أراد أطلس الاستئثار بالتُّفَّاحات ليأخذها إلى يورسثيوس، طَلَبَ منه هرقل أن يَرفع السَّماء عنه حتّى يضع لبّادة على كَتِفه، وعندها حَمَلَ أطلس السَّماء وعادَ هرقل بالتُّفّاحات التي قَدَّمها يورسثيوس له ليحتفظ بها، لٰكنّه قَدَّم التُّفّاحات بدوره إلى أثينا، التي أعادتها كلّها إلى الجنينة.

١٢- أَسَرَ سيربيريوس (Cerberus)، حارس هاديس (Hadès) أي الجحيم، ذا الرُّؤوس الثّلاثة، وأخَذه إلى يورسثيوس، لٰكنّ سيربيريوس عاد فيما بعد إلى العالم السُّفليّ[١].

قوانين أفلاطون.

□ في تفكير أفلاطون (Plato)، حَلَّت الأعداد مكان الأفكار للتَّعبير عن شكل الكون، كما استخدم أفلاطون الأعداد في بناء مُؤسَّساته في كتابه «القوانين» (Laws). وخلال العَلاقات الرَّقميّة بين المؤسَّسات أصبح الشَّكل السِّياسيّ للمدينة عبارة عن أعداد تَعكس التَّكوين الرِّياضيّ للكون نَفْسه. وباختصار، تَتحكَّم الرُّموز الشَّمسيّة في العَلاقات الرِّياضيَّة للشَّكل السِّياسيّ. والرَّمز الأساس هو العدد اثنا عشر، وكان ذٰلك عدد قبائل المدينة. ويُعتبَر كُلّ قِسْم من التَّقسيم السُّكّاني «شيئًا إلٰهيًا، هبة من الإلٰه، ويَتماشى ذٰلك مع عدد الشُّهور ومع ثورة الكون»، والعدد اثنا عشر مِفْتاح كُلّ شيء في المدينة. ويَبلغ عدد مُلّاك الأرض في المدينة ٥٠٤٠، وقد اختيرَ هٰذا العدد لأنّه يَقبل القسمة على ١٢، وبالتالي يَسمح ذٰلك بتقسيم السُّكّان على ١٢ قبيلة، وأوَّل عَدد يَقبل القِسْمة على ١٢ هو ٢٥٢٠، ويَختار أفلاطون ضُعْف هٰذا العدد ٥٠٤٠ وتاليًا يُصبح عدد سكّان كلّ قبيلة ٤٢٠، وهو كَذٰلك يَقبل القسمة على ١٢. ويَبلغ عدد أعضاء مَجلس المدينة ٣٦٠ أي ٣٠ عضوًا من كلّ قبيلة. وقد وُجِدَ هٰذا العدد بِضَرْب عدد الأشهر ١٢ في عدد أيّام الشَّهر الشَّمسيّ وهو ثلاثون يومًا[٢].

في روما.

□ يَبلغ عدد آلهة الرومان اثني عشر إلٰهًا، بزعامة جوبيتر (Jupiter) هم:

أبولون (Apollo)، باخوس (Bacchus)، سيريس (Ceres)، ديانا (Diana)، جونون (Jun)، جوفينتوس (Juventus)، مارس (Mars)، ميركور (Mercury)، مينرفا (Minerva)، نبتون (Neptune)، فينوس (Venus)، وفستا (Vesta)[٣].

وفي روما، حَصَلَ أوّل تشريع مكتوب عند الرومان في العام ٤٥١ ق.م وحُفر على اثنتي عشرة طاولة من البرونز، فسُميّ «قانون الاثنتي عشرة طاولة». وتُعتبَر الإنيادة (Ennead) قصيدة ملحميّة لاتينيّة ألَّفها الشاعر فرجيل (Virgil)[٤] وجَعَلها في اثني عشر بابًا على الوزن الثُّمانيّ، وتَتركَّز حول تَجوال البطل إنياس وأتباعه بَعْدَ سقوط طروادة، وتأسيس

(١) Les grandes figures des mythologies - p.108

(٢) موسوعة الفلسفة. د. عبد الرَّحمٰن بدوي.

(٣) Encyclopédie MEMO Larousse - p.229

(٤) شاعر رومانيّ (٧٠- ١٩ ق.م.).

وطنهم الجديد في إيطاليا.

عند المانَويّين.

□ لمّا أتمّ ماني (Manès)[١] الثانية عشرة من عمره أتاه الوحي للمرّة الأولى من «ملك جنان النور» أي الله رَبّ الأرباب، وقام كائن سماويّ بنقل الوحي إلى ماني وهو ملاك يسمّيه النّصّ العربيّ القديم «التوم»؛ وكان مُحتوَى الرّسالة لماني: «إعتزل هٰذه الملّة فلست من أهلها، وعليك بالنّزاهة، وتَرْك الشّهوات، ولم يَئِنْ لك أن تَظهر لِحَداثة سِنّك[٢]». وتَزعم المانويّة أنّ ماني عاد من غيابه في السّماء إلى الأرض عند انتهاء الشّهر الثاني عشر جالباً البشائر من الرّب. وكان للقاضي إثنتا عشرة درجة في الكنيسة المانويّة.

في الهند.

□ قَسّمَ الهنود السّنة إلى اثني عَشَرَ شهرًا في ستّة فصول. وعَرَفَ الهنود اثني عَشَرَ إلٰهًا في السّنة يتطابقون مع الأشهُر. وخَلَقَ براهما (Brahma)[٣] اثني عشر إلٰهًا مُساعِدًا في عمليّة الخَلْق. وبِحَسَب المهابهاراتا (Mahabharata)[٤]، تَظهر اثنتا عشرة شمسًا في السّماء، وتُجفّف البحار، وتَحرق الأرض، ثمّ تُمطِر السّماوات من دون تَوقُّف اثنتي عشرة سنة مُتتالية حتّى تفنى الإنسانيّة.

وفي نهاية القرن السابعَ عَشَرَ، في ساحل مالابار (Malabar)، وبعدما حَكَمَ ملك كاليكوت (Callicut) اثنتي عشرة سنة، دعا رعيّته إلى احتفال استمرّ اثني عشر يومًا. وفي نهاية الحفل، كانت الطُّقوس تَقضي بأن يَتطوّع أربعة رجال من بين الجمهور في مُحاوَلة لاغتيال المَلِك الذي كان يَحقّ له أن يَحميه عدد كبير من أبناء رعيّته. وبصورة عامّة، كان المُتطوّعون يَقتلون عددًا كبيرًا من الناس، لكنّهم، في النهاية، يتعرّضون للموت، ويعود الملك إلى عَرْشه من جديد.

في الصين.

□ كما في الهند، قَسّم الصينيّون السّنة إلى اثني عَشَرَ شهرًا في ستّة فصول. ويضمّ تَطوُّر العالَم اثنتي عشرة مَرحلة من ١٨١٠٠ عامًا، والمَرحلة الحادية عشرة تنظيميّة، والثانية عشرة مَرحلة الفراغ.

في أميركا.

□ في البيرو (Peru)، كان يوجد في محلّة كوزكو (Cuzco) اثنا عشر عمودًا تشير إلى شروق الشّمس عند الأفق خلال اثني عَشَرَ شهرًا. وكانت البيرو تَقسم السّنة اثني عشر شهرًا.

عند العبرانيّين.

□ يصف التُّلمود (The Talmud) الاثنتي عشرة ساعة الأولى في النّهار الأوّل في حياة

---

(١) مُؤسّس الديانة المانويّة في بلاد فارس (٢١٥-٢٧٥م).

(٢) ماني والمانويّة - ص.٤٣.

(٣) الرَّبّ الخالق في الهند.

(٤) قصيدة مَلحميّة هنديّة تُعتبر كنز المعلومات الميثولوجيّة.

آدم (Adam) وهي: الرَّبّ الإلٰه يَجمع التُّراب / التُّراب يَتحوَّل طينًا / الرَّبّ الإلٰه يَصنع جسد آدم / الرَّبّ الإلٰه ينفخ فيه الروح / آدم يقف على رِجْليه / آدم يُسمِّي الكائنات الحيّة / الرَّبّ الإلٰه يعطيه حوّاء / آدم يُحبّها ويُجامِعها / الرَّبّ الإلٰه يأمرهما بعدم الوصول إلى الشَّجرة / عصيان آدم وحوّاء / الرَّبّ الإلٰه يُصدِر حُكْمه ضدّهما / الرَّبّ الإلٰه يَطردهما من الفردوس / . ويقول التُّلمود إنّ كلّ ساعة تُطابِق مَرحلة رمزيّة من الوجود.

وَيتردَّد الاثنا عشر باستمرار في العهد العتيق، فهناك اثنا عشر بطريركًا أو نبيًّا: ملاخي (Malachi)، حجّاي (Aggée)، زكريّا (Zacharie)، عاموس (Amos)، ميخا (Michas)، يونان (Jonas)، عوبديا (Obadia)، صفنيا (Sophonia)، نحوم (Nahum)، حبقوق (Habaquq)، يوئيل (Joel)، وهوشع (HOSEA). ويقول سفر التّكوين إنّ إسمٰعيل وَلَدَ اثني عشر رئيسًا (١٧ : ٢).

ويشير هٰذا العدد، عند العبرانيّين، إلى عدد دورات القمر السَّنويّة، وبذٰلك يُشار إلى دورة سنويّة كاملة، فكان وكلاء سليمان الحكيم الاثنا عشر يَتولَّون بالتَّناوُب تموين القصر، كلّ واحد في شهره (٣ ملوك ٤ : ٧). ويرى بعض العلماء أنّ عدد الأسباط الاثني عشر له عَلاقة بالخِدْمة الدينيّة في المعبد العامّ خلال شهور السَّنة الاثني عشر[١].

عند المسيحيّين.

□ عند المسيحيّين يَبلغ عدد الأعياد الكبيرة اثني عَشَرَ عيدًا تُمثِّل مَراحل التَّدبير الخلاصيّ هي: البشارة، الميلاد، التَّقدمة إلى الهيكل، العماد، قيامة إليعازر، التَّجلّي، دُخول المسيح إلى أورشليم، الصَّلب، النُّزول إلى اليمبس أو القيامة، الصُّعود، العنصرة، انتقال السَّيِّدة.

وفي الإنجيل، صَعِدَ يَسوع إلى الهيكل في الثانية عشرة من عمره (لوقا ٢: ٤٣). واختار السَّيِّد المسيح اثني عشر رسولاً (متى ١٠ : ١). وجاء في رؤيا يوحنّا: «وظَهَرَت في السَّماء آية عظيمة امرأة مُلتحِفة بالشَّمس وتَحْتَ قَدميها القمر وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا» (١٢: ١)، وهو رمز للبشرية الجديدة، ويجوز أن تشير إلى مجموعة البروج الاثني عَشَرَ. وتقول الرُّؤيا إنّ أورشليم الجديدة لها اثنا عشر بابًا نُقِشَ عليها أسماء الأسباط الاثني عشر (٢١: ١٢)، وتقوم على اثني عشر أساسًا تشير إلى أسماء الإثني عشر رسولاً (٢١ : ١٤). وتَتألَّف صَلاة (نُؤمِن بإلٰه واحد) في المسيحيَّة من اثنتي عشرة جملة.

عند المسلمين.

□ مُبطِلات الصَّلاة في الإسلام اثنتا عشرة:

١- فُقْدان بعض الشَّرائط حال الصَّلاة، كعدم استقبال القبلة أو الصَّلاة بلا ستر، أو نحوهما.

٢- الحدث، كبيرًا كان أو صغيرًا، ولو قبل السَّلام الأخير.

٣- التَّكلُّم عَمْدًا، ولو بحرف واحد له معنى مثل (قِ) أي (احفظ).

---

(١) مُعجَم اللاهوت الكتابيّ - ص ٥٣٠.

٤- السَّلام على شخص ابتداءً عمدًا، نعم: يجب ردّ السلام بنفس صيغة السَّلام، لو سَلَّم عليه أحد.
٥- انحراف البدن، إلى اليمين أو اليسار، أو الخلف، وكذا الانحراف بالوجه إلى الخلف، عمدًا.
٦- وضع أحد اليدين على الأخرى، على البطن من دون تقيّة.
٧- البكاء لأمر دنيويّ، ولا بأس بالبكاء لأمور الآخرة.
٨- القهقهة، وهي الضَّحك المُشتمِل على الصَّوت الخاصّ ولا بأس بالتَّبسُّم.
٩- الفعل الماحي لصورة الصَّلاة، كالوثبة والطَّفرة.
١٠- بقاء الشَّكّ في الثُّنائيّة - كالصُّبح - أو في الثُّلاثيّة - كالمغرب - أو في الأوّلين من الرُّباعيّة.
١١- الأكل والشُّرب، إلّا إذا كان قليلًا لا يُمحي صورة الصَّلاة كابتلاع بقايا الطَّعام من بين الأسنان.
١٢- قول (آمين) بعد الحمد[١].

وفي الإسلام أيضًا وُلِدَ لإسمٰعيل من بنت مضاض بن عمرو اثنا عشر ولدًا هم آباء العرب المُستعربة، وهم العرب الذين ينتمون من ناحية خؤولتهم إلى العرب العاربة أبناء يعرب بن قحطان.

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السيّد محمّد الشيرازي - ص ٣٤.

عند البَهائيّين.

□ تَحتفل البهائيّة بعيد الرِّضْوان. ويَتواصل الاحتفال بهٰذا العيد طيلة اثني عشر يومًا، وهي مُناسَبة تعيد ذكرى اعتزال البهاء اثني عشر يومًا في حديقة الرِّضْوان قَبْلَ إعلانه عن دَعوته[٢].

عند النُّصَيْريّين.

□ في السورة السادسة عشرة واسمها النقيبيّة في كتاب النصيريّين جاء «أنّ عدد السادة النُّقباء اثنا عشر. وهم الذين اختارهم السَّيِّد مُحمَّد من بين السَّبعين رَجُلًا في ليلة العقبة في وادي منى».

في السِّحر.

□ بحسب مَصادر السِّحر، تَتألَّف جهنّم من اثنتي عشرة غرفة تضمّ أرواح العباقرة. وبرأي الساحر بازيل فالنتان[٣] تَتألَّف الفلسفة من اثني عشر مفتاحًا للمعرفة. ويَعتقد تُراث السِّحر بوجود اثنتي عشرة غرفة في العرش السَّماويّ، واثني عَشَرَ بُرْجًا في السَّماء، واثني عَشَرَ بُرْجًا في السَّنة.

عند الماسونيّين.

□ عندما مات أندرسون (Anderson)، أحد مُؤسِّسي الماسونيّة الحديثة، في العام ١٣٧٩م، شارَك في دَفْنه اثنا عشر ماسونيًّا. وتَتألَّف المَحكمة العُلْيا للمَحفل من اثني عشر

(٢) البهائيّة والقاديانيّة - ص ١٠٩.
(٣) عالِم غنوصيّ وُلِدَ في الإسكندريّة (؟ - ١٦١م).

قاضيًا يُمثّلون القوى الاثنتي عشرة في الكون(١).

في أفغانستان.

▫ يُعتبَر البَيْض رمزًا للإنجاب في أفغانستان، إذ يعدّ الناس داخل حجرة العروس، ليلة الزّفاف، حُلَّة نحاسيّة يَضعون بداخلها اثنتي عشرة بيضة، ثمّ يُحكِمون غطاءها ويدعون العروس للجلوس عليها طوال اللّيلة السابقة لزفافها؛ فهم يَتفاءلون بالبيض طلبًا للإنجاب وتَوخّيًا لِدَفْق النّسل.

المدينة الفاضلة.

▫ يقول الفارابي إنّ رئيس المدينة الفاضلة يَتّصف باثنتي عشرة صفة فُطر عليها وهي أن يكون تامّ الأعضاء والقوى - جيّد الفهم والتّصوُّر بالطّبع - جَيّد الحفظ - جَيّد الفطنة ذكيًا - حَسَن العبارة - مُحِبًّا للتّعليم والاستفادة سَهْل القبول لها - غير شَرِه على المأكول والمشروب والمنكوح - مُتجنّبًا بالطّبع للّعب كبير النّفس محبًّا للكرامة - ثمّ يكون الدّرهم والدينار وسائر أغراض الدُّنيا هيّنة عنده - ثُمّ يكون بالطّبع مُحبًّا للعدل وأهله ومُبغِضًا للجور والظُّلم وأهلهما، يُعطي النصف (الإنصاف والعدل) من (نفسه ومن) أهله ومن غيره ويحثُّ عليه - عدلاً (مُعتدِلاً) غير صعب القياد - قويّ العزيمة جسورًا مقدامًا غير خائف ولا ضعيف النّفس(٢).

عند إخوان الصَّفاء.

▫ يقول إخوان الصَّفاء إن أول بيوت الفلك هو البيت الذي يَطلُع أوّله من أُفق المَشرق والذي بعده هو الثاني، ثمّ الثالث، ثمّ الرابع، ثمّ كذٰلك سائر البيوت يُسمّى كلّ بيت منها باسم العدد الذي يليه إلى الثاني عشر. وكُلّ بيت من هٰذه البيوت الاثني عشر يُسمَّى باسم مخصوص ويُنسَب إلى أشياء موجودة فيه.

البيت الأوّل يقال له الطالع، وهو يَدلّ على الأبدان والحياة وعلى حالات كلّ ابتداءٍ. حركةُ المُثلّثة الأولى تَدلّ على الحياة والعمر وطوله وقصره، والثانيةُ تدلّ على القوّة في الجسم، والثالثةُ تدلّ على الصورة.

والبيت الثاني يقال له بيت المال، وهو يدلّ على جمع المال واكتنازه وأسباب المعاش وحالاتها والأخذ والإعطاء. المُثلَّثةُ الأولى تَدلّ على المال، والثانية على الأعوان والمعاش، والثالثة تدلّ على المروءة واللُّطف.

والبيت الثالث من الطالع يقال له بيت الإخوة والأخوات والأقرباء والأصهار والعِلْم والرّأي والدين والفِقه والخصومات والأديان والكتب والأخبار والرُّسُل والأسفار القريبة والنّساء والأحلام القليلة. المُثلَّثة الأولى تَدلّ على الإخوة والأخوات، الثانية تدلّ على القرابات، الثالثة تدلّ على الرَّعيّة.

البيت الرابع من الطالع يقال له بيت الآباء، وهو يدلّ على حالات الآباء: الأصل والجنس والأرضين والقُرى والمدائن والبناء، وعلى كُلّ شيء مستور ممّا كان تحت الأرض، وعلى

(١) La franc-maçonnerie - p.26

(٢) موسوعة الفلسفة (الجزء الثاني) د. عبد الرَّحمٰن بدوي - ص ١١٣.

الكنوز، وعلى العاقبة والموت وما بعده ممّا تَصير إليه حالات الإنسان الميت من الدَّفن والنَّبش أو الصَّلب والحَرْق أو الرَّمي به في بعض المواضع، أو أَكْل لحم الحيوان أو غير ذٰلك من حالاته، وما يختَصّ بالنَّفس من الثَّواب والعقاب في المَعاد، ولا يتَهيّأ لأحدٍ النَّظَرُ في هٰذا القِسْم المُختَصّ بالنَّفس إلّا للعلماء من إخواننا الفضلاء. المُثلَّثة الأولى تَدلّ على الآباء والأمهات، الثانية تدلّ على العاقبة في الأمور، الثالثة تدلّ على الأرضين وبناء المدائن.

البيت الخامس من الطالع يقال له بيت الولد، وهو يدلّ على الولد والرُّسل والهدايا والرَّجاء وطلب النِّساء والمُصادَقة والأصدقاء والمدن وحالات أهلها وعلى غلّات الضِّياع وكثرتها وقلّتها. المُثلّثة الأُولى تَدلّ على الولد واللَّذّة والأكل والشُّرب، والثانية تَدلّ على الأخبار والرُّسُل، والثالثة تدُلّ على المُخاطَبة والمُصادَقة.

البيت السادس يقال له بيت المرض، وهو يدلّ على الأمراض وأسبابها والزَّمانة والعبيد والإماء والوضيعة والظُّلم والنُّقلة من مكان إلى مكان. المُثلَّثة الأولى تَدلّ على المرض، والثانية تدلّ على العبيد، والثالثة على الهِمَّة والفِكْر.

البيت السابع منه يقال له بيت النِّساء، وهو يَدلّ على النِّساء والتَّزويج وأسبابه والخصومات والأضداد والسَّفر والسَّلف وأسبابه والشِّركة. المُثلَّثةُ الأولى تَدلّ على النِّكاح، الثانية تَدلّ على الأضداد، الثالثة تَدلّ على الشِّركة.

البيت الثامن يقال له بيت الموت، وهو يَدلّ على الموت والقتل والمواريث وعلى السُّموم القاتلة، والخوف، وعلى كُلّ شيء هَلَك وضَلّ، وعلى الودائع والبَطالة والكَسَل. المُثلَّثةُ الأولى تَدلّ على الموت، الثانيةُ تَدلّ على الخوف، الثالثة تَدلّ على المواريث.

البيت التاسع يقال له بيت السَّفر، وهو يَدلّ على الأسفار والطُّرق والغُرْبة وأمر الرُّبوبيّة والنُّبوّة والدين وبيوت العبادة كُلّها، والفلسفة وتَقدِمة المعرفة، وعِلْم النُّجوم والكِهانة والكُتب والرُّسُل والأخبار والرُّؤيا. المُثلَّثة الأُولى تَدُلّ على السَّفر ومُوافَقته، الثانية تَدلّ على الدين والعِبادة والكُتُب والعِلْم والفلسفة، الثالثة تَدلّ على الرُّؤيا والأحلام.

البيت العاشر يقال له بيت السُّلطان، وهو يَدلّ على الرِّفعة والمُلْك والسُّلطان والوالي والقاضي والشَّرف والذِّكر والصِّناعات والأُمَّهات والأعمال. المُثلَّثة الأُولى تَدلّ على السُّلطان والعزّ والولايات، الثانية تَدلّ على المسألة الغامضة وعلى الملائكة والوحي ويقال إنّها السُّلطان والعزّ والولايات، الثالثة تَدلّ على الأُمَّهات.

البيت الحادي عشر يقال له بيت السَّعادة، وهو يَدلّ على السَّعادة والرَّجاء والأصدقاء والمَحبّة والثَّناء والمواعيد والآمال والولد والأعوان. المُثلَّثة الأُولى تَدلّ على الرَّجاء في الأمور، الثانية تَدلّ على السَّعادة، الثالثة تَدلّ على الأصدقاء والسَّخاء والكَرَم.

البيت الثاني عشر يقال له بيت الأعداء، وهو يَدلّ على الأعداء والشَّقاء والحزن والغُموم والحقد والنَّميمة والمَكر والحِيَل والعَناء والذُّنوب، ويَدلّ على الجيوش. المُثلَّثة الأُولى

تَدلّ على الأعداء، الثانية على الشَّقاء والنَّميمة والغُموم، الثالثة على الدَّوْوب[١].

إِثْنا عَشَرَ أَلْفًا

◻ يُؤمِن الفُرْس بالثَّواب والعِقاب بَعْدَ الموت، وفي النِّهاية، هناك المَرحلة السَّعيدة لكلّ الناس في القيامة التي تَحصل بَعْدَ اثني عَشَرَ أَلفَ عام، وهو «الوقت المَحدود للوقت اللامحدود» الّذي بَدَأَ مع بداية الخَلْق. وفي الدَّينونة الأخيرة يَعرف كُلّ واحد الخير والشَّرّ الذي عَمِلَ. وفي النِّهاية يَجتمع الأخيار والأشرار يُمجِّدون آهورا مازدا إله الخير عند الفُرْس.

آمنت الزَّرادشتيّة بأنّ العالَم الأرضيّ يَتَّصل بالعالَم الآخَر في قنطرة شنغال (Shingal) وهي جسر الانفصال، حيث في طرفه الأعلى عَذراء جميلة تقود الروح الخيِّرة إلى حيث الإله الأعظم والسَّعادة الغامرة، والروح الشِّرِّيرة لدى مُرورها على هٰذه القنطرة تَرتعش وتَنهار، وتُحطّها مُوبقاتُها إلى الدَّرْك الأسفل، حيث الأشرار. وكلُّ من قَلَّت سَيِّئاتُه ورَجحت حَسناته مَقَرُّه النَّعيم والجحيم مُحدَّد باثني عشر ألف عام، وفي كلا النَّعيم أو الجحيم، خلود، خلود[٢].

إِثْنا عَشَرَ مِلْيارًا

◻ يقول الفُرْس إنّ العالَم يَستمرّ اثني عَشَرَ مِلْيار عام.

الاثْنا عَشَرِيَّة

◻ تُسمَّى أيضًا الشيعيّة الإماميّة أو الموسويّة، وهي تَعترف بتوالي اثني عَشَرَ إمامًا أوَّلهم الإمام عليّ، يَليه ابناه الحسن ثُمَّ الحسين، ومن بَعْد الحسن تسعة أئمّة يَتحدَّرون من صُلْبه جيلًا بَعْدَ جيل. وقالوا إنّ الإمامة رَجعت بموت إسمٰعيل إلى جعفر الذي نَقلها إلى ابنه الثاني موسى الكاظم. وَسُمّوا بالاثني عَشريَّة لأنّهم يَذهبون بالإمامة إلى الإمام الثاني عَشَرَ مُحمَّد المهدي الذي «غاب» و«اختفى» سنة ٢٦٦هـ في سرداب في مدينة سامرّاء، وأمّه تَنظر إليه وتَنتظر عودته. يُلقَّب بالحُجَّة وبصاحب الزَّمان وخاتم الأئمّة والأوصياء، وسَيعود بَعْدَ غيبته إلى الأرض لِيَردّ إليها العدل والإنصاف. وغيابه لا يُضِرّ الإيمان في شيء لأنّه ما يَزال موجودًا بين شيعته يهتمّ لأمورهم، ويُرسل إليهم النُّذر.

إِثْنان وأَرْبَعون

◻ يُسمّي جاكوب بوهميه (Jakob Boehme)[٣] هٰذا العدد بـ «السَّماء، مَقرّ

---

(١) رسائل إخوان الصَّفاء وخلّان الوفاء - الجزء الرابع - من ص ٣٥٥ إلى ٣٥٨.

(٢) موسوعة الأديان د. أبي شقرا - الجزء الأول - ص ١٢٤.

(٣) مُتصوِّف ألمانيّ (١٥٧٥- ١٦٢٤م).

الرَّغبة الإلٰهيّة»[١].

إثْنانِ وثَلاثون

□ يقول فيثاغوروس (Pythagoras) إنّ هٰذا العدد يَرمز إلى العَدالة. وفي الهند، يَمتلك بوذا (Buddha)[٢] اثنتين وثلاثين فضيلة.

إثْنانِ وخَمْسون

□ كان المكسيكيّون القُدامَى يَقسمون الزّمن إلى حِقَب، كلّ حقبة من اثنتين وخمسين عامًا، وكانوا يَنتظرون نهاية العالَم في نهاية كلّ حِقبة منها.

إثْنانِ وسَبْعون

□ الاثنان والسَّبعون عَدد مُهِمّ في الميثولوجيا العالَميّة. فقد حَبِلَت أمّ لاوتسو (Lao-Tseu)[٣] به ٧٢ أسبوعًا. إنّه عدد الأرض في الصين، وعدد الفصول. وفي الطاويّة، إنّه عدد الخالدين. وفي المسيحيّة، يقول لوقا إنّ الربّ أقام اثنين وسبعين تلميذًا (١٠ : ١)، وهو عدد يَدلّ إلى عدد الأمم الوثنيّة.

(١) Le symbolisme des nombres. P. 386.

(٢) مُؤسّس الدِّيانة البوذيّة في الهند (عاش في القرن الخامس قَبْلَ الميلاد).

(٣) مُؤسّس الطاويّة (عاش في الصين في القرن الخامس ق.م.).

إثْنانِ وعِشْرون

□ إنّه رَمْز الكون. في فارس يتألّف الأبستاق (Avesta)[٤] من اثنين وعِشْرين فصلًا. وفي أفريقيا، إنّه العدد الكونيّ. وتَتألّف الألفباء العبريّة من اثنين وعِشْرين حرفًا وهي عَلامات تُمثّل أصواتًا يَتمظهر فيها الكلمة الخالق: ثلاثة حروف أساسيّة تَرمز إلى الألفا والأوميغا والميم وهي وجوه إلٰهيّة، وسبعة حروف مُزدوِجة تطابِق العالَم الانتقاليّ، واثنا عشر حرفًا بسيطًا تُطابِق عالَم الإحساس. وهي أفكار تَتشابه مع الفكر المصريّ، والفينيقيّ، والأثيوبيّ، والماليّ. وعند العبرانيّين، يَضمّ العهد العتيق اثنين وعِشْرين كتابًا. وفي المسيحيّة تَضمّ رؤيا يوحنّا، اثنين وعِشرين فصلًا.

أَحَدَ عَشَرَ

□ يُمثّل العَدد أحَدَ عَشَرَ، بحسب كتاب الدكتور أللندي[٥]، دورة كونيّة كاملة، باعتباره عَلامة التَّطرُّف والتَّفجُّر والنَّزق، ويَدلّ إلى التَّهتُّك والعنف والغلوّ والمُبالَغة في التَّطرُّف. يُنبِىء هٰذا العدد بصراع مُحتمَل يَرتكز على أنّ التَّطرُّف الذي يَحمله يمكن أن يُجابَه بطريقتين: إمّا إنّه بداية عمليّة تجديد، أو إنّه انقطاع وتدهور للعدد عشرة، أي إنّه ثغرة في الكون.

(٤) مَجموعة من الكتابات المُقدَّسة للدِّيانة الزَّرادشتيّة.

(٥) Le symbolisme des nombres. P. 316.

وبِشَكْل عامّ، وبحسب الدكتور أللندي أيضًا يُعتبَر العدد أحد عشر رَمز المُبادرَة الفرديّة التي تُعبِّر عن نَفْسها بعيدًا من التّناسُق الكونيّ. وفي مفهوم عِلْم التيوزوفيا (Theosophy)[١]، يُؤدّي جمع العدد ١١ إلى نتيجة ٢، وهو العدد المشؤوم للقتال والمُعارَضة. فالأحد عشر رَمز الصّراع الداخليّ والنَّشاز والتَّمرُّد والضَّياع والخطيئة.

في الصِّين.

□ الأحد عشر هو عدد الطاو الذي من خلاله تُبنَى طريق الأرض والسَّماء.

في أفريقيا.

□ يَرمز الأحد عشر إلى الجدال والصِّراع. فالمرحلة الحادية عشرة في ميثولوجيا التّكوين تَرمز إلى الانتفاضة التي نَفَّذها تيليكو (Teliko)[٢] ضدّ سُلْطة فارو (Faro)[٣].

يُعتبَر الأحد عشر عددًا مُقدَّسًا في العلوم الباطنيّة الأفريقيّة. ويرى بعض العلماء في هٰذا العدد واحدًا من المفاتيح الرَّئيسة للسِّحر الأسْود، وله عَلاقة مع الأفعال الغامضة للخصوبة. فالمرأة لها إحدى عشرة فُتحة، فيما الرَّجُل لا يَملك غير تِسع. ويُفترَض بالسائل المنويّ الذُّكوريّ أن يَصِلَ إلى لقاح البيضة في رَحِم المرأة خلال أحَدَ عَشَرَ يومًا. والطِّفل الذي يُولَد يَتسلَّم إحدى عشرة قُوَّة غامضة من إحدى عشرة فُتحة لدى أُمِّه. وفي الميثولوجيا الأفريقيّة، يَحمل الأحَد عشر بُعْدًا إيجابيًّا، وهو البُعْد الذي يَتَّجه نحو فكرة تجديد الدَّورات الحيويّة والاتِّصال بالقُوَى الحَيَّة.

عند المَسيحيّين.

□ قال القدّيس أغوسطينوس إنّ الأحَد عشر هو خزانة الخطيئة، وعَمله المُعرقِل يمكن أن يُفهَم على أنّه ازدواجيّة تَضخُّميّة، ممّا يُؤدّي إلى خَلَل في العَناصر البنائيّة الكونيّة، ويَدلّ على الفوضى والمَرض والخطإ.

عِنْدَ العَرَب.

□ قال القرطبي: «وَصَفَ تعالى عِباد الرَّحمن بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التَّحلّي والتَّخلّي وهي: التَّواضُع، الحُلْم، التَّهجُّد، الخوف، تَرْك الإسراف والإقتار، البُعْد عن الشِّرْك، النَّزاهة عن الزِّنى والقتل، التَّوبة، تَجنُّب الكَذب، قَبول المَواعظ، والابتهال إلى الله».

عند المسلمين.

□ وَرَدَ في القرآن الكريم في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنّي رأيت أحَدَ عَشَرَ كوكبًا والشَّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.

في الأدب.

□ يُعتبر الأحَدَ عَشَرَ عددًا هامًّا في الكوميديا

(١) مَذهَب يَعتمد الإشراق والحَدْس الداخليّ طريقًا إلى إدْراك المَسائل الروحيّة.
(٢) إله الفضاء.
(٣) خالِق العالَم وإله المياه.

الإلٰهيّة لدانتي (Dante)[1]، ويأخذ رمزيّته من مجموع العددين خمسة وستّة أي العالَم الصّغير والعالَم الكبير أي الأرض والسّماء.

وفي الفلسفة الإسلاميّة، وَجَدَ الغزالي نَفْسه يعاني من أزمات روحيّة حادّة فقضى أَحَدَ عشر عامًا في الاعتكاف والتّعبّد.

التّنظيمات السّرّيّة.

□ في عدد من التّنظيمات السّرّيّة الصّينيّة، يَزرعون أَحَدَ عشر علَمًا في مكيال له شكل (٢× ٥) + ١، وهو ذكرى لِسُلالتين من كبار المُؤسّسين وقد ذابتا في واحدة.

وفي الماسونيّة، يبلغ عرض الشريطة الزرقاء المتموّجة التي يحملها الأستاذ الماسونيّ أحد عشر سنتيمترًا[2].

الأَحَدِيَّة

□ الفلسفة الأحديّة شكل من أشكال الحُلوليّة. تقول الأحديّة بِعَدَم وُجود تمييز بين الله والعالَم، وتعتبر أنّ سَبَب وُجود العالَم هو العالَم إيّاه بَحدّ ذاته؛ فالعالَم، إذًا، هو المُطلَق والواضح بذاته والذي يُعطي عن نَفْسه الشُّروح الوافية، وغالبًا ما تَتساوى الأحديّة والمادّيّة والتّطوّر المُطلَق، إذ إنّها تَعتبر الروح والمادّة حقيقة واحدة وحيدة. وقد أُطلِق اسم الأحديّة (Monism) على تنظيم إيديولوجيّ أوروبيّ[3].

أَرْبَعَة

□ يُمثّل الأربعة الارتكاز أو اكتمال القاعدة المادّيّة، أي التّجسُّد المُتكامِل الذي تَلقّى عُنْصُر الزّمن - وهو البُعْد الرابع - وبَدْء الانطلاق والتّحرُّك. ويأخذ الأربعة جسمًا عَدديًا يَرتكز إلى أضلع مُربَّعة، وتَرتبط مَعانيه الرّمزيّة ارتباطًا قويًّا بالصورة الجيومتريّة الكاملة للمُربّع والصّليب، وغالبًا ما يَرمز إلى الأرض.

في سومر.

□ ساد اعتقاد في سومر بأنّ العالَم قد خَلَقَه آلهة يُدبّرون شؤونه ويَعملون مُجتمِعين برئاسة أربعة من الآلهة الخالقة، هي آلهة السّماء والأرض والهواء والبحر، أي الآلهة المُتكفِّلة بالعناصر الرّئيسة الأربع التي يَتألّف منها الكون.

في آشور.

□ تقع مدينة أربالِلو (Arballu) الأشوريّة على سفح زغروس؛ ويَعني اسمها بالأشوريّة «الآلهة الأربعة» أي المدينة ذات الآلهة الأربعة. أطلق عليها الإغريق إسم أربيلا (Arbela)، وكانت مركزًا لعبادة عشتار (Ishtar) المحاربة، واسمها الحاليّ أربل[4].

---

(١) شاعر إيطاليّ وُلد في فلورنس (١٢٦٥-١٣٢١م).

(٢) Les symboles - Philippe Seringe - p.360

(٣) مُعجَم اللاهوت الكاثوليكيّ - تعريب المطران عبده خليفه - ص ٦ .

(٤) مُعجَم الحضارات السّاميّة - ص ٦٣ .

في آكاد.

□ كان سرجون (Sargon)[١]، يسمّى بـ «سيّد مناطق العالم الأربع».

في بابل.

□ يَرمز الأربعة إلى عدد المجموع الكونيّ، وهو أيضًا العدد الذي يقوم في خلفيّة الأحياء الأربعة المذكورة في نبوءة حزقيال في العهد القديم: «ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهٰذا مرآها. لها شِبْه البشر. ولكلّ واحد أربعة أوْجُه ولكلّ واحد أربعة أجنحة» (١: ٥- ٦). وفي نبوءته، كتب حزقيال الرُّؤى التي مَنّ الله عليه بها وهي أرْبَع، فقال في الأولى إنّه رأى أربعة حيوانات عظيمة خَرجت من البحر أوّلها مثل الأسَد وله جناحا نَسْر. وثانيها مثل دُبّ، وثالثها يُشبِه نمرًا وله أربعة أجنحة وأربعة رؤوس، ورابعها يُشبِه حيوانًا هائلًا وله أسنان من حديد وكان يأكل ويَسحق ويدوس الباقي برجْلَيْه. وسأل حزقيال أحد الواقفين أمامه فأعلمه بتعبير الرُّؤيا، فكانت الحيوانات الأربعة عبارة عن أربع ممالك تقوم على الأرض، فيُراد بالأسد مَملكة الكلدان، وبالدُّبّ مَملكة ماداي وفارس، وبالنَّمر مَملكة اليونان، ورؤوسها الأربعة كناية عن انقسامها بَعْدَ الإسكندر الكبير إلى أربع ممالك في سورية ومصر ومكدونية وتراسة. ويُراد بالحيوان الرابع الهائل مَملكة الرومان التي سَحقت الممالك الثّلاث المذكورة.

وخالَف البابليّون السومريّين في أنّ شهر المناحة على الإله تمّوز (Tamuz) يقع في الشَّهر السادس، أيلول، كما عند السومريّين، بل هو الشَّهر الرابع مع الرَّبيع.

وكان عُلَماء ما بين النَّهرين يَقسمون عالَمهم أربعة أقسام: أوّلًا سومر وأكاد في الجنوب الشّرقيّ، ثانيًا عيلام في الشَّمال الشَّرقيّ، ثالثًا عمورو في الجنوب الغربيّ، ورابعًا سوبارتو، أو بلاد السوباريّين في الشَّمال الغربيّ.

وجاء في مَلحمة جلجاميش (Gilgamesh) أنّ مردوخ (Marduk)[٢] تَسلّح بالرِّياح الأربع في صراعه ضدّ تعامة (Tiamat)[٣].

في مِصْر.

□ إستمدَّ الأربعة أهمّيّته من انكباب كهنة أون بهليوبوليس (Heliopolis)[٤] على تَعمُّق مَضامِين الأبعاد المكانيّة، وإقامتهم المَذبح المربَّع الأركان والمُتوجِّه كُلّ رُكْن من أركانه إلى جهة من الجهات الأصليّة الأربع التي قالت الميثولوجيا إنّ أبناء حورس (Horus) الأربعة يَحرسونها وهم: حابي، تواموتريف، أمسيت، كبيسنوف. وكانت أمعاء الموتى تُحنَّط وتُوضَع في أربع جِرار، كلّ واحدة منها تحت حِماية واحد من أولٰئك الأرباب الأربعة.

وفي لاهوتيّة هليوبوليس، كانت قُدْرَة الخَلْق الأصليّة مُقسَّمة ذاتها إلى أربعة عناصر: الأرض، الماء، النار، والهواء. وتُصوِّر أيقونوغرافيا التَّكوين المصريّة أربع ضفادع

(١) مَلِك أكاد.

(٢) إلٰه الخصب والزراعة، يتميّز بشجاعة نادرة.

(٣) ربّة البَحر، وتُرسم كتنّين.

(٤) مَركز مَذبح دينيّ لإلٰه الشَّمس رَع.

وأربع حيّات تُمثّل الهيولى البدئيّة، أسماؤها نـان ونـاونـيـت، كـوك وكـوكـيـت، حـوح وحوحيت، أمون وأمونيت[١].

وجاء في الميثولوجيا الفرعونيّة أنّ هليوس (Helios)، ربّ الشّمس، يَعبر السّماء يوميًّا في مَركبة ذهبيّة تَجرّها أربعة جياد. ويُعتبَر جيد (Djed) شكلًا من الأشكال التي يَظهر فيها أوزيريس، وعلى الأخصّ كقائد مُحارِب، وهو شيء مُقدَّس. كان في البَدْء جِذْع شجرة دائمة الاخضرار، ثُمّ اتّخذ شَكْل عَمود تعلوه أربعة تيجان[٢]. وكانت الطُّقوس الرَّسميّة تَحتفل بعيد واحد لأوزيريس كان يقام مرّة في السَّنة في شَهر تشرين الثاني (نوفمبر)، فتَستمرّ طُقوس النَّدب على أوزيريس القتيل في عيده السَّنويّ مُدَّة أربعة أيّام، تُمثَّل خلالها دراما حياته القصيرة وعَذابه وبَعْثه.

في فينيقيا.

□ تقول الميثولوجيا الفينيقيّة إنّ أدونيس (Adonis) هو ابن ملك سوريّ اسمه ثياس من ابنته سميرنا. وعِنْدَ وِلادته، رأته عشتروت (Ashtarout)[٣] وعَشِقَتْه طِفْلًا، فأخَذَته وخَبّأته في صندوق وهَبَطَت به إلى العالَم السُّفليّ، إلى الإلٰهة اللات وأوْدَعَتْه هناك. وعندما فَتَحت اللات أو برسفوني (Persephone)، إلٰهة الظُّلمات، الصُّندوق وشاهَدت جَماله عَشِقَته هي أيضًا وأبَت تسليمه فيما بعد إلى عشتروت، فنَزلَت عشتروت لِتَفتديه، ولٰكن حاولت عبثًا، فاحتكمتا إلى زوس (Zeus)[٤] الذي قَضى بأن يعيش أدونيس أربَعة أشْهُر في العالَم السُّفليّ، وأربعة أشهر في العالَم الفوقانيّ، وأربعة أشْهُر حُرًّا طليقًا، فاختار أدونيس أن يعيش ثُلُثَي السَّنة مع عشتروت[٥].

في اليونان.

□ يُعتبَر الأربعة عددًا مُقدَّسًا في الميثولوجيا اليونانيَّة. وكان للأربعة مُقام كبير عند الفيثاغوريّين، لأنّه أوَّل عدد هو حاصِل ضَرْب عدد في نَفْسه. وتتَغنَّى الميثولوجيا بنشيد وضعه فيثاغوروس (Pythagoras) يُشيد بالأربعة رَمْزًا للقياس. وفي كتابه حَوْلَ «الأعداد الفيثاغوريّة» كَتَبَ سبوزيبوس، قَريب فيثاغوروس، أنّ الأربعة يَرمز إلى الثَّبات والارتكاز أكثر منه إلى القِياس. وتقول الميثولوجيا إنّ هاديس (Hadès) أو الجحيم، تَفصله عن عالَم الأحياء أربعة أنهر: فليغيتون (Phlegeton)، كوسيتوس (Cocytus)، ستيكس (Styx)، وأخيرون (Acheron)[٦].

وفي اليونان، كانت الألعاب الأولمبيّة تقام صيف كلّ أربع سنوات في الأولمبيا تَقدمة دينيّة لزوس (Zeus) ولباقي الآلهة الكبرى، يَشترك فيها أبطال من جميع بلاد اليونان ويَتبارون في ألعاب القُوَى وسِباق العَرَبات وفي

(١) منعطف المخيّلة البشريّة - صموئيل هنوك - ص ٥٨.

(٢) معجم الأساطير - ص ٨٨.

(٣) رَبّة الخِصْب والجَمال عند الفينيقيّين.

(٤) رَبّ الأرباب وإلٰه الجوّ عند اليونان.

(٥) معجم الأساطير - ص ٣٠.

(٦) Les grandes figures des mythologies - p.21.

الموسيقى والشِّعر والمَسرح وقد بَدَأت الألعاب الأُولمبيّة في العام ٧٧٦ ق.م. وسُرْعانَ ما أصبحت المِهْرَجان القوميّ الأكبر للإغريق، فشَدَّت الرَّوابط الاجتماعيّة والدينيّة بين المُواطنين، وكانت تقام بانتظام إلى أن ألغاها الامبراطور الرومانيّ ثيودوسيوس في العام ٣٩٢ ق.م. لكنّها عادت إلى أثينا في العام ١٨٩٦ م[١].

وتَحتفل اليونان، أيضًا، بالباناثنيا (Panathenaea)، وهو احتفال دينيّ يقام في أثينا كُلّ أربع سنوات على شَرَف الرَّبّة أثينا (Athena) ويكون الاحتفال بمُباريات موسيقيّة ورياضيّة، وبمَوْكب يَسير إلى قِمّة الأكروبول لِتَقديم القرابين لأثينا، وإلباسها حُلّة جَديدة[٢].

في فارس.

□ بِحَسَب الأبستاق (Avesta)، تُقسَم الدَّورة الكونيّة إلى أربع مَراحل، كلّ مرحلة من ثلاثة آلاف سَنة. ويضمّ الأبستاق أربعة كتب. ويَتألّف الشَّعب من أربع طبقات: الكهنة، المحاربين، المزارعين، والصُّناعيّين. ويُقسَم الكهنة، بِدَوْرهم، إلى أربع طَبقات: القاضي، الأُسقف، الكاهن، والمُجتبي. وجاء في تعاليم ماني أنّ الله أربعة جوانب، لذلك يُسمّى «رَبّ العَظمة ذو الوجوه الأربعة»[٣].

وتقول الميثولوجيا الفارسيّة إنّ أربع شموس أنارت العالَم منذ التّكوين حتّى اليوم: استمرّت الشّمس الأولى ٥٢٠٦ أعوام وشهدت انتصار الناس على العَمالقة. وسُمِّي العَصْر الثاني عَصْر النار، واستمرّت شَمْسه ٤٨٠٤ أعوام، وعَمَّت الحَرائق فقَتَلَت جَميع الناس ما عدا رَجُلًا وامرأة تَحوَّلا إلى عُصْفورين. واستمرّ العصر الثالث ٤٠١٠ أعوام، وسُمِّي عَصْر الريح، ومات الناس بِسَبَب العَواصف. وفي العَصْر الرابع، عَصْر الماء، تَحوَّل الناس إلى سَمَك ما عدا رَجُلًا وامرأة نَجَوا في مَرْكب.

في الهِنْد.

□ الأربعة عدد مُقدَّس في الهند يَرمز إلى الكمال والتَّمام والامتلاء. ويَبلغ عدد الأناشيد المُقدَّسة - الفيدات - أربعة، والفصول أربعة، والطَّبقات المُتطابِقة أربعًا.

وفي الهند، تَرمز الخُطوط الأُفقيّة المُنحنية نحو اليمين، في الصَّليب المَعقوف سواستيكا (Swastica) إلى التَّوسُّع، والأُفقيّة نُزولًا إلى الموت، والعموديّة المُنحنية نحو اليمين إلى المُرونة، والعَموديّة المُنحنية نحو الشَّمال إلى الصَّلابة. وهي تَرمز إلى العناصر الكونيّة الأربعة: نار، هواء، ماء، وتراب. وتَرمز زَهْرَة اللُّوْتُس (Lotus) إلى العدد أربعة، فهي تَغرس جُذورها في التُّراب، وتَرفع رأسها في الماء، وتُرسِل زَهْرتها في الهواء، وتديرها نحو نار الشَّمس. ومن المُلاحَظ أنّ آلهة الخَلْق في الهند والصين، وهم أربعة ماهاراجا (Maharâja) تُصوِّرهم الأيقونوغرافيا يَجلسون على عَرْش من اللُّوْتُس، واللُّوْتُس نبتة مائيّة لها تويجيّات حمراء، بَيْضاء، وزَرْقاء، وهي رَمْز العضو النّسائيّ، بينما التين الهنديّ صورة

(١) معجم الأساطير - ص ١٨٩.
(٢) نفس المرجع - ص ١٩٥.
(٣) ماني والمانويّة - ص ١٢٩.

رمزيّة عن عُضو الرَّجُل.

وتحتفل الهند كُلّ ثلاث سَنوات بعيد الكومبانيلا (Kompanella) الذي يقوم مُداوَرة بين أربع مُدُن هنديّة، تَرمز كُلٌّ منها إلى نقطة رَحيق هَبَطَت من السَّماء.

وتُخبر الميثولوجيا أنّ براهما (Brahma) وقع في غَرام ابنته ساراسفاتي (Sarasvati) فراحت تدور حول أبيها، فأراد أن يتبعها بنظره، فبَرَزَت له ثَلاثة رؤوس إضافيّة، وبات يَملك أربعة وجوه مُفعَمة باللَّذَّة تِجاه ابنته. ويُروَى أنّه يَحمل أربعة أذرع تَدلّ إلى جَبروته[١]. وتُقسَم الدورة اليوميّة لبراهما إلى أربع مَراحل[٢].

وفي الميثولوجيا الهِنديّة، جاء أنّ ربّة النَّهر ساراسفاتي (Sarasvati) وُلِدَت من جَسَد البراهما، وهي أيضًا، رَبَّة الحِكْمة والعِلْم والموسيقى والفنون. وتُصوِّرها الأيقونوغرافيا جالسة على زَهْرَة لُوْتُس ولها أربعة أذرع، وقد بُني لها مَعبد من المَرمر الأبيض الجَميل في دلوارا[٣].

ويُعتَبر غانيشا (Ganesha) ابن بارفاتي، الذي خَلَقَه من التُّراب الممزوج بضباب جسده. وفي إحدى الميثولوجيات، جاء أنّه الحارس لِبَوّابة بارفاتي (Parholou)، زوجة الإله شيفا (Çiva). وعندما قُطِعَ رَأسه حين مَنَعَ الإله شيفا (Çiva) من الدُّخول صار له رَأس فيل. كان الإله الرَّئيس للأدب، ورَبّ الحكمة والنَّجاح، وكان سمينًا جدًّا، مَرِحًا، ومحظوظًا لأنّه واهِب حُسْن الطالع. يُرسَم بأربعة أذرع، وكانت الفأرة مَطيَّته[٤].

وفي الهند الوسطى، يَعتقد عدد من القبائل أنّ الحَجر يَحمي من الموت، لذلك عند قبائل الغوند (Gonds)، يضع إبن الميت إلى جانب قبر والده، إثْرَ مُرور أربعة أيّام على الوفاة، صَخْرة ضَخمة يُمكِن أن يَصل عُلوُّها أحيانًا إلى أربعة أمتار. والغاية كما يَعتقد بَعْضُ العُلماء، أنّ الحَجر «يثبت» روح الميت، ويُؤمِّن له مَسكنًا مُؤقّتًا قُرْبَ الأحياء، بِشَكْل يُؤثّر فيه على خُصوبة الحقل بواسطة قُواه الروحيّة.

وجاء في الميثولوجيا الفيديّة أنّ الهند القديمة كانت تَحتفل، في طقوس مُقدَّسة، بتكريم الحَيّة طيلة أربعة أشهر. يَبدأ هٰذا الاحتفال في القمر الأوَّل في فَصْل المَطَر، ويَنتهي في الشَّهر الرابع، القمر الأوَّل للشِّتاء. ويَنحصر الاحْتفال، لَدى قَبائل عديدة، في عيد القمر الجديد بالنِّساء فقط، بَيْنما يَختصّ عيد الشَّمس بالرِّجال.

وفي الهند، يَحرس بوّابة الجحيم كلبان. وتقول ريغ فيدا[٥]: «كلباك الحارسان، يا ياما (Yama)[٦]، أربع عيون تَحرس الطَّريق وتُراقِب الرِّجال».

وفي البوذيّة، تُعتبَر الحقائق المُقدَّسة السامية أرْبَعًا، ودرجات التَّأمُّل أرْبعًا، والاتّجاهات

---

(١) مُعجَم الأساطير - ص ٦٥.

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.70.

(٣) معجم الأساطير - ص ٢١٩.

(٤) نفس المرجع - ص ١٠٣.

(٥) مجموعة كتب قديمة مُقدَّسة غنيّة بالميثولوجيا التي تدور حول الآلهة.

(٦) مَلِك عالَم الأموات عند الهنود.

الانسانيّة أَرْبعةً، وأنواع اللّذّة أربعة، والمَدارس الفكريّة أربعًا، وتُقسَم اليوغا أربع مَراحل[١].

علّم بوذا الحقائق الأربع النّبيلة وهي وجود الألم المُنتشِر في العالَم، وسبب الألم الذي هو ميل الإنسان إلى الشّرّ والمَلذّات الحسّيّة، وتوقيف الألم الذي يتمّ بإخضاع النّفس والتّخلُّص من الأنا الباطلة ومن التّعلُّق بالمَلذّات الحسّيّة وبأباطيل العالم، والحقيقة الرابعة هي الطّريق ذات الشّعب الثّماني وهي: المفاهيم الصالحة والقرارات الصالحة والكلمات الصالحة والأعمال الصالحة وطريقة الحياة الصالحة والكفاح الصالح والأفكار الصالحة والتّأمُّلات الصالحة[٢].

ويَروي إنجيل بوذا أنّه كان يُوجَد غابة رائعة في بستان لومبيني. ولمّا مرت فيها مايا - ديفي صنعت الأشجار باقة عظيمة من الأزهار العطرة، وبدأت أسراب العصافير تُغرِّد على الأغصان. رغبت الملكة في التّنزُّه تحت هٰذه الظِّلال، ولمّا خرجت من مَحملها المُذهَب ووصلت إلى شجرة بلاكشا العظيمة العملاقة شعرت بأنّ ساعة ولادتها قد أزفت، تَمسّكت بأحد أغصان هٰذه الشّجرة، ومَدّت لها خادماتها فِراشًا تحت هٰذه الشّجرة ثمّ انسحبنَ. ولمّا شَعرت بآلامها، أرسل الإلٰه براهما العظيم إلى هٰذه الروح الطاهرة أربعة ملائكة نصبوا شبكةً من الذّهب لاستقبال الطّفل الذي خَرَجَ من جنبها اليمنى كالشّمس المُشرِقة مُشِعًّا وكاملًا[٣].

في الصّين.

□ ترك كونفوشيوس (Confucius)[٤] أربعة كتب في الأخلاق، وهو عدد الشّرف.

في النيبال.

□ تُؤمِن النيبال بأربعة كُتُب مُقدّسة.

في بِرْمانيا.

□ كانت القبائل في برمانيا تَحتفل بتقديم أربع فتيات صالحات للزّواج إلى إحدَى البُحَيرات المُقدّسة.

في اليابان.

□ تَعني لفظة شي (Chi) اليابانيّة أربعة، وتَعني الموت في الوقت نَفْسه، فَيَحرص اليابانيّون على عدم التّلفُّظ بها، ويَستبدلونها بلفظة أخرى هي يو (Yu).

وفي الميثولوجيا اليابانيّة، يُعتبَر شيتينو (Shitenno) حُرّاس الجهات الأربع للبوصلة وحُماة العالَم من الشّياطين: حارِس الشّمال بيشامون أو تامون، حارِس الجنوب كوموكو، حارِس الشّرْق جيكولو، وحارِس الغَرْب زوتشو[٥].

وعندما تَزوَّج الأمير ناروهيتو، وليّ عهد اليابان، بالآنسة ماساكو أوادا، بدا وهو يَتلقّى

(١) إنجيل بوذا.

(٢) نفس المرجع - ص ٩.

(٣) نفس المرجع - ص ٢٠.

(٤) فيلسوف صينيّ (٥٥١- ٤٧٩ ق.م.).

(٥) معجم الأساطير - ص ٢٢٥.

غصنًا من «الشَّجرة المُقدَّسة»، من يدي كاهن شينتي كبير قَبْلَ أن يَضعها أمام المذبح المُخصَّص للإلٰهة أماتيراسو مع السُّجود أمامه أربع مرّات.

في أميركا.

□ يَلعب العدد أربعة دورًا مُهمًّا جدًّا في فِكر هنود أميركا وفلسفتهم. فالفضاء يُقسَم أربعة أجزاء؛ والزَّمن يُقاس أربع وَحدات: نهار، ليل، قمر، سنة؛ ويتألَّف النَّبات من: جذور، تاج، زهرة، ثمرة؛ والحيوانات من: زَواحف، طُيور، ما يَمشي على قائمتين، وما يَمشي على أربعة؛ وهناك أربعة كائنات سَماويّة: الشَّمس، القَمر، النُّجوم، الرِّياح؛ وتَتألَّف الحياة الإنسانية من: الطُّفولة، الشَّباب، النُّضوج، العَجز؛ ويَتحلَّى الرَّجُل بأربع فضائل أساسيّة: الشَّجاعة، الصَّبر، الكَرَم، الوفاء؛ والمرأة: بالذَّكاء، الضِّيافة، الإخلاص، الخُصوبة.

وجاء في أحَد طقوس قبيلة هاكو (Hako): «لقد دُرْنا أربع مرّات، أربع مرّات حَوْلَ المقرّ».

وتَرى القبائل إلى السَّماء السِّرّ الكبير فتتألّف من أربعة آلهة: الإلٰه القائد، الإلٰه الروح، الإلٰه الخالق، الإلٰه المُنفِّذ، وكُلّ واحد من هٰذه الآلهة يَتألَّف من أربعة آلهة تَتألَّف بدورها من ثُنائيّات مُتضادّة.

وتُؤمِن البيرو (Peru) بأربعة آلهة: الشَّمس، النار، اللَّيل، والكون.

في البرازيل، يقوم في مدينة سالفادور دي باهيا (Salvador Di Bahia) البرازيليّة في شباط (فبراير) كرنفال لا يَقلّ أهمّيّة عن كرنفال ريو دي جينيرو (Rio Di Genero) يَتمّ خِلاله جولة للموسيقيّين في جميع أنحاء المدينة طَوال أربعة أيّام، يَلحق بهم سُكّانها وطُلّاب مَدارس السامبا (Samba).

في شَمال أميركا، يُعتَبر أهسونوتلي (Ahsonnutli) كبير آلهة هنود النافاهو (Navaho) الذين يَعتقدون أنّه خَلَقَ السَّماء والأرض، وأقام الناس، ونَصَب الأعمدة الأربعة لِدَعْم الجَلَد[١].

وفي المكسيك، تقول ميثولوجيا قبائل المايا (Maya) إنّ الباكابز (Bacabs) هم آلهة الزِّراعة والمَطر والخِصْب، يُمثِّلون الرِّياح الأربع والجهات الأساسيّة الأربع، ويُعتقَد أنَّهم يَرفعون زوايا السَّماء الأربع.

وتَقسم قبائل الأبوريجين (Aborigènes) المكسيكيّة السَّنة إلى أربعة فصول وكذٰلك قبائل البيرو.

وتُقدِّس قبائل الكيشواس (Keshwas) الأربعة: فالعالَم يُقسَم أربعة أقسام، وأربعة أقاليم. وتَحتفل هٰذه القبائل بأربعة أعياد زراعيّة رئيسة في السَّنة. ويُقسَم الشَّعب إلى أربع طبقات: الأُمَراء، النُّبلاء، الجُنود والشَّعب.

في السّلافيّة.

□ في الميثولوجيا السّلافيّة، جاء أنّ سفانتوفيت (Savantovit) رَبّ الحرب ورَبّ الخِصْب، ويَقع مَركز عبادته أركونا في جزيرة روجن على البلطيق، وله في المَعْبد تِمْثال

(١) معجم الأساطير - ص ٣٦.

يُظهِره بأربعة رؤوس، مِمّا يَجعله يَنظر في كلّ الجوانب، ويُمسِك بيده قَرْنًا. وبِحَسَب كمّيّة الخمر المُتبقّية فيه، يَتنبّأ فيما إذا كانت السَّنة القادمة سَنة جميلة مُفعمَة بالخير، أو سَنة عَجْفاء قاسِيَة[1].

في أفريقيا.

□ يَرمز الأربعة إلى مَبدأ الأنوثة، وهو عدد الشَّمس، رَمْز الأُمومة الأصيلة. وتَرى إليه قبيلة الدوغون (Dogons) في مالي (Mali) مَبدأ الأمومة الأصيلة، أو الأُمومة المُخصِبة.

ويُؤمِن الأفارقة أنّ بولوغا (Puluga) الكائن الأعظم، يَسكن السَّماء، وصَوْته الرَّعْد، والهواء نَفَسُه، والعاصفة دَليل غَضَبه، يُجازي بها من يَعصي أوامره. يَعرف بولوغا كُلّ شيء، لٰكنّه لا يَعرف أفكار الناس إلّا في النّهار. وقد خَلَقَ لِنَفْسه زوجة وأولادًا، ونَسكن الشَّمس قُرْبَه، وكذٰلك القَمَر، مع أولادها النُّجوم. عندما يَنام بولوغا، تُصاب الأرض بالجَفاف. وعندما تُمطِر السَّماء، فهٰذا يَعني أنّ الإلٰه نَزَلَ إلى الأرض لِيُفتِّش عن الطَّعام. وتَقُول القبائل إنّ بولوغا خَلَقَ الكون، والإنسان الأوّل وسَمّاه طومو (Tommo). وبَعْدَما تَكاثَر الناس، تَناسَوْا بولوغا، فَغَضِبَ في أَحَد الأيّام، وأنزل فيضانًا على الأرض كُلّها، واضعًا بذٰلك حدًّا لِوُجود الإنسانيّة. ومن الفيضان، نَجا أربعة فقط، فأشفق بولوغا عليهم، لٰكنّهم لم يَحترموه، فَغَضِبَ وانسحب. ومن يومها، لم يَعُدْ يراه أَحَد.

والغريب أنّ هٰذه القبائل لا تُصلّي أبَدًا إلى بولوغا، لٰكنّها تَخافه فقط. وتقول الميثولوجيا الأفريقيّة إنّ قَوْسَ قُزَحَ يَتألَّف من أربعة ألوان فقط هي: الأَسْوَد، الأحمر، الأصفر والأخضر.

عند العبرانيّين.

□ إنّه عدد المجموع الكونيّ، يَدلّ إلى الأُفق الجغرافيّ كلّه أي إلى الجِهات الأربع: الأمام، الخَلْف، اليَمين، والشَّمال.

وفي الطَّقس العبرانيّ لعيد الفصح، تُوضَع أَرْبَع كؤوس من النَّبيذ فوق الطاولة، لِكُلّ منها رَمْز خاصّ. الثالثة الطافحة بالنَّبيذ تُسمَّى «كأس إيليّا» لا يَتذوَّقها أحد، إذ يُفتَرَض أنّها تَنتظر عودة إيليّا قَبْلَ مجيء مسيحهم المُنتظَر.

عند المسيحيّين.

□ عند المسيحيّين أعطى القدّيس إيرونيموس (St Jérôme) الأربعة مَعنى الارتكاز. وعاكَسه القدّيس أمبروسيوس (St Ambroise) فرأى إليه عَدَدَ شُؤم. وقال القدّيس إيريناوس (St Irénée)، أسقف مدينة ليون: «يُوجَد في العالَم أربع مَناطق وأربع رياح رئيسة. وبما أنّ الكنيسة مُنتشِرة في كُلّ أنحاء الأرض، وبما أنّ الإنجيل أساس الكنيسة ونسمة الحياة، فمن المنطقيّ أن يكون هناك أربعة أعمدة لِتَسند الكنيسة. مَن هنا، استنتج أنّ كلمة الله أعطتنا أربعة أناجيل أوحاها الروح القُدس».

ويَرمز الأربعة في المسيحيّة إلى الثَّبات والدَّوام. ويَبلغ عدد أطراف الصَّليب أربعة،

---

(١) مُعجَم الأساطير - ص ٢٣٤.

والأناجيل أربعة. واهتدت الدَّولة الرومانيّة من الوثنيّة إلى المسيحيّة في القرن الرابع. وكرَّست الكنيسة أربعة دكاترة في اللاهوت: أمبروسيوس، أغوسطينوس، غريغوريوس الكبير، وإيرونيموس.

وفي رؤيا يوحنّا، يُظهر الأربعة عالَميّة الفعل في المكان والزمان، ويَرمز إلى العالَم المُكوَّن من أربعة عناصر، أو الذي له أربع جهات، أو أربعة أقسام: السَّماء، الماء، الأرض، الهاوية أو الجَحيم.

عند المسلمين.

□ الخُلَفاء المُسلِمون أربعة: أبو بكر الصِّدّيق، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب. وأئمّة الفِقْه والشَّريعة أربعة: مالِك، ابن حنبل، الشافعيّ، وأبو حنيفة. والأشْهُر الحُرُم أربعة: ذو القعدة، ذو الحجّة، المُحرَّم، ورَجَب. وكان الإسلام يُحرِّم العَمْرة في الثّلاثة الأولى، وكان رَجَب، الشّهر الرابع، شهرًا حَرامًا، ارتأى المسلمون أن يفِدوا فيه إلى مَكّة حتّى يكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم عند الاعتمار.

وروى ابن كثير عن عليّ كَرَّم الله وجهه قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمُشرِكين، وسيف لأهل الكتاب، وسيف للمُنافِقين، وسيف للبُغاة.

عند الحَشّاشيين.

□ بَنى الحَسَن بن الصَّبّاح غرفة فردوس الله من أربعة طوابق، لها نَوافذ من أربع جهات، تَجمعها ثَلاثة أقواس، وقَسَّم الحديقة أربعة أقسام[1].

عند إخْوان الصَّفاء.

□ ظَهرت حَركة إخوان الصَّفاء في القرن الرابع الهجريّ. وتَتألَّف جماعة الإخوان من أربع مَراتب أولاها مَرتبة ذوي الصَّنائع، وهي فئة الشُّبّان الذين أتمّوا الخامسة عشرة لما هم عليه من صَفاء جوهر النَّفْس وجودة القَبول وسُرْعة التَّصوّر ويُسمّونهم الإخوان الأبرار والرُّحماء؛ والثانية مَرتبة الرُّؤساء ذوي السِّياسات، من الذين أتمّوا الثّلاثين وعُرِفوا بالحكمة والعقل ويُسمُّونهم الإخوان الأخيار والفُضلاء؛ والثالثة مَرتبة الملوك ذوي السُّلْطان من الذين أتمّوا الأربعين وعُرِفوا بالقيام على حِفْظ الناموس الإلٰهيّ ويُسمُّونهم الإخوان الفُضَلاء الكِرام؛ والرابعة هي المَرتبة العُلْيا يَدعون إليها إخوانهم كُلّهم في أيّ مَرتبة كانوا، وتكون من الذين أتمّوا الخمسين.

وتَتألّف رسائل الإخوان من اثنين وخمسين رسالة مقسومة إلى أربعة أقسام: رياضيّة تعليميّة، جسمانيّة طبيعيّة، نفسانيّة عقليّة، وناموسيّة إلٰهيّة. ويُرجع الإخوان مَصادر عُلومهم إلى أربعة كتب: أوّلها المُصنَّفة على ألسنة الحكماء في الرِّياضيّات والطَّبيعيّات، وثانيها الكتب المُنزَلة كالتَّوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من صُحُف الأنبياء، وثالثها الكتب الطَّبيعيّة وهي صُوَر أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تَركيب الأفلاك وأقسام البُروج

---

(١) Les sectes secrètes de l'Islam

وحَركات الكواكب ومَقادير أجرامها وفنون الكائنات من الحَيوان والنَّبات والمَعادن، وأصناف المصنوعات على أيدي البَشر يرى الناس ظاهرها ولا يَعرفون مَعاني بواطنها من لَطيف صفة الباري؛ ورابعها الكتب الإلٰهيّة التي لا يَمسّها إلّا المُطهَّرون المَلائكة، وهي جَواهر النُّفوس وأجناسها وأنواعها وجُزئيّاتها وتَصاريفها للأجسام. وجَعَلَ الإخوان القِسْم الرِّياضيّ أوَّل أقسام رسائلهم، واعتمدوا في فلسفتهم المُربَّعات لأنَّهم وَجدوا الأربعة في أكثرها، فصار له شرف الصَّدارة عندهم.

ويقول الإخوان: «إنّ الأمور الطَّبيعيّة أكثرها جَعَلَها الباري، جَلّ ثناؤه، مُربَّعات مِثل الطَّبائع الأربع التي هي الحَرارة والبُرودة والرُّطوبة واليُبوسة؛ ومثل الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتُّراب؛ ومِثل الأخلاط الأربعة التي هي الدَّم والبَلغم والمِرَّتان: المِرَّة الصَّفراء والمِرَّة السَّوداء؛ ومِثل الأزمان الأربعة التي هي الرَّبيع والصَّيف والخريف والشِّتاء؛ ومثل الجهات الأربع، والرِّياح الأربع: الصَّبا والدَّبور والجَنوب والشَّمال؛ والأوتاد الأربعة: الطالع والغارب ووتد السَّماء ووتد الأرض؛ والمُكوِّنات الأربعة التي هي المَعادن والنَّبات والحيوانات والإنس».

ويَعتقد الإخوان أنّ البروج الفَلَكيّة تُقسَم أربعة أقسام: ثلاثة ربيعيَّة صاعِدة في الشَّمال هي الحَمل والثَّور والجوزاء؛ وثَلاثة صيفيّة هابطة في الشَّمال هي السَّرطان والأسَد والسُّنبلة؛ وثلاثة خريفيّة هابِطة في الجنوب هي الميزان والعَقرب والقوس؛ وثلاثة شَتويّة صاعِدة من الجَنوب هي الجَدْي والدَّلْو والحوت.

ومن جهة أخرى، تَنقسم هٰذه البروج كذٰلك ثلاثة أثلاث: أربعة منها مُنقلِبة الزَّمان، هي الحَمل والسَّرطان والميزان والجَدْي؛ وأربعة منها ثابتة الزَّمان، وهي الثَّوْر والأسَد والعَقْرَب والدَّلو؛ وأربعة منها ذوات الجَسَدَيْن، وهي الجَوْزاء والسُّنبلة والقَوْس والحوت.

ويَعتقد الإخوان بوجود أربعة أعياد للعبادة الفلسفيّة: العيد الأوَّل يوم نُزول الشَّمس بُرْج الحَمَل؛ العيد الثاني يوم نُزول الشَّمس بُرْج السَّرطان؛ العيد الثالث يوم نُزول الشَّمس بُرْج الميزان؛ والعيد الرابع يوم نُزول الشَّمس بُرْج الجَدْي.

ويَقسم الإخوان العلوم الفلسفيّة أربعة أقسام: الرِّياضيّات، المَنطقيّات، الطَّبيعيّات، والإلٰهيّات. والرِّياضيّات بَدَوْرها تُقسَم أربعة أقسام: الأرطماطيقي، الجيومتري، الأسترونومي، والموسيقى.

ويقول إخوان الصَّفاء إنّ الناس ينقسمون في سعادة الدُّنيا والآخرة وشقائهما أربعة أقسام: فمنهم سعداء في الدُّنيا والآخرة جميعًا، ومنهم أشقياء فيهما جميعًا، ومنهم أشقياء في الدُّنيا سعداء في الآخرة، ومنهم سُعَداء في الدُّنيا أشقياء في الآخرة.

فأمّا السُّعداء في الدُّنيا والآخرة جميعًا فهم الذين وَفُرَ حَظُّهم في الدُّنيا من المال والمَتاع والصِّحَّة، ومُكِّنوا فيها، فاقتصروا منها على البُلغة ورضوا بالقليل، وقَنِعوا به، وقَدَّموا الفَضلَ إلى الآخرة ذخيرةً لأنفسهم كما ذكر الله تعالى بقوله: ﴿وما تُقدِّموا لأنْفُسِكم من خَير تَجدوه عند الله﴾ وقال الله سبحانه: ﴿ووَجدوا

ما عمِلوا حاضرًا﴾ وآياتٌ كثيرة في القرآن في هٰذا المعنى.

وأمّا سعداء أبناء الدنيا وأشقياء أبناء الآخرة فهم الذين وَفُرَ حَظُّهم من مَتاعها ومُكِّنوا منها وارتقوا فيها، فتَمتَّعوا وتَلذَّذوا وتَفاخَروا وتَكاثَروا، ولم يَتَّعِظوا بزواجر الناموس، ولم ينقادوا له، ولم يأتمروا لأمره، وتَعدَّوا حدوده، وتَجاوزوا المقدار، وطَغَوا وبَغَوا وأسرفوا، والله لا يُحِبّ المُسرِفين، وهم الذين أشار إليهم بقوله، جلّ ثناؤه: ﴿أذْهَبْتُم طَيِّباتِكم في حياتكم الدُّنيا، واستَمتَعتُم بها﴾ إلى آخر الآية. وقال: ﴿مَن كان يريد الحياةَ الدُّنيا نُؤتِه منها وما له في الآخرة من نصيب﴾. وآياتٌ كثيرة في القرآن في وصف هٰؤلاء.

وأمّا أشقياء الدُّنيا وسُعَداء الآخرة فهم الذين طالت أعمارهم فيها، وكثُرت مصائبهم في تصاريف أيّامها، واشتدَّت عِنايتهم في ضَنَبها، وفَنِيت أبدانهم في خدمة أهلها، وكَثُرَت همومهم من أجْلها، ولم يَحظوا بشيء من نعيمها ولذّاتها، وائتمروا بأوامر الناموس. ولم يتعدّوا حدوده، وقد ذكر الله ذٰلك في آيات كثيرة من القرآن: ﴿إنما يُوفّى الصابرون أجْرَهم بغير حساب﴾.

وأمّا أشقياء الدُّنيا والآخرة فهم الذين بَخِسوا حظّهم من الدُّنيا ولم يُمَكَّنوا منها وشَقُوا في طَلَبِها، فعاشوا فيها طولَ أعمارهم بأبدان متعوبة ونُفوس مهمومة، ولم ينالوا خيرًا، ثُمّ لم يأتمروا بأوامر الناموس، ولم ينقادوا لأحكامه، وتجاوزوا حدوده، ولم يَتَّعظوا بزواجِره، ولم يَعمَلوا في عِمارة بُنيانه ولا في حِفظ أركانه، فهم الذين خسِروا الدُّنيا والآخرة جميعًا، ذٰلك هو الخُسرانُ المُبين(١).

عند المُتصوِّفة.

□ يُؤمِن المُتصوِّفة بأنّ عليهم أن يَجتازوا أربعة أبواب، كُلّ باب تَرتبط به أربعة عناصر: هواء، نار، ماء، وأرض. ويؤمنون بالأوتاد، وهم أربعة رجال مَنازلهم على مَنازل أربعة أركان من العالَم: شرق، غرب، شمال وجنوب، ومع كلّ واحد منهم مقام تلك الجهة.

في السِّحر.

□ يُعتبر الأربعة عددًا أساسيًّا في السِّحر، فيَرمز إلى العناصر الأربعة، والأطباع الأربعة، والألوان الأساسيّة الأربعة وهي الأحمر، الأصفر، الأبيض، والأسود.

في الكونيّة.

□ العَناصر أربعة: النار، الهواء، الماء، والتُّراب. والفصول أربعة: الرَّبيع فصل النُّمو، الصَّيف فَصل الثَّمر، الخَريف فَصْل الذُّبول، والشِّتاء فصل الموت. والعناصر الكيماويّة أربعة: كربون، هيدروجين، أوكسيجين، ونيتروجين. والاتّجاهات أربعة: شَمال، جَنوب، شَرْق، وغَرْب. وأعمدة الكون أربعة. وتَحوُّلات القمر أربعة. وحروف لفظ الجلالة في مُعظَم اللغات أربعة: Alla، Dieu، Deus، Gott، Bogh...

---

(١) رسائل إخوان الصَّفاء وخِلّان الوفاء - الجزء الأوَّل - ص ٣٣١- ٣٣٢.

في البيولوجيا.

□ مَراحل الحياة الإنسانيّة أربعة: الطُّفولة، المُراهَقة، البلوغ، والشَّيخوخة.

في علم النَّفْس.

□ يُعطي يونغ (Yung)[1] الأربعة أهمّيَّة كبيرة في الأحلام، فيدلّ ظهوره إلى تبدُّل إيجابيّ في شخصيّة الإنسان.

حَجَر الماس.

□ لِحَجر الماس تَشكُّل هرميّ ووصلات تكافئيّة أربع شديدة الوثاقة بحيث يَستحيل قَطْعه أو خَدْشه من أيّ جسم إلّا من عناصره الدَّقيقة الأصغر حَجمًا، والتي تُستعمل لِصَقْله في سَبيل إبراز سطوحه المُتوهِّجة.

في الأدب العربيّ.

□ في الأدب العربيّ، يُطلَق اسم الحوليّات على قصائد الشاعر زهير بن ابي سلمى المشهورة. ويُروَى أنّه كان يمضي أربعة أشهر في نظم القصيدة، ويُنقِّحها في أربعة أشهر، ويَعرضها على أصدقائه في أربعة أشهر، فلا يَنشرها إلّا بعد أن يأتي عليها الحَوْل[2]. وهناك أيضًا، رباعيّات الخيّام.

وعند العرب، الفضائل أربع: العقل، الشَّجاعة، العفّة، والسَّخاء: عن تَركيب العقل مع الشَّجاعة يحدث الصَّبر على المُلِمّات والوفاء بالإيعاد. وعن تَركيب العقل مع السَّخاء يحدث إنجاز الوعد. وعن تَركيب العقل مع العفّة تُوجَد الرَّغبة عن المسألة والاقتصاد على أدنى مَعيشة. وعن تركيب الشَّجاعة مع السَّخاء يَحدث الإتلاف والإخلاف. وعن تركيب الشَّجاعة مع العفّة يكون إباء المُنكَر والغيرة على الحُرُم. وعن السَّخاء مع العفّة الإسعاف بالقوت والإيثار على النَّفْس.

وقَسَّم العرب الميرة أو مَؤونة الطَّعام أربعة أقسام: الصيفيّة، الرَّبعيّة، الدَّفئيّة، والرَّمضيّة.

وفي ورق اللَّعب، أربعة ألوان: يَرمز السباتي (trèfle) إلى المَجد والثَّروة، والكُبّة - (Cœur) إلى الحُبّ والشَّجاعة، والبستوني - (Pique) إلى المرض والقلق، والديناريّ (Carreau) إلى الأعمال والعَلاقات العامّة.

وقال أنو شروان[3]: «أربعة أيّام لأربعة أعمال: يوم الغيم للصَّيد، ويوم الريح للنَّدم، ويوم المطر للمُنادَمة، ويوم الصَّحو للكسب». وقال أردشير: «أربع تَحتاج لأربع: الحسب للأدب، السُّرور للأمن، القَرابة للمَودَّة، والعقل للتَّجربة». وقال ابن الأعرابيّ: «أربع في أربع: الحُسْن في الأنف، الحَلاوة في العين، المَلاحة في الفم، الظَّرف في اللّسان». وقال أبو الخطّاب الصائبيّ: «خير الثِّياب ما رقّ غَزْله، وراق نسجه، ولان مَسّه، وطاب لبسه». وقال الحسن: «أجدر الناس بالصَّنيعة: من إذا أعطي شَكر وإذا مُنِعَ عَذَر، وإذا مُطِلَ صَبَر، وإذا قَدُمَ العهد نَكر». وقال أبو منصور عبد الملك: أبلغ الكلام ما حَسُن إيجازه، وقلّ مجازه، وكَثُرَ إعجازه، وتَناسَبت صدوره

(١) عالِم نَفْس شهير (١٨٧٥ - ١٩٦١م).

(٢) مُعجَم الحضارات السّاميّة - ص ٤٤٦.

(٣) حكيم فارسيّ.

وأعجازه». وقيل: «بخلاء العرب أربعة: الحُطَيْئة، حميد الأرقط، أبو الأسْوَد الدُّؤلي، وخالد بن صفوان».

عند الماسونيّين.

▫ يَتألَّف المحفل الماسونيّ[١] من فسحة وأربع غُرف، فيُوضَع في الفسحة الوشاحات والأوسمة والملابس الماسونيّة والكتب والأدوات المختلفة؛ وتُخصَّص الغرفة الأولى للاستقبال فتُوضَع السّجلّات على طاولة حيث يسَجِّل الإخوان أسماءهم في دفتر الحضور ويَتعرَّف بعضهم ببعض. وتُزيَّن جدران هٰذه الغرفة بالشّعارات الماسونيّة من براويز ورسوم وخرائط وما شابه؛ وتُعتبَر الغرفة الثانية للتَّأمُّل وهي غرفة مُظلِمة، وتُرفَع على جدرانها بعض العبارات المعروفة في المحافل، وبالأخصّ جمجمة وساقان وهيكل عظام إنسانيّ أو رسمه وفيها يَكتب الطالب تَعهُّده؛ أمّا الثالثة فهي غرفة المَحكمة؛ وأخيرًا الرابعة للاجتماع وهي مستطيلة الشَّكل مُقفَلة النَّوافذ تُفرَش حسب ترتيب الدَّرجات وتُدعَى الهيكل، ولا يجوز التَّدخين فيها، ويَنبغي أن يُكتب على بابها عبارة «باب السَّلام»، ويُرفع الشّعار الماسونيّ في مكان مُناسِب منها. ولا بدّ من وجود قبّة الرّئاسة في غرفة الاجتماع، وكرسيّ الرَّئيس تحتها في الشَّرق.

تفرض القوانين الماسونيّة أن يكون المحفل على شكل مُربَّع مستطيل، له بابان من الغرب، فالباب الجنوبي لاستقبال الزائرين والأعضاء، والدُّخول إليه من جهة الحارس ويُعرَف بباب الحارس أو بالباب الخارجيّ، والباب الشّماليّ ويُعرف بالباب الداخليّ، ويُدعى أحيانًا باب الشّمال الغربيّ. ومن المفروض قانونيًّا، أيضًا، أن يرتفع مكان جلوس الرَّئيس في المحفل عن أرضه ثلاث درجات أو خمسًا أو سبعًا[٢].

تحكي الماسونيّة عن أربع تجارب[٣]، وهي تجارب العناصر الأربعة: التُّراب، الماء، الهواء، والنار. وتتطابق هٰذه العناصر الأربعة مع الأعمار الأربعة للعالَم، ومع الفضائل الأساسيّة الأربع لدى الإنسان وهي: الحسّ المادّيّ، الحساسية، الذَّكاء، والروحانيّة.

وتَتحدَّث المخطوطات الماسونيّة عن أربعة مُكرَّسين هم بمثابة أربعة قدّيسين للجمعيّة. وتَذكر الميثولوجيا الذَّهبيّة أسماءهم وهم: (Sévère)، (Séverin)، (Carnophore)، و(Victorin)، وقد ضُربوا حتّى الموت بأمر من ديوكليسيانوس - (Dioclétien)، الأمبراطور الرومانيّ الذي اشتهر باضطهاد المسيحيّين (٢٨٤- ٣٠٥م).

كرّمت الماسونيّة الألمانيّة، في مُقدَّم الجمعيّات الماسونيّة في العالَم، هٰؤلاء الشُّهداء واتّخذتهم قدّيسين يتشفّعون للجمعيّة في السَّماء، كما اعتبرتهم رمزًا عالميًّا يُوحِّد ما بين الإخوة الماسونيّين في كافّة أنحاء العالم[٤].

وفي موضوع الماسونيّة والنِّساء، يبدو أنّ فكرة إنشاء ماسونيّة نسائيّة ظهرت منذ عام

(١) الدُّستور الماسونيّ العامّ - ص ١١.

(٢) نفس المرجع - ص ١٣.

(٣) Le symbolisme des nombres - p.111

(٤) La franc-maçonnerie - p.126

١٧٤٤م مع فارس دو بوشين، وتَضمَّنت أربع درجات: تلميذة، رفيقة، أستاذة، وأستاذة كاملة[١].

لقد اعتاد الماسونيّون أن يقسموا الدَّرجات الثَّلاث والثَّلاثين إلى أربعة أقسام يميِّزون كُلّ قسم منها بأحد الألوان، فيدعون الثَّلاث الدَّرجات الأولى بالماسونيّة الزَّرقاء، يليها الماسونيّة الحمراء من الدّرجة الرابعة إلى الثامنة عشرة، ثُمَّ الماسونيّة السَّوداء إلى الدَّرجة الثَّلاثين، من بعدها الماسونيّة البيضاء التي فيها يحصل الماسون على نور الظلمات المدلهمّة[٢].

كان على الرَّئيس أن يسأل أعضاء محفله أربع مرّات في السَّنة ما إذا كان بينهم خصام أو نفرة، ممّا يؤدي إلى اختلال نظام العمل. فإذا اتَّضح له وجود شيء من هٰذا القبيل، كان عليه أن يُسرع إلى حَلّ المُشكِل[٣].

أَرْبَعَةَ عَشَرَ

□ تقول الميثولوجيا الهنديّة إنّ أَرْبَعَة عَشَرَ إلٰهًا يَحكمون العالَم في فترات مُتلاحِقة ومُتساوية خِلال حُكْم براهما الذي يساوي ٤٣٢٠ مليار سنة شمسيّة. وبشكل عامّ، يُمثِّل هٰذا العدد-الطَّبيعة التي تُهيّئ الحياة. ويَعتقد بوهميه (Bohème) أنّ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ يُمثِّل الروح القُدُس. ويَعتمد متّى هٰذا العدد في تَسلسُل شجرة عائلة يسوع (١: ١). ويَتألَّف دَرْب الصَّليب على طَريق الجُلْجُلَة من أَرْبَعَ عَشْرَة مَرحلة.

عند المسلمين.

□ في الإسلام، المُطَهِّرات أَرْبَعَ عَشْرَةَ:

١- الماء، وهو يُطهِّر كُلّ شيء قابِل للطَّهارة.

٢- الشَّمس، تُطهِّر الأرض وكل شيء ثابت عليها، كالأشجار والأبنية ونحوهما.

٣- الأرض، تُطهِّر أسفل القدم، وأسفل النَّعل، كما أنها تُطهِّر عَكّازة الرجل المقطوع الرِّجل وأمثال ذٰلك بعد المشي عليها، بَعْدَ زوال عين النّجاسة.

٤- الإسلام، مُطهِّر الجسد.

٥- الاستحالة، بأن تتبدَّل حقيقة الشَّيء النَّجس إلى شيء طاهِر، كالعذرة تصير رمادًا بالإحراق.

٦- الانقلاب، بأن يَتبدَّلَ بعض الشَّيء بحيث لا يُسمَّى بالاسم السابق، كالخمر يصير خلًّا.

٧- الانتقال، بأن يَنتقل شيء نجس إلى شيء طاهر، كالبول يَشربه حيوان طاهر اللَّحم، فيُطهَّر إذا خرج منه بولًا أو عرقًا.

٨- خروج الدَّم المُتعارَف من الذَّبيحة، فإنّه مُطهِّر لما بقي في بدنها من الدّم.

٩- أحجار الاستنجاء فإنّها مُطهِّرة لمحلّ الغائط.

١٠- الاستبراء بالخرطات فإنّه مُطهِّر للبلَل المُشتبِه بالبول.

١١- استبراء الحيوان الجلال (وهو منعه من أكل

---

(١) La franc-maçonnerie (Nandon) - p.65

(٢) السّرّ المصون في شيعة الفرمسون - الكرّاس الخامس - ص ٢٧.

(٣) تاريخ الماسونيّة القديمة وآثارها - ص ١٠٨.

النَّجس) فإنّه مُطهِّر للحمه.

١٢- إذا غاب الشَّخص المُسلِم، وكان قد تَنجَّس بعض ما يَتعلَّق به، ثمّ رأيناه وهو يَستعمل ذٰلك الشَّيء استعمال الشَّيء الطاهر، حُكِمَ عليه بالطَّهارة.

١٣- زوال النَّجاسة عن ظاهر الحيوان، وباطن الإنسان.

١٤- التَّبعيّة كتبعيّة ظرف الخمر للخمر، إذا صارت خلًّا، فإنّ الظَّرف يُطهِّر أيضًا، وكذا اذا أسلم الكافر يُطهِّر ولده الصغير التابع له[١].

عند الماسونيّين.

□ لا تملك الماسونيّة معلومات وافية على الطّريقة الحقيقيّة التي كُتبت فيها الشّرائع المنسوبة إلى أندرسون. ويُمكِن حصر النّظريّات بثلاث: الأولى تعتبر أنّ أندرسون هو واضع الشَّرائع، والثانية تَعتبر أنّ ديزاغليه - (Désaguliers) هو المُؤلِّف الحقيقيّ لشرائع العام ١٧٢٣ وأنّ أندرسون نقلها وحسب، أمّا النّظريّة الثالثة فتَعتبر أنّ هيئة ماسونيّة من أربعة عشر عضوًا هي التي وَضعت الشرائع والأفكار الأساسيّة وقام أندرسون بتدوينها[٢].

أَرْبَعَة وسِتّون

□ يُعتبَر العدد أربعة وسِتّون عَدَد تَحقيق الوَحْدَة الكونيّة في الهند. وفي البوذيّة، خُلِقَت والدة بوذا في عائلة موهوبة بأربع وستّين فضيلة. وفي اليونان، قادَ عَرَبة المَوْتى التي نَقَلَت رُفات الإسكندر الكبير أربعة وسِتّون بغلًا. وفي الصِّين، يَحمل رفات الإمبراطور، عند دَفْنه، أربعة وسِتّون رَجلًا.

أَرْبَعَة وعِشْرُونَ

□ إنَّه رَمْز الزَّمَن. فقد قَسَّم البابليّون اليوم إلى أربع وعِشْرين ساعة أو وَحدة زَمنيّة. وظَلّ هٰذا التَّقليد البابليّ مُستمِرًّا حتّى انتشر في العالَم أجْمَعَ. وقَسَّم اليابانيّون السَّنة إلى أربعة وعِشْرين جزءًا من خَمْسَةَ عَشَرَ يومًا، وكذٰلك كان قد فَعَلَ الفُرْس والصِّينيّون. وفي الهند يقول الجينيُّون إنّ ماهافيرا (Mahavira) لم يَكن وَحْدَه هو مُؤسِّس عقيدتهم بل آمنوا بأنّ هٰذه العقيدة أسَّسها في الحقيقة أربعة وعِشْرون «جينا» أي أربعة وعِشْرون فاتحًا، ظهروا على فترات دوريّة لِيُبشِّروا الناس ويَهدوا شَعْب الهند إلى الطَّريق المُستقيم. وأوَّل فاتِح عندهم هو الإلٰه «أديناث» الذي ظَهَرَ قَبْلَ ذٰلك بأكثر من بليون مليون سنة. وآخِر فاتِح عندهم هو ماهافيرا الذي تُوفِّي حوالي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد. وبِحَسَب التَّقسيم العِبْريّ، تَشمل التَّوراة أربعة وعِشْرين سِفْرًا.

وفي المسيحيّة، جاء في الرُّؤيا: «وحَوْل العَرْش أرْبعة وعِشْرون عَرْشًا. وعلى العُروش أربعة وعِشْرون شَيْخًا لابسين ثيابًا بيضًا وعلى رُؤوسهم أكاليلُ مِن ذَهَب» (٤ : ٤).

---

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السَّيِّد مُحمَّد الشيرازي - ص ١٠.

(٢) La franc-maçonnerie - p.26

أربَعون

□ يَرمز العَدد أربعون إلى إكمال دورة في العالَم، أو بالأحرى إلى إيقاع التّجارُب الدّوريّة في الكون. وتَصف التّيوزوفيّة (Theosophy) العَدَد أربعين «بالإنسان المُندمِج في الكون الذي يُقاتِل أمير الفوضى». وتضيف أنّ الأربعين «يُمثِّل الفَترَة الكاملة والنّهائيّة لإتمام أيّ عَمَل». من هنا، يَجب أن نَنتبه إلى الأربعين يومًا في صِيام عدد من مُؤسّسي الدّيانات في العالَم حيث تَرمز إلى مفهوم التّطهير.

في مصر.

□ كانت تَستمرّ فترة التّحنيط لَدى المصريّين أربعين يومًا (تكوين ٥٠: ٣).

في فارِس.

□ تقول الميثولوجيا الفارسيّة إنّ غايو مارت (Gayo Mart) هو الإنسان الأوّل ووالد ماشيا (Mashya) من ماشيو (Mashyoi)، الزّوجان البَشريّان الأوّلان، اللّذان وُلدا من بذوره بَعْدَما اضطجع في الأرض أربعين عامًا. وكان قد خَلَقَه آهورا مازدا بَعْدَ غوش، الثّور البدائيّ، واهِب الغِذاء، وذُبحَ غايو مارت على يد آهريمان[1].

في الهِنْد.

□ بَدَأ بوذا (Buddha) رسالته التّبشيريّة وهو في الأربعين من العُمر.

في اليابان.

□ يَرمز الأربعون. إلى بداية الشّيخوخة، فيقول كونفوشيوس (Confucius): «في الأربعين، لم أتعرَّض أبدًا للضّياع».

في أميركا.

□ في عَدد من القبائل الأميركيّة، تَستطيع الأرمل أن تَتزوّج بَعْدَ مرور أربعين يومًا على وَفاة زَوْجها.

في أفْريقيا.

□ تَستمرّ طُقوس الدَّفْن في مالي أربعين ليلة. وإذا ما تَخطّى الإنسان المئة وخمسة أعوام، فإنّه يُقدِّم للآلهة أربعين حِصانًا ذبيحة.

عند العبرانيّين.

□ تقول الميثولوجيا العبرانيّة إنّ آدم نَدِمَ على خطيئته أربعين عامًا. وجاء في سِفْر التّكوين أنّ الطُّوفان استمرّ أربعين يومًا وأربعين ليلة (٧: ٤). وعندما دعا الرَّبّ موسى كان عُمْره أربعين عامًا. ويَقول سِفْر الخُروج إنّ العبرانيّين أكلوا المَنّ أربعين سنة (١٦: ٣٥)، وإنّ موسى بَقِيَ في جبل الله لِجَلْب لوحي الوصايا أربعين يومًا وأربعين ليلة (٢٤: ١٨).

عند المسيحيّين.

□ قَدِمَ يسوع إلى الهَيْكل بَعْدَ أربعين يومًا من وِلادته، وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة (متى ٤: ٢)، وبَشّر أربعين شَهْرًا، وبَقِيَ في

(١) معجم الأساطير - ص ١٠٤.

القَبْر أربعين ساعة، وظَلّ على الأرض أربعين يومًا بَعْدَ القيامة (أعمال ١ : ٣). وتَحتفل الكنيسة بعيد الأربعين شهيدًا في التاسع من آذار في كُلّ سَنة.

عِنْدَ العَرَب.

□ البسوس شاعرة جاهليّة من بني ثعلب. يروى أنّها حَضَّت قَبيلتها على مُحاربَة بني بكر في حرب سُمِّيت باسمها دامت أربعين عامًا.

عند المسلمين.

□ نَزَلَ القُرآن على النَّبيّ مُحمَّد ﷺ وله من العمر أربعين عامًا. وكانت خديجة في الأربعين من العمر حين تَزوَّجت النّبيّ مَحَمَّد ﷺ وهو في الثالثة والعشرين. ويُروَى عن النّبيّ أنّه قال: «مَن أخلص العِبادة لله أربعين يومًا فَتَحَ الله قَلْبَه، وشَرَحَ صَدْره، وأطْلَق لِسانه بالحكمة ولو كان أعجميًّا غَلِقًا». ووَرَد في كتاب الطَّبري «مُحمَّد خاتم الأنبياء» أنّه عندما أكمل مُحمَّد ﷺ الأربعين من عمره أرسل الله له جبريل لكي يَحمل له رؤية.

عند المتصوّفة.

□ رَوَى المُتصوِّفة أنّ النّبيّ ﷺ قال: «لا يَزال في هٰذه الأُمَّة أربعون رَجُلًا من الصالحين على مِلَّة إبرهيم الخليل. وقالوا إنّ من بين الأربعين أربعة هم الأبدال، وقد سُمّوا الأبدال لأنّهم بُدّلوا خَلْقًا بَعْدَ خَلْق وصُفُّوا تَصفية بَعْدَ تَصفية، وذٰلك أنّ هٰؤلاء الأربعين مُنتقون من جملة أربعمئة من الزاهدين العارفين المُحقِّقين، وهٰؤلاء الأربعمئة مُنتَقون من أربعة آلاف من التائبين المُخلِصين، وكُلَّما مَضى شَخْص من الأربعمئة قام في رُتْبَته شَخْص من الأربعين، وإذا مَضى شَخْص من الأربعين قام في رُتْبته شَخْص من الأربعمئة، وإذا مَضى شَخْص من الأربعمئة ارتقى إلى مَنزلته شَخْص من الأربعة آلاف فبلغ مَرتبته وقام مَقامه، وكُلَّما مَضى شخص من الأربعة آلاف ارتقى مَكانه بدلًا منه من المُؤمنين التائبين المُخلِصين فَبَلَغ درَجته وقام مَقامه. ومن المُصطلحَات الصوفيّة أنّ الأوتاد عِبارة عن أربعة رِجال مَنازلهم على أربعة من أركان العالم، وأنّ النُّجباء أربعون وهم المَشغولون بحِمْل أثقال الخَلْق».

في البيولوجيا.

□ تَستمرّ فترة الحَضْن الجَنينيّ أي فترة الحَمْل لدى المرأة ٢٨٠ يومًا (٤٠× ٧) حيث تَندغم عِدَّة دورات حياتيّة صُغرى أربعينيّة المدى سَبْع مَرّات طيلة أربعين أُسبوعًا، وتَستريح المرأة أربعين يومًا بَعْدَ الوِلادة، وهو ما يُسمَّى بأربعين النُّفَساء بَعْدَ الوِلادة؛ وكانت فترة الرَّضاعة تَستمرّ أربعين يومًا في الشَّرْق.

وبَعْدَ الموت، تَنحلّ الخَلايا الجَسديَّة خِلال أربعين يومًا وهو ما يُعرَف بأربعين الميت.

وفي الماضي، كانت السُّلُطات تَحتجز المُسافِرين أربعين يومًا تلافيًا لانتقال الأوبئة قَبْلَ النُّزول إلى البرّ، وهو ما يُعرَف بأربعينيّة المَوانىء البَحريَّة - (Quarantaine)[1].

(١) أربعون الحياة والموت - غازي أبو شقرا - دار النّهار للنّشر.

في الميثولوجيا.

□ جاء في الميثولوجيا العالميّة أنّ الله تَعالى لمّا عَجن طينة آدم أمطر عليها سَحاب الهُموم والحُزْن أربعين سَنة، وأمطر عليها السُّرور والفَرَح سنة واحدة، لذٰلك صار الهمّ أكثر من الفرح، والحُزْن أكثر من السُّرور.

في الكَوْنيّة.

□ يُشكِّل عَدد من البكتريات عَوامل استمرار الحياة بِقَفْل الدَّورات الطَّبيعيّة في الكون لِعنَاصر النِّيتروجين والأوكسيجين والهيدروجين والكاربون، أي العناصر الأربعة ذات العَلاقة الوَطيدة بالأربعين، أي تكرار الأربعة عَشْر مرّات. وفي الكونيّة، أيضًا، هناك أربعينيّة الشّتاء والصَّيف التي تتَمثَّل بأقصى الدَّرجات الحَراريّة قرًّا أو قيظًا.

في الفِكْر.

□ كرَّس القانون الإيطاليّ دستوريًّا سِنّ المُرشَّح لرئاسة الجمهوريّة أربعين سنة كحدّ أدنى. وكانت بعض الجامعات، ومنها السوربون (Sorbonne) في باريس، تَشترط سِنّ الأربعين لِنَيْل دَرجة الدُّكتوراه في الفلسفة والرِّياضيّات. وهناك مُهَل قانونيّة مُحدَّدة بأربعين يومًا تحت طائلة إسقاط الحقوق بَعْدَ انقضاء هٰذه المُدَّة.

وفي فرنسا، أسَّس ريشليو (Richelieu)[1] الأكاديميّة الفرنسيّة في العام ١٦٣٥ وتَضمّ أربعين عضوًا. وفي العام ١٦٦٣ أسَّس كولبير (Colbert)[2] أكاديميّة السِّجلاّت والحروف الجميلة وتَضمّ أربعين عضوًا. وفي العام ١٧٩٥ أسَّس كولبير ومازاران (Mazarin)[3] أكاديميّة الفنون الجميلة وتَضمّ أربعين عضوًا. وفي العام نَفْسه، تأسَّست أكاديميّة العلوم الأخلاقيّة والسِّياسيّة وتَضمّ أربعين عضوًا. ومن جهته، رأى جان جاك روسّو (Jean-Jacques Rousseau)[4] في الأربعين السِّنّ الفُضلَى التي تَجمع الميزات والفَضائل التي يَجِب على رَجُل الدَّولة التَّحلّي بها.

عند الحَيوان.

□ يَستمرّ الحَمْل الحضنيّ عند إناث الخيل ٣٦٠ يومًا (٤٠× ٩)، وعند إناث الفِيَلة عامَيْن كامِلَيْن (٤٠× ١٢× ٢). وتَستمرّ الدَّورة الحياتيّة لَدى الكائنات الحيوانيّة السُّفلى كدودة الحرير أربعين يومًا. وتَقضي الأنظمة الصِّحّيّة الوِقائيّة باحتجاز الحيوان الذي يَعضّ أربعين يومًا[5].

في النَّبات.

□ في عالَم النَّبات، هناك الأمد الأربعينيّ لا سيّما عند بعض أنواع النَّباتات البَقْليّة التي يستهلكها الإنسان في مَعيشته، ومنها القرنيّ والقرعيّ والباذنجانيّ، حيث تُقدَّر الفترة الزَّمنيّة

---

(١) رَجُل دولة فرنسيّ (١٧٦٦- ١٨٢٢) م.

(٢) رَجُل دولة فرنسيّ (١٦١٩- ١٦٨٣) م.

(٣) رَجُل دولة فرنسيّ من أصْل إيطاليّ (١٦٠٢- ١٦٦١) م.

(٤) أديب وفيلسوف فرنسيّ (١٧١٢- ١٧٧٨).

(٥) أربعون الحياة والموت. غازي أبو شقرا.

الفاصلة بين تَبرعُم البذرة بعد تَفتُّقها وإزهارها الثَّمريّ بأربعين يومًا[١].

في الأمْثال.

□ يقول مَثَل لبنانيّ: «عاشِر القوم أربعين يوم، إمّا بتصير منهم، إمّا بترحل عنهم».

أُسْبوع

□ كانت الشُّعوب القديمة تَرى في القمر وتَقلُّب وُجوهه أحسن ظاهرة طبيعيّة لِتَقسيم الزَّمن، لأنّه يَنقسم، برأيهم، قسمين مُتساوِيَيْن: من ولادته إلى تَمامه بدرًا ١٤ يومًا، مُضاعَف السَّبعة، ومن ظهوره بَدْرًا إلى مَحاقه ١٤ يومًا. وهٰكذا كان الأسبوع يُشكِّل ربع الشَّهر القمريّ، وبذٰلك أصبح عدد أيّام الأسبوع على عدد الآلهة السَّبعة العظيمة التي أعطت أسماءها للكواكب السَّبعة، فاقترن اسم مردوخ بالمشتري، وعشتار بالزُّهرة، ونَنب بزُحَل، ونابو بعطارد، ونرجال بالمرّيخ؛ ثُمّ أضافوا يومًا لإلٰه القمر سين، ويومًا آخَر للشَّمس - شمش[٢].

وفي عالَم الرُّموز، يَتطابَق اليوم الأوَّل من الأسبوع مع الحُلْم، والثاني مع القِتال، والثالث مع التَّفاوُض، والرابع مع التَّنظيم، والخامس مع الحُبّ، والسادس مع التَّطوُّر، والسابع مع الراحة.

(١) نفس المرجع.

(٢) أسماء الأشهر والعدد والأيّام. د. أنيس فريحة.

إسْم السِّنين

□ كان النّاسُ على عَهْد رسول الله ﷺ سَمَّوْا كلَّ سنة ممّا بين الهجرة والوفاةِ باسم مَخصوصٍ بها مُشْتَقّ ممّا اتَّفَقَ فيها له، فالأُولى بَعْدَ الهجرة سَنَةُ الإذْنِ، والثانية سنةُ الأمرِ بالقِتال، والثالثة سنة التَّمْحِيص، والرابعة سنة التَّرْفِئة، والخامسة سنة الزِّلْزال، والسادسة سنة الاستِئناس، والسابعة سنة الاستِغلاب، والثامنة سنة الاسْتِواء، والتاسعة سنة البَرآءَة، والعاشرة سنة الوَداع، فكانوا يَستَغنُون بذِكْرها عن عَدَدِها من لدن الهجرة[٣].

إسْم العَدَد

□ تُعتَبَر أسماء الأعداد من أقدم الألفاظ في اللُّغة. ويَعتقد عَدَد من الباحثين أنّ أسماء الأعداد مُشتقَّة من جُذور لها عَلاقة بِفَتْح اليَد أو قَبْضها، أو إظهار الأصابع أو إخفائها، لأنّ الانسان كان يَعدّ أوّلاً على أصابعه أو يَستخدمها للإشارة إلى العَدَد.

وفي القديم، كان الرومان يُطلِقون أسماء الأعداد على أبنائهم الذُّكور بَعْدَ الابن الرابع، فيُسمّون الخامس كوينتوس (Quintus)، والسادس سكتوس (Sextus)، والثامن أوكتافيوس (Octavius)، والعاشر ديسيموس (Decimus)... من بين هٰؤلاء، نَذكر المُفكِّر والباحث كوينتوس قابيوس بكتوروس (Pectorus)، والشاعر كوينتوس هوراسيوس

(٣) البيروني - الآثار الباقية - ص ٣١.

فلاكوس المعروف بهوراس (Horace)[١]، وسكتوس مانيوس (Magnus)، ابن القنصل بومبي (Pompei)، والشاعر الهجائيّ ديسيموس جونيوس جوفيناليس (Juvinalis).

أعمِدَةُ الحِكْمَةِ السَّبْعَة

□ جاء في سِفر الأمثال في العهد القديم أنّ «الحكمة بَنَت بيتها ونَحتت أعمدتها السَّبعة. ذَبحت ذبائحها ومَزجت خمرها وصَفّفت مائدتها. أرسلت جواريها تنادي على مُتون مَشارف المدينة. من هو غِرٌّ فَلْيَمل إلى هنا. وتقول لكلّ فاقد اللُّبّ: هَلُمّوا كُلوا من خبزي واشربوا من خمري» (٩: ١- ٥). ويُفسِّر العلّامة إسْطفان الدُّويهيّ[٢] هذا المقطع فيقول: «إنّ صاحب الأمثال يريد بالحكمة حكمة الرَّبّ، وبالبيت البيعة، وبالأعمدة العُلَماء، وبتصفيف المائدة نَصْب المَذبح، وبالخُبْز والخَمْر جَسَد الرَّبّ ودمه الكريم اللّذين يُقدَّمان في القداس على رُتْبة ملكيصادق.

إكْتِشاف العَدَد

□ لا يَعلم الخُبَراء بالضَّبط تاريخ اكتشاف الإنسان للأعداد، فلا يُوجَد أيّ دَليل على هذا الاكتشاف ولا في أيّ مكان. لكن من الأكيد القول إنّه كانت تُوجَد فترة في التاريخ لم يَعرف الإنسان خلالها العدّ. والدَّليل على ذلك وُجود قبائل لا تَعرف العدّ، حتّى اليوم، إلّا بشكل بدائيّ، ومن بينها قبائل الزولو (Zoulous) والبيغمه (Pygmées) في أفريقيا، والأراندا (Aranda) والكاميلاراي (Kamilarai) في أوستراليا، والابوريجين (Aborigènes) في جزر موراي (Murray)، والبوتوكودو (Botocoudos) في البرازيل. ولعلّ الأسلوب الحسابيّ الأوّل هو العدّ بواسطة الفرضة على الحَجر، أو بواسطة الخُيوط ذات العُقَد[٣].

لَقَد اكتشف السومرّيون الأعداد في العام ٣٣٠٠ ق.م. وتُعتبَر الأعداد السومريّة الأكثر قِدَمًا في التاريخ، فقد اعتمدت سومر القاعدة السّتينيّة كَوَحدة عَدديّة لأنّ الدائرة تُقسَم ستّة مُثلّثات مُتساوية الأضلاع، تَقطعها ثلاثة أقطار. وكُلّ زاوية مُثلّث تُعادِل ستّين دَرجة فيبلغ مُحيط الدائرة ٦ × ٦٠ = ٣٦٠ درجة. ورَكّزت سومر على موضوع الرّمز العَدديّ بَعْدَما تَوصَّلت إلى وَضْع قيمتين للعدد: ذاتيّة وموضوعيّة.

لم تَكتشف سومر الصِّفر إلّا مُتأخِّرة. وقد استخدم السومريّون الإشارة المسماريّة (P) للدّلالة إلى العدد واحد، والإشارتين (PP) للدّلالة إلى الإثنين... وردّت سومر وَحْي الإنسان لكتابة الأعداد إلى إلٰهة النُّجوم، واعتبرت أنّ القَصَب ضَروريّ لِطَبْع الأعداد على الفَخّار. وقد وَجَدَ الخُبراء لوحة حجريّة في آثار المدينة السومريّة (تيللو) نُقِشَت عليها

(١) شاعِر لاتينيّ (٦٥- ٨) ق.م.

(٢) بطريرك مارونيّ لبنانيّ (١٦٣٠- ١٧٠٤م) مِن أشهر مؤلّفاته «تاريخ الأزمنة».

(٣) Histoire Universelle des Chiffres - Georges IFRAH.

الأبيات التالية:

«أيّتها القَصبة نيزابا الطاهرة التي تَتغذّى بالحليب المُقدّس وتَستعمل الخِنْجَر ذا الأعداد السّبعة وتُنفّذ القَوانين الخمسة للسّماء».

أَلْف

□ يَتّخذ الألْف بُعْدًا فردوسيًّا ويَرمز إلى خلود السّعادة.

عند الحِثّيين.

□ تحكي الميثولوجيا الحثّية عن آلاف الآلهة الحثّيين.

في مِصْر.

□ تَروي الميثولوجيا المصريّة ألْف أنشودة لأمون (Amon)، إله الشّمس.

في فارِس.

□ يَمنح قانون ماني الأفضليّة لمرأة الأمّ: «الأمّ أوْلى بالتّقدير من ألْف والد»[1].

في الهِنْد.

□ يَقول البراهمة إنّ بوروشا (Burusha)، الكائن البدئيّ، مُزوّد بألْف رأس وألْف قَدَم[2].

عِنْد العبرانيّين.

□ يُشير الألْف إلى مِقْدار كبير، فأيّام شجرة الحياة ألْف عام، وطول عمر الأخيار ألْف عام. وتقول الميثولوجيا العبرانيّة إنّه كان من المفروض أن يَعيش آدم ألْف عام، لٰكنّ خطيئته قَصّرت عُمْرَه. ويُشير هٰذا العدد إلى فئات الأسباط الداخليّة، وهو يَنقسم اصطلاحًا إلى فئات من مئة وخمسين وعشرة (خروج ١٨ : ٢١).

عند المَسيحيّين.

□ يعتقد بعض المسيحيّين بأنّ الألفيّة تُطبّق على حُكْم المسيح. إنّه عَدد يَرمز إلى عودة السّيّد المسيح إلى الملكوت الأرضيّ مع الأخيار القائمين من الموت قَبْلَ نهاية العالَم. يَستمرّ الملكوت على الأرض ألْف عام، وقد رفضت الكنيسة هٰذه المقولة واعتبرتها هَرطقة، فرأت إلى الألفيّة عددًا رمزيًّا.

من جهته، رأى القدّيس أغوسطينوس في هٰذا العدد مجموعة الأجيال وكمال الحياة.

عند المسلمين.

□ جاء في القرآن الكريم في سورة الحجّ: ﴿إنّ يومًا عند رَبّك كألْف سنة ممّا تعدّون﴾ (٤٧). وجاء في سورة القَدْر ﴿إنّ ليلة القَدْر خير من ألْف شهر﴾ (٣). وجاء في سورة البقرة: ﴿يَودّ أحدهم لو يُعمَّر ألْف سنة﴾ (٩٨).

---

(١) الجِنس في العالم القديم - ص ١٧٣.

(٢) نفس المرجع - ص ١٦٥.

ألف وواحد

□ يَرتدي هٰذا العَدد بُعْدًا رمزيًا في الشَّرق الأوْسط، ليس بسبب قِصَص ألف ليلة وليلة، إنّما لوجود عدّة رموز أخرى:

- في تركيّا تُسمَّى (Bin Bir Kilise) منطقة الألف كنيسة وكنيسة، وتقع على بُعْد ثمانين كلم إلى الجنوب الشَّرقيّ من شتال حيوك (Çatal Hüyük)، التي تُعتبَر من أقدم مُدُن العالَم.

- في فارس يقتضي الانتساب إلى السُّلك المولويّ ألْف يوم ويوم من فترة الابتداء في أحد الأديرة؛ وفي قزوين الإيرانيّة، سادت عادة في القرن الثاني عشر تَقضي بتوزيع فدّان وألْف رغيف ورغيف شهريًّا إلى فُقَراء المدينة، ثلاثة أشهر كُلّ سَنة[١].

أوَّل رَمَضان

□ بِحَسَب البيروني[٢]، «اذا أردتَ أن تَعلَمَ أوَّل رَمَضانَ فخُذْ سني الهجرة التامّة واضرِبْها في أربعة وزِدْ على ما اجتَمَعَ من الضَّرْب خُمْسَ سني الهجرةِ وسُدْسَها، فإن بَقِيَ من كِلا القِسْمين كَسْرٌ فاجبُرْه بالأيّام يَوْمًا انْ كان أحَدُهما أو مجموعهما أكثَر من نِصْفِ مَخْرَج أحَدِ الكسرَيْن، ثمّ زِدْ على ما اجتمع أربعة، واطرَحْ ما بَقِيَ أسابيعَ فما بقي دُونَ سبعة فهو عَلامةُ شهرِ رمضانَ».

أوَّل نَيْسان

□ كان أَوَّل نَيْسان عيدًا مقدَّسًا. ويُظَنّ أنّه عندما نَقَلَ شارل التاسع سنة ١٥٦٤م بَدْء السَّنة إلى أوَّل كانون الثاني ظَلّ الناس يَتذكَّرون أنّ أوَّل السَّنة هو أوَّل نَيْسان، وكانوا يَتذكَّرون أنّ أوَّل نَيْسان كان يوم عيد، ولذا نشأت عندهم «كذبة أوَّل نيسان»[٣].

---

(١) les symboles - p.363

(٢) الآثار الباقية - ص ١٩٧.

(٣) أسماء الأشهر والعدد والأيّام. د. أنيس فريحة.

حَرْفُ البَاء

بوّابات بيروت السّبع

□ «في الأزمنة الغابرة، وحتّى أواسط القرن الماضي، لم تكن مدينة بيروت تُغطّي هٰذه المساحة الواسعة من الأرض التي تشغلها اليوم، بل إن هٰذه المدينة كانت إلى ما قَبْل القرن ونصف القرن من أيّامنا، عبارة عن مجموعة من المَساكن المُتلاصِقة المحشورة في رُقعة ضيّقة من الأرض طولها لا يزيد عن سبعماية وخمسين مترًا وعرضها حوالي ثلاثماية وسبعين مترًا، يحيط بها من جهاتها الأربع سور من الحجارة الرَّمليّة المدعومة بأنقاض الأعمدة المُتخلِّفة عن حطام الآثار الرومانيّة والبيزنطيّة القديمة وتَتخلَّل هٰذا السور الذي بناه أحمد باشا الجَزّار في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد بضعة أبراج ذات أبواب مُصفَّحة بِقِطَع من الحديد المُثبَت على الأبواب بمسامير ضخمة ناتئة.

كان هٰذا السور يَمتدّ من الجهة الشماليّة لساحة رياض الصُّلح الحاليّة ويسير شرقًا حتى كنيسة مار جرجس المارونيّة التي كانت تقع عند بنائها في داخل السور. ثمّ إنّ السور يَمتدّ بَعْدَ ذٰلك إلى سوق أبو النَّصر الذي كان في ذلك الحين يقع خارج السور، إلى أن يصل، أي السور، إلى بناية دعبول تجاه جامع السراية المعروف اليوم باسم جامع الأمير منصور عسّاف (التُّركمانيّ من آل عسّاف)، ثم ينحدِر شمالًا إلى آخر شارع فوش الحاليّ عند الطَّرف الغربيّ لمنطقة المرفأ، ومن هناك يأخذ هٰذا السور سبيله غربًا حتّى مقبرة السَّنطيّة التي كانت خارج المدينة وسورها، ثمّ يعود فيرتفع مع الشارع المُمتَدّ حاليًّا باتّجاه باب إدريس ثمّ صعودًا إلى الكاتدرائيّة المعروفة باسم «الكبُوشية» التي كانت أيضًا خارج السور، ثمّ يَلتقي أخيرًا مع البداية التي انطلق منها في شمالي ساحة رياض الصُّلح التي كانت تُعرَف مِن قَبْل باسم «ساحة السور» أو كما يُسمّيها عامّة الناس «عصور» أي «على السور».

ويَتبيَّن ممّا تَرَكَه السُّيّاح الأجانب من كتابات في وصف بيروت آنذاك أنّ هٰذه المدينة كانت تُعرَف عندهم باسم «المدينة المُربَّعة»، مساكنها أشبه بأكواخ، ترتفع في وسطها إلى عنان السَّماء ثلاث منائر (أي مآذن) على شكل شوكة مُثلَّثة الأسِنّة.

يقول الكونت دومنيل دوبويسون في مقال نشرته له مَجلّة (Syria) سنة ١٩٢١ «... كان قياس تلك المدينة من أرصفة مرفأها القديم إلى باب الدركة الجنوبيّ (رأس المعرض اليوم)

يبلغ ٧٥٠ مترًا فقط، أمّا قياس امتدادها من بابها الشّرقيّ، أي باب السراية إلى بابها الغربيّ، أي باب إدريس، فما كان يزيد على ٣٧٠ مترًا. وكان الغالب عليها، أسواقها التي في النّهار كانت تموج في وسطها وعند أبوابها بحركة البائعين والتّجّار ثمّ تعود إلى هدوئها ليلًا بعد أن تُقفِل أبوابها وتُودَع مفاتيحها عند واليها، أمّا خارج المدينة فكنت ترى بعض البساتين والمقابر غير المُنتظِمة ولا سيّما كثبان الرّمل التي تَخترقها منابت الصُّبَّير. هذا ما يلوح من صورة بيروت التي رسمها مسيو مونفور (Monfort) في ٢ تشرين أوّل سنة ١٨٣٧م».

أبواب بيروت القديمة.

□ المُؤرِّخون المُسلِمون القُدَماء مِثْل ابن حوقل والمقدسيّ عندما تَحدَّثوا عن بيروت وصفوها بقولهم: «إن بيروت مدينة مُحصَّنة منيعة السور». والذي يبدو أنّ هٰذه المدينة لم يكن لها أهمّيّة عسكريّة استثنائيّة في أيّام ازدهار العهد العثمانيّ، ولم يكن ولاتها من قِبَل إسطمبول يَهتمّون بالعناية بسورها وما فيها من أبراج وحصون. إلّا أنّه في أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ تَغيَّر الوضع بالنّسبة لهٰذه المدينة عندما طمع بها أحمد باشا الجَزّار واستطاع انتزاع حُكمها من يد سيِّده السابق الأمير يوسف الشّهابي الذي كان يَبسط سُلْطانه عليها وعلى جبل لبنان الذي كان يُعرَف آنذاك باسم «جبل الدُّروز» لغلبة أبناء الطائفة الدُّرزيّة فيه.

وعندما أصبحت بيروت خالصة لأحمد باشا الجَزّار جَدَّد هٰذا الوالي عمائرها العسكريّة وأنشأ فيها السور وبالَغ في تحصين هٰذا السور وأقام على محيطه أبوابًا ضخمة كانت تُفتَح للداخلين إلى المدينة والخارجين منها ما بين شروق الشّمس عند الصَّباح وغروبها في المساء ويقوم على حراستها أشخاص مُوكَلون بها سائر النّهار واللّيل، ولم يكن يُسمَح لأحد بدخولها بعد إغلاقها إلّا إذا تأكّد الحُرّاس من شخصيّته وهوّيّته وسلامة نيّته. من ذلك أنّ حارس الباب يسأل القادم عليه: من أنت؟ فإذا سمع ما يطمئنه خاطَبه قائلًا: إذن وَحِّد الله، فيرفع القادم صوته بشهادة التَّوحيد عند المُسلِمين، وهي «لا إله إلا الله» وعندئذ يَفتح الحارس باب السور ويَسمح للقادم إلى المدينة بدخولها.

ولَقد تَحدَّث الشيخ عبد القادر قبّاني، رحمه الله، عن أبواب بيروت القديمة في مقال نشرته له مَجلّة «الكشّاف» البيروتيّة في مُجلَّدها الأوّل سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) وذَكَرَ أنّه أدرك هٰذه الأبواب قَبْلَ إزالتها وذٰلك بقوله:

«... ويُروَى أنّ مدير الكمرك، بالاتّفاق مع والي عكّار حَسَّن للأمير يوسف الشهابي لزوم إنشاء السور لبيروت، فتوَلّى مدير الكمرك إنشاءه وحَصَّنه بالأبراج من جهة أبوابها وجَدَّد بناء القلعة والطوابي من جهة البحر، والبرج الذي هُدِمَ فيما بعد وقامت بناية الكمرك مكانه وجعلوا للسور خمسة أبواب: باب الدركاه، وباب يعقوب من جهة الجنوب، وباب المصلى، وباب الدباغة من جهة الشّرق، وباب السَّمطيّة من جهة الغرب، ومن جهة الشّمال المِيناء وكانت مُحصَّنة بالقلعة والبرج والطوابي.

ثمّ يُتابع الشّيخ عبد القادر قبّاني حديثه عن

ذكرياته في بيروت القديمة، قبل زوال سورها وأبوابها واتّساع بنيانها وعمرانها، ويقول:

«... ولقد أدركت هٰذه الأبواب تُغلَق بعد الغروب بساعتين وتُفتّح صباحًا. وكان بالأبراج بجوار الأبواب جند للمُحافَظة. وكان لهم وللمدفعيّة في القلعة والطوابي شأن مع سفن اليونان الذين غزوها مع الفجر وارتدّوا أدراجهم غير مُوفّقين بعد معركة سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٣٤م).

الخَلفيّات السياسيّة لإغلاق الأبواب وفَتْحها.

□ إنّ الإستراتيجيّة الحربيّة القديمة كانت تعتمد على تسوير المُدُن وانطوائها داخل أبوابها المُحصَّنة بالطّوابي والأبراج لحمايتها من العدوان الخارجيّ في أثناء الخصومات المُسلَّحة، وهٰذا ما اتّبعه حُكّام بيروت على مدى التاريخ. على أنّ أحمد باشا الجَزّار حاكم بيروت في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ومن بَعْده إبراهيم باشا (المصريّ) الذي احتلّ المدينة بقوّاته في أواسط القرن الذي تلاه، قد استخدما هٰذا السور وما فيه من تحصينات وأبواب لأغراض أمنيّة داخليّة. وفي مُقدِّمة هٰذه الأغراض منع بعض الأشقياء من رعايا جبل لبنان من «التّسرُّب إلى داخل بيروت» و«العبث فسادًا في ربوعها» أو «العبث براحة البيروتيّين وأمنهم واستقرارهم ومَصالحهم العامّة». حتّى إن الجَزّار حَظَّر الإقامة في بيروت على أهل الجبل وعلى أمرائهم الشهابيّين الذين هدم ما كان لهم في هٰذه المدينة من قصور وقيصريّات ومَساكن.

وفي ما يلي نصّ الرّسالة التي وَجَّهها إبراهيم باشا (المصريّ) إلى القنصل الإنكليزيّ في بيروت لإحاطته عِلْمًا بأنّ الضّرورات الأمنيّة اقتضت إقفال أبواب بيروت للمُحافَظة عليها من هجمات الذين وَصَفهم بأنّهم «بعض أشقياء من رعايا جبل لبنان»:

«الجِناب الأكرم، حضرة المحبّ الأجلّ المُحتَرم: قنسلوس بك دولة الإنكليز المُحتشِم، حَفظه الله تعالى:

ليس خافي مَحبّتكم الحال الواقع من ظهور خروج بعض أشقياء من رعايا جبل لبنان كما هو المسموع والمحسوس بالقرب من هٰذه الناحية، ومن جرّاء ذٰلك رعايا بيروت من إسلام وذمّيّون (هٰكذا وَرَدَت) سِكْنا البرّيّة، مُتحسّبين، وعمّال ينزلوا عفشهم إلى البلدة والبعض نزلوا من محلّاتهم إلى البلدة، فبحيث الحالة هٰذه وللمُحافَظة المأمورين بها، واحتراسًا لأمر ما، اقتضى التّنبيه بأن كافّة البوّابات تُقفَل أذان المغرب وبالإذن يصير فتح بوّابة السراي إلى حدّ العشاء فقط، وبعد أذان العشاء المُتقدِّم شرحه، ما في رخصة لفتح البوّابة كلّيًّا، بل الذي يكون داخل البلدة يَفضل بها كما والذي خارج البلدة أيضًا. وحيث ذٰلك عايد لراحة الضّمير ولأجل المُحافَظة المأمورين بها اقتضى إفادة مَحبّتكم بذٰلك وإنه تعالى يحفظكم سنة ٥٦.

الختم: محمود نامي مير محمود
محافظ بيروت.»

يكاد يكون من الثابت أنّ أبواب «بيروت القديمة» سبعة، وإذا كان بعضهم يجعلها ثمانية فذٰلك راجع في الأرجح إلى تكرار أحد

الأبواب باسمين مُختلِفَيْن كما هو الشَّأن بالنسبة لباب الدركة الذي كان الناس يسمّونه أيضًا باب الأربعين لقربه من المَحلَّة المعروفة بهٰذا الاسم. كما أنّ بعضهم عَدّ أيضًا «باب أبو النصر» المُستحدَث من بين الأبواب القديمة وهو ليس منها سواء من الناحية التاريخيّة الزَّمنيّة أو من الناحية الاستراتيجيّة العسكريّة.

العالِم الأثريّ الفرنسي دو منيل دوبويسون في كلامه عن التَّحصينات العسكريّة في «بيروت القديمة» جَعَلَ عدد أبواب هٰذه المدينة سبعة وذكرها بالأسماء التالية:

١- باب السِّلسلة.
٢- باب الدِّباغة.
٣- باب السَّراي.
٤- باب أبو النَّصر.
٥- باب الدّركة.
٦- باب يعقوب.
٧- باب إدريس.

ولقد تَكرَّر هٰذا العدد في كتابات أكثر المُصنَّفات الأجنبيّة والوطنيّة، وفي بعضها اتّفاق في الأسماء وفي بعضها الآخر اختلاف، من ذٰلك الدُّكتور أسد رستم، المُحقِّق التاريخيّ المُعاصِر حيث يقول في مقال نشره في مجلة «الكلّيّة» الصادرة في الجامعة الأميركيّة ببيروت سنة ١٩٢٧م تحت عنوان «بيروت في عهد إبراهيم باشا»:

«... وكان لسور بيروت في أوائل القرن الماضي (١٩م) سبعة أو ثمانية أبواب، منها: باب السِّلسلة، لمنع المراكب من الدخول إلى الميناء، وباب الدِّباغة، وهو لا يزال قائمًا بالقرب من جامع الدِّباغة، وباب السَّراي، وهو لا يزال على تمامه تقريبًا بالقرب من مركز الحكومة اللبنانية (وقد هدم بعد كتابة هٰذا المقال) وباب الدَّركة، وقد اندثر تمامًا، وباب يعقوب، فباب إدريس وباب السنطية».

أمّا الشيخ عبد القادر قبّاني فإنّه أحصى في سور «بيروت القديمة» خمسة أبواب ذكرها بأسمائها التي أوردها في مقاله الذي أشرنا إليه من قبل وهي الأسماء التي كانت مُشتهِرة على ألسنة الناس في زمانه (أوائل هذا القرن للميلاد).

ولعلّنا لا نبتعد عن الحقيقة والواقع إذا فَسَّرنا اقتصار أبواب «بيروت القديمة» على عددها المُتَّفق عليه أي «سبعة» من خلال المدلول الخاصّ لهٰذا العدد عند المُسلِمين وكذٰلك عند غيرهم من الأقوام: ساميّين وغير ساميّين. كما يمكننا القول، دون أن نخشى الزَّلل أنّ هذا العدد كان له عند العرب معنى التكامل الذي له أبعاده الروحية والدينيّة بالإضافة إلى ارتباط أذهانهم بإيجابيّاته المُتَّصلة اتّصالاً وثيقًا بالسَّماوات السَّبع الوارد ذكرها في المأثورات العقائديّة، وهي السَّماوات التي قيل فيها إنّها هي نَفْسها الكواكب السَّيّارة السَّبع التي تنعكس مُؤثّراتها ومُؤشّراتها إن حسّيًا أو معنويًا على مُجريَات الكون والحياة في دنيا البشر وسائر مَعالِم الوجود الأخرى.

وعلى هٰذا يكون اقتصار أبواب «بيروت القديمة» على عدد سبعة إنّما هو من قبيل التّفاؤل بقدرة هٰذا العدد على حصانة هٰذه الأبواب وكفايتها على حماية البلد وأهله من أذى وعدوان كلّ شانئ يَتربّص به الدوائر سواء من داخل لبنان أو من خارجه.

إن أبواب «بيروت القديمة» اكتسبت أسماءها من أسماء الأماكن التي تواجدت بقربها وأحيانًا من أسماء الأشخاص المُكلَّفين بحراستها أو المقيمين بجوارها، وفيما يلي تفصيل ذلك بالنسبة لكلّ باب من هٰذه الأبواب على حِدَة.

١- باب السِّلسلة:

▫ يُمكِن القول إنّ هٰذا الباب هو أقدم أبواب «بيروت القديمة» عهدًا إذ يرجع بتاريخه إلى أيّام نائب الشام الأمير بيدُمُر الخوارزمي المملوكيّ. وفي كتاب «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى إشارة لهٰذا الباب وبانيه بيدمر المذكور. يقول مُؤلِّف الكتاب:

«... ولمّا جَدَّدَ الأمير بيدمر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر، جَعَلَ أوَّله من عند الحارة التي لنا على البحر واصلًا تحت البرج الصّغير العتيق، المعروف ببرج البعلبكيّة وجَعَلَ بين هٰذا السور وبين البرج المذكور بابًا ورَكَّب عليه سلسلة تَمنع المراكب الصغار من الدُّخول والخروج فسُمِّي «باب السِّلسلة».

أقول، هٰذا الباب لم يكن من الإنشاءات التي أقامها أحمد باشا الجَزّار في بيروت أثناء ولايته على هٰذه المدينة في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد بل إنه من أعمال الحُكّام المماليك وكان الغرض منه منع السُّفُن الغريبة من دخول مرفأ بيروت والخروج منه إلّا بإذن من السُّلطات المملوكيّة في ذٰلك الحين.

وأغلب الظَّنّ أن ما كان في الأيّام الماضية والأجيال التي تَقدّمتنا يُعرَف باسم «السِّلسول» أو «السَّنسول» في المرفأ، هو نَفْس ما كان يُعرَف قديمًا باسم «باب السِّلسلة» ولكن مع تغيير أساسيّ بين ما كان عليه هٰذا المكان في الأزمنة الماضية البعيدة وبين ما آل إليه أمْره في العصور الحديثة المُتأخِّرة.

٢- باب السَّراي:

▫ كان هٰذا الباب يقع عند رأس شارع فوش الحاليّ في مكان بناية دعبول حيث كانت وزارة الاقتصاد تجاه جامع الأمير منصور عسّاف الذي اشتهر هو الآخر سابقًا باسم «جامع السَّراي» أو «جامع دار الولاية». والمقصود بالسَّراي ودار الولاية القصر الذي كان مَركزًا لحاكم المدينة وأعوانه من الموظَّفين، وكان هٰذا القصر قائمًا في الأرض التي شغلها سوق سرسق فيما بعد. وبعضهم ينسب القصر إلى الأمير فخر الدين المعنيّ الثاني حاكم بيروت وجبل لبنان في الثُّلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وآخرون يَنسبونهُ لمعاصِره الأمير منصور عسّاف الذي بنى الجامع المارّ ذِكْره.

هٰذا الباب اشتهر باسم «باب السراي» وذٰلك لوقوعه بالقرب من السراية المذكورة، كما اشتهر أيضًا، في مطلع القرن الحاليّ، أيّام آبائنا، باسم «باب المُصلّى» لوقوعه بالقرب من «ساحة المصلى» إحدى ثلاث ساحات في «بيروت القديمة»، والاثنتان الأخريان هما: «ساحة الدركة» و«مَحلَّة التَّكنات».

وعندما كتب الشَّيخ عبد القادر قبّاني، رحمه الله، خاطرته عن «حياة بيروت وتَحوُّلاتها» في أيّامه، ما بين أواخر القرن الماضي وأوائل الحاليّ، حَدَّد لنا مكان الباب الذي نَتحدَّث عنه وقال إنّه يقع من جهة الشَّرق - أي شرق المدينة - أمّا «ساحة المُصلّى» التي كان باب

السراي يقع فيها وينسب أحيانًا إليها فإنّ الشيخ عبد القادر وَصَفها لنا ونقل إلينا ما كان يجري فيها على عهده مما أدركه هو بنَفْسه قَبْلَ زوال الساحة والباب الواقع بقربها.

قال هٰذا الشَّيخ الفاضل:

«ساحة باب المُصلَّى، أو باب السراي، ويَحدّها من الغرب سراي الحكومة القديمة، وقد شيّد مكانها ومكان حديقتها «سوق سرسق وتويني وشركاهم»، ومن الشّرق الطَّريق المُؤدّية إلى مَحلَّة المُدوَّر، ومن الجنوب خان الوحوش، وسهلات البرج، ومن الشمال قطعة الأرض التي شُيِّدت فيها البناية التي تُعرَف بخان سعيد آغا وما جاوَرها من البناء شرقًا، ويقال - والكلام للشَّيخ عبد القادر - إن هٰذه الأرض كانت قسمًا من جبانة المصلى، استولى عليها نعيم أفندي، أوّل من تَولّى إدارة الأوقاف في بيروت، فأخذ أوقاف المساجد من نُظّارها وأنشأ فيها البنايات المذكورة، ثمّ تَداولتها الأيدي.

كان ضِمْن هٰذه الساحة «المُصلَّى»، وكانت تقام عنده الصلوات وعلى الأخص صلاة العيدين. في هذه الساحة كان اجتماع أولاد المَحلاّت المُجاوِرة لجامع الأمير عسّاف المعنيّ (الأصحّ التركمانيّ) المعروف بجامع السراي، وأولاد الزّواريب الكائنة في سوق الفشخة (الشارع الجديد) وقد هدمت أكثر تلك الأماكن توسيعًا للطُّرق العامّة».

وباب السَّراي بقي قائمًا بحالة جيّدة إلى أن تَمّ هَدْمه سنة ١٩٢٧م عندما بوشر بتخطيط الشّوارع في المدينة القديمة - وبقرب هٰذا الباب كان يُوجَد شجرة جمّيز كبيرة يَستظل بها «حلاّق بلديّ» يَتألّف «صالونه» من كرسيّ يجلس عليه الزبون ومرآة ليس لها إطار يحملها الزّبون بيده أثناء عمليّة الحلاقة التي يَدفع مقابلها للحَلاّق رغيفًا وبصلة.

وبالنّسبة إلى وَصْف هٰذا الباب، فإنّنا لا نملك صورة تُبيِّن لنا شكل الباب على حقيقته القديمة ولذٰلك فإنّنا نكتفي بما كتبه في وصفه دومنيل دوبويسون الذي قال: «إنّه - أي الباب - قد بلغ إلى عهدنا (١٩٢٢م) على تمامه تقريبًا مع ما كان يستند إليه من الأبنية الجنوبيّة الشّرقيّة. فنرى هناك أوّلاً بناية الباب المُربّعة، ثمّ مُقدِّمة السور القديم، ثمّ برجًا مُربَّعًا مستطيلاً يَدعمه السور، فواجهة الباب من خارج تَتألّف من حائط بسيط تعلوه شرفات صغيرة وتحميه كُوَى للقذائف غير منتظمة، وفوقهن كما فوق باب الدّباغة بناية مع دعائمها الثّلاث لحماية الباب، وقد فتح في هٰذا البناية القديمة شبّاك يُشوِّه منظرها ويُعرِّضها للخراب. والباب على شبه باب الدّباغة يَسنده قوس مُحدَّب يَنزل إلى عتبته بأربع درجات مُنعطِفة عند أطرافها، والعتبة أُسطوانة لعمود قديم، وعلى يمينه منشأ سور المدينة الذي يُؤلِّف بالنّسبة إلى «باب السَّراية» زاوية مستقيمة فيفيده متانة من تلك الجهة. وكان توجيه الباب نحو الزاوية الشّماليّة الشّرقيّة وكذٰلك الكُوَى لرمي القذائف ليست على خطّ مُستوٍ لٰكنّها مائلة إلى الزاوية عينها التي تَتألّف في قسمها الأعلى من بسطة سويّة تعضده قنطرة صغيرة.

وكان السائر يَنفذ إلى داخل السور مارًّا تحت قبّة مقرنة. وللباب من هٰذه الجهة مَنظر بديع، فإنّ قوسه الكبير يشبه جِثْية في تقويسها

شيء من العوج وفوقها سطح صغير على علوّ طابقها الأوّل الذي يُرقَى إليه بدرج باطنيّ بُنِيَ فوق قوس صغير يستند إلى القوس الكبير. وكان الراقي إلى السَّطح المذكور يُمكِنه أن يَبلغ إلى أعلى الأسوار ويَصعد إلى السَّطح الأعلى الذي فوق الباب.

هٰذا، وقد نشر الدُّكتور «لورته» في كتابه «سورية اليوم» صورة حسنة لباب السراي، من داخله، رسمها تيلور سنة ١٨٨٠م.

٣- باب الدِّباغة:

□ هذا الباب كان يقع في طرف سور «بيروت القديمة» عند وصوله إلى مرفأ المدينة، وقد دعي بهٰذا الاسم لأنّه يُؤدِّي مُباشَرة إلى سوق الدَّبّاغين. وقد أدركت شخصيًّا بقايا هٰذه السوق وفيها مَصنع لدباغة جلود الحيوانات وكان ذٰلك حوالي سنة ١٩٣٥م.

وبجانب الباب كان يُوجَد مَسجد صغير اشتهر عند الناس باسم «جامع الدِّباغة» لوقوعه بجانب سوق الدَّبّاغين، وقد هُدِمَ هٰذا المَسجد عند تخطيط الشَّوارع في المنطقة التي يقع فيها وبُني في مكانه مَسجد جديد أطلقت مديريّة الأوقاف الإسلاميّة عليه إسم «جامع الصِّدِّيق» تيمُّنًا باسم الصَّحابيّ الجليل أبي بكر الصِّدِّيق، أوَّل الخلفاء الراشدين رضي الله عنه.

ولقد وصف دومنيل دوبويسون، هٰذا الباب أثناء كلامه عن التحصينات العسكريّة في «بيروت القديمة» بقوله:

«... باب الدِّباغة فُتح في بَدَنة السور، عرضه نحو مترين وستّين سنتيمترًا كان يعلوه قوس مُحدَّب من حجر، وبقرب القوس المذكور من باطنه خشبة ضخمة تعترضه لها في طرفيها ثقبان، وعلى هٰذا المثال بقيّة الأبواب كباب السراي وباب يعقوب، وباب قلعة المعز في صيدا.

وقد أقيم فوق الباب، لحراسته، بناية مستندة إلى ثلاث دعائم كان الجنود يرمون منها القذائف على العدوّ، وكان باب السراي مُجهَّزًا بمثلها وليست هندسة الباب على شكل واحد في جانبيه شرقًا وغربًا، فإنّ بناءه أوسع من جهة الشَّرق وأدقّ صُنْعًا ممّا يدلّ على عهد أقدم».

وجدير بالذِّكر أنّ الصورة الوحيدة التي أُخذت لهٰذا الباب قَبْلَ زواله هي تلك التي نَشرها الأب لويس شيخو اليسوعيّ في الصَّفحة الأولى من كتاب «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى، وهٰذه الصورة تُمثِّل الباب من خارجه مع قسم من قبَّة جامع الدِّباغة قبل إزالته.

كان سور «بيروت القديمة» يمتدّ عَبْرَ هٰذا الباب إلى أن يصل إلى عند «باب السراي»، وعلى امتداد هٰذه المسافة وبحذائها مقبرة إسلاميّة عُرفت آنذاك باسم «الخارجة» لوقوعها خارج المدينة والسور، وعند الطرف الآخر من السور مَقبرة أخرى للمسلمين أيضًا وهي «السنطية». المقبرة الأولى - الخارجة - درجت في السنوات الأولى من عهد الانتداب الفرنسيّ واستُعملت رحبتها من قبل تجّار الخضار بالجملة ثمّ أصبحت أرضًا وَقْفًا لجمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلاميّة التي بنت عليها فيما بعد مُنْشأة كبرى ضمَّت صالة للسينما ومحلّات تجاريّة ومجموعة من المكاتب والمراكز الخاصّة.

والمقبرة الثانية - السنطية - بقي الدفن مُستمِرًا فيها حتى عهد قريب، إلى أن تَعرّضت لقنابل المتقاتلين في الحرب الأهليّة الأخيرة وتَهدَّمت القبور التي فيها ثم تَوقَّف الدفن فيها بصورة نهائيّة.

وعند باب الدّباغة كانت تَتجمّع المَرافق التجاريّة من البضائع الواردة إلى بيروت والصادرة منها وذلك لقرب هٰذا الباب من مرفأ المدينة إذ كانت القوافل المثقلة بأحمالها إذا اجتازت الباب المذكور تجد نفسها مُباشَرة عند المرفأ القديم، وبذٰلك يَتوفّر عليها المرور في قلب المدينة ومُزاحَمة المارّة في طرقاتها الضَّيِّقة الملتوية، ويَتيسَّر على التُّجّار أصحاب هٰذه القوافل إنجاز مُعامَلاتهم الرَّسميّة لدى مُوظَّفي الجمرك الذين كانوا يقيمون عند الباب المذكور لأداء مُهِمّتهم الحكوميّة في القطاع التجاريّ ما بين داخل بيروت وخارجها.

وفي الثَّلاثينات من هٰذا القرن، عندما كانت بلديَّة بيروت تردم بقايا السور وتزيل أنقاض باب الدّباغة المُتَّصل به لتفتح الشوارع والأسواق في منطقة المرفأ، ظهرت تحت الردم والأنقاض آثار مذبح رومانيّ وحطام تمثال لأحد الفرسان، وقد نقلت هٰذه الآثار والعاديّات الأخرى إلى متحف الحكومة اللبنانيّة، وهي ما تزال محفوظة فيه حتى اليوم.

٤ - باب الدَّركة:

□ كان موقع هٰذا الباب عند رأس شارع اللنبي المعروف عند الجمهور باسم «شارع المعرض»، وكان بالقرب منه عدد من المنشآت الدينيّة الإسلاميّة والنصرانيّة وكذٰلك بقايا آثار تعود إلى العهدين الرومانيّ والبيزنطيّ في هٰذه البلاد. من المنشآت الدينيّة الإسلاميّة مَسجد صغير باسم «جامع الدركة». ومن المنشآت النصرانيّة «الكنيسة المسكوبيّة» التي بُنيت قبل نحو مائة سنة من زماننا على أثر الشقاق الذي حصل بين الروم والكاثوليك عند تغيير الحساب الشرقيّ بالحساب الغربيّ، ودير الآباء الكبّوشيين الذي أخلاه رهبانه سنة ١٨٧٠م وبداخله كان المقرّ الرسميّ للقنصل الفرنسيّ في أواخر العهد العثمانيّ.

وكان على مقربة من هٰذا الباب حمّام عموميّ يرتاده الناس قبل شيوع الحمّامات في البيوت السَّكنيّة، وعين ماء جارية مصدرها مَحلّة رأس النبع، هٰذه المَحلَّة التي كانت قديمًا إحدى ضواحي المدينة وهي الآن واقعة في صميمها. ولَعلَّها العين الوحيدة التي كانت في «بيروت القديمة» ومنها كانت مياه الحمّام الذي بقرب الباب.

وأبناء بيروت المُخضرَمون بين نهاية القرن الماضي وأوائل القرن الحالي تركوا لنا تذكارات لطيفة عمّا كان يقع أغلب الأوقات بين أولاد محلّة المُصلّى وأولاد مَحلّة الدَّركة من شبه مُناوَرة هجومًا ودفاعًا، وكانت مُعَدّاتهم العُصِيّ والمقلاع (النقيفة).

وممّا يذكره الشَّيخ عبد القادر قبّاني، على سبيل التَّفكهة من أخبار تلك الأيّام أنّ أولاد «ساحة الدَّركة» اتَّفقوا يومًا أن يقفوا صفًّا بانتظام لتأدية السَّلام إلى والي المدينة، وكان والي الايالة يومئذ صالح وافق باشا - وهٰذا قد تَولّى إيالة صيدا ثلاث مرات، وكان منزله في

المرَّة الأخيرة سنة ١٢٧٣ هـ في مَحلّة جُمَّيزة يمّين (الجميزة اليوم)، وكانت طريقه إلى دار الحكومة عن ساحة الدَّركة، فَمَرّ يومئذ ولم يَنتبه أو أنّه لم يَرق له الالتفات إلى أطفال فيردّ لهم التحيّة، فشقّ ذٰلك عليهم وأجمعوا أن يَحفروا في طريقه حفرًا (غميرات) عمقها نصف ذراع، وذرعها نصف ذراع، تُستَر فوهاتها بقضبان رفيعة وهشيم يعلوه الرَّمل، ففعلوا. وعند عودة الوالي مساء ابتعدوا عن المكان مُترقِّبين، وكان من عادة الوالي أن يركب فرسًا تحيط به حاشيته من الجنود والأتباع والحشم والاغوات، فعثرت رِجْل الفرس بحفرة أو حفرتين، إلّا أن الوالي كان فارسًا ماهرًا فلم ينله أذى، وكان ينهض من حفرة إلى أخرى وكذٰلك حاشيته التي ساءها الأمر، فعزمت على إنزال العقاب بأولاد المَحلّة فكان الوالي أسرع منهم في ردعهم عن ذٰلك. وقد امتنع أولاد المَحلّة مُدَّة عن الاجتماع في ساحة الدَّركة عند مرور الوالي، ثمّ اجتمعوا مَرّة أخرى ووقفوا له موقف التعظيم فسَلّم عليهم وتَلقوا سلامَه بالإكرام والاحترام.

من باب الدَّركة دَخَلَ إبراهيم باشا.

□ وإذا كان «باب الدَّركة» عاش مُغامَرات صبيان بيروت مع والي الإيالة فإنّ هٰذا الباب عاش قبل ذٰلك المُغامَرة التي قام بها إبراهيم باشا (المصريّ) لإنشاء دولة تحت تاج أبيه مُحمَّد علي باشا عزيز مصر على حساب الإمبراطورية العثمانيّة. ذٰلك أنّه في سنة ١٨٣٢م، وَصَلَ إبراهيم باشا إلى ظاهر بيروت وما لبث أن دَخَلَها فاتحًا من تحت قنطرة باب الدَّركة التي كانت تَحمل نقيشة باللُّغة اليونانيّة معناها العربيّ «أيُّها الداخل افتكر بالرحمة». وفيما كان هٰذا القائد المُنتصِر يجتاز الباب إذا بأفعوان ضخم يتلوَّى تحت حوافر حصانه، وكان لظهور هٰذا الأفعوان في تلك اللحظة التاريخيّة إيحاء بالتشاؤم لدى المحيطين بالقائد الفارس، إلّا أن إبراهيم باشا سُرْعان ما أهوى بسيفه على الأفعوان وقضى عليه وبذٰلك أذهب عن موكبه غمامة التَّشاؤم واستبدل بها موجة عارمة من التَّفاؤل المشوب بزهو الفتح والانتصار.

بَقِيَ علينا القول بأنّ جميع ما كان بجوار «بابَ الدَّركة» من المنشآت الدينيّة والعمرانيّة والطَّبيعيّة قد آل إلى الخراب. وما كاد العقد الثاني من القرن الحاليّ ينتصف حتى زالت من على وجه المنطقة جميع المَعالم الدالّة على هٰذه المُنشآت، وكذٰلك الحال بالنسبة لباب الدّركة نَفْسه الذي افتقده البيروتيّون للأبد وغاب اسمه عن أذهانهم كما نسيته ألسنتهم ولم يخطر لهم على بال. إلّا أنّ دائرة الآثار اللبنانيّة أرادت أن تستكشف عاديّات الأرض التي كانت بجوار هٰذا الباب فقامت بحفريّات في تلك المنطقة أدَّت إلى ظهور أنقاض أعمدة ضخمة في الجهة الشَّرقيّة منه وفيها ثلاثة مُنتصِبة كان السُّيّاح الأجانب يدعونها «سواري الأربعين» بينما كان الأهالي يُطلقون على المكان الذي دُفِنَت فيه هٰذه السواري الثلاث وبقيّة أنقاض الأعمدة الأخرى اسم «رجال الأربعين» وذٰلك بسبب خلفيّات من التَّقاليد الشعبيّة المُتوارَثة، سواء عند المُسلِمين أو عند

النّصارى من أبناء هٰذه المدينة.

و«الدّركة» هو اللّفظ العامّيّ لاسم فارسيّ مُركَّب من كلمتين: دَرْ بمعنى باب وكاة بمعنى قصر. فيكون هٰذا الباب يَحمل في الأصل اسمًا فارسيًّا ممّا يَجعلنا نميل إلى الظّنّ، بل التّرجيح، بأنّه من بقايا قصر قديم ذهب به البلى ولم يَبْقَ منه سوى بابه الذي أصبح فيما بعد أحد أبواب مدينة «بيروت القديمة» عندما بنى أحمد باشا الجَزّار سورها وبقية أبوابها. وممّا يَحملنا على هٰذا الظّنّ والتّرجيح ما كنّا قد أشرنا إليه قَبْلَ حين عن وجود الكتابة اليونانيّة على قنطرته العليا التي معناها بالعربية «أيّها الرّجل الداخل إلى هٰذا المكان افتكر بالرّحمة». أمّا سبب تسمية هٰذا الباب باللّغة الفارسيّة فيرجع إلى تأثُّر الناس في حينها باللّغة التّركيّة، لغة الدولة الحاكمة التي يَتخلّلها كثير من المُفرَدات والمُصطلَحات الفارسيّة الأصل. وإذا ربطنا بين وجود هٰذه الكتابة على قنطرة الباب وبين وجود الأعمدة العالية بجواره تحت التّراب أمكننا تبرير ما ذهبنا إلى استنتاجه بهٰذا الصّدد.

والنّقيشة المذكورة نقلتها دائرة الآثار في المضي إلى ساحة البرج. وفي الشّروح التي وَضعها الأب لويس شيخو اليسوعيّ على كتاب «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى تفصيل خبر هٰذه النّقيشة وتفسير معناها.

ويُعتبَر باب الدّركة أجمل أبواب «بيروت القديمة» لما كان عليه بناؤه من متانة وإتقان. ومن حُسْن الحَظّ أنّ هناك ثلاث صور أُخِذَت له قَبْلَ زواله مرسومة من داخل السور، ومن هٰذه الصور تَتبيَّن هندسته وما كان قائمًا بجواره. إثنتان من هٰذه الصُّوَر للمُصوِّر مونغور (Mongort) والثالثة للمُصوِّر لوهو (Le Houx).

وهٰذه الصُّوَر الثّلاث أُخِذَت للباب من جهتيه الشّمالية الشّرقيّة والشّماليّة الغربيّة، وهي توحي بأنّ بناءه مُربّع الشّكل تقريبًا. وهٰذا البناء مُؤلَّف من قسمين يَختلف زمان أحدهما عن الآخر. فالقسم الخارجيّ يعلوه برجان مُربَّعان كان يجمع بينهما حائط. ويُؤخَذ من أساس البناء وأغلاقه المُختلِفة اللّون مُناوَبة أنّه من بناء العرب. أمّا القسم الداخليّ فهو خالٍ من النقوش، لواجهته أربع نوافذ بيضاويّة الشّكل غير مُتساوِية الارتفاع. أمّا السور فهو على علوّ الباب في زاويته الشّرقيّة الشّماليّة ويَبلغ علوّه وَسَط الباب في الجهة الغربيّة. وبناء الباب من الجهتين الشّرقيّة والغربيّة مستقيم، له في أعلاه مَوقف للدّفاع، مع صفَّين من الكُوَى المُعَدَّةِ لِرمي القذائف - وشرفاته - أي الباب، مُروَّسة بشكل تدريجيّ وهي أعلى من مُستَوى السور. وهناك مكان مُخصَّص للحرس لضرب العدوّ على ارتفاع حوالي ثلاثة أمتار فوق مستوى الأرض وفي هٰذا المكان سبع كُوى لرمي القذائف تحت تَصرُّف الحرس.

٥- باب يَعقوب:

□ هٰذا الباب يقع في جنوبي «بيروت القديمة» في المكان الذي يحاذي الطَّرف الشّماليّ من أوّل الطّريق المُؤدِّية إلى جامع زقاق البلاط المعروفة عند الناس باسم «طلعة الأميركان» لأنّه يُوجَد بقربها منشآت دينيّة ومكتبيّة للأميركان البروتستانت، وقد تَهدَّمت

هٰذه المنشآت خلال الأحداث الأخيرة في بيروت، وكان هٰذا الباب، قديمًا، يفضي من خارجه في ظاهر السور إلى ساحة رمليّة فيها بعض أشجار الجُمّيز. وهي الساحة التي عُرفت آنذاك باسم «ساحة عصور» وفيها كان البيروتيّون يقضون مواسم أعيادهم الدينيّة. وقد أصبحت هٰذه الساحة معروفة في أيّامنا باسم «ساحة رياض الصلح» لوجود تمثاله فيها.

وفي رأي الفيكونت فيليب دي طرازي أنّ هٰذا الباب أقامه أحمد باشا الجَزّار في أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ بدلًا من باب آخر كان يقع على مسافة نحو عشرين مترًا في شماله، وذٰلك حينما حاوَل هٰذا الحاكِم ترميم سور بيروت وأدخل في نطاقه مساحات جديدة من الأراضي البور ممّا كان بجواره في ذٰلك الحين.

ولٰكن لماذا نُسِبَ الباب إلى يعقوب؟

كنّا مِن قَبْلُ قد ذكرنا أنّ أبواب مدينة «بيروت القديمة» اشتهرت بأسماء المناطق التي تقع فيها أو بأسماء الأشخاص الذين تَولَّوا حراستها لمدَّة طويلة. وباب يعقوب هو من الأبواب التي اكتسبت اسمها من أحد الأشخاص الذي كان يسكن بالقرب منه وكان اسمه «يعقوب»، بَيْدَ أنّ شخصيّة صاحب هٰذا الاسم موضع خلاف. بعضهم قال إنّ الباب منسوب إلى يعقوب الكسروانيّ الذي كانت داره فوق الباب. وهٰذا هو رأي دومنيل دوبويسون. وقال آخرون إنّ هٰذا الباب منسوب إلى طبيب صيداويّ اسمه «يعقوب أبيلا» سَكَنَ الدار المذكورة في أواسط القرن التاسع عشر (الميلاديّ) وكانت عيادته حيث يعالج المرضى في فناء الدار نفسها، ويعقوب أبيلا أصبح فيما بعد قنصل إنكلترا في صيدا وكانت وفاته سنة ١٨٧٣م، وهو ابن طبيب مالطيّ دَخَلَ في خدمة جيش نابليون بونابرت أثناء حصار هٰذا الجيش لمدينة عكّا أيّام الوالي أحمد باشا الجَزّار في السّنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر (الميلاديّ).

عندما وصف دومنيل دوبويسون باب يعقوب كما رآه حوالي سنة ١٩٢٠م، قال: «... غَمَرَ الرَّمل «باب يعقوب» وهو اليوم مَعبر مبنيّ تحت شارع السراية (أي مَقرّ رياسة الحكومة اللُّبنانيّة سابقًا) ينفذ إلى غربي شارع فخر الدين (رياض الصُّلح حاليًّا) ويقيس هٰذا الباب حاليًّا مترين وسبعين سنتيمترًا في العلوّ، ومِثْله قياسًا في عَرْضه، وهو يُشبِه في صورته وتنظيمه بابي السَّراية والدِّباغة. وسِمْك الحائط خمسة وسبعون سنتيمترًا، ولا تزال دفّتاه في مكانهما، وهما تَتألّفان من أخشاب ذات تقاطيع منقوشة من داخلهما وهما مُصفَّحتان من الخارج بالحديد والمسامير البارزة الرُّؤوس وفي إحدى الدَّفّتين خادعة (أي فُتْحة صغيرة كنّا نُسمِّيها شرّاقة) وهناك بقايا عقود تُبيِّن أنّ البناء كان مُتواصِلًا إلى جهة الشَّمال ينتهي إلى سوق مُسقَّف. هٰذه الآثار كلّها تُرى تحت الطريق الحاليّة». انتهى كلام دوبويسون، أقول:

من المَعالم البارزة التي كانت بجوار «باب يعقوب» عين ماء جارية كانت تُسمَّى أيضًا بـ«عين يعقوب»، ومَسجد صغير له مئذنة من الخشب كان يُسمَّى «جامع شيخ الشرْبة». وإلى الجهة الشَّرقيّة الجنوبيّة من الباب كانت تَمتدّ

«ساحة السور» المُتصِّلة «بباب الدَّركة». وقد ذكرنا من قبل أنّ هٰذه الساحة كانت المكان الذي يقضي فيه البيروتيّون مَواسم أعيادهم.

على أنّ هٰذه المَعالم كلّها قد غابت وطَوَتها يد العفاء مع الزّمن. بَيْدَ أنّ «باب يعقوب» نَفْسه بَقِيَ جزء منه ظاهرًا للعَيان بين الأنقاض المُتراكِمة عليه. وإنّني، شخصيًّا، أدركت هٰذا الباب قَبْلَ نحو أربعين عامًا، وهو غائر تحت طريق «طلعة الأميركان» قَبْلَ تخطيط هٰذه الطَّريق وتوسيعها. أمّا اليوم فإنّ «باب يعقوب» أصبح نسيًّا منسيًّا ولم يعد أبناء الجيل الحاضر يسمعون به أو يعرفون عنه شيئًا.

وجدير بالذِّكر أنّ «باب يعقوب» هو آخِر ما زال من أبواب «بيروت القديمة».

٦- باب إدريس:

كان هٰذا الباب يقع في المِنطقة التِّجاريّة التي ما تزال حتّى اليوم تَحمل اسمه. وتشير التَّقاليد أنّ مَوقعه بالضَّبط كان على امتداد حائط كنيسة الآباء الكبّوشيّين التي ما تزال موجودة في مكانها القديم. وإذا كانت جميع أبواب «بيروت القديمة» قد زالت وكذٰلك أسماؤها فإنّ «باب إدريس» زالَ رَسْمه وبَقِيَ اسمه. و«باب إدريس» اليوم اسم يُطلَق على المِنْطقة الواقعة ما بين سوق البازركان القديم في الشَّرق وبين بناية ستاركو في الغرب وما بين كنيسة الكبّوشيّين في الجنوب وحتّى سيف البحر عند مقهى الحاج داود في الشَّمال.

وهٰذه المِنْطقة تُعتبَر «سرّة المدينة» وهي تَتمتَّع بسمعة تجاريّة واسعة سواء بالنِّسبة للسوق المحلّيّة في بيروت ولبنان أو بالنِّسبة للأوساط المالِيّة والاقتصاديّة في الأسواق العالَميّة.

والمِنْطقة التي كان باب إدريس يقع فيها قديمًا هي المِنْطقة المعروفة اليوم باسم «باب إدريس»، وكانت جزءًا من القطاع الزِّراعيّ المُمتَدّ داخل سور المدينة. وكان السور يَمتدّ من الباب المذكور إلى سوق الجميل حيث كان باب المدينة الأخير المدعوّ «باب السنطيّة» قريبًا من البحر وأمامه «مَقبرة السنطيّة».

وفي الخرائط العسكريّة الإنكليزيّة المأخوذة في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد خلال حروب إبراهيم باشا المصريّ، يظهر بإزاء الباب من داخل المدينة حقل من أشجار التوت يَمتدّ على طول السور من البحر إلى باب إدريس نَفْسه.

وسبب تسميته «باب إدريس»، أنّه بالقرب من هٰذا الباب كانت تسكن عائلة آل إدريس» وهي من الأسر البيروتيّة الكريمة، أفرادها ما يزالون يقيمون في بيروت. وبسبب مُجاوَرة آل إدريس للباب المذكور أُطلِق عليه اسم هٰذه العائلة، وما زال الأمر كذٰلك حتّى اليوم، بَيْدَ أنّ هٰذا الاسم أصبح عَلَمًا على المِنْطقة التِّجاريّة التي كان الباب يقع فيه قبل زواله.

كيف أزيل الباب والآثار التي تَرتَّبت على ذٰلك؟

في سنة ١٨٥٩م قدِمَت شركة فرنسيّة صاحبة امتياز فتح طريق بيروت - الشام وأرادت أن تَهدم «باب إدريس» وقسمًا من سور المدينة لإيصال الطَّريق إلى البحر. إلّا أنّ أبا صالح إدريس صاحب الدار التي تجاور الباب وتلتصق به رفض التَّخلّي عن مِلْكه وأصرّ على البقاء فيه. فقال له والي بيروت كلامًا، وُصِفَ

يومها بأنّه شبيه بالتّنبُّؤ:

«إنّك ستذكرني يومًا بالخير وتتمنّى لِنفْسي الرَّحمة إذا رأيت ما سيحصل من المنافع بفتح هٰذه الطَّريق!».

وقصّة هٰذا الباب ما بين الوالي وبين آل إدريس رواها لنا بتفاصيلها المثيرة الشّيخ عبد القادر قبّاني حيث قال:

«لمّا كانت صيدا إيالة، قَدِمَ بيروت أحمد مُخلص أفندي لِتخطيط الطَّريق خارج أبواب بيروت، وكان الأهالي قد شرعوا في البناء في كروم التوت داخل السور وفي أبراجهم خارج البلدة أو في بساتينهم بجوار أبراجهم المُتقدِّم ذِكْرها، وقد اقتضى بحسب التّخطيط فتح باب أبي النَّصر و«باب إدريس». وحَدَثَ أن فتح «باب إدريس» وطريقه كانت في كرم توت لآل إدريس، وكانت والدتهم مُتقدِّمة في السِّنّ، فأغاظها جَعْل بستان التوت طريقًا، فأخذت تَسخط و«تدعو» على أحمد مُخلص أفندي، فكان يجيبها قائلاً: سوف تَخصّين أحمد مُخلص بدعواتك الخيريّة. ثمّ إنّه لمّا قَدِمَ مُخلص باشا سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٦م) واليًا على سورية، وكانت بيروت تابعة لها، قَصَدَ «بَوّابة إدريس» فَوَجَد كرم التوت تَحوّل إلى مَخازن ودكاكين ومَنازل. فذهب إلى مَنزل تلك السَّيِّدة وسألها عمّا إذا كانت لا تزال ساخطة على أحمد مُخلص أم أنّها عَرَفَت له حُسْن عَمَله فاعتذرت إليه وأكثرت من شكره والدُّعاء له بالخير!».

٧- باب «أبو النَّصْر»:

□ في أواخر القرن الماضي انتشر في بيروت وباء أصيبت به عيون الأطفال في مدينة بيروت. وهٰذا الوباء هو نوع من الرّمد يُدعَى «تراخوما». ولمُكافحة هٰذا الوباء وعلاج المرضى به قَدِمَت إلى بيروت بعثة من راهبات اللعازاريّة ضَربت خيامها تجاه درج خان البيض الحاليّ (رجال الأربعين سابقًا) في نَفْس المكان الذي شُيِّدت فيه بنايات اللعازاريّة اليوم وكان يومذاك أرضًا بورًا. وقد فَلحت هٰذه البعثة في إنجاز ما قَدِمَت من أجْله وخَفَّت وطأة وباء التراخوما في البلد ممّا حَمَل السُّلطان عبد الحميد (الثاني) على إصدار فرمان شاهاني بتقديم الأرض التي خَيَّمت فيها الراهبات المذكورات مِلْكًا لهنّ وذٰلك جزاء على خدماتهنّ الطِّبّيّة الإنسانيّة.

ولكي تكون البادرة السُّلطانيّة مُتوازِنة بين النَّصارى وبين المسلمين فإنّ عبد الحميد أصدر في نفس الوقت فرمانًا شاهانيًّا آخر مَنَحَ بموجبه المسلمين، عن طريق نقيب الأشراف المرشد أبي الوفاء عمر أبي النَّصر اليافي، قطعة أرض أخرى في الجهة الغربيّة الجنوبيّة من «سهلات البرج» أي «ساحة البرج» اليوم ليفيدوا من ريع ما يريدون بناءه في هٰذه الأرض. والذي حَصَلَ آنذاك أنّ الراهبات بنين على الأرض الموهوبة لهنَّ ديرًا ومأوى عرف باسم «دير اللعازاريّة» وجعله مأوى للّقطاء من البنات غير الشرعيّات وفيه جناح خاصّ لمداواة المصابين من الأهلين برمد التراخوما وغيره من أمراض العيون.

وقد أدرك أبناء جيلنا هٰذا الدير وبعضهم عالجوا عيونهم فيه وذٰلك قَبْلَ أن يُنقض بناؤه بعد الأضرار الجسيمة التي أصيب بها خلال المُظاهَرات الغاضبة التي اجتاحت بيروت

احتجاجًا على التحدّيات التي قام بها عملاء الانتداب الفرنسيّ بمُناسبَة دخول قوّات فرنسا الحرّة بقيادة الجنرال شارل ديغول إلى باريس بَعْدَ تحريرها من الألمان سنة ١٩٤٥م. أمّا الأرض التي وُهبت للمسلمين فإنّ نقيب الأشراف بنى فيها سوقًا تجاريًّا عرفت من حينها باسم «سوق أبو النّصر»، وبنى كذٰلك دارًا فخمة لسكناه خَصَّص بعض غرفها باسم «الزاوية الخلوتيّة» التي كان هو نفسه شيخًا لها. وفي هٰذه الدار نَزل الأمير عبد القادر الجزائريّ عندما مَرّ ببيروت في طريقه إلى دمشق التي اختارها لإقامته بعد تَغَلُّب الفرنسيّين عليه في الجزائر. وكانت الدار المذكورة وقتئذ أجمل أبنية المدينة.

وفي زمن لاحق تَحوّلت هٰذه الدار إلى مسجد تقام فيه الصّلاة أطلق عليه الناس اسم «جامع محمّد الأمين». ثم تألّفت لجنة برئاسة الطّبيب الإنساني مُحمّد خالد، رحمه الله، وَضعت يدها على البناء وما حوله تمهيدًا لإقامة جامع كبير في نفس المكان باسم «جامع مُحمّد الأمين».

وفي تحديد صفة «باب أبو النصر» وأسلوب بنائه ومكانه، يقول الكونت دومنيل دوبويسون:

«... هناك زقاق ومَعبر مُقبّب يتّجه إلى الجنوب الغربيّ نحو كنيسة مار جرجس الكاتدرائيّة (المارونيّة) فإنّها كانت داخلة ضمن السور. وآخرَ دار تراها في هٰذا المعبر عن شمالك قَبْلَ دخولك تحت البناء المُقبّب، هي دار الأمير عبد القادر سَكَنها عندما مَرّ ببيروت. ويُدعَى ذٰلك المعبر المُقبّب الذي بقرب هٰذه الدار «باب أبو النّصر» يَنفذ منه الإنسان إلى «سوق أبو النّصر». ومن دَقَّقَ النّظر في هٰذا الباب لا يَسعه أنّ يُسلّم بكونه من أبواب المدينة رغمًا عمّا يُرَى على جداره الخارجيّ من آثار التحصين. لأنّه يَجب إذ ذاك القول بأن السور الوارد من «باب السّراية» كان يَستند إلى زاوية هٰذا البناء في شماله الغربيّ، وذٰلك ممّا ينكره التّقليد المحلّيّ».

هٰذا، وإنّ الروس عندما ضربوا بيروت بمدافعهم سنة ١٧٧٣م لإخراج أحمد باشا الجَزّار منها وتسليمها للأمير يوسف الشّهابي، عجزوا عن التّأثير على سورها واقتحامه، فنَزلوا من مَراكبهم الحربيّة ومعهم مِدْفَع ضَخْم ركّزوه عند السور ما بين باب السراي وباب أبو النّصر، وفَتحوا في هٰذا المكان ثلمة دَخلوا منها إلى قلب المدينة واحتلّوها لبعض الوقت. ومن ذلك الحين عُرف المكان الذي وُضِعَ فيه المدفع باسم «ساحة المدافع» (Place des canons) وهي أصبحت اليوم تحمل اسم «ساحة البرج» على أنّ الكُتّاب الأجانب ما زالوا يُطلقون عليها اسم «ساحة المدافع» حتى اليوم.

أبواب أخرى وَصَلت أسماؤها إلينا.

وقَبْلَ أن نَترك الكلام في موضوع هٰذا الباب فإنّنا نُعرب عن شَكّنا في جدِّيّة اعتباره من أبواب «بيروت القديمة»، ونُرجّح أنّ أحمد باشا الجَزّار هو الذي أقام في ذٰلك المكان بناءً أطلق عليه الناس اسم «باب أبو النّصر» وهو في الحقيقة مَمرّ عاديّ تعلوه القباب لا أكثر ولا أقلّ.

بالإضافة إلى الأبواب السّبعة التي قدَّمنا الكلام عنها، فإنَّ هناك أسماء أبواب أخرى وَصلت إلينا عَبْرَ بعض الكتابات التاريخيّة والصّحفيّة، منها «باب يوسف إدّة»، الذي وَرَدَ ذكره في مقال كتبه الأب لويس شيخو اليسوعيّ في مَجلَّة «المشرق» التي كان يُصدرها اليسوعيّون في بيروت. قال هٰذا الكاتب:

«... وكان من أملاك بني إدّة في ذٰلك الزّمان (أيّام الجزّار) في بيروت قسم من «حيّ الدّركة» حيث بنيت الكنيسة المسكوبيّة (الروسيّة) وبجوارها يُدعَى إلى اليوم (١٨٩٩م) «باب يوسف إدّة».

ونحن لا نعرف عن هٰذا الباب أكثر ممّا قاله الأب المذكور.

ومنها «باب السّنطية» وقد تَردَّد اسم هٰذا الباب كثيرًا فيما عثرنا عليه من النصوص المُتعلِّقة ببيروت القديمة. ولٰكنّ أحدًا من الكُتّاب أو المُؤرِّخين لم يَذكر لنا أيَّ معلومات مُفصَّلة عن هٰذا الباب. والسّنطيّة من محلات «بيروت القديمة» وهي عند الطَّرَف الشّماليّ من المدينة بمحاذاة البحر.

هٰذا، وقَبْلَ أن نطوي صفحة الحديث عن أبواب «بيروت القديمة» لا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ السّيّد فاروق الضّناوي، وهو من أبناء هٰذه المدينة المعروفين، قال بأنّه يحتفظ بمفاتيح الأبواب المذكورة. ونحن لم نَرَ بالفعل هٰذه المفاتيح، وإذا كان ما يقوله السّيّد الضنّاوي صحيحًا فإنّنا نرى بأن تُهدَى هٰذه البقايا التاريخيّة إلى المُتحَف الوطنيّ لتبقى تذكارًا من ماضي «بيروت القديمة» إلى حاضر ومُستقبَل «بيروت الحديثة»، وتكون في جملة التُّراث الوطنيّ لهٰذه المدينة العزيزة على قلوبنا جميعًا.

وبَعْدُ.

هٰذه هي حكاية التاريخ عن الأبواب السّبعة التي كانت «بيروت القديمة» تَتحصَّن وراءها كُلّما أوجست خيفة أو أحسّت بريبة من غَدْر الغادرين أو طَمَع الطامعين سواء كانوا من وراء البحار أو من قمم الجبال. وعندما استباح إبراهيم باشا (المصريّ) حمى المدينة سنة ١٨٣٢م أُشرِعت هٰذه الأبواب وفُتِحَت على مَصاريعها واندفع السكّان بالبناء والإقامة خارج السور. ولم يَبْقَ من «بيروت القديمة» وسورها وأبوابها إلّا التّذكارات التي نختمها بالدُّعاء المأثور الذي كان أجدادنا العرب يرقمونه على أقواس أبواب أسوارهم وحصونهم:

«يا مُفتّح الأبواب، افتح لنا خير الباب»[١].

---

(١) مَقالة للشّيخ طٰه الولي صدرت في مجلّة المقاصد البيروتيّة. العدد ٢١ - كانون الثاني ١٩٨٤.

حَرْفُ التَّاء

التَّاسوعات

□ في اليونان، نشر بورفوريوس الصوريّ (Porphyry) كتاب التَّاسوعات (Ennead) وضَمَّنه مجموعة أعمال أستاذه أفلوطين (Plotin)[1]، وقد رتّبها في ستّة أقسام يتألّف كلّ منها من تسعة فصول، ومن هنا سبب تسميتها. تبحث التَّاسوعة الأولى بصورة خاصّة في الأخلاق، والثّانية والثّالثة في أحوال العالَم، والرّابعة في النّفس، والخامسة في الذّكاء، والسّادسة في «الواحد» أي الذّكاء العالميّ...

تَسْجيل العَدَد

□ احتلّت الأعداد مكانة رفيعة في الفكر الدِّينيّ المصريّ. وكان المِصريّون من الشُّعوب الأولى التي سارَعت إلى استنباط نوع من نظام عشريّ لتسجيل الأعداد. وكانت الوَحدات تُكتَب كشرطة مُفردة رأسيّة، فتُسجَّل الأربع وَحدات كأربع شُرَط. ويُستعمَل رَمْز جديد على شَكْل حافِر الحصان (n) ليَدلّ إلى عَشر وَحدات، بينما تُستعمَل الرُّموز الأخرى لِتسجيل المئات والألوف وعشرات الألوف. لذلك فإنّه لكتابة عَدد مِثْل ٩٨، كان المِصريّون القُدَماء يُدوّنون ثماني شُرَط وتسعة رموز للعدد عشرة. وفي سُلَّم الأعداد كانت زَهرة اللوتس تعني الألْف، ويُرمَز إلى المئة بضِفْدَعة لها ذَنَب طويل، وإلى المليون بِرجل مُقرفص يَرفع يَده نحو السَّماء.

في اليونان.

□ في العام ٢٠٠٠ ق.م. اعتمدت جزيرة كريت (Crete) نظامًا حسابيًّا شبيهًا بالنِّظام الحسابيّ المصريّ المُرتكِز إلى القاعدة العشريّة. وتأثّر الإغريق بأهالي جزيرة كريت واعتمدوا القاعدة الحسابيّة نَفْسها. وفي زَمن صولون (٦٤٠- ٥٥٨) ق.م. استخدم الإغريق الحروف الأولى لكلمات الأعداد في كتابتها. ومع مَطلع القرن السادس أدخلوا رموزًا عدديّة جديدة، ثمّ عَدَّلوا النِّظام الحسابيّ بكامله.

عند الرُّومان.

□ عَرَفَ الرُّومان النِّظام العدديّ المصريّ، فتَبنّوه وأدخلوا عليه تعديلات طفيفة بطريقتين:

(١) فيلسوف ولد في مصر (٢٠٣- ٢٧٠) م.

تَقضي الأولى بإدخال رُموز إضافيّة لِتَدلّ إلى الخمسة والخمسين والخمسمئة... والثانية بوضع رَمْز للقيمة الأصغر أمام أو خَلْف القيمة الأكبر، لِتوضيح ما إذا كانت ستُضاف أو تُطرَح للحصول على العدد المطلوب. وكانت الأعداد الرّومانيّة عبارة عن عَلامات صوتيّة: فالرَّمز V يدلّ إلى الخمسة، و X إلى العشرة، و L إلى الخمسين، و XL إلى الأربعين (خمسون تنقصه عشرة)، و LX إلى السّتّين (خمسون تزيده عشرة) و C إلى المئة، و D إلى الخمسمئة، و M إلى الألْف.

في الهند.

□ في العام ٥٠٠م، بَلَغَ عِلْم الفَلك مَرحلة غدت فيها العَمليّات الحسابيّة ضرورة لا بدّ منها، وقد تَحقَّق هٰذا الأمر خصوصًا في الأبحاث التي نَفَّذها الخُبراء في البنجاب، في وقت ظَهَرَت فيه الثّقافات الهندوسيّة والبوذيّة واليونانيّة. وبعد العام ٥٠٠م بقليل، قَرَّر الفلكيّ الهنديّ آريابهاتا (Aryab hâta) أن يُغيِّر العَلامات المُزعِجة التي وُضِعت برموز تُمثِّل الأعداد من واحد إلى تسعة على المعداد. إلى ذٰلك، تَحقَّق من أنّ القيمة العدديّة المعطاة للرَّمز يمكن أن تَتوقَّف على مَكانه، وبهٰذا فإنّ الرَّمز للعدد ثلاثة يُمكِن أن يَعني ثلاث وَحدات في العمود الأوَّل، وثلاثين في العمود الثاني، وثلاثمئة في العمود الثالث... ومن ناحية أخرى، أدخل فكرة «العدّ الوضعيّ» التي تُستعمَل حالِيًّا، وهي فكرة مُبدئيّة في الاستعمال العمليّ للمعداد. لذٰلك، وَجب إجراء تعديل آخَر. وعند استعمال المعداد، تكون الطَّريقة العمليّة الصّحيحة بِتَرْك حَيِّز أبيض في العمود. وعند تسجيل الأرقام كأعداد رومانيّة، لم تكن هناك حاجة للعدد صِفر، لذٰلك قُرِئت CV = ١٠٥. ولم تكن هناك حاجة لِتَسهيل عَدم وجود العشرات في العدد. ومع ذٰلك، فإنّه، بالعدّ الوضعيّ، كانت الرُّموز مَطلوبة، لِتُوضِح أنّ الحَيِّز شاغِر.

لقد وَضَعَ الهنود الكثير من قوانين عِلْم المُثلَّثات الذي ارتبط بالحساب، وقَسَّموا السَّنة اثني عَشَرَ شهرًا؛ وعرفوا الأعداد، وعنهم أخذها العرب، كما عَرفوا الصِّفر والنِّظام العشريّ، إضافة إلى المُتواليات الحسابيّة والهندسيّة.

في الصِّين.

□ إستنتج الباحثون أنّ العيوب الكبيرة لهٰذه الأنظمة كُلّها تَتمثَّل في عدم إمكان إجراء العمليّات الحسابيّة البسيطة. ولا تُمثِّل عمليّات الجمع أو الطَّرح أيّ صعوبة، لٰكنّ ضَرب عددين كبيرين كان أمرًا مُختلِفًا تمامًا، ويَرتكز الحلّ العمليّ إلى استعمال تَعداد يُسمَّى «تختة رمل»، لئلّا يَلتبس الأمر مع تَعداد الخَرز، وهي الطَّريقة التي استعملها الصِّينيّون للمرّة الأولى.

وفي البداية، كانت تُرسَم في الرَّمل شبكة بخطوط رأسيّة وأُفقيّة ومائِلة، وتُصوَّر الأعداد المطلوب ضَرْبها كعَلامات في الرَّمل، بطول الطَّرَف العلويّ، وإلى أسفل جنب الشَّبكة. ثمّ يُضرَب كُلّ عمود مَوضعًا بموضع في الآخر، وتُسجَّل الوَحدات تحت الخطّ المائل، والعشرات فوقَه في كلّ مُربَّع، وتُوقَع النَّتيجة

بطول الطَّرف الجنب وأسفل الشَّبكة. وتُكتَب النَّتيجة التي حَصَلَ عليها بالأعداد اليونانيّة أو الرّومانيّة. وقد جَعَلَ هٰذا الإجراء المُعقَّد العمليّات الحسابيّة المُركَّبة صعبة جدًّا، وغالبًا ما تحتاج إلى خبراء.

وكان النِّظام الحسابيّ الصّينيّ يَضمّ ثلاثَ عَشْرَةَ علامة فقط، وهي ليست أعدادًا بِقَدْر ما هي عَلامات من اللُّغة الكتابيّة الصينيّة، أي إنّها علامات - كلمات تُمثِّل القيمة الفكريَّة والصَّوتيّة للكلمات الصّينيّة للأعداد المُطابِقة. وقد عَرفت الصّين العَمليّات الأربع، واستخرجت الجَذْر التَّربيعيّ، واتَّخذت الحروف رموزًا للأعداد[١].

في المكسيك.

□ اعتمدت شعوب الأزتيك (Aztèques) قاعدة العشرين، فكانت الأعداد تُشكِّل من صور عشرين إلٰهًا، وهٰذا التَّرقيم لا يُستعمَل إلّا في الحالات المُعقَّدة؛ وكان يُوجَد إلى جانب هٰذا التَّرقيم ترقيم آخَر أَبْسَط منه حيث يُمثَّل العدد واحد بنقطة، والاثنان بنقطتين، والخمسة بخَطّ صغير، والسِّتّة بخَطّ صغير ونقطة، والعدد ١٥ بثلاثة خطوط صغيرة؛ أمّا الصِّفر فتُمثِّله صورة قَوقعة.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ عبَّر العبرانيّون عن الأعداد بالحروف الهجائيّة. وأكّد القدّيس إيرونيموس أنّ المكابيّين كانوا يُعبِّرون عن العدد بالحرف.

عِنْدَ العرب.

□ لمّا فَتَحَ العَرَب البنجاب مع مَطلع القرن الثامن، تَبنّوا نظام الفلك وقواعد الجبر والطُّرق الحسابيّة الهنديّة. وبَدَأ انتشار الأعداد الهنديّة في زَمن المنصور (١٥٤هـ) حين حضر إلى بغداد الفلكيّ الهنديّ كانكا (Kanka) الذي أحضر معه كتاب سندهانتا (Sindhânta)، ومنه اطَّلع العرب على الأعداد الهنديّة، وهي التي تستعملها الأقطار العربيّة والإسلاميّة والتي تُعرَف بـ «حِساب الجُمَّل».

وترى الباحثة زيغريد هونكيه (Ziegried Honkieh) في كتابها «شمس العرب تَسطع على الغرب» أنّه في العام ٦٢٢م انتقلت الأعداد الهنديّة خارج الهند إلى مدرسة على الفرات يَرأسها العالم السوريّ سايروس سابوخت.

لقد أَخَذَ العرب عن الهند أعدادها بعدما كانوا يستعملون حساب الجُمَّل القائم على إعطاء كلّ حرف من حروف الأبجديّة قيمة عدديّة على النَّحو التالي: أ = ١؛ ب = ٢؛ ج = ٣؛ د = ٤. هـ = ٥؛ و = ٦؛ ز = ٧؛ ح = ٨؛ ط = ٩؛ ي = ١٠؛ ك = ٢٠؛ ل = ٣٠؛ م = ٤٠؛ ن = ٥٠؛ س = ٦٠؛ ع = ٧٠؛ ف = ٨٠؛ ص = ٩٠؛ ق = ١٠٠؛ ر = ٢٠٠؛ ش = ٣٠٠؛ ت = ٤٠٠؛ ث = ٥٠٠؛ خ = ٦٠٠؛ ذ = ٧٠٠؛ ض = ٨٠٠؛ ظ = ٩٠٠؛ غ = ١٠٠٠.

وعَرَفَ العرب نوعين من الحساب: الغباريّ ويحتاج صاحِبُه إلى قَلم وورقة أو لوح،

(١) كتاب التكنولوجيا - الشركة الشرقية للمطبوعات - ص ١٥.

والهوائيّ أو الذّهنيّ الذي لا يحتاج صاحِبَه إلى قَلم وورقة، ويُفيد التُّجار ورِجال الأعمال.

وعَرَفَ العرب الكسور العشريّة، وبحثوا في خواصّ الأعداد، فعرفوا العدد الناقص[١] والعدد الزائد[٢] والعدد التامّ[٣] والأعداد المُتحابّة[٤]. وتأثّروا بالمدرسة الفيثاغوريّة، فأخذوا منها المُتواليات الحسابيّة والهندسيّة.

(١) العدد الناقص هو كُلّ عدد إذا جُمعت أجزاؤه كانت أقلّ منه. مثل العدد ١٠ فإن أجزاءه (١، ٢، ٥) ومجموعها ٨ أقل من ١٠.

(٢) العدد الزائد هو كُلّ عدد إذا جُمعت أجزاؤه كانت أكثر منه. مثل العدد ١٢، فإن أجزاءه هي (١، ٢، ٣، ٤، ٦) ومجموعها ١٦ وهٰذا العدد أكثر من العدد ١٢.

(٣) العدد التامّ هو كُلّ عدد إذا جُمعت أجزاؤه كانت الجملة مثله سواء، أي حاصل الجمع يساوي العدد نفسه. مثال: ٦، ٢٨، ٤٩٦، ٨١٢٨. فأجزاء العدد ٦ هي: ١، ٢، ٣ وجمعها ٦. والعدد ٢٨: ١، ٢، ٤، ٧، ١٤، وجمعها ٢٨.

(٤) العَددان المُتحابّان: يقال للعددين إنّهما متحابان إذا كان مجموع أجزاء أحدهما يساوي الثاني، ومجموع أجزاء الثاني يساوي الأول. العددان: ٢٢٠ و٢٨٤ متحابّان لأن أجزاء العدد ٢٢٠ هي ١، ٢، ٤، ٥، ١٠، ٢٠، ٢٢، ٤٤، ٥٥، ١١٠، وجملتها ٢٨٤. وأجزاء ٢٨٤ هي: ١، ٢، ٤، ٧١، ١٤٢، وجملتها ٢٢٠.

إلى أوروبا.

□ بَلَغَ الحساب العربيّ أوروبا من طَريق الأندلس، حيث أَلّف العالِم العربيّ مُحمَّد بن موسى الخوارزمي كتابًا في الحساب نَقَلَه إلى الغرب آدلارد أوف باث (Adlard of Bath). ويقال إن ليوناردو فيبوناسي (Leonardo Viponassi) أدخل النِّظام الحسابيّ العربيّ إلى إيطاليا. ويقال أيضاً إنّ الأعداد العربيّة انتقلت إلى الغرب بواسطة الكاهن الفرنسيّ جربير دورياك (Gerbert Doriac)[٥].

تِسْعَة

□ يَرمز التِّسعة، في الحضارات القديمة، إلى القَداسة، خصوصًا في الهند، وهو مُضاعَف الثّلاثة، رَمْز الخَلْق والخير. كذٰلك فإنّ الثّمانية عَشَرَ، مُضاعَف التِّسعة، عَدد مُقدَّس أيضًا. ومن هنا، كلّ عدد يَضمّ الثّلاثة والتِّسعة يُعتبَر مُقدّسًا في الحضارات الشّرقيّة عمومًا.

في آكاد.

□ تقول الميثولوجيا إنّ اتّحاد إنكي (Enki) ونِنمورساج (Nin-Moursag) أعطى نِنهار (Ninhar) أو ننمو (Nenmu) إلٰهة النَّبات. وقد دامت فترة حَمْل ننمورساج تسعة أيّام حيث يُقابِل اليوم شهرًا في الحَمْل الإنسانيّ.

(٥) تاريخ العلوم عند العرب - دار مارون عبّود - ص ١١٩- ١٢٣.

في التوتونيّة.

□ في الميثولوجيا التوتونيّة، جاء في ملحمة فولوسبا (Volüspa) على لسان النّبيّة لافولفا (Lavölva): «أذكر المردة الذين وُلدوا في فَجْر العالَم / أذكر الذين أعطوني الحياة / أعرف تسعة عوالم / تسع مساحات تُغطّيها شجرة العالَم / هٰذه الشّجرة المبنيّة بحكمة والتي تنغرس في قَلْب الأرض / أعرف أنّه تُوجَد شجرة تُسمَّى إيغدرازيل (Yggdrasil) / رأس الشّجرة يسبح في بخار المياه البيضاء / حيث تسقط حبّات النّدى في الوادي / إنّه يَنتصب أخضر أبدًا فوق نبع أورد (Urd)».

في مِصْر.

□ يَتألّف مَجمع هليوبوليس (Heliopolis) أي مَجمع الآلهة إلى حلقة أوزيريس، من تسعة آلهة هم:

١- تمو أو اتمو (Etmu)، مُغلِق النّهار، تمامًا مثلما أنّ بتاح هو فاتح النّهار، إنّه صانع الآلهة، وصانع البشر.

٢- شو (Shu) المولود الأوّل لإتمو. تُصوِّره الأيقونوغرافيا ربًّا يَنهض من الأرض وقُرْص الشّمس على كتِفه. إنّه رَمْز النور، يقف على ذُرْوَة درج في هرموبوليس (Hermopolis) الكبيرة ويَرفع السّماء ويُمسكها في النّهار.

٣- تفنوت (Tephnut) الأخت التّوأم لِشو تَرمز إلى الرُّطوبة، وهي ربّة الموتى. كان أخوها شو العين اليمنى لإتمو، وكانت هي عينه اليسرى، أي أن شو هو مَظهر من مَظاهر الشّمس، وتفنوت من مَظاهر القمر. وهٰكذا شَكّل الآلهة الثّلاثة تمو وشو وتفنوت ثالوثًا.

٤- سب (Seb) إبن شو وهو والد الآلهة وهم أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس. كان، في الأصل، إله الأرض، لٰكنّه صار فيما بعد إله الموتى. وتُماهيه الميثولوجيا مع الوزّة، وهي الطائر الذي كان مُقدَّسًا لديه. ويُسمَّى هٰذا الإله «المُقوقىء الأعظم» لأنّه صنع البيضة البَدْئيّة التي انبثق منها العالَم.

٥- نوت (Nut) زوجة سب. كانت تشخيصًا للسّماء، وتمثيلًا للمبدأ الأنثوي. تُصوِّرها الأيقونوغرافيا أنثى تُسافِر الشّمس على جَسَدها، وأحيانًا تُرسَم كبقرة. أمّا شجرتها المُقدَّسة فهي الجُمَّيز.

٦- أوزيريس (Osiris). اغتاله أخوه ست غدرًا ومَزّق جَسَده إلى أَرْبَعَةَ عَشَرَ شلوًا بُعثِرت في مِصْر كُلّها. وبَعْدَ موته، نجحت إيزيس في إعادته إلى الحياة، بفضل الصِّيَغ السّحريّة التي زَوَّدها بها توت (Thot) وأنجبت منه ابنًا سُمّيَ حورس. وعندما كَبِرَ الابن، اشتبك في صراع مع ست وقَهَرَه، وثَأَرَ لأبيه.

٧- إيزيس (Isis)، ربّة من ربّات الطّبيعة، كان لها مَحلّ في زورق الشّمس يوم الخَلْق، حين كانت تَرمز إلى الفجر. إنّها «سيِّدة السّحر»، و«الأمّ المُقدَّسة».

٨- ست (Seth)، رَمْز اللّيل، بينما حورس يُمثِّل النّهار. كان يُرمَز إلى ست بحيوان له رأس يكاد يُشبِه رأس الجَمل.

٩- نفتيس (Nephtis)، رَمْز الشّفق أو الغلس، أي اللّيل المُبكِّر جدًّا. تَذكرها البَرْديّات

الجنائزيّة رفيقة دائمة لإيزيس في إسعافها الموتى[١].

وإلى جانب الآلهة التّسعة الكبار الذين يُشكِّلون «الجماعة العُظمَى» من آلهة مدينة هليوبوليس، هناك مجموعة ثانية من تِسْعة آلهة أخرى تُسمَّى «الجَماعة الصُّغرى»، ومجموعة ثالثة من تِسْعة آلهة تُسمَّى «الجَماعة الدُّنيا»[٢].

في فينيقيا.

□ تقول الميثولوجيا إنّ أدونيس ابن ملك من ملوك جبيل سيزاس، من ابنته مُرَّة التي اضطجعت مع أبيها وهو في حال السُّكر. وعند افتضاح أمْر حَمْلها منه، طَلَبَ أبوها قَتْلها، فهربت الفتاة والتجأت مُستغيثة بالآلهة التي حَوَّلتها بطريقة سحريّة إلى شجرة المرّ أو البخور، ولذلك كان يُحرَق البخور في عبادة أدونيس. وبعد تسعة أشهر، انبثق أدونيس من قشرة جِذْع الشَّجرة. وتقول ميثولوجيا أخرى إنّ خنزيرًا برّيًّا شَقّ الجِذْع بنابه فانبثق أدونيس طفلاً جميلاً.

في اليونان.

□ في الميثولوجيا، تُعتبَر بريتومارتيس (Britomartis) ربّة السَّمّاكين والصَّيّادين في كريت. أحبّها مينوس (Minos) ولاحَقها تسعة أشهر إلى أن رَمَتْ بِنَفْسها في البحر، فأنقذتها شبكة من شباك الصَّيّادين. وبواسطة أرتميس (Artémis) صارت ربّة ثمّ تَوحَّدت فيها[٣].

وجاء أنّ ديميتير (Demeter) ابنة كرونوس (Cronos) وريا (Rhea)، ربّة الحبوب والزّراعة والخِصْب، بَحَثَت تسعة أيّام حتّى عَرفت من هليوس (Helios) أنّ ابنتها برسيفوني (Perséphone) اختطُفت وصارت في هاديس (Hadès). عندئذ هَبَطَت من الأولمب إلى الأرض وهامت بزيّ امرأة عجوز إلى أن وَصَلَت إلى اليوسيس، حيث اعتنت بديموفون (Demophone)، طفل الملك. واتَّضحت شخصيّتها لأمّ الطِّفل التي شاهدتها تضع ديموفون في النار لِتجعَله خالدًا. وكانت النَّتيجة أن بُنِيَ مَعبد لديميتير في اليوسيس. وتَوقّفَ الإنبات نتيجة حُزنها على برسيفوني. أخيرًا وعد هاديس برسيفوني أنّ باستطاعتها تمضية ثلثي السَّنة على الأرض مع أمّها التي دبّت البركة في الحبوب، في كلّ العالَم، احتفاء بعودتها[٤].

وبنى ديوكاليون (Deucalion) وزوجته بيرها (Perha) الصُّندوق الخشبيّ الذي رسا بعد تسعة أيّام على جبل البرناس، القِمَّة الوَحيدة التي لم يَصلها الطُّوفان. وعندما أمرهما الوحي أن يرميا عظام أمّهما خلفهما بَعْدَما يُغطّيا رأسيهما، فسّر ديوكاليون وبيرها ذلك بأنّ عظام الأمّ تعني حجارة الأرض الأمّ. فرميا الحجارة وظَهَرَ جنس قويّ من البَشر على الأرض. فالحجارة التي رماها ديوكاليون صارت رجالاً،

(١) الديانة الفرعونيّة - السير وَلِس بَدْج - ص ١٢٥.

(٢) الدِّيانة الفرعونيّة - ص ١٢٤.

(٣) معجم الأساطير - ص ٦٧.

(٤) نفس المرجع - ص ٨٥.

والحجارة التي رمتها بيرها صارت نساء[١].

وتُخبر الميثولوجيا عن الهيدرا (Hydra)، وهي أفعًى مائيّة انبثقت من تيفون وأكيدنا. للهيدرا تسعة رؤوس أحدها خالد لا يموت، وكانت تقوم بالتّدمير بالقرب من ليرنا. أرسل يورسثيوس البطل هرقل (Hercules) لقتل الهيدرا، فَقَتَلها بمُساعَدة إيولوس الذي حَرَقَ الرّقبات بَعْدَ قَطْع الرُّؤوس لئلاّ تَنبت رؤوس جديدة، إذ كان ينبت رأسان كلّما قَطَعَ هرقل رأسًا. وبَعْدَما قَطَعَ كُلّ الرُّؤوس، دَفَنَ الرَّأس الخالد تحت كومة من الصُّخور[٢].

بعد تسع ليالٍ من الغرام، أنجبت نيموسيني من زوس (Zeus) تسع ميوسات (Muses) هنّ ربّات الفنون يُشرِفن على الإبداع والنّشاط الفكريّ: كليوبي للشّعر الغنائيّ، كليو ربّة التاريخ، إيراتو ربّة الفنّ المَلحميّ، يوتربي ربّة الموسيقى، بوليهمينا رَبّة التّرانيم المُقدّسة، أورانيا رَبَّة عِلْم الفلك، تالي ربّة الكوميديا، ملبومين ربَّة التراجيديا، تربسيكور ربّة الرَّقص. ويُطلَق على ربّات الفنون، أيضًا، اسم البيريّات، ويقال إنّ مَسقط رأسهنّ الميثولوجيّ في بييرا، مُقاطَعة في تساليا. وتقول الميثولوجيا إنّ تسع عَذارَى في تساليا تَحدَّين ربّات الفنون في مُباراة غنائيّة. وبَعْدَ فوز ربّات الفنون، تَحوَّلت البيريّات المُتباهِيات إلى شحارير[٣].

ويُعتبر هيفستوس (Hephaistos) ابن زوس (Zeus) وهيرا (Hera) ربّ النار، وهو شديد القبح والعرج. رمته أمّه في المحيط حيث اهتمّت به يورينومي (Yurinumi) وتيطس (Titas) تسعة أعوام[٤].

وفي الميثولوجيا، أيضًا، جاء أنّ الحوريّة ليتو (Leto) حَبِلَت من زوس، وعانت الأمرَّين طَوال تسعة أيّام وتسع ليال قَبْلَ أن تستطيع الولادة.

وتَتغنّى الميثولوجيا بنشيد وَضَعَه فيثاغوروس يشيد بالتّسعة رمزًا للحركة. أمّا هوميروس (Homer)[٥]، فكان يُكثر من استعمال الأعداد ٣، ٥، ٧، ٩. ويعتقد أنّ التّسعة أكثر الأعداد كمالاً لأنّه يُمثّل ضعف أوّل عدد مُفرَد، وهو لا يتألّف إلاّ من أعداد مُفرَدة، ويُقسَم إلى ثلاث ثلاثات، كلّ واحد يتألّف بدوره من ثلاث وَحدات.

وذات يوم، حَصَلَت مُناقَشة بين زوس وهيرا حَوْلَ فِعْل الحبّ في الفراش. قال زوس إنّ المرأة تَتذوّق اللّذّة الجنسيّة أكثر من الرَّجل، وادّعت هيرا العكس، فاحتكما إلى تيريزياس (Teresias) الذي ذاق تجربة الجنسين، باعتباره امرأة تَحوَّلت رَجلاً، فقال إنّ المرأة تَلتذّ جسديًّا أكثر من الرَّجل بتسع مرّات، مُعطيًا الحقّ لزوس، فحَنِقَت هيرا وضَرَبَته بالعمى[٦].

---

(١) نفس المرجع – ص ٨٦.

(٢) مُعجَم الأساطير – ص ١٢٥.

(٣) نفس المرجع – ص ١٧٢.

(٤) نفس المرجع – ص ١١٦.

(٥) شاعر ملحميّ إغريقيّ عاش في القرن الثامن ق.م.

(٦) Les grandes figures des mythologies - Bordas p.107.

وتقول الميثولوجيا إنّ مينوس (Minos) بقي تسع سنوات يستوحي تعاليمه من زوس.

وجمع هيرودوتس (Herodotes)[١]، مَعلوماته حول الحَضارات القديمة في تسعة كتب.

في روما.

□ تَسكن سيبيل الكومينيّة (Cumaean Sibyl) في كَهْف قريب من البستان المُقدَّس لأرتميس وأبولو في كومي، ولذلك دُعيت بالكومينيّة. كانت تَملك مَقدرة التَّنبُّؤ بالمُستقبَل، فَكَتَبَت نبوءاتها على الورق. كان لديها تسعة كتب للنُّبوءة قدَّمتها لتاركينوس المُتعجرِف مَلِك روما. عندما رَفَضَها، أحرقت ثلاثة منها، وقدَّمت له السِّتّة الباقية بالسِّعر نَفْسه، ورَفَضَها ثانية. فأحرقت أيضًا ثلاثة. عندئذ اشترى المَلِك الكتب الثّلاثة الباقية. وكان مجلس الشُّيوخ يَستشير هٰذه الكتب التي سُمِّيت الكُتُب السيبيليّة[٢].

في فارس.

□ يقول الفُرس بوجود تِسْعة أنهر في جَهنَّم. وعلى الميت أن يجتاز جِسْر شنفات (Chinvat)، وعرضه تسع مَرّات مساحة السَّيف للأخيار، وضَيِّق مثل شفرة الحلاقة للأشرار[٣].

وحين يَصِل إلى نقطة استراتيجيّة، كان الجنديّ الفارسيّ يُقدِّم للآلهة تسعة أحصنة بِيض ويَدفن تسعة صِبْيان وتسع بَنات.

وبحسب الزّندافيستا[٤] تُسرَق النار من مَنزل الميت طيلة تِسْعة أيّام، وتُغسَل ثيابه الدَّنسة تِسْع مَرّات - ثلاثة بالبول وثلاثة بالتُّراب وثلاثة بالماء -.

في الهند.

□ تَتحدَّث الميثولوجيا عن تِسْعة أعداد، وتِسْعة كواكب. ويُسمِّي الهنود الجِسْم الإنسانيّ «المدينة ذات التِّسعة أبواب» إشارة إلى الفُتُحات التِّسع.

وتُخبِر الميثولوجيا عن مَعركة حَصَلَت بين ماهيزا (Mahesa) قائد الشَّياطين وبين الإلٰهة دورغا (Durga)[٥] استمرّت تِسْعَ ليالٍ انتهت بانتصار الإلٰهة بعدما قَدَّم لها شيفا (Çiva)[٦] مذراته الثُّلاثيّة، وفيشنو (Vishnu)[٧] اسطوانته، وإندرا (Indra)[٨] عاصفته. وتَتحدَّث البوذيّة عن تِسْع سماوات.

في الصِّين.

□ في الصِّين، عَرَضَ كتاب شو - كنغ «المعرفة العظيمة» في تِسْع قواعد. ويُقسِّم

---

(١) مُؤرِّخ يونانيّ عاش في القرن الخامس ق.م.
(٢) معجم الأساطير - ص ٨٠.
(٣) Les grandes figures des mythologies - p.20.

(٤) مجموعة الفستا والزندا معًا (الأفيستا مجموعة الكتب المُقدَّسة للزَّرادشتيّة، والزّندا ترجمة للأفيستا في اللُّغة البهلويّة).
(٥) زوجة شيفا.
(٦) إله الدَّمار.
(٧) إله الخير.
(٨) إله العاصفة.

الصّينيّون الأرض تسعة أقسام. ويَعتقد الصّينيّون أنّ آلهة الوحي عددها تسعة، وأنّ السّماء الصينيّة تتألّف من تسعة حقول و ٩٩٩٩ زاوية. وينحني الصّينيّون أمام الإمبراطور تِسْعَ مرّات.

وتُعتبَر تومو (Toumu)، في الميثولوجيا الصّينيّة، ربّة نجم الشّمال. تُدعَى «الأمّ البوشل» وهي أمّ تسعة أبناء كانوا أقدم حُكّام الأرض. قَصْرها مَركز النّظام النّجميّ، وكُلّ النُّجوم تَدور حَولَه. تُهيمِن على الحياة والموت لكنّها مُحسِنة خيِّرة شَفوقة في استعمال سُلْطتها. تُصوِّرها الأيقونوغرافيا بثلاث عيون وثماني عشرة ذراعًا، تُمسِك بالأسلحة مثل قُرْص الشّمس وقُرْص القَمر ورأس التّنّين وخمس عَربات بخمس أيدٍ[١].

وتُفيد الميثولوجيا أنّ رجلًا يُدعَى أميتا (Ameta) التقى خنزيرًا برّيًّا في رِحلة صَيْد، وحين حاوَل الخِنْزير الهَرب غَرِقَ في إحدى البحيرات، قرب شجرة جوز الهند. وفي اللّيلة نَفْسها، حَلم الرّجل بالشّجرة وتَلقّى أمْرًا بزرعها، فقام في اليوم التالي ونَفّذ الأمر. وبَعْدَ ثلاثة أيّام، نَبتت الشّجرة، وبَعْدَ ثلاثة أيّام أخرَى أزهرت، فتَسلّقها الرّجل لِيَقطف الأزهار، فَقَطَع إصْبَعه، وسال الدّم على الزّهرة. وبَعْدَ تسعة أيّام، اكتشف وجود فتاة على الزّهرة، فخَبّأها أميتا بين أوراق الشّجرة. وبَعْدَ ثلاثة أيّام، أصبحت الفتاة صبيّة مُؤهّلة للزّواج. وخلال الاحتفال الكبير، جَلَسَت الصَّبيّة في وَسَط باحة الرّقص، وبَقِيَت تُوزِّع الهدايا على الرّاقصين طيلة تِسْع ليالٍ. وفي اليوم التاسع، حَفَرَ الرّجال حفرة في وَسَط باحة الرَّقص، ورَمَوا الصَّبيّة فيها وهي تَرقص.

ويقول الصينيّون إنّ بان - كو (Pan-Ku) وُلد في الفراغ وعاش فيه ثمانيةَ عَشَرَ ألْفَ سنة، ولمّا نشأت الأرض والسّماء، كان بان - كو في الوسط، يَتنقّل كُلّ يوم تِسْعَ مرّات بين السّماء والأرض[٢].

في أوروبا.

□ في الميثولوجيا الإسكندنافيّة، يُعتبَر هرمود (Hermod) الابن السَّريع لأودن (Odin) الذي وَصَلَ إلى هِل في تسعة أيّام ليُنقِذ أخاه بالدر (Baldr). وقد أخبرته هِل (Hil) بأنّه من المُمكِن إنقاذ أخيه إذا بكاه العالم كُلّه، لكنّ لوكي (Loki) تَنكّر بزيّ امرأة، ورَفَضَ البكاء[٣].

ويُعتبَر إيجر (Eger)، ربّ البحر، وقد أولم مأدبة للآلهة الإسكندنافيّة، فجاء لوكي (Loki) الذي لم يكن مدعوًّا، وشقّ طريقه، وتَصرَّف بفظاظة، وأهان الآلهة بذكر ضُعْفهم وسوء تَصرُّفهم وفَشَلهم. أما زوجة إيجر فتُدعَى رانْ وقد أنجبت تِسْعَ بَنات.

وفي إسكندنافيا، وُلِدَ الإله هيمداللر (Himdallr) من تسع أمّهات[٤].

(١) معجم الأساطير - ص ٢٤٩.

(٢) معجم الأساطير - ص ١٩٦.

(٣) نفس المرجع - ص ١١٩.

(٤) Les grandes figures des mythologies - p.103

في أميركا.

□ في طقوس الدَّفن، وأمام مكان الحُفرة، يُنفِّذ الشامان (Chaman) في قبيلة كوجي (Kuji) الهنديّة في كولومبيا مجموعة من الإشارات - الطُّقوس، ويقول: «هنا قرية الموت، هنا البيت الاحتفاليّ للميت، هنا الرَّحم، سأفتح الباب. إنّ البيت مُغلَق وسأفتحه». ثمّ يقول: «لقد فتح البيت». ويَدلّ الرِّجال على المكان الذي يتوجَّب حفر الحفرة فيه. ثمّ ينسحب. ويُغطِّي الميت بقُماش ناعِم أبيض، والأب هو الذي يَخيط الكفن. وفي هٰذا الوقت، تُدندِن الأمّ والجدّة بأغنية بطيئة وبدون كلمات تقريبًا. وتُوضَع في عمق القبر حجارة صغيرة خُضر، وأصداف، وقوقعة سلطعون، ثمّ يُحاوِل الشامان عَبَثًا رَفع الجسد، مُعطيًا الانطباع بأنّه ثقيل جدًّا، ولا يَنجح برفعه إلّا في المرّة التاسعة، وهو رمز لعودة الجسد إلى حالته الرَّحميّة، مُجتازًا في اتّجاه مُعاكِس الأشهر التِّسعة للحَمْل.

وفي المكسيك، بنى الملك تيكوكو (Tecoco) قصرًا من تسعة طوابق، مثل السَّماوات التِّسع، أو المراحل التِّسع التي على النَّفس أن تَمرّ بها لِتَصل إلى الخلود. ويتَحدَّث الأزتيك (Aztèques) عن تسعة عَوالم أرضيّة، وتِسع آلهات ليليّة، وتسعة سهول في جَهنَّم. وتَعتبر قبائل المايا (Mayas) أنّ التِّسعة هو العدد المُقدَّس للإلٰه القمر وهو في حال البَدْر.

في روسيا.

□ في أثناء احتفالاتهم الطَّقسيّة، يَضع سُكّان البوريات (Bouriates) تسع شجرات، الواحدة بعد الأُخرَى، ويَعتلي الزَّعيم قمّة الشَّجرات كُلّها، ويُؤمِن هٰؤلاء السُّكّان بوجود «شجرة العالَم» حيث يَبقى الزَّعيم مُعلَّقًا تِسْعَ ليالٍ. ويُؤمنون، أيضًا، بوجود تِسْع سَماوات.

وفي مونغوليا يَعتقد الناس أنّ الشَّمس لها تِسْع طبقات تَتطابَق مع خُدّام الله التِّسعة، ومع النُّجوم التِّسع التي يَعبدها المونغوليّون.

وعلى نهر الفولغا (Volga)، تُقيم قبائل التشوفاتس (Tchouktches) تسعة طقوس احتفاليّة تَتضمَّن تَقدمة تسعة قرابين وتسع كؤوس.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ في التَّراتبيّة السَّماويّة، يَتألَّف البلاط السَّماويّ من تسع جوقات من الملائكة يَتوزَّعن على ثلاث فِرَق: السارافيم، الكاروبيم، والعرش.

عِنْدَ المسلمين.

□ يَرتحل المُؤمنون إلى مَكّة المُكرَّمة للحجّ حيث يبتدئ في اليوم التاسع من ذي الحجّة. وجاء في القرآن الكريم في سورة الإسراء: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾ (١٠١). ومعناها أنّ الله أعطى موسى تسع آيات واضحة الدَّلالة على نُبوّته وصحّة ما جاء به من عند الله وهي: العصا، اليد، الطُّوفان، الجَراد، القمل، الضَّفادع، الدَّم، انفلاق البحر، السِّنين.

وكتب أحد الشُّعراء:

... «ألا إنّما القرآن تسعة أحرف
سأنبيكَها في بيت شَعْر بلا ملل

حلال، حرام، مُحكَم، مُتشابِه، بشير، نذير، قصّة، عظة، مثل»...

عِنْدَ البهائيّين.

□ يتألّف «بيت العدل البهائيّ العالَميّ» من تسعة أعضاء لإدارة شؤون البهائيّة في العالَم. ويُسمّون أيضًا «تسع أيادي قضيّة الله»، ولهم دور لاهوتيّ. وأمَرَ بهاء الله أن تُبنَى في كُلّ مدينة هياكل للعبادة سمّاها باسم مشرق الأذكار، ويجب أن يتألّف البناء من تسعة أوجه وفوقه قبّة[١].

عِنْدَ النُّصيريّين.

□ يَحتفل النُّصيريّون برتبة تسليم الدين لمن بَلَغَ منهم الثّمانية عشرة - مُضاعَف التّسعة - وكان مُؤهَّلًا لذلك ومُعدًّا له إعدادًا لائقًا. وغالبًا ما يَتسلّم الدين شيخ عن شيخ.

ويُقدّس النُّصيريّون اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل في كُلّ سنة.

في الخيمياء.

□ يقول علم السّحر إنّ الذّهب يَحتاج إلى تسع مَراحل ليُصبح ذَهبًا خالصًا.

في الشِّعر.

□ يرمز التّسعة، لدى دانتي (Dante)، إلى السّماء، كما يَرمز إلى حبيبته بياتريس (Béatrice)، وقد أصبحت رمزًا للحُبّ.

عِنْدَ الماسونيّين.

□ تَعتبر الماسونيّة التّسعة العدد الأزليّ للخلود الإنسانيّ[٢].

وللمحفل الأكبر الأورشليميّ مجلس إدارة مُؤلَّف من رؤساءِ المحافل التابعة لهُ ومن مُوظَّفيهِ العظام، يجتمع كلّ شهر مَرَّة وينظر في أشغال المحافل التي تحت سلطتِهِ وما يَستجدّ من الأعمال. وهٰذا المجلس يجتمع برئاسة الأستاذ الأعظم أو أي أكبر مُوظَّف وُجد فيه ولهُ أنْ يُرسلِ المنشورات المختلفة بَعْد مُصادَقة الأستاذ الأعظم عليها ولا يَجتمع هٰذا المجلس قانونيًّا بأقلّ من تسعة أعضاءٍ.

أمّا موظّفو المَحفل الأكبر الأورشليميّ فهم على الشّكل التالي:

١- الأُستاذ الأعظم
٢- وكيل الأُستاذ الأعظم
٣- نائب الأُستاذ الأعظم
٤- المُنبّه الأوّل الأعظم
٥- الخطيب الأعظم
٦- أمين الصُّندوق الأعظم
٧- كاتب السِّرّ الأعظم
٨- الخبير الأوَّل الأعظم
٩- المُرشِد الأوَّل الأعظم[٣]

ويَرتدي الأُستاذ الأعظم في الاجتماعات ياقة من الجواهر وفيها العلامات الماسونيّة وتسعة نجوم. ووشاحهُ من الحرير البنفسجيّ طولهُ ٥٠ سنتيمترًا وعرضهُ تسعة سنتيمترات وفيهِ تسع نجمات وهو مُزركَش بالقصب على

(١) البهائيّة والقاديانيّة - ص ٧٩.

(٢) Le symbolisme des nombres - p.279

(٣) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ١٨.

شكل ورق اللبخ أو الزَّيتون وفي أسفلهِ بيكار مفتوح على شكل زاوية قدرها ٤٥ درجة وداخل فتحة البيكار مُثلَّث فيه صورة عين يحيطها الشُّعاع[١].

وتَتألّف محكمة جلسة الجنايات من تسعة إخوان برئاسة رئيس المحفل أو نائبه والأعضاء هم المُنبِّهان والخطيب وأمين الصندوق وكاتم السِّرّ والمُرشِدان والخبيران وإذا غاب أحدهم فالمُدبِّر أو أحد المُوظَّفين الذي يَنتخبهُ الرَّئيس[٢].

وتقول الماسونيّة إنّ تسعة أساتذة عثروا على جثّة حيرام وقبره[٣].

في البارابسيكولوجيا.

□ إذا اتّهمت زوجتك بالخيانة وأردت أن تَتحقَّق من ذلك، فاحسب اسم الرَّجل المُتَّهم والمرأة، وأسقط ما تَحصل من اسمها بعد جمعه تسعة تسعة، فإن بَقِيَ ١ فإنّه راودها ولم يَفعل، وإن بقي ٢ فإنّه خالَطها ولم يَقبل منها شيئًا، وإن بقي ٣ فإنّه يَطلبها ثمّ تَمتنع منه، وإن بَقي ٤ فإنّها تَطلبه وهو يَمتنع، وإن بَقِيَ ٥ فإنّه قد واقَعها مرّة، وإن بقي ٦ فإنّها عنده بمنزلة الزَّوجة، وإن بقي ٧ فإنّه أخذها بقوّة وسرعة، وإن بقي ٨ فإنّها تَطلبه وهو يَمتنع ويَهرب منها، وإن بقي ٩ فإنّه يَملك نَفْسه عليها.

(١) نفس المرجع - ص ٢١.

(٢) نفس المرجع - ص ٨٤.

(٣) Le symbolisme des nombres - p.279

تِسْعة آلاف

□ في بلاد فارس، يُعتبَر آهريمان إله الظُّلمة والأبالسة والقُوَى الشِّرّيرة وهو في حرب مميتة ضدّ آهورامازدا تستمرّ تسعة آلاف سنة، إلى أن ينهي آهورامازدا خصمه. وخَلَق آهريمان ٩٩٩٩٩٩ نوعًا من الأمراض التي تصيب الجسم بالعدوى فيغدو نجسًا. ويَعتقد الإيرانيّون بوجود ٩٩٩٩٩٩ (فرافاشي) يحرسون الحيوانات المنويّة لزرادشت - ومنها يولد الأنبياء في بحر كانشو (Kanshu).

تِسْعَةَ عَشَرَ

□ يُعتبَر التِّسعة عشر عددًا مُقدَّسًا في البابيّة والبهائيّة وهو يَرمز إلى البهاء. ونقل الخُبرَاء أنّ عدد المجموعة الأساسيّة لدُعاة البابيّة بلغ ثمانية عشر عضوًا والباب هو الشَّخص التاسع عشر.

وفي البهائيّة، يُعتبَر البهاء نبيّ القرن التاسع عشر. وتَتكوَّن السَّنة البهائيّة من تِسْعَةَ عَشَرَ شهرًا، وكُلّ شهر من تِسْعَةَ عَشَرَ يومًا، يعني ٣٦١ يومًا، يُضاف إليها أيّام النَّسيء - أربعة أيّام في السَّنة البسيطة وخمسة في الكبيسة - بين الشَّهر الثامن عشر والشَّهر التاسع عشر وبذلك يكون مُطابِقًا للتَّقويم الشَّمسيّ. وقد سمّى الباب الشُّهور بأسماء الصِّفات الإلهيّة. وتبتدئ كُلّ سنة بهائيّة جديدة في ٢١ آذار من كلّ سنة، كما كان عليه الحال في السَّنة الإيرانيّة القديمة، أي عند الاعتدال الرَّبيعيّ؛ ويبتدئ العهد البهائيّ من تاريخ ظهور الباب في العام ١٨٤٤م. والأشهر هي: البهاء

ويبتدئ في ٢١ آذار - الجلال في ٩ نيسان - الجَمال في ٢٨ نيسان - العَظمة في ١٧ أيّار - النور في ٥ حزيران - الرَّحمة في ٢٤ حزيران - الكلمات في ١٣ تموز - الأسماء في أوّل آب - الكمال في ٢٠ آب - العزّة في ٨ أيلول - المشيئة في ٢٧ أيلول - العِلْم في ١٦ تشرين الأوّل - القُدْرة في ٤ تشرين الثاني - القول في ٢٣ تشرين الثاني - المسائل في ١٢ كانون الأوّل - الشَّرف في ٣١ كانون الأوَّل - السُّلطان في ١٩ كانون الثاني - الملك في ٧ شباط - وتكون الأيّام الزائدة من ٢٦ شباط إلى أوّل آذار - ويبتدئ شهر العلاء، وهو شهر الصَّوْم، في ٢ آذار.

ويقضي البهائيّون الأيّام الزائدة في تَفقُّد بعضهم بعضًا، وفي استضافة الآخَرين، ومُساعَدة من يستطيعون مُساعَدته، إمّا لاجتذابه، وإمّا لأنّه من جماعتهم، ولذلك تُسمَّى الأيّام الزائدة عندهم أيّام الضِّيافة. أمّا الصَّوم، فهو عند البهائيّين في الشَّهر التاسع عشر الذي يلي الأيّام الزائدة المُخصَّصة للضِّيافة. ويَجب الامتناع عن تَناوُل الطَّعام من الشُّروق إلى الغُروب مدّة تسعة عشر يومًا. وبما أنّ فصل الصِّيام ينتهي عند الاعتدال الرَّبيعيّ، فإنّه يقع دائمًا في فَصْل واحد أي في الرَّبيع في الجزء الشَّماليّ، وفي الخريف في الجزء الجنوبيّ من الكرة الأرضيّة.

وفي موضوع الزَّواج، يَرتبط المَهر عند البهائيّين بالعدد تسعة عشر إلّا أنّه يتَفاوَت بين مُجتمَع المدينة ومُجتمَع الريف، ففي المدينة يبلغ ٩٥ (٥ × ١٩) مثقالاً من الذَّهب، وفي الريف تسعة عشر مثقالاً.

ولا تنفصل العبادة، عند البهائيّين، عن التِّسعة عشر، فالصَّلاة الكبرى تتضمَّن تسع عشرة ركعة. ومن واجب البهائيّ أن يعدّ كُلّ شهر لوحة مُقسَّمة إلى تِسْع عشر خانة على تسعة عشر بشكل جدول، وفي كُلّ يوم يَتوجَّب عليه أن يَكتب في كلّ منها اسمًا مُفضَّلًا من أسماء الله تعالى مثل الله أكبر، الله أعظم... والكفّارة عن الخطأ عندهم تَبلغ تسعة عشر مثقالاً من الذَّهب أو الفضّة، وإذا كان الخاطئ غير قادر، يَعمد إلى الاستغفار تسع عشرة مرّة يقول فيها: الله أبهَى.

وفي موضوع الزّكاة، يَتزكّى البهائيّ بتسعة عشر بالمئة من صافي الرِّبح، وتُدفَع إلى «بيوت العدل».

ومن واجب البهائيّ أن يدعو ويستضيف في مَنزله تسعة عشر شخصًا كُلّ يوم ولو على شربة ماء، وهي حركة تَحضّ المؤمنين على التَّحرُّك الدائم وَسَط الناس لاجتذابهم إلى البهائيّة[1].

ويُؤكّد الدكتور رشاد خليفة في كتابه «معجزة القرآن الكريم»، أنّ المعجزة القرآنيّة مبنيّة على العدد تسعة عشر للبشر. وجاء في الكتاب أنّ كلّ كلمة من كلمات البسملة تَتكرَّر في القرآن الكريم على مُضاعَفات التِّسعة عشر. فكلمة اسم تَتكرَّر في القرآن كلّه بالضَّبط تسعة عشر مرّة. وكلمة الله تَتكرَّر في القرآن كلّه ٢٦٩٨ مرّة = ١٩ × ١٤٢. وكلمة الرَّحمٰن تَتكرَّر ٥٧ مرّة = ١٩ × ٣. وكلمة الرَّحيم

(١) البهائيّة والقاديانيّة - د. أسعد السَّحمراني - ص ١١٦-١١٦.

١١٤ مرّة = ١٩ × ٦. وإذا عددنا الحرف (ي) والحرف (س) في سورة يس نجد مجموع الحرفين ٢٨٥ مرّة = ١٩ × ١٥. وإذا عددنا الحروف (ا) و(ل) و(م) في السُّوَر الثّمانية التي تُفتتَح بالحروف (ألم) وهي سُور البقرة، آل عمران، الأعراف، الرَّعد، العنكبوت، الروم، لقمان، والسَّجدة، نجد المجموع ٢٦٦٧٦ = ١٤٠٤ × ١٩. وإذا عددنا الحروف أ - ل - ر في السُّوَر الخمس التي تُفتتَح بالحروف (ألر) وهي سورة يونس، هود، يوسف، إبراهيم، والحجر ثمّ يُضاف عدد الحرف ر في سورة الرَّعد (المر) نجد المجموع ٩٧٠٩ = ٥١١ × ١٩.

وفي الإسلام، أيضًا، يبلغ أبواب الحرم الشّريف تسعة عشر بابًا[1] هي:

باب الصَّفا: يفتح على خمسة أبواب، وكان يُسمَّى قديمًا بباب بني مخزوم.

باب الخلقيين. ويُسمَّى بباب جياد الأصغر يُفتح على بابين، هو مُحدَث.

باب العبّاس، رَضِيَ الله عنه: يُفتَح على ثلاثة أبواب.

باب عليّ، رَضِيَ الله عنه: يُفتَح على ثلاثة أبواب.

باب النّبيّ، ﷺ: يُفتَح على بابين.

باب صغير أيضًا بإزاء باب بني شيبة المذكور: لا اسم له.

باب بني شيبة: يُفتَح على ثلاثة أبواب، وهو باب بني عبد شمس، ومنه كان دخول الخلفاء.

باب دار النَّدوة: ثلاثة، البابان من دار النَّدوة منتظمان، والثالث في الرُّكن الغربيّ من الدار.

باب صغير بإزاء بني شيبة شبه خوخة الأبواب: لا اسم له، وقيل: إنّه يُسمَّى باب الرِّباط، لأنه يُدخل منه لِرباط الصوفيّة.

باب صغير لدار العجلة: مُحدَث.

باب السّدّة: واحد.

باب العُمرة: واحد.

باب حزورة: على بابين.

باب إبراهيم، ﷺ: واحد.

باب يُنسَب لحزورة أيضًا: على بابين.

باب جياد الأكبر: على بابين.

باب جياد الأكبر أيضًا: على بابين.

باب يُنسَب لجياد أيضًا: على بابين. ومنهم من يَنسب البابين من هذه الأبواب الأربعة الجياديّة إلى الدَّفاقين، والرِّوايات فيها تختلف، لكنّنا اجتهدنا في إثبات الأقرب من أسمائها إلى الصِّحّة، والله المستعان لا رَبّ سواه.

وباب إبراهيم، ﷺ، هو في زاوية كبيرة مُتَّسعة فيها دار المكناسي الفقيه الذي كان إمام المالكيّة في الحرم، رحمه الله. وفيها أيضًا غرفة هي خزانة للكتب المحبّسة على المالكيّة في الحرم. والزاوية المذكورة مُتَّصلة بالبلاط الآخذ من الغرب إلى الجنوب وخارجة عنه. وبإزاء الباب المذكور عن يمين الداخل عليه صومعة على غير أشكال الصَّوامع المذكورة. فيها تخاريم في الجصّ، مستطيلة الشَّكل كأنّها محاريب، قد حفّت بها قرنصة غريبة الصُّنعة. وعلى الباب قبّة عظيمة بائنة العلوّ يقرب من

---

(١) رحلة ابن جُبير - دار التُّراث - ص ٧٣-٧٤.

الصَّومعة ارتفاعها، قد ضمن داخلها غرائبَ من الصُّنعة الجصِّية والتَّخاريم القرنصيّة يعجز عنها الوصف. وظاهرها أيضًا تقاطيع في الجصّ كأنّها أرجل مُدوَّرة قد تَركَّبت دائرة على دائرة.

تِسْعَة وأَرْبعونَ

□ إنّه مُضاعَف العدد سَبعة، يُمثِّل المُهْلَة اللازمة لِنَفْس الميت كي تَسكن نهائيًّا في مَسكنها الجديد(١).

تِسْعَة وتِسْعونَ

□ جاء في الحديث الشَّريف(٢) أنّ لله تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دَخل الجنّة. وفَسَّر العُلماء هٰذا القول بأنّ من حَفظ هٰذه الأسماء وتَفكَّر في مَدلولها دَخَلَ الجنّة. وليس المراد حَصر أسماء الله تعالى في هٰذه التِّسعة والتِّسعين بدليل ما جاء في حديث شريف آخر: أسألك بكلّ اسم سمَّيت به نَفْسك، أو استأثرت به في عِلْم الغيب عندك. وقد ذكر ابن عربي أن لله تعالى ألْف اسم.

تِسْعَة وثلاثونَ

□ ثَمَّة تِسْعة وثلاثون من الممنوعات التي ينهي عنها التَّلمود نهار السَّبت لليهوديّ.

(١) Le symbolisme des nombres. p 387

(٢) رواه التِّرمذي.

تِسْعونَ

□ يَرمز التِّسعون إلى الصَّلابة في الكون(٣).

عِنْدَ المسيحيّين.

□ في المسيحيّة، يُصلّي المُؤمنون تسعاويّة المسبحة للسَّيِّدة العَذراء في تسعين صلاة.

عِنْدَ الماسونيّين.

□ يَرمز العدد تسعون، في الماسونيّة، إلى التَّضامن الكونيّ، ليس من الناحية المبدئيّة، بل بالأحرى من الناحية العمليّة. ويَتألَّف الطَّقس الماسونيّ مصراعيم (Misraïm) من تسعين درجة، بينها درجات ثلاث مُخصَّصة لأساتذة مجهولين. أمّا الدَّرجات الباقية، وعددها سبع وثمانون، فإنّها، على الأرجح، ترمُز إلى الاتّجاه السَّماويّ للتَّطوّر بواسطة الكائنات الكبيرة(٤).

نشأ طقس مصراعيم عام ١٨١٣ في إيطاليا ثُمّ أدخله إلى فرنسا الإخوة مارك وميشال وجوزف بِدارّيد. وقد جعله مُروِّجوه يعود مُباشَرة إلى الله، وتاريخيًّا إلى مصراعيم أحد أول ملوك مصر، وذلك لربطه رمزيًّا بالتَّقليد. ويَشمل الطقس ٩٠ مَرتبة مُقسَّمة على ٤ فئات (رمزيّة، فلسفيّة، صوفيّة، قابليّة)، وكان ما زال مُمارَسًا في الحرب العالَميّة الأخيرة(٥).

(٣) Le symbolisme des nombres - p.398

(٤) Ibid.

(٥) La franc-maçonnerie (Nandon) - p.90

حَرْفُ الثّاء

ثلاثة

□ يُعتبَر الثّلاثة عددًا مُقدَّسًا لدى مُعظَم الشُّعوب، لا سيّما عند الساميّين، وهو يَرمز إلى الخير والفأل والحَظّ الحَسَن. يُمثِّل الثّلاثة الخَلْق، لذٰلك تَعرف مُعظَم الدِّيانات ثلاثة وجوه للإلٰه الذي خَلَقَ العالَم من العَدم. وهنا، يقول بالزاك[1]: «إنّ العَدد ثلاثة عَلامة الخَلْق، وهو عدد يُعجِب الله».

في سومر.

□ عَبَدَت سومر نانا (Nanna)[2]، ويَقع مَركز عبادته في أور (Ur)، وهو ابن إنليل (Enlil)[3]، وأوّل الآلهة النّجميّة، وله ثلاثة أسماء، فهو نانا حين يكون بدرًا، وآنسون (Ansoun) في آخِر الشّهر، وشيمباتارا (Shimpatara) في أوّل أيّام الشّهر. وعَبدت سومر إلٰه النار نوسكو (Nosko) وشعاره مِصْباح؛ وكان للنار أيضًا ثلاثة آلهة غير نوسكو هم: إيشوم (Ishoum)، جِبَل (Gebal)، وهندرساك (Hendersak).

وكان السُّكّان في سومر مُوزَّعين إلى ثَلاث طبقات: تأتي في المقام الأوّل طبقة الآمولو (Amoulou) المُؤلّفة من مُستشاري المَلِك المُباشِرين الذين يَتولّون إدارة المَدينة وتَسيير شؤونها، ومن الكَهنة والمُحاربين الذين يُحافِظون على سُلْطة المَلِك ويَدعمونها في حال تَمكُّنه من تكريس نَفْسه كلّيًّا للسُّلْطة الروحيّة، فيَحمونه ويَدرأون عنه غارات الملوك الأجانب. يَلي هٰذه الطّبقة طبقة الموشكينو (Moushkinou) وتَتألّف من التُّجّار والصّناعيّين والمَلاّكين المُستقلّين. والمُنتسِبون إلى هٰذه الطّبقة أحرار بالطّبع، لٰكن عليهم الامْتثال والخُضوع لِطَبقة الأمولو. وتَتألّف الطّبقة الثّالثة من الرِّجال والنّساء غير الأحرار، وهم إمّا مِمَّن بيعوا في سوق النّخاسة، أو من أسرى الحرب، أو مِمَّن وُلِدوا في ظِلّ سَيِّدهم[4].

في أَشور.

□ عَبدت أشور، أيضًا، ثلاثة آلهة: آن (En) للسَّماء، إنليل (Enlil) للفَضاء، إنكي (Enki) للأرض، وهو ثالوث يَتّحد في وَحدانيّة

---

(1) أديب فرنسيّ (١٧٩٩ - ١٨٥٠م).

(2) إلٰه القمر عند السومريّين.

(3) إلٰه الهواء والرِّياح في سومر.

(4) الجنس في العالم القديم - ص ٦٧.

الإلٰه مردوخ (Marduk). وكذٰلك عَبَدَ الكلدان ثَلاثة آلهة: مَردوخ (Marduk)، بن (Ben)، بِل (Bel).

في بابل.

□ عَبدت بابل ثلاثة آلهة عِظام: آنو (Anu) للسَّماء، بَعْل (Ba'al) للأرض، آيا (Ea) للمياه والغمر. ويَملك الإلٰه البابليّ شانغو (Shangu) ثَلاث زَوْجات.

في مِصْر.

□ يُعتبَر الثَّلاثة الرَّمز الرَّئيس للألوهة عند المصريِّين. ففي الميثولوجيا ثالوث مُقدَّس: أوزيريس، إيزيس، حورس. وعَبَدَت طيبة (Thebes) ثالوثًا آخَر: آمون (Amon)، موت (Mott)، خِنسو (Khinsu). ومن قَداسة هٰذا العَدد، قُسِّم النَّهار إلى ثلاثة أوقات: الصُّبح والظُّهر والمَساء لإقامة الصَّلوات في المَعابد كُلَّ يوم. ونَصب المصريّون تماثيل لِثَلاثة ثيران مُقدَّسة: منفيس (Menphis)، أنوفيس (Anuphis)، آبيس (Apis) وهو الأشْهَر.
وتعتبر مِصْر النور والحكمة والحقّ ثلاثة أشكال لإلٰه واحد يَتمثَّل في الشَّمس، وكان تحوتمس الثالث يُكرِّمه.

وتَصوَّر المصريّون أوَّلًا الإلٰه الوحيد والخالق كأنّه زوج، أي ذكرًا وأنثى، ثُمّ أوجدوا منه آلهة مُقابِلة له سمّوها وَجهه واسمه ومَظهره، ثمّ وُلِدَ مِن هٰذا الزَّوج إلٰه آخر مُتمِّم للتَّثليث.

وعَبدت مِصْر هرمس (Hermes) ترسميجستوس، وهو الاسم اليونانيّ للإلٰه توت (Thot)، ومعناه الثُّلاثيّ التَّعظيم، وسُميّ بذٰلك لأنّه كان يُعتقَد أنّه يُهيمن على الآلهة والعَناصر عن طَريق رُموز قُواه السِّحريّة[١].

ويُعتبَر بتاح (Ptah) إلٰهًا مُثلَّثًا يَرمز، باختصار، إلى الحَياة والمَوْت والبَعْث. وتُعتبَر ممفيس (Memphis) المَركز الدينيّ للثُّلاثيّ الممفيسيّ، أي ثلاثة آلهة قائمة في العاصمة القَديمة لمصر، ويَتألَّف من الرَّبّ بتاح وزوجته سخميت (Sekmit) وابنهما نيفرتيم (Nevertim) الذي أزاحه أمحوتب (Amhotep) في الميثولوجيا[٢].

ونَقَلَ هيرودوتس (Herodotes) أنّ المِصْريّين يَتناولون في كُلّ شَهْر مُليِّنات لمدّة ثَلاثة أيّام مُتواصِلة ويَحرصون على وقاية صِحَّتهم بالمُقيِّئات وغَسْل المَعِدَة، فَيَعْتَقدون أنّ جميع الأمراض التي يَتعرَّض لها البَشر تَنشأ ممّا يَتناولونه من طَعام.

وفي التُّراث، يَخشى المِصْريّ اللَّعنات الثَّلاث وهي أن يعيش غَريبًا، وَحيدًا، ومريضًا.

في فينيقيا.

□ يَحمل الثَّلاثة أهمّيّة كَبيرة في الميثولوجيا الفينيقيّة. وقد وُجِدَت هٰذه التَّصوُّرات العَدديّة مُمثَّلة على الآثار الفينيقيّة المُكتشَفة حديثًا. وتُؤمِن الدِّيانة الفينيقيّة بثلاثة آلهة خلقوا الدُّنيا. وكانت لهم عقيدة شائعة تقوم على أنّ العَدد المُؤلَّف من ثلاثة إلٰهيّ. ولم يَكن التَّثليث عند

(١) معجم الأساطير - ص ١١٨.
(٢) نفس المرجع - ص ٢١٠.

الفينيقيّين تَصوُّرًا دينيًّا مُجرَّدًا، بل كانوا يُمثّلونه بالفعل على آثارهم.

ولاحَظ أحد البحّاثة عن الأنبار الفينيقيّة، السيّد دِكس (Dix)، في بعض الأبنية الفينيقيّة القديمة أنّ العدد ثلاثة يأخذ أصْله، بلا شكّ، من تصوُّر سِرّيّ مَحفوظ في كلّ أُمورهم، لأنّهم يَبنون، مثلًا، ثلاث صاعات أو صاعة كبيرة مُنقسِمة إلى ثلاث دَوائر مُنصِفة. وفي زخارفهم يَصنعون ثلاثة نقوش أو نقشًا مُثلّثًا، ويُصوِّرون على عُمُد النُّذور ثلاث أصابع أو ثلاثة آحاد مُجتمِعة من أسفل، أو يُكرِّرون هٰذه الثّلاثة آحاد ثلاث مرّات. أمّا الرُّسوم الرَّمزيّة فيَجعلونها دائمًا على هيئة يَتكوَّن منها ثلاثة طنوف أو ثلاثة أطراف. وقد تَبيَّن لهٰذا الباحث أنّ العدد ثلاثة هو من ميزاتهم التي اختصّوا بها.

وفي بيبلوس (Byblos) جبيل، يَتّخذ التّثليث أهمّيّة كبرى. وقد عَبدت المدينة ثلاثة آلهة: إيل (El)، تَمّوز (Tamuz)، عولم (Elam)، تكوَّن منها التّثليث الأوّل عند الجُبيليّين. وفي جبيل، أيضًا، يُوجَد إلٰه له ثلاثة أسماء هي: أوران (Ouran) أو السَّماء، ملك أو عُطارد، توت (Thot) أو القَدير. وهناك، كذٰلك، تَثليث آخر هو: عولم (Elam)، كرون (Cherun)، سام (Sem)، فيعني عولم الخُلود، ويَرمز كرون إلى الزّمن اللاّمَحْدود.

وفي صيدون، نَجد تثليثًا آخَر هو كنع (Canaa)، دامور (Damur)، كرون (Cherun). وعَبدت صور (Tyr) تثليثًا شهيرًا هو بعل (Ba'al)، ملقرت (Melkart)، هركل (Hercules). وعَرَفت قرطاجة ثلاثة آلهة هم: تانيت (Tanit)، بعل حمون (Ba'al Amon)، أشمون (Eshmun). وينبغي أن نَعلم أنّ الأسماء التي تَتألّف منها هٰذه التّثليثات ليست صُدْفة، إنّما هي مأخوذة من التُّراث الفينيقيّ الذي كان يُؤمِن بِثلاثة أسماء لإلٰه واحد.

وتقول الميثولوجيا الفينيقيّة إنّ عشتروت قَبّلت أدونيس، في نِزاعه الأخير، من دون أن يعي؛ وعندما لَفَظَ أنْفاسه الأخيرة، رثته بقصيدة طويلة يقول مَطلعها:

«تموت وأنا أشتهيك ثَلاث مرّات
وهَربت شهوتي كالحُلم»...

وكانت فينيقيا تَحتفل بِذِكْرى موت أدونيس. وكانت النّساء في هٰذا العيد يَلتفِفنَ حَلْقة حَوْلَ رَمْز لهٰذا الإلٰه، ويَبدأن بالعويل والنُّواح، ويَقمن بِرَقصات على أنغام حزينة يَملأ ضجيجها الساحات العامّة؛ وكانت هٰذه الأعياد تجري أيّام الحَصاد وتَدوم ثلاثة أيّام، يُحتَفَل إثرها بِعَوْدة الإلٰه إلى الحياة. وكانت الإسكندريّة تَحتفل أيضًا بهٰذه المُناسَبة، فتُوضَع صورة أدونيس على سرير من فضّة تحوطها زُهور مَغروسة في آنية نَفيسة[١].

في اليونان.

□ في الميثولوجيا اليونانيّة-يَحرس سيربيروس (Cerberus)، وهو كَلْب له ثلاثة رؤوس، مَدخل هاديس (Hadès)، أي جهنّم، ليَمنع الأحياء من الدُّخول. وقد نَجَحَ الثّلاثة إنياس، أرفيوس، وأوديسيوس في المرور

(١) الحضارة الفينيقيّة - سباتينو موسكاتي.

عندما زاروا هاديس. وتَغلَّب عليه هِرَقْل في آخِر أعماله، وحَمَله إلى مسّينا، لكنّه عاد فيما بعد إلى العالَم السُّفْليّ[(١)].

وتَحوَّل كاريبديس (Charybdis) إلى دُوّامة مائيّة في ما يُسمَّى اليوم مَضيق مسّينا على شاطئ صقلّية، حيث يقوم الوَحْش يوميًّا ثلاث مَرّات بمصّ الماء وقَذْفه. وهو على النَّقيض من سكيلا، حيث يُشكِّل خطرًا على السُّفن التي تَمرّ بالقُرْب منه. وقيل إنّ زوس هو الذي حَوّل كاريبديس، الذي كان ابنًا لبوسيدون، من جيا، إلى دُوّامة لأنّه سَرَقَ ثيران هِرَقْل[(٢)].

وتَتحدَّث الميثولوجيا اليونانيّة عن ثَلاث بنات لزوس، من تيمس، هنّ ربّات القَدَر، يُصمِّمن مُستقبَل كُلّ الأحياء: كلوتو (Clotho) تَغزل خَيْط الحياة، لاشيسيس (Lachésis) تُحدِّد لكلّ فَرْد مَصيره وطول خطّ حياته، وآتروبوس (Atropos) تَقطع خَيْط الحياة. والاسْم اليونانيّ لِربّات القَدَر هو الموبرا (Moerae)، والاسْم الرّومانيّ بارسي (Parcae)[(٣)].

أمّا جيريون (Geryon) فهو وَحْش له ثَلاثة رُؤوس وثَلاثة أجْساد، عاش في جزيرة أريثيا. ذَبَحه هِرَقْل عندما استولى على قَطيع جيريون كَعَمَل من أعْماله الاثني عَشَر[(٤)].

وتُخبرنا الميثولوجيا أنّ هيبومينس (Hippomenes) طَلَبَ يَد أطلنطا (Atlanta) التي غَلَبها في سِباق الرَّكْض، إذ ألقى بثلاث تفّاحات ذهبيّة قَدَّمتها له أفروديت، فصارت أطلنطا تَلتقطها في أثناء السِّباق فَخَسِرَت وتَزَوّجها هيبومينس، وكانا أبوي بارتينوبيوس، لكنّ أفروديت حَوَّلتهما إلى أسَد ولَبوة لأنّهما نَسِيا تقديم الشُّكْر لها[(٥)].

وتُصوِّر الأيقونوغرافيا اليونانيّة صوفيا (Sophia)، سَيِّدة الحكمة، جالِسة وعلى رَأسها تاج على هيئة ثَلاثة رؤوس أُنْثويّة، واحد يَتَّجه نحو الأمام، وآخَر نحو اليَسار، وثالث نحو اليمين، رَمْز التَّثليث العشتاريّ القديم، وحولها الفنّانون والأدباء والشُّعراء والفَلاسفة يَستمدّون منها وَحْيهم. وفي عَمل آخَر، نراها في هيئة سَيِّدة جَليلة القَدَر، كاملة اللِّباس، تُخرِج ثَدْييها فتُرضِع منهما رَجُلَيْن جاثِيَيْن حَليب الحِكْمة.

وعِنْدَ اليونان، هناك الهوريات (Horae)، أي الساعات، أو الفصول، وهُنّ ثلاث بنات من ثيمس يُمثِّلن النِّظام في الطَّبيعة وهُنّ: دايكي - العَدالة، إيريني - السَّلام، يونوميا - النِّظام، يَحرسن بَوّابات الأولمب وهُنّ خادمات هيرا[(٦)].

وتَتحدَّث الميثولوجيا عن هيفستوس (Hephaestus) ابن زوس وهيرا، وهو ولد شَديد القُبْح والعَرَج رَمَتْه أُمّه في المحيط، له ثَلاث زوجات: كاريس، آغلاليا، أفروديت، وكُلّهن رائعات الجَمال[(٧)].

---

(١) معجم الأساطير - ص ٧٣.
(٢) نفس المرجع - ص ٧٤.
(٣) نفس المرجع - ص ١٧٠
(٤) نفس المرجع - ص ١٠٥.
(٥) نفس المرجع - ص ١٢٢.
(٦) نفس المرجع - ص ١٢٣.
(٧) نفس المرجع - ص ١١٦.

وتُخبرنا الميثولوجيا عن الغورغونات (Gorgons)، وهُنّ وحوش مُجنّحة بِشَعْر من الأفاعي، إذا ما حَدَّقن بالإنسان حَوَّلنه حَجَرًا، يَعشن قُرْبَ الهسبريدات، مِنهنّ اثنتان خالدتان أورويال وستينو، أمّا ميدوزا فهي من الفانين. وبِحَسَب أسخيليوس، كنّ يَشتركن بعين واحدة وسنّ واحدة، وقد قَطَعَ برسيوس رأس ميدوزا عندما كانت الأخوات يَتبادلن العين[١].

وفي اليونان، ثَلاث حوريّات: بيزينوي تَحمل القيثارة، أغلاوبي تُغنّي، وتلكسيوبي تَحمل المِنْجَيْرة. وثَلاث آلهات للمحبّة، بنات يورينومي وزوس هُنّ: آغلايا، تالي، وآفروزين. وثَلاث عَجائز وحوش بِشَعْر أشمط لهنّ عين واحدة وسنّ واحدة هُنّ: دينو، إنيو، وبمفريدو. وثَلاث آلهات نِصْفُهنّ نساء ونِصْفُهنّ عَصافير هُنّ: سيلينو، أوسيبيت، وآيللو.

وجاء في الميثولوجيا أنّ ديونيزوس (Dionysos)، إله الخَمْر، وُلِدَ ثَلاث مَرّات. وتَحتفل اليونان بثَلاثة أعْياد زِراعيّة. وتَتألّف مَحكمة هاديس من ثَلاثة قُضاة: إياك، مينوس، ورادامانت. وقال سوفوكلس (Sophocles)[٢]: «ثلاث مرّات طوبى للموتى الذين، بعد تَأمُّلهم بالأسرار، يَذهبون إلى هاديس، فَوَحْدهم يَحيون، فيما يُعاني الباقون العَذاب».

في روما.

□ يَلعب الثّلاثة دَوْرًا مُهِمًّا في الطُّقوس الدينيّة والسِّحريّة. وتَتحدَّث الميثولوجيا الرُّومانيّة عن ثَلاث آلهات تُسمَّى المُرعِبات (Furiae) يُحرِّضْنَ الناس في العالَم الأرضيّ على الخَطايا، ويُوقِعْنَ العُقوبة بأولٰئك الذين في العالَم السُّفليّ أكثر من أهْل الأرض، ويُسَمَّيْنَ أيضًا الدِّيْريّات[٣].

وتَعود المانات (Manes)، أي أرواح المَوْتى ثَلاث مَرّات في السَّنة إلى الأرض عندما يُقام مِهرَجان على شَرَفِهنّ، وفي مُناسَبات أخرى. إنّهن خالدات يَعِشْنَ في العالَم السُّفليّ حيث تَحكم الرَّبَّة مانيا المُتوحِّدة مع برسيفوني.

وفي القرن الرابع، كَتَبَ الشاعر اللاتينيّ أوزونس قصيدة من تِسْعين بيتًا مِحْوَرها العَدد ثَلاثة[٤].

في فارِس.

□ يَرتدي الثّلاثة، في الميثولوجيا الفارسيّة، طابعًا سِحْريًّا - دينيًّا. ففي فارس، ثلاثة آلهة هم: آهورا مازدا، آهريمان، ميترا. وهناك مُثلَّث شهير هو: تَفكير جَيِّد، كَلام جَيِّد، وعَمل جَيِّد؛ وهٰذه الأفعال الثّلاثة تُمثِّل خَلاص الإنسان، فيما يَدلّ التفكير السَّيّئ، والكلام السَّيّئ، والعَمَل السَّيئ إلى روح الشَّرّ.

ويتحدَّث الأبستاق (Avesta) في مُختلِف فُصولِه عن العَدد ثَلاثة الذي يَرمز إلى الثُّلاثيّ

(١) معجم الأساطير - ص ١٠٨.

(٢) شاعر يونانيّ (٤٩٥- ٤٠٦ ق.م.).

(٣) معجم الأساطير - ص ١٠٢.

(٤) نفس المرجع - ص ١٦١.

المَعنويّ في المازديّة. وفي مَقاطع عَديدة، يصف الأبستاق طُقوس التَّطهير التي يَجب على الإنسان الذي تَعرَّض للدَّنس أن يُنفِّذها بَعْدَ مُلامَسة الميت وهي: على الإنسان أن يَحفر ثَلاث مَرّات ثَلاث حُفَر يَملأها بِبَوْل القَدّان أو بالماء، ثُمّ يَبدأ بِغَسْل يَديه ثَلاث مَرّات، إلى أن يأتي الكاهن فيَغسل جَسَده بالماء لِيَطرد منه الأرواح الشِّرّيرة.

ويَرتكز أحد الطُّقوس السِّحريّة - الدينيّة بأن تُطلَق في الفضاء ثَلاثة سِهام. من هنا، يَرتبط العَدد ثَلاثة بِطَقْس السَّحْب بالقُرْعة للسِّهام المُقدَّسة، فالسَّهم الثالث يُمثِّل المُختار، المكان، والكَنْز. وفي التُّراث الفارسيّ، يَتقدَّم أحد المُتطوِّعين أمام المَلك لِتَنفيذ عَمليّة شجاعة لدى النِّداء الثالث. وحين يَنطلق البَطل لمُحارَبة الشَّيطان، يُخطِر رفاقه بأنّه سَيُطلِق ثَلاث صَرخات: الأولى عِنْدَ رُؤية الشَّيطان، الثانية عند مُصارَعته إيّاه، والثّالثة عند النَّصر، فيَحمله فوق رَأسه ويَدور فيه ثَلاث مَرّات قَبْلَ رَمْيه.

ونُؤمِن جمَاعة أهل الحَقّ، في فارس، بِقُدْسيّة العَدد ثَلاثة. وكانوا يَعتقدون أنّ الله، قَبْلَ عَمليّة التّكوين، خَلَقَ ثَلاثة مَلائكة في البداية من ذاته هم: غبريال، مخايل، رافايل، ثُمّ خَلَقَ أربعة مَلائكة لاحقًا. وتُمارِس هٰذه الجَماعة ثَلاثة أيّام من الصَّوم في السَّنة، رَمْزًا لصراع السُّلطان سيهاك وانتصاره على الشَّيطان بَعْدَ ثلاثة أيّام.

وتقول الميثولوجيا بوجود ثلاثة قُضاة في جهنّم: ميترا (Mithra) مُمثِّل النور، كراووشا (Kraosha) حامي التُّراث، راشنو (Rashnou) مُمثِّل العَدالة. وبِحَسَب الأبستاق، يُقسَم الفردوس إلى ثَلاث مناطق: مِنْطَقة الأفكار الصالحة، مِنْطَقة الكلمات الطَّيِّبة ومِنْطَقة الأفعال الحَسنة. وفي بلاد فارس، كان الخطأة يُصلّون لأهورا مازدا ويَتوسَّلون منه الغُفران، ويَتضرَّعون إليه كي يُصبح الأشرار أخيارًا، وأن تَسود الفَضيلة بَدَلَ الخطيئة؛ وكانوا يَعتقدون بأنّ الموت، لدى الأخيار، ليس شرًّا، بل جِسْرَ عُبور إلى مِنْطَقة «لا وُجود فيها للشَّرّ»؛ أمّا نَفْس الشِّرّير فهي تتوه ثلاث لَيالٍ قُرْبَ تابوت الميت، ثُمّ تَنزل إلى الجَحيم حيث تَخضع لِلْعِقاب.

وتَقضي العادة الفارسيّة بأن يقوم الرَّجُل ويَجلس ثلاث مرّات في حُضور أحد الذين يَحترمهم ويُقدِّرهم. وتقول الميثولوجيا إنّ الإسكندر انتصر على الشَّمس في مُحاوَلته الثّالثة. وحين يَغضب الأمير أو المَلِك، تَرتسم على جَبينه ثَلاث تَجعيدات، فلا يَعود أحد يَجرؤ على الاقتراب منه. ولكي يُحافِظ الحُلْم على فاعِليّته، على الرَّجُل أن يَحفظه سِرًّا طيلةَ ثَلاثة أيّام لئلّا تَنعكس الآية ويَتعرَّض للسوء.

وتَقول التَّعاليم الفارسيّة إنّ الخطايا التي تُدمِّر الإيمان ثلاث: الكَذب، الوَقاحة، والسُّخرية. وثلاث تَقود إلى جهنّم: النَّميمة، القَساوة، والكُرْه. وثَلاث تَقود إلى الإيمان: الحَياء، التَّهذيب، والخوف من يوم الدَّينونة.

وفي فارس، تُؤمِن الدِّيانة المانويّة بالثالوث الإلٰهيّ الذي يَتألَّف من «إله العَظمة، أُمّ الحياة، والإنسان القديم»[1]، وكأنّه تَمثيل

(١) "ماني والمانويّة - ص ٧٠.

«للأب والأمّ والابن». وتَشتمل النُّصوص المانويّة على مَواضيع فولكلوريّة قديمة، من بينها مَوْضوع بِعُنْوان «دُموع الأمّ» حيث تقول إحدى الأمَّهات: «... لم أعرف حتّى الآن أنّني كنت أقتل روح ابني عندما بَكيت على جَسَده، ولذلك لن أبكي بَعْدَ الآن لئلّا أقتله».

ويَروي كتاب روسيّ حَوْلَ المَوْضوع نَفْسه كيف أنّ إحدى الأمَّهات - وكانت قد ثُكِلَت بابنتها - قد بَكَتْها طيلة ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ، وحَلمت في اللّيلة الثّالثة أنّ ابنتها تَتقدَّم نحوها وفي يدها جَرّة، وعندما سَألَتْها الأمّ عمّا تَحتويه الجَرَّة أجابتها الابنة أنّها قد جَمَعت دُموع أُمّها حتّى باتت مُترعَة، ثمّ قالت الابنة لأمّها: «لا تبكي يا أمّي بَعْدَ الآن وإلّا فإنّ دُموعكِ التي هنالك الكثير منها سَتَنسكب على الأرض وتُؤذيني في الحَياة الآخِرة؛ ذٰلك أنّ الأمور هي على ما يُرام معي الآن». ومن الواضح وُجود ارتباط بين هٰذا المَوْضوع والكُرْه الزّرادشتيّ للنَّوْح على الموتى، وهي عادة كانت سائدة في فارس الشّرقيّة[١].

في الهِنْد.

▫ يَتألّف الثّالوث الإلٰهيّ الهندوسيّ من ثلاثة آلهة: براهما (Brahma)، فيشنو (Vishnu)، وشيفا (Çiva). وتَذكر الفيدا (Vedas) ثالوثًا إلٰهيًّا آخَر يَتألّف من سيريا (Surya)، إندرا (Indra)، وآغني (Agni). وتَتحدَّث الميثولوجيا الهنديّة عن ثلاثة عَوالم، وثلاثة أقسامٍ للزّمن، وثلاث نيران فيديّة، وثلاثة أشكال لبراهما، وثلاث عيون لشيفا، وثلاث زَوْجات لراما (Rama). وتَذكر أنّ الإلٰه فيشنو قَطَعَ الفَضاء بخطوات ثلاث.

وجاء في الميثولوجيا الهنديّة أنّ وادي الهندوس يَحوط الفِرْدَوْس، وعلى بُعد ثلاثة أيّام من الفِرْدَوْس، يُوجَد نَبع ماء، ومَن يَشرب من هٰذا الماء ثلاث مَرّات متتالية، يَبقى طيلة حَياته شابًّا في الثّلاثين من العُمر.

وتَقول الميثولوجيا إنّ الإنسان يُولَد ثلاث مَرّات: المرَّة الأولى من أهْله، والمَرَّة الثانية حين يُكرِّس نَفْسه للآلهة، والمَرَّة الثالثة حين يموت ويُحرَق جَسده بالنار، ومن ثَمّ يَعود من جَديد إلى الوُجود.

وتُعتَبَر مدينة هامبي (Hampi) في جنوب الهند منذ القرن السّادسَ عَشَرَ حتّى اليوم مَكانًا هامًّا بالنِّسبة للهندوس يَحجّ إليها عُبّاد شيفا مَرَّة كُلّ سَنة. ويَستمرّ الحَجّ ثلاثة أيّام.

ويُعتَبَر رافانا (Ravâna) الشّيطان، ملك الراكشاز (Rakshasas)، في مَملكة لانكا (Lanka) الهنديّة، وله ثلاثة تَجلّيات كَخَصْم لفيشنو: الأوّل على شَكْل هيراياناكشا، والثاني على شَكْل رافانا، والثالث على شَكْل سيزوبالا. ورافانا خَصم عنيد لراما، وقد خَطَفَ زَوْجَته سيتا وسَقَطَ في مَعركته ضِدَّ راما بِسَهم من قَوْسه القَويّ[٢].

أمّا بالي (Bali)، فهو شَيْطان ظَلّ مَلِك السَّماء والأرض. فبعدما تقَمّص فيشنو على شَكْل القَزم فامانا (Famana)، ظَهَرَ لبالي قُرْبَ نَهر مُقدَّس وطَلَبَ منه تَحقيق رغبة

(١) ماني والمانويّة - ص ١٢١.

(٢) معجم الأساطير - ص ٢١٥.

فوافق. وطَلَبَ القَزم أن يَمنحه أرْضًا بِقَدْر ثَلاث خُطوات يَخطوها: الخُطوتان الأولى والثانية غَطَّتا الكون، وهٰكذا أعاد الكون إلى الأرباب؛ أمّا الخُطْوة الثالثة فقد ضَغطت الشَّيطان بالي في البتالا، أدنى دَرجة في العالَم السُّفليّ[1].

وفي طُقوس تَقدمة الحصان ذبيحة للآلهة، لم يَكن الحِصان يَتعرَّض للذَّبح، بل للخَنْق بواسطة قِطَع من القُماش الباهِظ الثَّمن. وحين يَنفق الحصان، تأتي زوجات الملك إلى جُثّته، ويَدُرْنَ حَوْلها ثَلاث مَرّات إلى جِهَة اليَمين، وثَلاث مَرّات إلى جِهَة اليَسار.

وعِنْدَ الزَّواج، جَرى العُرْف بأن يَرقد الزَّوج اللَّيالي الثَّلاث الأُولى يَنام على الأرض بالقُرْب من عَروسه، وأن يَمتنعا عن التَّمتُّع بمَلذّات العِشْق.

وفي المَوْضوع نَفْسه، ليس للحَياء المُزيَّف مكان في الحُبّ ولُعْبته، ذٰلك لأنّ النّساء المُطَّلعات على مَضمون كِتاب الحُبّ - كاما - سوترا - يَعرفن أنّه يُوجَد ثَلاثة أصناف مِن الرِّجال وَفْقَ أبعاد أعضاء ذُكورتهم المُسمّاة لينغام، فبعضهم يكونون أرانب، وبَعْضهم الآخر ثيرانًا، والصِّنْف الثالث والأخير هم الأحصنة: يُدعَى الرَّجُل من الصِّنْف الأوّل بالرَّجُل الأرنب، ومِن الصِّنْف الثاني بالرَّجُل الثّور، ومِن الصِّنْف الثالث بالرَّجُل الحِصان. وقد صُنِّفت النِّساء، أيضًا، تِبْعًا لِعُمْق مَهبلهنّ الـ «يوني» أو اتّساعه - في ثَلاث فئات: في الفئة الأولى تُدعَى بالمرأة الظَّبية، وفي الثّانية بالمرأة الفَرَس، وفي الثّالثة بأنثى الفيل.

ويَتناسب الرَّجُل الأرنب والمرأة الظَّبية، والرَّجُل الثَّور مع المرأة الفَرَس، والرَّجُل الحِصان مع أُنثى الفيل، ومن المفروض على كلّ من العَشيرين ألّا تَبرد هِمّته أو تَخور عَزيمته إن لم تُحقِّق الصُّدفة هٰذا الوِفاق، ذٰلك لأنّه يَتوافر لكلّ منهما العديد من الوَسائل الطَّبيعيّة والاصطناعيّة لِتَدارُك هٰذا التَّفاوُت الجسمانيّ. فالأهمّيّة أوّلًا وأخيرًا تَعود إلى حَميّة الهوى وشِدَّة الرَّغبة، وخُصوصًا استعداد الزَّوج وكفاءته في إطالة فَترة الجِماع لِيَبلغ بالمرأة ذُرْوَة حَساسيتها ويُروي رَغْبتها، في الوقت نَفْسه الذي يُروي فيه غَليله بالقَذْف في مَهبلها، فَمِن واجب الزَّوج أن يَنتظر مُتْعة زَوْجه وبُلوغها ذُرْوة النَّشوة الجنسيّة، ألا وهي رَعْشة الجِماع. وبالمُقابل فإنّ على المرأة أن تُعامِله بالمِثْل وتُقابِل جَميله بأجمل منه، وأن تَخضع لإتقان كافّة ضُروب الحُبّ والجِماع التي يَتضمّنها الكاما بكامله[2].

وفي البوذيّة، تُقَسَم حياة بوذا إلى ثلاث تجارب أساسيّة: تَجربة الوَهَم - مايا - (Maya)، وتَجربة الإشراق - بوذي - (Buddhi)، وتَجربة القانون الأساسيّ والصِّفة الجوهريّة - ذارما - (Dharma) التي عَلَّم بها حتّى وفاته.

ويتألّف الثالوث البوذيّ من بوذا (Buddha)، ذارما (Dharma)، سانغا (Sanga). ويُقسَم كتاب الشَّريعة البوذيّة ثلاثة أقسام: الأوَّل يَتناول السُّلوك، والثاني تَنبُّؤات

(٣) نفس المرجع - ص ٦٠.

(٢) الجنس في العالم القديم - ص ١٩٤.

بوذا، ويَتضمَّن الثالث تَعاليم بوذا بشكل دوغماتيكيّ.

وفي الفلسفة البوذيّة، يُوجَد ثَلاث مَرْكبات هي: المَرْكبة الصُّغرى، المَرْكبة الكُبْرى، والمَرْكبة الطُّنْطُريّة، وكلّها تَدَّعي الوَحْدة. وَيمرّ التَّركيز الروحيّ، أو الراجا - يوغا في ثَلاث مَراحل. وتَفترض حياة الراهب البوذيّ ثَلاثة شُروط: التَّسوّل، اللاعنف، والعزوبيّة. ويُمارِس الرَّاهب البوذيّ رياضة روحيّة تَستمرّ ثَلاث سَنوات، وثَلاثة أشهر، وثَلاثة أيّام في صَمْت كامل، وفي انقطاع تامّ عن العالَم.

وفي التَّعاليم الهنديّة، نَذكر قصّة تعود لراما كريشنا (Rama Krishna) جاء فيها: «... بينما كنت مُتوجِّهًا ذات يوم نَحْوَ غابة قَريبة من مَعبد كالي مُفتِّشًا عن مكان أستطيع أن أنصرف فيه إلى تأمُّلاتي، سَمِعْت صُراخ ضِفْدَعة يَتكرَّر عدّة مَرّات، فاقتربْتُ من مَصدر الصَّوت، وإذ بي أجد الضِّفْدعة في فم حَيّة عاديّة، فتابعت طريقي نَحْوَ الغابة، وعندما عُدْتُ منها باتّجاه المَعبد وَجَدْتُ الضِّفْدَعة ما زالت تَصرخ في فم الحيّة. فقلت في نَفْسي: لو أنّ هٰذه الضِّفْدَعة وَقَعَتْ في فم أفعًى لما كانت صَرَخَتْ أكثر من ثَلاث مَرّات ثمّ استقرَّت نهائيًّا في بَطْنها، ولٰكنّها وَقَعَتْ في فم حيّة عاديّة لا هي قادرة على ابتلاعها ولا قادرة على تَرْكها. إنّ شقاء الضِّفْدعة هنا لا يَقلّ عن شَقاء الحيّة التي أمسكت بها. كذٰلك إذا انتدب رَجُل دين، ناقص العِلْم، نَفْسه لإرْشاد الآخرين، فإنّ آلامه وآلامهم تُصبح لا حَدّ لها. فالذي يَقع بين يدي رَجُل دين عَديم الكفاءة لا يُمكنه أبدًا أن يَتحرَّر روحيًّا. أمّا الذي يُساعِده الحَظّ في الاهتداء إلى رَجُل دين أو مُرشِد روحيّ كبير، فإنّ أنانيّته لن تَصرخ أكثر من ثلاث مَرّات، وبَعْدَها يَتحرَّر عَقْله كلّيًّا»(١).

في الصِّين.

□ يُعتبَر الثَّلاثة عددًا كاملًا في الصِّين، وهو عدد السَّماء. ويَتألَّف الثّالوث الصِّينيّ من ثلاثة إخوة هم آلهة الشَّمس والقمر.

وفي الميثولوجيا الصينيّة، تُعتبَر فنغ - تو (Feng-Tu) المدينة الأساسيّة للجَحيم. وهناك ثلاثة مَعابر تُؤدّي إلى البَوّابة: الأوَّل مِن ذَهَب، والثّاني من فضَّة، والثّالث لا درابزون له، والعُبور خَطِر. وهٰذه المَعابر للأرباب وأرواح الأبرار والذي تَحلّ عليه العُقوبة. وتُوجَد داخِلَ البَوّابة قُصور الياما ومَساكن المُوظَّفين والمُساعِدين وجميع الذين يَقومون بِوَظائف في عالَم المَوْتَى(٢).

وفي الصِّين، لا تَتعرَّى المريضة مُطلَقًا أمام الطَّبيب. وعلى هٰذا الأخير أن يَتعرَّف إلى المرض من خلال جسّ النَّبض في ثلاثة مَواضع من الذِّراع عَبْرَ مُلامَسة ثوب ناعم المَلمس. وكانت وِلادة الطِّفلة تُشكِّل مَأساة في العائلة الصِّينيّة، فتضعها الوالدة على الأرض، وتُهملها من دون عناية طيلة ثلاثة أيّام وكأنّها تَأمل موتها، فيما يَحظى الطِّفل باهتمام آنيّ.

وفي الطاويّة، يُعلِّم لاوتسو (Lao-Tseu) في كتاب (تاو - تي - كنغ) أنّ طاو إلٰه واحد

---

(١) الحقائق الروحيّة الكبرى - مصطفى الزين - ص ٤١.

(٢) معجم الأساطير - ص ١٠٠.

في ثلاثة أقانيم.

في اليابان.

□ تتألّف ديانة شينتو (Shinto) من ثلاثة آلهة في إله واحد. ويُعتبَر نينيغي (Ninigi) حفيد آماتيراسو (Amaterasu) التي أرسلته لِيسكن الأرض وقَدَّمت له مرآة، وبهذه المرآة أغراها الآلهة فسَلّطوها على مَدخل الكَهف حيث كانت تَختبئ. وقد وُضِعَت المِرآة المُقدَّسة في المَذبح الأساس لِرَبّة الشَّمس في ايسي. وقد تَسلَّم نينيغي العرش بَعْدَ أوناموجي بن سوزانوو الذي أُجبِرَ على التَّنازُل؛ وكان يَملك ثلاثة من رموز السُّلْطة وهي المِرْآة واللآلئ والسَّيف، وقد استمرّت هٰذه الرُّموز بَعْدَ ذٰلك كشعارات للإمبراطوريّة[١].

في فييتنام.

□ لم يُصْغِ الشَّعب الفييتناميّ لِصَوت الآلهة. ورُغْمَ ثلاثة إنذارات واصَل الشَّعب العِصْيان، فدَبّرت الآلهة طُوْفانًا دَمَّر كُلّ شيء، فاختفى كُلّ الناس[٢].

في تايلاندا.

□ حَصَلَ الطُّوفان في تايلاندا ونَجا منه ثلاثة أشخاص، فصنعوا مَركبًا حَمَلَهم إلى السَّماء ثمّ عاد وأرسلهم إلى الأرض بَعْدَ انحسار المياه.

في إيرلندا.

□ تَعتقد الميثولوجيا السِّلتيّة بثلاثة آلهة هم: تنطاطس (Tentates)، إيزوس (Esus)، وتارانس (Taranis). وفي الميثولوجيا السِّلتيّة، يُعتبَر ليو ليوغوفس (Liew Liagyffes) بَطَلًا ميثولوجيًّا قديمًا في ويلز، ابن غويديون من أخته أريانرود؛ ولدى ولادته، صَبَّت أمّه عليه ثَلاث لعنات، واستخدم والِدُه السِّحر لِيمنع اللَّعنة في كُلّ حالة، وقد حَقّق غوفس كُلّ الأشياء التي مَنعته أمّه عنها[٣].

ويُعَدّ غويديون (Gwydion) حامي البَشريّة ومُعلِّمها والمُحسِن إليها. صار والد ليو ليوغوفس من أُخته أريانرود، وقد خَدَعَها ثلاث مرّات في فعل ما أقسمت ألَّا تَفعله: سَمّت ابنها باسمه بَعْدَما ضَرَبَ طيرًا على سفينة غويديون التي خَلَقَها بسحره؛ وأعطت ليو الدِّرع عندما رأت قطيعًا من الغنم، بِحَسب نبوءة غويديون، وثالثًا رَفَضَت ليو زوجة من الجنس الأرضيّ، فعمد غويديون ومات إلى خلق امرأة من الزُّهور[٤].

وتُؤمن السِّلتيّة بوجود ثلاثة آلهة في إله واحد هم: القوّة، النور، الروح. ويَتحدَّث التُّراث الموسيقيّ عن ثلاثة ألحان: لَحْن يَدفع إلى البكاء، ولَحْن إلى النَّوم، ولَحْن إلى الفرح.

ثلاثيّات أُوروبيّة.

□ تقول-الميثولوجيا الإسكندنافيّة بثلاثة آلهة

---

(١) معجم الأساطير - ص ١٨٠.

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.19.

(٣) معجم الأساطير - ص ١٥٤.

(٤) نفس المرجع - ص ١١٠.

هم: أودغن (Odgin)، فريغا (Frega)، ثور (Thor). وتَتحدَّث الميثولوجيا عن ثلاثة آلهة تُسمَّى النورنات (Norns): أوردر (Urdr) تُمثِّل الماضي، فرداندي (Verdandi) الحاضر، وسكولد (Skold) المستقبل.

وفي تشيكوسلوفاكيا، يَحمل الإله تريغلاف (Triglav) ثلاثة رؤوس، ويُمارس ثلاث مُهِمّات: واحدة مُقدَّسة، ثانية حربيّة، وثالثة تموينيّة.

وفي مِنطَقة الرون، تنام المرأة التي تَرغب بإنجاب الأطفال ثلاث ليالٍ مُتتالية على صخرة اسمها «توأم الحجر». ويأتي إليها أيضًا المُتزوِّجون الجدد في اللّيالي الأولى من زواجهم ويُحكّون بطونهم عليها. وفي مَكان آخر، تَتأكّد النّساء اللّواتي يَفركن بُطونهنّ بهذا الحجر من إنجاب أولاد ذكور. وفي هذا الخُصوص، تخبر الميثولوجيا أنّ المُتزوِّجين الذين لم يُنجبوا أطفالاً بَعْدَ مُرور سنوات عديدة من زواجهم، كانوا يَقصدون حجر المنهير (Menhir)، حين يكون القمر بدرًا، فيَخلعون ثيابهم، وتَدور المرأة عارية حول الحجر، وهي تَتظاهر بمُحاوَلة الهرب من مُلاحَقة زوجها لها.

وفي جنوب غرب إنكلترا، يغمس الأهل الولد المَريض ثلاث مرّات في بئر سان - مودرو.

وفي القرون الوسطى، كان آداب السُّلوك يَقضي على سيِّدة تَظهر أمام ملك أن تُحيّيه بثلاث انحناءات: الأولى عندما تَدخل إلى الغرفة حيث يُوجَد، والثّانية على بُعْد عشرة أمتار من الملك، والثّالثة بالقُرْب منه. أمّا تحيّة المَلكات، فتكون بانحناءتَيْن فقط: الأولى عِنْدَ الدُّخول، والثانية بالقُرْب من المَلِكة.

في أميركا.

□ يُؤمِن شعب البيرو (Peru) بإله عظيم في ثلاثة آلهة هم الأب العادل، الابن البِكْر، والابن الصَّغير، إله الأمطار المُخصِبة، وتاليًا إله الغِذاء للإنسانيّة. ويَعتقد هنود أميركا أنّ إله العاصِفَة يَتمظهر في ثلاثة أفعال: البَرْق، العاصِفَة، والرَّعْد.

وفي الإكوادور، تَقوم في حزيران من كُلّ عام في قرية أوتافولو الإكوادوريّة احتِفالات عيد سان خوان (Juan) طَوالَ ثلاثة أيّام وليالٍ، يَقوم خِلالها الهُنود الحُمْر بتَمجيد الشّمس. فَبَعْدَ استحمام يُقصَد منه تطهير الرّوح والجسد، يَقوم الرّجال بزيِّهم التَّقليديّ وهم مُقنَّعون، بزيارة كُلّ بيوت القرية لأداء الرَّقصات التَّقليديّة والأكل والشُّرب بلا تَوقُّف.

وفي المكسيك، تقول ميثولوجيا قبائل الإنكا (Incas) إن الإله الخالِق طَلَبَ من أبيه الشّمس أن يَخلق الناس على الأرض. فَبَعَثَ الإله الخالق ثلاث بيضات. من الأُولى، وهي بيضة من ذَهَب، خُلِقَ النُّبلاء؛ ومن الثّانية، وهي بيضة من فِضّة، خُلِقَت نسائهنّ؛ ومن الثّالثة، وهي بيضة من نُحاس، خُلِقَ باقي البَشَر.

في أوستراليا.

□ كان العريس يُقدِّم عروسه إلى ثلاثة من أصدقائه، فيَنتزعون منها عُذريَّتها بواسطة سكّين من الحجر قبل مُضاجَعتها.

في أفريقيا.

□ في غانا، تَعتقد قبائل الأكان (Akan) والنزيما (Nzima) أنّ للإنسان ثلاث نُفوس: الميغا (Myga) وهي النَّفْس التي تُمثِّل القَرابة الأُموميّة وتَنتقل عن طريق الأمّ، أو هي النَّفْس العائليّة المُرتبطة بالأمّ؛ والنتورو (Ntoro) التي تَنتقل عن طَريق الأب، والأوكرا (Okra) أو الكرا وهي نَفْس روحانيّة إلٰهيّة قادِمة من واحدة من الكائنات الإلٰهيّة الكوكبيّة السَّبع التي تَحكم خِلال أيّام الأُسبوع[1]. وفي مالي، تَعتقد قبائل الدوغون (Dogons) والبامبارا (Bambaras) أنّ العَدَد ثلاثة يَرمز إلى عُضْو الرَّجُل وإلى الحركة. ويَحمل الثَّلاثة مَعانيَ وأبعادًا سرّيّة لَدَى قَبائل البول (Peuls) حيث يَعتقدون بوجود ثلاثة أصناف من الكَهنة.

عِنْدَ العِبرانيّين.

□ يَدلّ العدد ثلاثة، عند العبرانيّين، إلى التَّشديد والإلحاح. وكثيرًا ما كان يُشدّد العبرانيّون على أمر ما بالتّوكيد عليه ثلاث مرّات كقولهم: «هيكل الرَّبّ، هيكل الرَّبّ، هيكل الرَّبّ». (إرميا ٧ : ٤)؛ و«يا أرض، يا أرض، يا أرض». (إرميا ٢٢ : ٢٩)؛ و«أجعل انقلابًا على انقلاب على انقلاب». (حزقيال ٢١ : ٢٧)؛ و«قدّوس، قدّوس، قدّوس». (إشعيا ٦ : ٣).

وجاء في الميثولوجيا العبرانيّة أنّ آدم مَدّ يَده إلى الثَّمرة المُنهَى عنها في السّاعة السّادسة، فَطَرَده الرَّبّ الإله من الجنّة بَعْدَ ثلاث ساعات.

وتُضيف الميثولوجيا أنّه، في الفردوس الأرضيّ، كانت حَوّاء خليلة المَلاك صمونيل، بينما كان آدم ينام بين ذراعي ليليت (Lilith). ومن هٰذه الثُّلاثيّة في الحُبّ، بين آدم - حوّاء، آدم - ليليت، وحوّاء - صمونيل خُلِقَت الإنسانيّة. وليليت، بحسب الميثولوجيا، امرأة خُلِقَت من التُّراب، مثل آدم، قبل أن تُخلَق حوّاء من ضلع آدم. وقد نَشَبَ خِلاف بين آدم وليليت، فتَرَكَته لِتَعيش على هواها. ويقال إنّ قايين وهابيل تقاتلا فيما بينهما للحصول على ليليت، باعتبار أنّها لا تمتّ إليهما بصلة القربى. وليليت، عَدوّة حوّاء، تُمثِّل الحُب اللاشرعيّ.

وحَوْلَ واقِعة السَّبي البابليّ، وتَدمير هيكل أورشليم يقول التُّلمود: «إنّه قَبْلَ أن يَبدأ نبوخذنصّر حَملته العسكريّة، سَعى لِمَعرفة نتائج الحملة بواسطة الرُّموز. فرمى مِن قَوْسه نحو الغرب، فسارت السَّهم في اتّجاه أورشليم. ثمّ رمَى، مرَّة أخرى، نحو الشَّرق، لٰكنّ السَّهم اتَّجهت نحو أورشليم. ثمّ مرَّة ثالثة ليتأكّد من مكان وقوع المدينة المُذْنِبة التي وَجَبَ تطهيرها من الأرض، وللمرّة الثالثة اتَّجهت سَهمه نحو أورشليم»[2].

عِنْدَ المَسيحيّين.

□ نَجِد لدى المسيحيّين سرَّ التَّثليث الذي يقول بوجود ثلاثة أقانيم في الذات الإلٰهيّة؛ ويَتألَّف الثّالوث الإلٰهيّ المسيحيّ من آب،

(١) ديانات الأرواح الوثنيّة - ص ٢١٤.

(٢) «التُّلمود تاريخه وتعاليمه» لظفر الإسلام خان - ص ٦٧.

ابن، وروح قدس. والثّالوث، في المسيحيّة، هو اتّحاد ثلاثة أقانيم إلٰهيّة يَتميَّز الواحد منها عن الآخر، ولا تُؤلّف في النّتيجة إلاّ إلٰهًا واحدًا. ففي الإلٰه ثلاثة أقانيم مُتميِّز بعضهم عن بعض ومُتساوون ومُشتركون جوهريًّا في طبيعة واحدة لا تَتجزّأ. كُلّ من هؤلاء الأقانيم الثّلاثة هو الله عِلْمًا بأن ليس هنالك إلاّ إلٰه واحد. الآب هو العلّة الأولى، والابن مولود من الآب منذ الأزل، والرّوح القُدُس مُنبثِق من الآب والإبن معًا. وهنالك ترتيب بين الأقانيم من حيث المنشأ، إلاّ أنّ هٰذا التّرتيب لا وجود له على صعيد المرؤوسيّة أو التّبعيّة أو الأولويّة الزّمنيّة والتّراتبيّة. الابن هو الصورة الحيّة للآب وهو كلمته، والرّوح القُدُس هو الحُبّ الحيّ للآب والابن. وتَرتكز عقيدة الثّالوث الأقدس على تعاليم كتاب العهد الجديد، لا سيّما منه على الإصحاح الأوّل لإنجيل القدّيس يوحنّا. وقد نَشَرَ هٰذه العقيدة آباء الكنيسة الرّسوليّون وأهمّهم القدّيس إيريناوس والقدّيس اغناطيوس الأنطاكيّ والقدّيس يوستينوس[1].

وفي العهد الجديد، ركع أمام الطّفل يسوع ثلاثة ملوك مجوس هم: الأشوريّ بالتازار (Baltazar)، العبريّ ملكيور (Melchior)، والهنديّ غاتاسبا أو غاسبار (Gaspard)، وهم يَتحدّرون من ثلاثة أجناس بشريّة: سام، حام، ويافث. وجاء في الإنجيل أنّ السّيّدة العذراء ويوسف وجدا يسوع في الهيكل بَعْدَ ثلاثة أيّام (لوقا ٢: ٤٦). وكان السّيّد المسيح يُفضّل صُحبة ثلاثة رُسُل: بطرس، يعقوب ويوحنا ابني زبدى (متى ٢٦: ٣٧). وسأل السّيّد المسيح تلميذه بطرس «أتحبّني» ثلاث مرّات (يوحنا ٢١: ١٧). وأنكر بطرس مُعلّمه ثَلاث مرّات (متى ٢٦: ٣٤). وفي يوم صَلْب السّيّد المسيح، تَوجّه بيلاطوس إلى اليهود ثلاث مرّات بأنّه لا يرى أيّ ذنب اقترفه يسوع (متى ٢٣: ٢٣)، وأجابه اليهود ثلاثًا: «اصلبه». وعلى طَريق الجُلْجُلة، سَقط السّيّد المسيح ثلاث مَرّات، وصُلِبَ بثلاثة مَسامير، ومات بَعْدَ ثَلاث ساعات من النّزاع، وقام في اليوم الثّالث. ويحلو لعدد من اللاهوتيّين تشبيه بقاء السّيّد المسيح في القبر ثلاثة أيّام ببقاء يونان ثلاثة أيّام في بطن الحوت (يونان ٢: ١). وظَهَرَ السّيّد المسيح لِتلاميذه ثلاث مرّات بَعْدَ الموت (يوحنا ٢١: ١٤). وانتصرت المسيحيّة بَعْدَ مرور ثلاثة قرون على قيامة مؤسّسها.

وفي رؤيا يوحنّا، يُعتبَر العدد ثلاثة إشارة إلى الله تعالى وسرّه. ونرى في الرُّؤيا أنّ إبليس له ثلاثة أدوار كبرى في تاريخ البشريّة: الدّور الأوّل لَعِبَه مع آدم وحوّاء، أصْل الجنس البشريّ، فكان على أساس ضَلال البشريّة، لذٰلك تسمّيه «التّنين العظيم، الحيّة القديمة» (١٢: ٩)؛ والدّور الثاني كان في مُحارَبة المسيح والمسيحيّة في تأسيسها (١٢: ٤-٥)؛ والثّالث - وهو الدّور الكبير - يأتي بَعْدَ حُكْم المسيح وكنيسته (٢٠: ٤- ٦)، في اليوم الأخِر (٢٠: ٧- ١٠).

وجاء في التُّراث المسيحيّ أنّ رأس القِدّيس بولس قَفَزَ ثلاث مرّات بَعْدَ قَطْعه بالسّيف، وفي مَكان كُلّ قفزة، طَلَعَت الماء يَنبوعًا من

(١) مُعجم الحضارات السّاميّة ص - ٢٩٥ .

الأرض؛ وأنّ القدّيس بولس صَعِدَ إلى السَّماء الثّالثة بعد موته. وفي المسيحيّة، هنالك ثلاث فضائل لاهوتيّة: مَحبّة النَّفس والآخَر، الأمل بالحياة الثّانية، والإيمان بالخَلاص. ويقول التراث إنّ الشَّمس تَرقص في صباح الفصح المجيد، وتَحتفل بالقيامة في ثَلاث قفزات فرحة. ويَنذر الرّاهب المسيحيّ ثلاثة نذور: الفقر، العفَّة، والطاعة. ويَرسم المسيحيّون الأرثوذكس إشارة الصَّليب بثلاث أصابع.

وفي سورية، يَردّ التُّراث سبب الرَّعد والبرق إلى ثلاثة قدّيسين: مار الياس، مار جرجس، والخضر. ويُسبِّب القدّيسان جرجس والخضر الرَّعد والبرق بامتطائهما حصانًا عَبْرَ السَّماء. ففي حالة الخضر، يَحدث البرق من حَوافر الحِصان وهو يخطو فَوْقَ الصُّخور. أمّا مار الياس فيُخلِّف الرَّعد والبرق بقيادته العربة الناريّة عَبْرَ السَّماء. وتُصوِّر الأيقونوغرافيا السّوريّة القدّيس جرجس يَمتطي حصانًا مُطهَّمًا وهو يَحمل بيده رُمْحًا ثلاثيًّا.

وفي المسيحيّة، أيضًا، تُعتبَر زهرة الزَّنبق رمزًا ثلاثيًّا، وهي مَثَل عن العَلاقات التي تَجمع الوَحدة إلى الثُّلاثيّة. فالملاك، في مَشهد بشارة السَّيّدة العَذراء، تُصوِّره الأيقونوغرافيا المَسيحيّة يَحمل زنبقة. وكذٰلك القدّيس يوسف.

عِنْدَ المارونيّة.

□ عند المارونيّة، يقول البطريرك الدُّويهيّ: «إنّ الآباء القدّيسين عيّنوا أوقاتًا وساعاتٍ للصّلوات اللّيليّة والنّهاريّة فجعلوا السّاعات الثّالثة والسّادسة والتّاسعة لخدمة جَسد الرَّبّ. ويقال إنّ الرُّسُل الأطهار أمروا بقيامة القُدّاس في الساعة الثّالثة لأنّ الله تعالى خَلَقَ فيها الإنسان الأوَّل، وفيها حَلّ عليهم الرّوح القُدُس، ومن ثَمّ أوجبوا على الكهنة أن يَبدأوا القُدّاس بَعْدَ الصَّلاة الثّالثة في أيّام السَّبت ونياحة الموتى».

وفي الكهنوت الجسدانيّ، يَذكر الكِتاب المُقدَّس - بِحَسَب الدُّويهيّ - أنّ الله قَسَّمه ثلاثة أقسام وسمّاهم أحبارًا وكهنة ولاويّين. وتَكلّم ديونيسيوس عن الكهنوت الرّوحانيّ فقال «إنّ فيه ثلاث مَراتب عليا ووسطى ودنيا. فالمرتبة الأولى هي أقرب إلى الله ومنه تَتقبَّل الوحي وتُعطيه للمرتبة الثّانية، والثّانية تَقبله من الأولى وتُوصِله إلى الثّالثة، والثّالثة تَقبله من الثانية وتَمنحه لَلْبَشر لِيَسلكوا بالنّعمة ويَنتقلوا إلى الملكوت. وكلّ مَرتبة من هٰذه المَراتب تَحوي ثَلاثة أقسام: المَرتبة الأولى التي تَخدم القُبَّة الكاملة وغير المَصنوعة بالأيدي وهي: الكاروبيم والسارافيم والجلاّس، والمَرتبة الثّانية تحوي ثَلاثة أقسام أيضًا هي: السّادات والقُوّات والسَّلاطين، وتَتألَّف المرتبة الثّالثة من العساكر والرُّؤساء والملائكة».

وفي مكان آخر، يقول الدُّويهيّ: «كما أنّ نوحًا قَسّم الأرض ثلاثة أقسام وولّى سام على آسيا، وحام على أفريقيا، ويافث على أوروبّا، فقد أوصى الرَّبّ لبطرس أن يقيم ثَلاث كراسيّ في أنطاكيا، روما، والإسكندريّة».

وتُقسَم مَراتب الكهنوت المسيحيّ ثلاثة أقسام علىَ عَدد مَراتب الذين يَخدمون الثالوث المُقدَّس: - أساقفة، كهنة، وشمامسة. وفي المارونيّة، يُمسِك الكاهن ثلاث وظائف: الأولى إنه مُسلَّط على ذاته - بِحَسَب

الدُّويهيّ - والثانية إنّه نائب المسيح وقائم بأقنومه، والثالثة إنّه رأس الشَّعب ووسيط بينهم وبين الله[١].

عِنْدَ العَرَب.

□ كان سُكّان الجزيرة العربيّة بَعْدَ الطُّوفان يَعبدون ثَلاثة أصنام: صدا، صمودا، وهرا. وعند العرب، هناك ثَلاثة أسماء لِثَلاث آلهات قمريّة هُنّ اللات، مَناة، والعُزّى: مَناة هي القمر المُظلِم، اللات هي القَمر المُنير، والعُزّى الاثنان معًا[٢]. وكان العرب قد اتَّخذوا مِن هٰذه الآلهات أصنامًا يُصلّون لها تَقرُّبًا إلى الله، وكان أهْل المَدينة يُكرّمون مَناة، وأهل الطائف اللات، وأهْل مَكّة العُزّى. وكان العرب يَقصدون هٰذه الأصنام ويُعظّمونها كَتعظيم الكَعْبَة.

وفي التُّراث، إذا تَردَّد عربيّ أمام قرار عليه أن يَتّخذه كان يختار ثَلاثة سِهام، فيَكتب على الأوّل «سيّدي يأمرني»، وعلى الثاني «سيّدي يَمنعني»، وعلى الثالث «لا شيء». ثُمّ يَضع السِّهام في جُعْبَته ويَسحب سَهْمًا ويُنفِّذ الأمر وإذا سَحَبَ السَّهم الثالث، يُعيد السَّحب بالقُرْعة مِن جديد.

عِنْدَ المسلمين.

□ عند المسلمين، يُمثّل المُثلَّث اتّحاد السَّماء والأرض والإنسان في الكائن الأعظم.

والمَصادر الدينيّة الإسلاميّة ثلاثة: القرآن الكريم، السُّنّة النّبويّة الشَّريفة، والفِقْه في الدين. ويقول الإسلام بوجود ثلاثة أنساك في الحجّ: الأوّل هو الإحرام بالعُمْرة وَحْدَها وذٰلك بأن يقول القاصد للعُمْرة: اللّٰهمّ لبّيك عمرة؛ ويقول في النُّسك الثاني: اللّٰهمّ لبَّيك حجًّا؛ ويقول في النُّسك الثالث: اللّٰهمّ لبّيك عمرة وحجًّا. ويَعتبر الإسلام أنّ الروح التي تَنفصل عن جَسَد المَيْت تَظلّ سابحة فوقه على مَدى ثلاثة أيّام. وتَستمرّ التَّعزية بالميت ثلاثة أيّام بَعْدَ الدَّفن. ويَعتقد مُحمَّد بن عليّ أنّ العرب يَملكون ثلاثة أحجار من الجنّة: الحجر الأسود، المقام، وحجر بني إسرائيل. وكانت عادة المُسلِم، حين يَتمّ الزَّواج في بيت العَروس، تَقضي بأن يقيم العريس مع عروسه في بيت أهْلها ثَلاثة أيّام. وعِنْدَ الطَّلاق، يقول المُسلم لزوجته: أنْتِ طالق ثلاثًا، أي أنّه يُقسِم ثلاثًا بالطَّلاق.

وكان محمّد ﷺ يَخطب في مَسجده مُستنِدًا إلى جِذْع من جذوع النَّخل التي يَعتمد عليها سَقْفه إلى أن صُنِعَ له مِنْبَر من ثَلاث دَرجات، كان يقوم على درجته الأولى خطيبًا، وكان يَجلس على درجته الثانية.

وفي الحديث، طَلَبَ مُحمَّد ﷺ من المرأة أن تَمتنع عن تزيين نَفْسها ثَلاثة أيّام إذا مات أبوها أو أخوها أو أي قريب لها. ونُقِلَ عن أبي هريرة أنّ مُحمَّدًا ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عَمَله إلّا من ثلاثة: صَدقة جارية، وعِلْم يَنتفع به، ووَلَد صالِح يَدعو له».

ويقول الفُقَهاء في الدين الإسلاميّ إنّ مَفهوم الحِجاب ثلاثيّ الأبعاد، وهٰذه الأبعاد الثّلاثة

(١) تاريخ الأزمنة.

(٢) الميثولوجيا عند العرب - ص ٩٧.

غالبًا ما تَتقاطع. فالبُعْد الأوَّل رؤيويّ: الحَجْب عن النَّظر. فجَذْر الفِعْل حَجَبَ يَعني أخفى، خبّأ. والبُعْد الثّاني فراغيّ، فضائيّ بمعنى فصل، عَيَّن حدًّا، أقام عَتبة. والبُعْد الثّالث والأخير أخلاقيّ يَعود لميدان المُحرَّم.

ويَرِد ذِكْر الحِجاب سَبْع مرّات في القرآن الكريم.

ورُوِي عن عمر بن الخطّاب قوله: «ما أصابتني مصيبة إلاّ وَجَدْتُ فيها ثَلاث نِعَم: الأولَى أنّها لم تكن في ديني، الثّانية أنّها لم تكن أعظم ممّا كانت، والثّالثة أنّ الله يُجازي عليها الجَزاء الكبير».

وقال مُعاوية: «يَطلب الرَّجُل من المرأة ثلاثًا: الفَضيلة في قَلْبها، الوَداعة على وَجْهها، والابتسامة على ثَغْرها».

عند المتصوّفة.

□ يُؤمِن المُتصوِّفة بِوُجود مَنازل ثلاثة هي: الفناء، اللّقاء، والبَقاء.

عند اليَزيديّين.

□ تَعتقد اليَزيديّة بتَناسُخ الأرواح. وعند موت أحد اليزيديّين تَستمرّ المناحة ثَلاثة أيّام، فتَذهب النّساء إلى قَبْر الفَقيد ثَلاث مَرّات فيبكين ويَعدن إلى مَنازلهنّ. وفي المَرّة الثّالثة، يَصطحبن طعامًا إلى القبر اعتقادًا منهنّ أنّه قد يحتاج إلى الأكل. ومن واجِب كُلّ يَزيديّ، ذَكَرًا كان أم أُنْثى، أن يَزور طاووس الملك ثلاث مَرّات في السَّنة. والمرأة اليَزيديّة التي تَزني، وتَقع في الجُرْم المَشهود، تَتعرَّض للقتل، فيما يُضطرّ زَوْجها أن يَدفع ثَلاث مَرّات ثمن الدَّم، وإلاّ يُعرِّض نَفْسه لموت قَريب[1].

عند البَهائيّين.

□ تَعرف البهائيّة ثَلاثة أنواع من الصَّلاة، بِحَسَب الاستعداد الروحانيّ للشَّخص: صَلاة كبرى مِن الظُّهر إلى الظُّهر تُؤدّى مَرّة واحدة في اليوم، وصَلاة وُسْطَى وتُتلَى ثلاث مَرّات في اليوم: صُبْحًا وظُهْرًا وغُروبًا؛ وصَلاة صُغرَى وهي مَرّة واحدة كلّ يوم تُؤدَّى في أيّ وقت من النَّهار. ويَغسل البهائيّون الميت ثلاث مَرّات مُتكرِّرة، فيقول الطَّقس: «نبدأ بالرَّأس والرَّقبة ونقول: يا فرض. وبَعْدَها الصَّدر والبطن ونقول: يا حيّ؛ من ثَمّ الجهة اليُمنَى نقول: يا قيّوم. وبَعْدَها الجهة اليُسرَى ونقول: يا حَكيم. ثُمّ الرِّجْل اليُمنَى ونقول: يا عَدْل. وبَعْدَها اليُسرَى ونقول: يا قُدّوس. كُلّ هذا يُشكِّل غَسْلاً نقوم به ثَلاث مَرّات»[2].

عِنْدَ المُوحّدين (الدروز).

□ عند الموحّدين، أمكنة العِبادة هي على ثَلاثة أنواع: المَجلس، الخَلْوة، والمَقام. فالمَجلس مكان لاجتماع العُموم، يُوجَد منه واحد في كُلّ قرية أو مَجموعة دُرْزيّة، والخَلوة مكان خاصّ بأحد المُتديِّنين، والمَقام مَزار مُخصَّص لأحد حدود الدَّعوة.

تُدور الصَّلاة، في المَعابد الدُّرزيّة، بقيادة سائس المَجلس في ثَلاث مَراحل: المرحلة الأولَى تَدوم تسعين دقيقة ويُسمَح لأيّ درزيّ

---

(١) Les sectes secrètes de l'Islam

(٢) البهائيّة والقاديانيّة – ص ١٠٣.

بالمُشارَكة فيها بِشَرط أن يَرتدي الكوفيّة والشّروال والغمباز. والمرحلة الثّانية وهي مُخصَّصة للدُّروز الذين يَملكون ثقافة دينيّة مُتقدِّمة، وتدوم ثلاثين دَقيقة. والمَرحلة الثّالثة، وهي مُكرَّسة للأجاويد، وهي دور كَشْف الحقائق وتَدوم ساعتين ونصف الساعة.

عِنْدَ النُّصيريِّين.

▫ يَتكوَّن الثّالوث الإلٰهيّ النُّصيريّ من ثلاثة أشخاص: عليّ، مُحمَّد، وسلمان الفارسيّ، أي ع م س، وجَمْعها عمس. الثّلاثة يُؤلِّفون الذات الإلٰهيّة: عليّ هو المعنى، مُحمَّد هو الاسم، وسَلمان هو الباب.

عِنْدَ الماسونيّين.

▫ ترفع الماسونيّة شعارًا ثلاثيًا هو: الحرّيّة، المساواة، والإخاء(١).

الدَّرجات الثَّلاث.

▫ تَتألّف الجمعيّة من إخوة ينتمون إلى ثلاث درجات هي: المبتدئ المسجَّل، الزَّميل الحرفيّ، والأستاذ البنّاء(٢)، أو مبتدئ، شغّال، وأستاذ(٣)، أو تلميذ، رفيق، أستاذ(٤)، وهي درجات معروفة ومُتّبعة في الجمعيّات الماسونيّة الحاليّة في العالَم. وتَرمز هٰذه الدَّرجات إلى: طبيعة - فكرة - حقيقة، أو إلى عمل - درس - حكمة(٥).

أمّا الأب شيخو اليسوعيّ فيقول إنّ النّظام الداخليّ للماسونيّة يَتركّب من الدَّرجات الثّلاث الأصوليّة أي الطالب والرّفيق والأستاذ(٦).

وحين يُرقّى الماسونيّ إلى درجة الأستاذ، يُضاء المحفل بثلاث مجموعات من ثلاثة أنوار؛ وعندما يُرقّى الماسونيّ إلى درجة الوردة - الصليب (Rose-Croix)، يتمّ تحضير ثلاث غرف، على أن يكون في الغرفة الثانية لوح رُسم عليه ثلاثة رؤوس، كلّ رأس على حجر. وحين يُقبل المنضوي الجديد في الماسونيّة، تُربط عيناه بخرقة، ثُمّ ترفع عن عينيه حين يضرب الاستاذ ثلاث ضربات على الطاولة، ثم تضاء الكهرباء ثلاث مرّات(٧).

الأنوار الثَّلاثة.

▫ في المحفل الماسونيّ، توجد ثلاثة أنوار كبرى هي: حجم القانون المقدّس، المثلّث، والبركار. ويرمز الحجم إلى الخلق الأزليّ، بواسطة المثلّث الذي يجعله قابلًا للتحقيق، أمّا البركار فيتيح التأكّد من تناسق العالم(٨).

الأعمدة الثَّلاثة.

▫ العدد ثلاثة حاضر أيضًا في الأعمدة الثّلاثة في المحفل الماسونيّ: العمود الأوّل

(١) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ١.
(٢) دستور أندرسون - ص ٦.
(٣) La franc-maçonnerie - p.43
(٤) Le symbolisme des nombres - p.69
(٥) Ibid.
(٦) السّرّ المصون في شيعة الفرمسون - الكرّاس الثاني - ص ٣٦.
(٧) Les symboles - p.346
(٨) La franc-maçonnerie - p.264

يرمز إلى الحكمة، والعمود الثاني إلى القوّة، والثالث إلى الجمال[١]. وهٰذه الرُّموز مأخوذة عن الكنيسة التي كانت ترتكز، في البدايات، إلى ثلاثة أعمدة مشابهة: يوحنا، يعقوب، وبطرس.

المنضوي الجديد.

□ يخضع المنضوي الجديد إلى الجمعيّة للتّحقيق من قبل ثلاثة ماسونيّين؛ ويجري امتحان الدخول على ثلاث مراحل، ويجب أن يخضع المنضوي إلى ثلاثة شروط هي: أن يكون صالحًا في المجتمع، وأن يتخلّى عن ثروته المادّيّة، وأن يحافظ على سرّ الجمعيّة[٢].

وحين يدخل المنضوي الجديد إلى المحفل الماسونيّ للمرّة الأولى، فإنّه يقف أمام الباب الخارجيّ، ويطرق ثلاث ضربات ثلاث مرّات، وحين يصل إلى القاعة، يقوم بثلاث خطوات[٣].

يتلقّى المنضوي الجديد الأسرار الماسونيّة المكرّسة على ثلاث مراحل، فعندما يصبح مبتدئًا يتلقّى أصول القيم الأخلاقيّة، وعندما يصبح شغّالاً يتلقّى أصول القيم البطوليّة والعقليّة، أمّا الأستاذ فيتلقّى أصول القيم المافوق الإنسانيّة والإلٰهيّة[٤].

ثلاثيّات.

□ تبنّت الماسونيّة ثلاثة رموز أساسيّة للجمعيّة هي: مثلّث من ذهب، بركار من فضّة له أطراف مذهّبة، ومِسَجّة (truelle) من فضّة. ولا يزال الرّمزان الأوّلان سائدين حتّى اليوم[٥].

وفي عمق المحفل، تقودنا درجات ثلاث نحو «الشرق» حيث المنصّة والعرش الذي يستوي عليه «الأستاذ المحترم» محاطًا بالشمس والقمر[٦].

وداخل المَحفل، عندما يسمع الإخوة المُجتمِعون ثلاث ضربات على الطاولة، فهٰذا يعني أنّ الأستاذ يعتزم الكلام شخصيًّا. واستنادًا إلى مصادر ماسونيّة، كان يُوجَد خَلْفَ المناظر ثلاث طاولات صغيرة[٧].

يقول التُّراث الماسونيّ إنّ ثلاثة أخوة قتلوا الأستاذ حيرام لأنّه رفض أن يَرفعهم إلى درجة الأستاذ وهم: جوبيلوس، جوبيلاس، جوبيلوم[٨]. ويضيف التُّراث أنّ مدفن الأستاذ حيرام كان له ثلاث أقدام من العرض، خمس من العمق، وسبع من الطول؛ وحُفِرَت في داخله ثلاث حُفر: الأولى للجثّة، الثانية للعصا، والثالثة للثّياب[٩].

ويَفرض القانون الماسونيّ أن تكون أقلّ

---

(١) Ibid.

(٢) La franc-maçonnerie - p.52 et p.230

(٣) Ibid - p.113 et 265

(٤) Ibid - p.33

(٥) Ibid - p.100.

(٦) الماسونيّة بين الانحراف والأصوليّة - ص ٨٦.

(٧) La franc-maçonnerie - p.113

(٨) تبديد الظّلام أو أصل الماسونيّة.

(٩) نفس المرجع - ص ٢٥٧.

درجات المُحترم الدَّرجة الثّالثة ولا يجوز أن يُعيَّن رئيسًا إذا لم يكن غير حاصل على هذه الدَّرجة[١].

المُثلَّث.

□ يُكرِّم الماسونيّون العدد ثلاثة كثيرًا في طقوسهم. ويُطلَق على الماسونيّين لقب «الإخوة ثلاث نقاط» بسبب الرَّمز (∴) الذي يَستعملونه بشكل مُثلَّث، وهذه النّقاط الثّلاث ترمز، بشكل أساسيّ، إلى النور الداخليّ وإلى الرّوح الذي تَرأس عمليّة خلق العالَم. لكنّ هٰذا الرَّمز مأخوذ عن حضارات قديمة، إذ إنّنا نلحظه منقوشًا على أشياء سلتيّة (إيرلندا القديمة) تعود إلى القرن الرابع ق.م.، كما إنّه رمز موجود في مصر، كريت، واليونان. ومن المُرجَّح أن يكون الماسونيّون قد أخذوا رمز المُثلَّث من التُّراث الإغريقيّ[٢].

كما أنّ النّقاط الثّلاث في الرَّمز المُثلَّث تُذكِّر، ولا شكّ، بالنّقاط الثّلاث التي تشير إلى يهوه في اليهوديّة: النُّقطة الأولى تَدلّ إلى الزّمن الأزليّ وإلى أب الأزل، والثّانية إلى المسافة وإلى صليب الابن، والثّالثة إلى المادّة وروح العالَم[٣].

يقول الأب شيخو إنّ النّقاط الثلاث شعار الماسونيّة يقدّمونهُ على أسمائهم في كتاباتهم ليتعارفوا بينهم وهٰذه النّقاط تمثّل مثلّثًا يريدون به المساواة بين كلّ البشر بين الصَّغير والكبير والسيّد والمسود والأمير والمأمور[٤].

ويضيف أنَّ العدد المثلَّث هو أحسن الرُّموز عن الطبيعة فانَّ زواياهُ الثّلاث تدلُّ على مواليد الطبيعة الثّلاثيّة التي يتكوَّن من مجموعها الله أو الطبيعة. وفي وسط المثلَّث حرفا I (ignis) و G (God) ومعناهما الرّوح المحيي أي النار والله أي الطبيعة الوالدة[٥].

وفي الماسونيّة، يعتبر العدد واحد تأكيدًا للكائن. وتُقسم هذه الوحدة في العدد اثنين، ويأتي العدد ثلاثة يُعيد إلى الوحدة ما قُسم منها. ويشكّل العدد ثلاثة قانونًا يُعرف بـ «قانون التثليث»، وهو قانون أساسيّ في العقيدة الماسونيّة. والمثلّث، في الماسونيّة، صورة مصغّرة عن الهرم السماويّ، المثلّث المضيء على أصول بدايات العالم[٦].

وهناك نظريّة تفيد بأنّ المثلّث مأخوذ من الثالوث المقدّس في المسيحيّة، وهو يرمز، في الماسونيّة، إلى المبدأ الإلٰهيّ، أي إلى قدرة المهندس الأعظم للكون[٧].

وفي القانون الماسونيّ جاء أنّ حامل الكتاب المُقدَّس يحملهُ في الاحتفالات الرَّسميّة ويُقدِّمه للرُّؤساءِ والإخوان عندما يقسمون على أمر وعلامتهُ كتاب مفتوح داخل مُثلَّث[٨].

وفي موضوع المُصافَحة الماسونيّة يقول

(١) الدُّستور الماسونيّ العامّ - ص ٤٣.

(٢) La franc-maçonnerie - p.263

(٣) Le symbolisme des nombres - p.64

(٤) السِّرّ المصون في شيعة الفرمسون - الكرّاس الثاني - ص ١٤.

(٥) نفس المرجع - ص ٨٠.

(٦) La franc-maçonnerie - p.254

(٧) Les symboles - p.347

(٨) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ٣٠.

الأب شيخو: «أما (اللّمسة) التي ضنّ علينا بتعريفها جناب شاهين بك فهي المُصافحة الماسونيّة وتصير هٰكذا: يأخذ الأخ (***) بيمين الذي يريد أن يُعرّفه بنفسهِ فيجعل ابهامهُ على أعلى سُلاميّات سَبابتهِ بينما يدقّ بأصابعهِ الأربع ثلاث دقات في كفّهِ. فهٰذه اللمسة تستدعي التّلفُّظ بالكلمة السّريّة وهٰذه الكلمة السّريّة هي أشرف وأعظم وأغمض كلّ الأسرار حتّى أنّهُ لا يجوز لفظها إلّا بالحروف المقطّعة»[١].

وفي الدُّستور الماسونيّ، تبدأ المراسلات الماسونيّة القانونيّة على الشكل التالي:

باسم مهندس الكون الأعظم

المحفل الأكبر الأورشليميّ

من الأستاذ الأعظم

إلى جميع الإخوة الماسون عباد الله القدير

المنتشرين على نصفي الكرة الارضية

سلام *** سلام *** سلام[٢].

العين داخل المثلّث.

□ ترتفع في المحفل، فوق رأس الأستاذ الذي يدير الأعمال الماسونيّة، صورة تمثّل مثلّثًا رُسمت في داخله عين. والعين داخل المثلّث موضوع خلقتِهِ الأيقونوغرافيا المصريّة القديمة، وتبنّاه الفن الإغريقيّ[٣].

إنّ جمعيّات سريّة عديدة أخذت شعار العين داخل المثلّث في مجموعتها الرّمزيّة، فالرّمز الروحيّ هو أن تكون العين الماسونيّة مفتوحة على كلّ ما يجري من حولها. ولا تنفصل العين عن درجة الاستاذ الماسونيّ. واعتماد هٰذا الرّمز من قبل الماسونيّة يؤكّد أصولها الباطنيّة بكلّ وضوح[٤].

في المافيا.

□ على المافيوزي أن يَتحلّى بثلاث خصائل: الشّرف، الواجب، والشّجاعة.

في السّحر.

□ الثّلاثة عدد سحريّ: المجوس ثلاثة والشُّموس ثلاث: الأوّل أبيض يَحمل الذّهب، رمز الضّوء؛ الثاني أسود، يَحمل المرّ، رمز الموت؛ الثالث أسمر، يَحمل البخور، رمز الألوهة المُتسامِحة. وفي السّحر، هناك ثلاثة حيوانات رمزيّة: الثّور يرمز إلى الأرض، أو إلى ملح الفلاسفة؛ والكلب يَرمز إلى الهواء والماء؛ والتّيس يُمثّل الشيطان.

في الكَوْنِيّة.

□ يَتألّف الكون من ثلاثة عناصر: السّماء، الأرض، والمياه. ومن ثلاثة عَوالم: ألوهيّ، سماويّ، وأرضيّ. والزّمن من: الماضي، الحاضر، والمُستقبَل. والشُّعاع من ثلاثة أبعاد: طول، عَرْض، وعُمق.

---

(١) السرّ المصون في شيعة الفرمسون - الكرّاس الثاني - ص ٢٠.

(٢) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ٦٤.

(٣) La franc-maçonnerie - p.253

(٤) Ibid. p.254.

الأطوار الثّلاثة للقمر.

□ يَمرّ القمر في ثلاثة أطوار منذ ظهوره في أوّل الشّهر وحتى اختفائه ثلاثة أيّام. الطّور الأوّل هو الفترة التي يَقضيها الهلال في التّزايُد التّدريجيّ والتّحوُّل من خيط رفيع إلى قُرْص مُكتمِل. والطّور الثّاني هو فترة القَمر البَدْر الذي يَتوسَّط كَبد السَّماء بكامل استدارته وتألُّقه. والطّور الثالث هو الفَترة التي يَقضيها القَمر في التّناقُص والمَيَلان عن كَبِدِ السَّماء حتّى التّلاشي والغَوْص في أعماق الظّلام. وقد عَبَّرت الأعمال التّشكيليّة القديمة عن هٰذه الوجوه الثّلاثة لعشتار سيِّدة القمر بأساليب رَمْزيّة مُختلِفة. ففي سورية، رَمَزَ الفينيقيّون إلى أطوار عشتار الثّلاثة، بثلاثة أعمدة مُتفاوِتة الطول يعلوها الهلال، أو بثلاثة أعمدة، يَتّخذ كُلّ واحد منها لِطَوْر مِن أطواره، كما هو الأمْر في بعض النُّقوش البابليّة. وعندما تَحوَّل القمر إلى إله مُذكَّر في بلاد الرافدين تحت اسم سن، بَقِيَت الأعمال التّشكيليّة تُعبِّر عن وجوهه الثّلاثة. فهناك رسم يُصوِّر إله القمر جالسًا في الوَسَط حاملًا قُرْص البَدْر يُحيط به الهلال، وأمامه حيوان مُقبِل يُشير إلى القمر المُتزايِد ووراءه آخَر مُدبِر يُشير إلى القمر المُتناقِص. وإضافة إلى هٰذه الرُّموز التّشكيليّة، فإنّ الأُمّ القَمريّة قد صُوِّرت أحيانًا في هيئة مُثلَّثة، فهناك رَسْم يُمثِّل الإلٰهة الإغريقيّة أرتميس (Artémis) بِثلاثة رؤوس يَلتفت أوّلها إلى اليمين دلالة القمر المُتزايِد، والثاني نحو الأمام دَلالة القمر التامّ، والثالث إلى اليسار دَلالة القمر المُتناقِص، ويَتعلّق بِيَدها اليُسرَى كَلْب الجَحيم الضاري واثبًا على قائمتيه الخَلفيَّتين. وقد يُؤدّي تَثليث سَيِّدة القمر إلى عِبادتها في ثلاثة أشكال، كما هو الحال في الأُمّ الكُبْرى للحضارة السّلتيّة في إيرلندا القديمة، فكانت بريجيت أمّ الآلهة وسَيِّدة الطّبيعة، وقد عُبِدَت هٰذه الإلٰهة في ثلاث إلٰهات اسم كُلّ منهنّ بريجيت[١].

من جهة ثانية، يقول البيروني في «الآثار الباقية عن القرون الخالية»[٢]: «لم يكن العَرَب يُسمّون أيّامهم بأسماء مُفردَة كما سَمّاها الفُرْس. غَيْرَ أنّهم أفردُوا لكلّ ثلاث ليالٍ من كلّ شهر من شهورهم اسمًا على حدة مُستخرجًا من حال القمر وضوْءه فيها. فإذا ابتدَأوا من أوّل الشّهر فثلاث غُرَرٍ جمع غرَّة وغرَّة كُلّ شيء أوّلُه. وقيل بل ذٰلك لأنّ الهِلال يُرى فيها كالغُرَّة، ثمّ ثلاثُ نُفَلٍ من قولهم تنفَّل إذا ابتدأ بالعَطِيّة من غير وُجوبٍ وسمَّى بَعْضُهم هٰذه الثّلاث الثانية شُهُبًا، ثُمّ ثلاثُ تُسَع لأنّ آخِرَ ليلةٍ منها هي التاسعةُ، وسمَّى بعضُهم هٰذه الثلاثَ الثالثةَ البُهَرَ لأنّها تَبْهَرُ ظُلْمَةُ اللّيل فيها، ثم ثلاثُ عُشَرٍ لأنّ أوّلَها العاشرةُ، ثمّ ثلاثُ بِيضٍ لأنها تَبْيَضُّ بطلوع القَمَرِ من أوّلِها إلى آخِرِها، ثمّ ثلاثُ دُرَعٍ لاسودادِ أوائلِها تَشْبيهًا بالشّاةِ الدَّرْعاء والأصْلُ هو التّشبيه بالدِّرْع الملبوس لأنّ لَوْنَ رأسِ لابِسِه يُخالِفُ لَوْنَ سائرِ بَدَنِه، ثمّ ثلاثُ ظُلَمٍ لإظلامِها في أكثرِ أوْقاتها، ثمّ ثلاثُ حَنادِسَ وقيل لها أيضًا دُهم لسَوادها، ثُمّ ثلاثُ دآدى لأنّها بَقايا، وقيل إنّ ذٰلك من سَبْرِ الإبِلِ وهو

(١) لغز عشتار - فِراس السوّاح (ص ٨٥ - ٨٧).
(٢) ص ٩٣- ٩٤.

تَقَدُّمُ يَدٍ يَتْبَعُها الأخرى عَجَلًا، ثمّ ثلاثُ مُحاقٍ لانمِحاقِ القمرِ والشّهر.

وخَصُّوا من الشّهر لَيالِيَ بأسْماء مُفْرَدةٍ كآخِرِ ليلةٍ منه فانَّها تُسمَّى السَّرارَ لاستِسرارِ القمرِ فيها، وتُسمَّى الفَحَمَةَ أيضًا لَعَدَمِ الضَّوْء فيها، ويقال لها البَراءُ لِتَبرُّؤ الشَّمسِ فيها، وكآخِرِ يوم من الشَّهر فانَّهم يُسَمُّونه النَّحيرَ لأنّه يَنْحرُ فيهِ أي يكون في نَحْرِه، وكاللَّيلةِ الثَّالثة عَشْرَ فانَّها تُسمَّى السَّواءَ، والرّابعة عَشْرَ ليلةُ البَدْرِ لامتِلاء القمرِ فيها وتَمام ضَوْءه وكُلُّ شَيء قد تمَّ، فقد بَدَرَ كما قيل للعَشَرَةِ آلافِ دِرْهم بَدْرَة لأنَّها تَمامُ العَدَدِ ومُنْتهاه بالوَضْع لا بالطَّبْع وقد كانوا - أعني العَرَبَ - يَسْتَعْمِلون فيها الأسابيعَ وهٰذه أسْماؤُها القديمة أوَّلُ وهو الأحَدُ أهْوَنُ جُبارٌ دُبارٌ مُؤنسٌ عَرُوبَةٌ شِيارٌ وذَكَرَها شاعرُهم فقال:

أؤَمِّلُ أنْ أعِيشَ وَأنَّ يَوْمِي
بِأوَّل أوْ بِأهْوَنَ أوْ جُبَارِ
أوِ التَّالِي دُبَارَ فَإنْ أفُتْهُ
فَمُؤنِسَ أوْ عَرُوبَةَ أوْ شِيَارِ

ثمّ أحدَثُوا إليها أسْماءَ أُخَرَ هي هٰذه الأحَدُ الإثنين الثُّلاثاءُ الأرْبعاءُ الخَميسُ الجُمْعَةُ السَّبْتُ.

في الفنون.

□ تَتألَّف الجدليّة الفلسفيّة من ثلاث مَراحل: طرح - طرح مُضادّ - خُلاصَة. وتَستخدم اللّغة اليابانيّة ثلاث أبجديّات: الهيراجانا، الكاتاكانا، والحروف الصّينيّة الأصل. وقَبْلَ بَدْء المسرحيّة، تُضرَب العصا ثلاث مَرّات على المَسرح إيذانًا برفع السّتارة.

في الأمثال.

□ وَرَدَت على لسان أحيقار[١] تعاليم ونصائح تقوم على الثّلاثة منها: «تمام المعروف يا بنيّ ثلاثة أشياء تَحسن بالإنسان: حُسْن المَحضر واحتمال الإخوان وقلّة المَلل للصَّديق. وثلاثة أشياء فيها الرُّشد: مُشاوَرة النّاصح، ومُداراة العدوّ والحاسد، والتَّجنُّب لكلّ أحد. والمغرور من وَثق بثلاثة أشياء: الذي يُصدِّق ما لا يراه، ويُركن إلى مَن لا يثق به، ويَطمع فيما لا يناله. وللحاسد ثلاث علامات: يَغتاب صاحبه إن غاب، ويَتملَّق إذا شَهد، ويَشمت فيه بالمصيبة.

وفي لبنان، يَستعمل المزارعون لفظة «ثَلَّث الأرض» أي فَلَحَها ثلاث مَرّات. وفي لبنان، أيضًا، عندما يُريد أحدهم أن يأخذ على نَفْسه عهدًا، فهو يخطو ثلاث خطوات إلى الأمام، ثُمّ يأخذ عودًا من الأرض ويقول: «وحياة هالعود والرَّبّ المعبود». ويقول مثل لبنانيّ: ثلاثة لا تختفي: الحُبّ، والحَبَل، والثّلج على صنّين.

في عِلم النُّجوم.

□ يقول إخوان الصَّفاء «إن علم النُّجوم ينقسم ثلاثة أقسام: قسمٌ منها هو معرفة تركيب الأفلاك وكمّية الكواكب، وأقسام البروج وأبعادها وعِظمها وحركاتها، وما يتبعها من هٰذا الفنّ، ويُسمَّى هٰذا القِسْم «علم الهيئة». ومنها قسمٌ هو معرفة حلّ الزِّيجات وعمل التَّقاويم واستخراج التَّواريخ، وما شاكَل ذٰلك. ومنها

(١) حكيم فارسيّ.

قسمٌ هو معرفة كيفيّة الاستدلال بدوَران الفَلك وطَوالع البُروج وحركات الكواكب على الكائنات قَبْلَ كونها تحت فَلك القمر، ويُسمَّى هٰذا النّوع «عِلم الأحكام». فنريد أن نذكُر في هٰذه الرّسالة من كُلّ نوعٍ طرفًا شبهَ المدخَل كيما يُسهِّل الطريق علىٰ المُتعلّمين ويُقرِّب تَناوُله للمبتدئين، فنقول:

أصلُ علم النُّجوم هو معرفة ثلاثة أشياء، وهي الكواكب والأفلاك والبروج. فالكواكب أجسام كُرِيّات مُستديرات مضيئات، وهي ألْف وتسعة وعشرون كوكبًا كبارًا؛ التي أدركَتْ بالرَّصْدِ منها سبعة يقال لها السَّيّارة، وهي زُحَل والمشتري والمِرِّيخُ والشّمس والزُّهرَةُ وعُطارد والقمر؛ والباقية يقال لها ثابتةٌ، ولكلّ كوكبٍ من السَّبعة السَّيّارة فَلك يَخصّه. والأفلاك هي أجسام كُرِيّات مُشِفَّات مُجوَّفات، وهي تسعة أفلاك مُركَّبة بعضها في جوف بعض كحلقة البصلة، فأدناها إلينا فلكُ القمر وهو مُحيط بالهواء من جَميع الجِهات، كإحاطة قشرة البيضة ببياضها، والأرض في جَوف الهواء كالمُحّ في بياضها، ومن وراء فلك القمر فلكُ عُطارِد، ومن وراء فلك عُطارد فلك الزُّهَرة، ومن وراءِ فلك الزُّهَرة فلكُ الشَّمس، ومن وراء فلك الشَّمس فلك المِرِّيخ، ومن وراءِ فلك المِرِّيخ فلك المُشتري، ومن وراء فلك المُشتري فلك زُحَل، ومن وراء فلك زُحَل فلكُ الكواكب الثابتةِ، ومن وراء فلك الكواكب الثابتة فلك المُحيطِ.

ويقول إخوان الصَّفاء «إنّ الكواكب السَّيّارة لِبَعْضها في بيوت بَعْض شَركة تسمَّى «رُبوبيّةَ المُثلَّثات» ولها فيها أقسام تُسمَّى «الوجوه» ولها فيها خُطوط تُسمَّى «الحدود». تَفصيلُ ذٰلك أن كُلّ ثلاثة أبراج على طبيعة واحِدة تُسمَّى المثلَّثات كما بُيّن مِن قَبْل ذٰلك، وتُديرُها ثلاثة كواكِبَ تُسمَّى أرباب المُثلَّثات يُستَدلّ بها على أثلاث أعمار المواليد. فأرباب المُثلَّثات الناريّات بالنَّهار الشَّمس ثُمّ المُشتري، وباللَّيل المُشتري ثُمّ الشَّمس، وشريكهما باللَّيل والنَّهار زُحَل؛ وأرباب المُثلَّثات التُّرابيّات بالنَّهار الزُّهرَة ثُمّ القمر، وباللَّيل القمر ثُمّ الزُّهَرة، وشريكُهما باللَّيل والنَّهار المِرِّيخ؛ وأرباب المُثلَّثات الهوائيّات بالنَّهار زُحَل ثُمّ عُطارد، وباللَّيل عُطارد ثُمّ زُحَل؛ وشريكهما باللَّيل والنَّهار المشتري؛ وأربابُ المُثلَّثات المائيّات بالنَّهار الزُّهرَة ثُمّ المِرِّيخ، وباللَّيل المِرِّيخ ثُمّ الزُّهَرة، وشريكهما باللَّيل والنَّهار القمرُ»[1].

في البيولوجيا.

▫ يتألّف الجنس البشريّ من ثلاثة أجناس: الأبيض، الأصفر، والأسْود. وتتألّف أوروبا من ثلاثة عروق بشريّة: اللاتين، الجرمان، والسّلاف. وهناك ثلاثة أنواع من الشَّعر لدى الإنسان: مُزعتر للعبيد، مالِس للجنس الأصفر، ومُتموّج للجنس الأوروبيّ. ويَتألّف الإنسان من ثلاثة عناصر: الروح، الجسد، والعقل. ومن: الرَّأس، الجذع، والأطراف. والرَّأس من: الجبهة، الأنف، والفم. والجهاز العصبيّ من: ضفيرة الأعصاب الشَّمسيّة، القلبيّة، والدّماغيّة. وتَتفاعل المعدة ثلاثًا في الدَّقيقة.

---

(١) رسائل إخوان الصَّفاء وخلّان الوفاء - الجزء الأوّل - ص ١٢٣.

في البسيكولوجيا.

□ يَرى فرويد[1] في الثّلاثة رَمزًا جنسيًّا.

في البارابسيكولوجيا.

□ لمن تَعلّق بشهوة امرأة ولا يَقدر على نكاحها ويريد أن ينساها أو يسلوها، عليه أن يكتب في إناء صينيّ العبارة التالية: «وال در لام اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ونسي ما قدمت يداه ولقد عهدنا إلى آدم من قَبْل فنسي ولم نَجد له عزّ ما كذلك فلان ينسى فلانة بنت فلانة ينساها ولم تخطر له ببال». ثُمّ عليه أن يَمحو هذه العبارة بقليل من الماء يشربه على الرّيق ثلاثة أيّام، في كلّ يوم ثلاث مرّات، فإنّه ينساها.

ثلاثة آلاف

□ يُعدّ بانتو (Pan-tao) درّاق بستان السّماء في الصّين، وهو ينضج مرّة كلّ ثلاثة آلاف سنة، ويهب الخلود لآكليه. وبالنّسبة إلى الصّينيّين، يعتبر الدّرّاق رمزًا للحياة المَديدة، كما هو عند السُّلَحْفاة[2].

ثَلاثَةَ عَشَرَ

□ يَعتبر بعض الشُّعوب الثّلاثة عشر رمزًا للتّفاؤل، بينما يَرى فيه عدد كبير آخر رَمْزًا للشُّؤم. ويُعَلّل خبير الحساب الإنكليزيّ ويلز Wallis[3] شؤم هذا العدد بأنّه لا يَقبل القسمة.

في سومر

□ كانت سومر في بَدْء الملكيّة تحتوي على ثلاث عشرة مدينة ـ دولة هي، من الشّمال إلى الجنوب؛ سيبارو، كيش اكشاك، لاراك، نيبور، ادب، اوما، لجش، باد، تيبيزا، أوروك، لارسا، أور، إريدو.

وفي سومر كانت السّنة تَتألّف من إثني عشر شهرًا قمريًّا، ثمّ أدركوا أنّ السّنة القمريّة أقصر من السّنة الشّمسيّة التي تُشكّل في أثنائها الفصول الأربعة. من أجل ذلك كانوا كلّما لاحظوا أنّ فصل الرّبيع قد تأخّر عن ميعاده الطّبيعيّ نحو شهر نسأوا البدء بالسّنة الجديدة (أي أخّروها شهرًا) بزيادة شهر في آخِر السّنة السابقة. وهكذا كانت كُلّ سنة ثالثة في التقويم السومريّ ثلاثة عشر شهرًا، هذا هو النّسيء.

في بابل.

□ حكمت الآلهة على إنكيدو (Enkidu) بالموت. فمرض ومات في اليوم الثّالث عشر من مَرضه بين ذراعي صديقه جلجاميش (Gilgamesh) الذي لم يكن يُفارِقه.

في فينيقيا.

□ هاجَم نبوخذ نصَّر (Nabuchodono-

(١) عالِم نفس شهير من النّمسا (١٨٥٦-١٩٣٩م).

(٢) معجم الأساطير - ص ١٩٦.

(٣) جون واليس (١٦١٦- ١٧٠٣) م.

(sor[١] المدائن الفينيقيّة وحاصَر صور فسقطت بَعْدَ حصار دام ثلاثة عشر عامًا.

في اليونان

▫ أراد فيليب المقدونيّ أن يضع تمثاله قرب تماثيل آلهة اليونان الإثني عشر، فيصبح الإله الثّالث عشر، فاغتيل بَعْدَ فترة قصيرة في المَسرح. وتقول الإلياذة إن أوتوس وافيالتس، ابني بوسيدون، اعتقلا الإله آرس ووضعاه في السّجن طيلة ثلاثة عشر شهرًا في وعاء من البرونز. وقد وصف هوميروس الثّلاثة عشر بالعدد القبيح في الفصل الخامس من الإلياذة.

في روما

▫ وَصَفَ شيشرون الثلاثة عشر بالعدد المشؤوم.

في الصّين.

▫ حَصل الطوفان في الصّين ووصلت المياه إلى السّماوات، وفَشِلَ كوين (Kouen) في استيعاب المياه. فاستدعي يو (Yu) ونجح في تسريبها في مَخارجها بَعْدَ عَمَل دام ثلاثة عشر عامًا[٢].

في المكسيك.

▫ إنّه عَدد مُقدّس في عِلْم الفَلك والروزنامة والثيولوجيا المكسيكيّة. لدى قَبائل الأزتيك (Aztèques)، إنّه عَدد الزّمن الذي يُمَثّل انتهاء السّلسلة الزّمنية. ويَتألّف الأسبوع الأزتيكيّ من ثلاثة عشر يومًا. وتُعتَبر الحيّة الشّعار الإلهيّ لليوم التاسع واليوم الثالث عشر. ويُؤمِن الأزتيك بثلاث عشرة سماء: الأولى مَوْطِن النّجوم، والثانية مَوْطِن وحوش لها أشكال هياكل عظميّة، وهي تَنتظر زَوال الشّمس لِتُهاجم العالَم وتَفترسه، الثالثة مَوْطِن حُرّاس السّموات، الرابعة مَوْطِن العَصافير التي تَهبط إلى الأرض ـ أي نفوس المُختارين ـ، الخامسة مَوْطِن الحيّات الناريّة والنّيازك، السادسة مَوْطِن الرّياح الأربعة، السابعة مَوْطِن الغُبار، الثامنة مَوْطِن الآلهة والسّماوات، التاسعة إلى الثالثة عشرة مَوْطِن الآلهة الكبار. فالقدرات اللّيليّة تَسكن في العاشرة، والشّمس في السّماء الثانية عشرة، والزّوج الإلهي الذي خَلَق العالَم في الثالثة عشرة. والسّماء الثالثة عشرة هي، أيضًا، مَقرُّ الأولاد الصّغار حيث تَنبت شجرة حليب. ولدى قبائل المايا، عدّ إله السّماء نَفْسه الإله الثالث عشر إلى جانب الكواكب الإثني عشر، آلهة المطر. ويذكر كتاب بوبول فوه (Popol Vuh)[٣] ثلاثة عشر إلهًا. أمّا قبائل الكورتي (Chorti)، فهي ترمز إلى الروح بسلسلة من ثلاث عشرة ثمرة تحوط الجثّة، ويُسمّونها الخيط الذي بواسطته يَسحبنا الله إليه.

في أُوسْتراليا.

▫ جاء في الميثولوجيا الأوستراليّة أنّ تاوهيري (Tawhiri)، إله العواصف في

(١) ملك بابليّ.

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.19.

(٣) يعني «كتاب النصائح» وهو الكتاب المقدّس لقبائل المايا.

بولينيزيا، له ثلاثةَ عَشَرَ وَلَدًا: إثنان منهما كانا رياحًا عاتية، والأحد عشر كانوا غيومًا وأشكالًا مُختلِفة أخرى[1].

في زيلندا الجَديدة.

□ في زيلندا الجديدة، يَحمل الثّلاثةَ عَشَرَ قوةً تدميريّة، وكانت قَبائل ماوريس (Maoris) تُسمّي هٰذه القُوَّة «مانا» (Mana). وكانوا يَعتقدون أنّ مُجرّد لفظ هٰذا العدد أو استخدامه يَفرض عقوبات قويّة بطريقة آليّة.

في إيرلندا.

□ جاء في الميثولوجيا السّلتيّة أنّ الإلٰه الإيرلنديّ لوكي (Loki) لَعِبَ مع الملك لعبة الشّطْرَنج، فَغَلَبه المَلِك، وعَدّه الإلٰه حكيمًا، وسَلّمه العَرْش السّماويّ ثلاثة عشر يومًا.

عند العبرانيّين.

□ جاء في المزمور الثّالثَ عَشَرَ أنّ «الجاهل قال في قَلْبه ليس إلٰه».

عند المسيحيّين.

□ تَناوَل السَّيّد المسيح، بحسب إنجيل يوحنّا، العشاء السِّرّي في الثّالثَ عَشَرَ من نيسان، وكان يهوذا الإسخريوطيّ الضّيف الثّالثَ عَشَرَ على المائدة. من هنا، لا يستسيغ النّاس وجود ثلاثةَ عَشَرَ شخصًا على الطاولة. وتقول نظريّة ثانية إنّ الجمعة العظيمة تقع في الثّالثَ عَشَرَ من نيسان، بِحَسَب الرّوزنامة العِبريّة القمريّة. ويَتحدّث الفصل الثّالث عشر في رؤيا يوحنّا عن المسيح الدَّجّال.

عند العرب.

□ في الجاهليّة كانت القبائل في فترة الغزو تتقاتل فيما بينها إذا كان عدد السّبايا ثلاثَ عَشْرَةَ لأن امرأة تزيد في حَظّ أحد الأطراف أو تَنقُص.

عند المسلمين.

□ يَختن المسلمون صغارهم غالبًا في سنّ الثالثةَ عَشْرَةَ. وفي تاريخ الإسلام جاء أن قريشًا اضطهدت مُحمّدًا ﷺ وأتباعه على مدى ثلاثةَ عَشَرَ عامًا من يوم بَعْثه إلى يوم هجرته. وينصح بعض المُجتهدين المؤمنين بالصّوم ثلاثة أيام في كلّ شهر، ويَعدّونها أيامًا بيضاء، وهي الثّالثَ عَشَرَ والرّابعَ عَشَرَ والخامسَ عَشَرَ من كُلّ شهر.

في الصّوفيّة.

□ قَبضت الشُّرطة على الحلاّج في الثّالثَ عَشَرَ من تشرين الأوّل في العام ١٩١٣م وسَجَنَتْه في بغداد، وقُيّد في السِّجن بسلسلة لها ثلاثَ عَشْرَةَ حلقة.

في السِّحر.

□ ربّما ضَعَ السِّحر الثلاثةَ عَشَرَ بالشُّؤم، فهو يُمَثّل الموت في ورق اللَّعب. ويُسمّي السَّحرة الورقة الثّالِثَةَ عَشْرَةَ وَرَقَةَ الموت، وهي تُمثّل رَجُلًا يَحمل مِنْجَلًا يَقطع الرُّؤوس، كما الأعضاء التي تنبت في الأعشاب الحيّة، وهو

(١) معجم الأساطير - ص ٢٣٩.

رمز لِتحوُّل الحياة الجديدة بَعْدَ الموت المادّيّ، ودليل إلى نهاية أيّام السَّنة.

يَقول السِّحر بوجود ثلاثةَ عَشَرَ روحًا شرِّيرة. ويقول تاريخ السِّحر إنّ القمر يعرف ثلاث عشرة ثورة في النِّظام الشّمسيّ من ٣٦٥ يومًا: فالسَّنة تَثور وتموت، وَيتغيّر ساتورن (Saturne)، وتموت المادّة أيضًا مع الموت، وتُسيطر الروح، ويَسود العَقْل، وتَبدأ الحياة الجديدة. وبين العالمين المرئيّ واللامرئيّ يَنتصب الرَّجُل حامِل المِنْجَل يَزرع الموت؛ فالأيادي التي تَخرج من الأرض وتحيا، تَكشف المعنى المخفيّ لوجود آخَر في عالَم لا مرئيّ. وربّما يَنسجم السِّحر مع فكرة الموت، فاختار الإخوة في مُنظَّمة الوردة - الصَّليب (La rose-Croix) شعارًا يُمثِّل وَرْدَة يخرج منها صليب في ثلاثَ عَشْرَةَ حلقةً.

ويُعتقد تراث السِّحر أنّ وجود العالَم يرتكز إلى الملائكة السَّبعة في رؤيا يوحنّا؛ وقد بَدَأ حُكْم الملاك الأوّل أوريفيال في الثّالثَ عَشَرَ من آذار، في السَّنة الأولى من العالَم، فيقول السِّحر إنّ العالم تَكوَّن في الثّالثَ عَشَرَ من آذار.

في الغرب.

□ يَتشاءم الغرب، بشكل عامّ، من الثّلاثةَ عَشَرَ إذا وَقَعَ في جمعة. وفي الثّلاثينات، وعلى ذِمَّة صحيفة نيويورك هيرالد (New york Herald)، جاء أنّ المُعدَّل اليوميّ للزَّواج، في نيويورك، وَصَلَ إلى مائة وخمسين زيجة، فيما لا يكاد يَتخطَّى السِّتين نهار الجمعة.

والخوف من مصادفة تاريخ ١٣ يوم جمعة ليس اعتياديا بل هو مرض اسمه «باراسكافيدكاترياڤوبيا» ويعانيه في الولايات المتّحدة وحدها ٢١ مليون شخص.

علماء النفس يعالجونه. كثيرون يقولون خرافات ويرفضون الخضوع لتأثير مثل هٰذه الأفكار. ولمحاربتها مثلًا أسَّس الثُّنائيّ راي وجانيت سميث في نيويورك قبل ٢٦ سنة نادي «الجمعة ١٣» ومذ ذاك يجتمع اعضاء النادي في هٰذا الموعد كلما حلّ ويحتفلون.

لٰكن هٰذا لم يُلغ واقع التشاؤم بهٰذا الموعد، ويقول الطبيب دونالد دوسي إنّ العوارض التي تصيب ٢١ مليون أميركيّ في مثل هذا اليوم تراوح بين التَّوتُّر الخفيف والاضطراب والاحساس القويّ بالتشاؤم والذُّعر. و«البعض لا يترك سريره أو يغادر منزله، في حين يقوم آخرون بكل أنواع الطقوس لصدّ تأثيرات هٰذا اليوم» و «كثيرًا ما تظهر العوارض قبل أسبوعين من الموعد وتزداد سوءًا مع اقترابه وتختفي بمجرّد انقضائه».

وفي دراسة أجرتها مجلّة «سميثسونيان» تبيّن أنّ الشّركات الأميركيّة تخسر كلّ يوم جمعة ١٣ في أيّ شهر ٧٥٠ مليون دولار لأنّ الناس لا تتسوّق أو تسافر أو تغامر بأيّ شيء يوم جمعة ١٣ .

والخوف من «جمعة ١٣» ليس محصورًا بالولايات المُتَّحدة بل هو قديم ومتجذّر في التاريخ وفي الحياة اليوميّة.

ففي روما القديمة كانت تجتمع الساحرات في مجموعات تضمّ ١٢ أمّا الرَّقم ١٣ فهو الشّيطان. والإسكندينافيّون القدماء كانوا يعقدون حبل المشنقة ١٣ عقدة. ويعتقد

البعض أنّ حوّاء أعطت آدم التُّفاحة ليأكلها يوم جمعة ويُفضِّلون الاعتقاد أنّه كان جمعة ١٣ من الشّهر. ويُعتقد أيضًا أنّ قايين قتل هابيل في مثل هٰذا اليوم.

وفي القرن التاسع عشر، كانت شركة لويدز للتّأمين البحري في لندن ترفض تأمين أيّ سفينة تبحر يوم جمعة ١٣ . وحتّى اليوم لا تُحرِّك البحرية الأميركيّة أيّ سفينة في مثل هٰذا الموعد. وفي ألمانيا، تمّ بناء جدار برلين، أو جدار العار، في الثالث عشر من آب ١٩٦١[1].

وعام ١٩٧٠، انطلق «ابولو ١٣» الساعة ١٣ و ١٣ وفي ثلثي المسافة إلى القمر وقع انفجار في المركبة أجبر الرُّوّاد على قطع رحلتهم في ١٣ نيسان.

واليوم لا تستخدم ٩٠ في المئة من ناطحات السَّحاب والفنادق في الولايات المُتَّحدة الرَّقم ١٣ في ترقيم طبقاتها وتقفز من ١٢ إلى ١٤ . وفي المستشفيات لا وجود لغرفة تحمل رقمًا فيه ١٣، أما شركات الطَّيران فلا تُدخِل هٰذا الرَّقم على رحلاتها[2].

في الزَّمَن.

□ خَرْبَط الثّلاثةَ عَشَرَ حسابات علماء الفلك، فلم يهتدوا إلى تقسيم ثابت، رُغم سَعْيهم المُتواصِل لِوَضْع الروزنامة المُثلى التي تكون فيها السَّنة ثلاثة عشر شهرًا، والشَّهر ثمانية وعشرين يومًا، وبداية الشَّهر في الإثنين، ونهايته في الأحد. وفي العام ١٥٨٢، أمر البابا غريغوريوس الثالث عَشَرَ بِتَعديل الروزنامة، فأسقط منها عشرة أيّام، وطبّقتها البلدان الكاثوليكيّة، ورَفَضَها الأرثوذكس فأصرّوا على اعتماد الروزنامة القيصريّة. وبَقِيَ الفَرْق، بين الكنيستين الغربيّة والشَّرقيّة، عشرة أيّام. وزاد هٰذا العدد يومًا في العام ١٧٠٠، ويومًا ثانيًا في ١٨٠٠، وثالثًا في ١٩٠٠، والفرق اليوم بين الكنيستين ثلاثة عشر يومًا. وهناك روزنامات تَذكر هٰذا الفَرْق، فتُحدِّد يوم الثالث عشر من كانون الثاني على أنّه أوّل كانون الثاني في الروزنامة القيصريّة من العام الجديد. لٰكنّ الأرثوذكس، ولأسباب سياسيّة، اعتمدوا، بَعْدَ نجاح الثَّورة الماركسيّة ـ اللينينيّة، الروزنامة الغريغوريّة، فقَدَّموا الروزنامة الروسيّة ثلاثة عشر يومًا، فيُعيِّدون ذكرى الثَّورة في الرابع من تشرين الثاني من كلّ عام.

عَدَد الفأل.

□ في الولايات المُتَّحدة الأميركيّة، حَصَلَت أبرز الأحداث في الثّالث عشر. ففي البداية، أنشأ المُستعمِرون البريطانيّون ثلاث عشرة مُستعمرة. وفي اليابان، لا يَذكرون الثّلاثة عشر بين أعداد الشُّؤم وهي ٣، ١٩، ٢٢، ٣٣، ويُعرَف العدد الأخير باسم (زان زان) ويَعني الكوارث.

والثّلاثةَ عَشَرَ هو رقم الحَظّ لدى الموسيقار الألمانيّ ريتشارد ڤاغنر (Richard Wagner)، فيتألّف اسمه، في الحروف اللاتينيّة من ثلاثة

---

(١) هُدِم في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر)-١٩٨٩.

(٢) مقال نشرته وكالة أسوشايتدبرس في يوم الجمعة ١٣/٨/١٩٩٣ .

عَشَرَ حرفًا، واسم والدته من ثلاثةَ عَشَرَ حرفًا، وقد وُلد في العام ١٩١٣، ومجموع أعدادها ثلاثةَ عَشَرَ، وترك المدرسة وهو في الثالثةَ عشرة من العمر، وأَحبّ ثلاثَ عَشْرَةَ امرأة، وألّف ثلاثَ عَشْرَةَ أوبرا، وتوفيّ في الثالثَ عَشَرَ من شباط ١٨٨٣.

وكذلك الأمر بالنّسبة إلى اللاعب الدّولي في الشَّطْرنج غاري كاسباروف (gari KASPAROV)، إذ وُلِدَ في الثالثَ عَشَرَ من نَيسانَ، وأصبح بَطَلَ العالَم الرَّقم ثلاثةَ عَشَرَ بَعْدَما حَصَلَ على ثلاثَ عَشْرَةَ نُقْطَةً.

في الأدب.

□ نال طاغور جائزة نوبل الآداب على ديوانه «قربان الأغاني» في العام ١٩١٣، وهو أوّل آسيويّ نال هٰذه الجائزة. وفي الهند، يُعتَبر الثَّلاثةَ عَشَرَ عددًا مُبارَكًا. وفي مصر، كان عبّاس محمود العقّاد، الأديب المصريّ الكبير، يتفاءل بالثّلاثةَ عَشَرَ، وكان يَحمل بيته في مصر الجديدة الرّقم ١٣، في شارع السُّلطان سليم الأوّل. ويَعتقد الكاتب الفرنسيّ جيرار دونرڤال أنّه محكوم بالثّلاثةَ عَشَرَ، فقد كتب «أرتميس» في الذكرى الثالثةَ عَشْرَةَ لأزمة جنونه، وقد انتحر شنقًا.

في السِّينَما.

□ أخرج روب هيدن (Rob Headen) فيلمًا بعنوان الجمعة ١٣ - (friday the 13) من بطولة جانسن داغجت وسكوت ريڤز، وهو فيلم رعب يشدّ الأعصاب.

في الصَّحافة.

□ في الثالثَ عَشَرَ من أيّار ١٩٦٧، أعلن توفيق صايغ إيقاف مجلّة «حوار» عن الصُّدور.

في البارابسيكولوجيا.

□ إذا أَرَدْتَ أن تَزرع البغض والفراق بين شخصين، عليك أن تأخذ ثلاثَ عَشْرَةَ قطعة قُماش، وتَكتب على كلّ واحدة منها - اجهزط - ثمّ تبخّر بخور الشَّرّ ذي الرائحة الكريهة، وبعد ذلك تَقرأ: تَوكّلوا يا خدّام بفراق فلان وفلان وتأخذ الحصى وتَضعه تحت عَتبة مَن تريد، فيقع الفِراق عاجلًا.

ثَلاثة وثَلاثون

□ يَرمز إلى المخلوق المُرتبِط بحرّيّة بمُخطَّط الخالق بواسطة رِباط العَدالة والمَحبّة والوَسائط الإلٰهيّة. في اليونان، يَضمّ الأدب التراجيديّ ثلاثًا وثلاثين تراجيديا. وفي الهند مات كريشنا (Krishna)[١] عن ثلاثة وثلاثين عامًا. وفي البراهميّة، وَصَلَ عدد الآلهة في إحدى الفترات إلى ثَلاثة وثلاثين. وتقول الميثولوجيا إنّ الهنود في وادي الغانج (gange) يَعيشون ثلاثمئة وثلاثين عامًا. وتَقول البوذيّة إنّ ثلاثة وثلاثين رَسولًا نشروا البوذيّة. وعند العبرانيّين، جاء في سِفْر الأحبار أنّ المرأة التي وَلَدت ذَكَرًا تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا في دم تطهيرها (١٢ :٤) وستّة وستّين يومًا - مُضاعَف العدد ثلاثة وثلاثين - إذا وَلَدت أنثى

(١) التّجلّي الثامن للإله فشنو.

(١٢ : ٥). وفي المسيحيّة، يقول التُّراث إنّ أعضاء المَجلس والحُكومة الذين حَكموا على يسوع بالصَّلْب كان عددهم ثلاثة وثلاثين. ومات يَسوع عن ثلاثة وثلاثين عامًا، بِحَسَب الأناجيل. وفي الفاتيكان، تَربَّع أوّل بابا على عَرْش الكرسيّ الرَّسوليّ في العام ثلاثة وثلاثين.

عند الماسونيّين.

□ رَفَعَ مَحفل الشَّرق الأكبر الفرنسيّ الدَّرجات الماسونيّة، في الطَّريقة الإسكتلنديّة، من خمس وعشرين درجة إلى ثلاث وثلاثين درجة[١]. تعطي المرتبات الثّلاث الأولى التّأهيل التقليديّ، وتُوصِل المَرتبات الرّابعة حتى الرّابعة عشرة إلى المعرفة الفلسفيّة؛ والمَرتبات الخامسة عشرة حتى الثّامنة عشرة إلى المُطابَقة بالكلّيّ بواسطة الحبّ، أمّا المَرتبات المُحضَّرة للمَرتبة ٣٠ - والمرتبة ٣٠، خلاصة المَرتبات جميعها - فتُعلّم طُرُق تحقيق النِّظام الإنسانيّ بتوافق مع الكلّيّ؛ في حين أنّ المرتبات ٣١ و ٣٢ و ٣٣ هي مرتبات إداريّة[٢].

ثَلاثة وسَبْعون.

□ جاء في الحديث الشَّريف أنّ مُحمَّدًا ﷺ قال: «ستَتَفرَّق أُمّتي إلى ثَلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة».

ثَلاثة وعِشرون.

□ يقول الدُّكتور اللندي (Allendy) إنّه رمز الأجيال من حيث إنّه يَجسِّد الروح في المادّة[٣].

ثَلاثة ونِصْف.

□ يَرمز العدد ثلاثة ونصف، أي نصف السَّبعة، إلى النَّقص والألَم وزَمَن المِحْنَة والاضطهاد، فَقَد صَلَّى النَّبيّ إيليّا للرَّبّ الإلٰه ألّا يُنزِل المطر، فلم يَنزل المطر على الأرض لِمُدَّة ثلاث سَنوات ونصف (الملوك ١٧ : ١).

ثَلاثون.

□ يَرمز العدد ثلاثون إلى التَّوازُن. في سومر، اتَّخذ إلٰه القمر نانا الثَّلاثين عددًا مُقدَّسًا. وفي اليونان، كان مجلس الشُّيوخ يَضمّ ثلاثين سيناتورًا. وبنى أجداد رومولوس (Romulus)[٤] ثلاثين برجًا حول إيطاليا الوُسْطى. وأهدى الفُرس شهرَهم إلى ثلاثين عبقريًّا. وفي الهند يَمتلك البوذيّ السَّليم ثلاثين فضيلة. وذكر سفر العدد في التَّوراة أنّ آل إسرائيل بَكوا على هارون ثلاثين يومًا (٢٠ : ٣٠)، وعلى موسى ثلاثين يومًا (٣٤ : ٨). وقد يَرمز الثّلاثين إلى الشّهادة، إذ باع يهوذا الإسخريوطيّ مُعلّمه بثلاثين من الفضّة (متى

(١) Le symbolisme des nombres - p.382

(٢) La franc-maçonnerie (Nandon) - p.87

(٣) Le symbolisme des nombres. p.373

(٤) باني روما.

٢٦: ١٥). وكانت روما تضمّ ثلاثين إدارة بابويّة. ويُعتَبر الثلاثون عددًا تنظيميًا، فكانت كلّ الشُّعوب تَستخدم الشّهر من ثلاثين يومًا. ويَصوم المُسلِمون ثلاثين يومًا في شهر رَمضان.

وفي فِلَسْطين المُحتلَّة، تَحتفل المُقاوَمة الفلسطينيّة بيوم الأرض، في الثّلاثين من آذار في كلّ سنة، وهو احتفال يعيد إلى الأذهان ذكرى استيلاء إسرائيل بالقوّة على أراضي سكّان عرب في الجليل، شمال فلسطين، ممّا أدّى إلى مُواجَهة وسقوط قتلى.

عند الماسونيّين.

□ يَرمز العدد ثلاثون، في الماسونيّة، إلى التّبشير. وتؤمن هٰذه الجمعيّة أنّ نمرودًا أرسل ثلاثين من الإخوة الماسونيّين إلى الشّرق لِنَقل المعارف البنائيّة، بعدما أعطاهم الإشارات اللازمة كي يتعارفوا على بعضهم في أيّ بلد يلتقون فيه، وأمرهم بمحبّة بعضهم وإطاعة أساتذتهم الذين يملكون أسرار المعرفة[١].

ثَمانون.

□ يَرمز العَدد ثمانون إلى الحرّيّة لجميع المَخلوقات الكونيّة[٢].

في الهند.

□ على البوذيّ أن يُظهر ثمانين علامة جماليّة هامشيّة.

عند العبرانيّين.

□ يُخبر سِفْر القُضاة أنّ الأرض استراحت ثمانين سنة (٣: ٣٠). ويقول سِفْر المزامير «إن أيّام سنيننا سَبعون سنة وإذا كانت مع القوّة فثمانون» (٨٩: ١٠).

عند الإسلام.

□ في القرآن الكريم سورة تقول: ﴿والذين يَرمون المُحصَناتِ ثُمّ لم يَأْتوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فاجْلِدُوهم ثمانين جَلْدَةً﴾. (النور، الآية ٤).

عند المانويّين.

□ تقول المانويّة إنّ الإيمان الهنديّ بالآخرة ما كان له أن يكون إيمانًا هنديًا حقيقيًا ما لم يُخصِّص نصيبًا للمخلوقات المُؤنّثة الجميلة التي يلتقي الصالحون بها في السماء أو (Brahmaloka). كما أنّ دراسة التّراتيل المانويّة ترينا أنّها لم تُهمِل عذارى الجنّة، ويجب أن نعيد إلى الذاكرة أيضًا أنّه التقى في المانويّة الإنسان الصالح مع ذاته السّامية على شكل عذراء إلٰهيّة رائعة رافقته في طريقه إلى الجنّة، ونقرأ هٰذا في قطعة صفديّة مكتوبة. وتواصل هٰذه القطعة شرحها قائلة: إنّه سيقترب من الإنسان الصالح إثر موته ما لا يقلّ عن ثمانين مَلِكًا من الجنس الآخر مُزيَّنين بالورود ويَحضّونه على التّقدُّم نحو جنّة النور ليَتذوّق السّعادة هناك[٣].

(١) La franc-maçonnerie - p.34

(٢) Le symbolisme des nombres. p.397

(٣) ماني والمانويّة – ص ٨٨.

ثَمانِيَة.

□ يُمثّل الثّمانية التّجدُّد، وقد اعتبرته بَعْض المَذاهب القديمة بداية دَورة جَديدة تَلعب دَوْر الصِّفْر، فالصِّفر في مفهومها، كان يُمثِّل استراحة قَبْلَ بَدْء دورة جديدة تَشمل الثّمانية والتِّسعة فقط. ويَرمز الثّمانية إلى النَّجاح.

في الآكادِيَّة.

□ إتَّحد إلٰه المياه إنكي (Enki) بالإلٰهة ننمو رساج أمّ الأرض، وبنتيجة اتّحادهما، نَبتت ثَماني نَبتات، لَكن إنكي كان يَلتهمها قَبْلَ أن تَتمكَّن ننمو رساج من إطلاق الأسماء والصِّفات عليها. ثارت ننمو رساج وأنزلت على إنكي لعنة رهيبة وغادَرت فَوَقَع إنكي أسير المَرض في ثمانية أجزاء مِن جسده. لكنّ ننمو رساج سَقطت في إغراء العودة وشفاء إنكي من مرضه، ونَجحت في ذلك بواسطة خَلْق ثمانية مَعبودين على التَّوالي، واحد لِكُلّ جُزْء من جَسَد إنكي يَكمن فيه المرض. وأُشير إلى وجود عَلاقة طباق لغويّ بين اسم كُلّ معبود والجزء المريض من جسد إنكي.

في بابل.

□ يَرمز الثّمانية إلى الشّرّ، فاعتقدت بابل أنّ الدَّورة الحياتيّة تنتهي في العَدد سَبعة، فهو عَدد الكمال، وما زاد على ذلك فهو زيف سَببه قُوَّة الشّر. وتَعبيرًا عن هذا الإعتقاد، كانوا يرمزون إلى الثّمانية بأشكال مُختلِفة تُمثّل الشّر، مثل التّنين، أو مخلوقات غريبة ذات ثَمانية أطراف.

في فينيقيا.

□ جَعَلَ الفينيقيّون السَّيّارات السَّبعة المعروفة عندهم بعولاً أي آلهة، وأطلقوا عليها اسم كبيريم (Kabirim)، جمع كبير، ومَعناه القدير، وكان عددها عند الفينيقيّين ثمانية، أي الكواكب السَّيّارة السَّبعة مع العالم المُكوَّن مِن مَجموعها، وسَمّوا أب هٰذه الآلهة زاديق (Zadik) ومعناه البارّ، وجَعلوا الكبير الثّامن وهو كناية عن مَجموع أفلاك الكواكب، كوكب القطب الشّماليّ، وكانوا يَتّخذونه هاديًا في أسفارهم، وسمّوه أشمون (Ashmoun) أي الثّامن. وكانت الحيّة مثالاً له ولباقي الآلهة الكوكبيّة لاعتقادهم أنّها تُمثّل بتَعرُّجها حركة الكواكب في الأُفُق، وكانوا يُربّون حيّات في هياكل أشمون تَلحس جِراح مَن استشفع بها فتبرّئها، فكان من مُعتقَداتهم أنّ أشمون وسائر الكبيريم أوجدوا عقاقير الطّبّ، وإلى ذلك يُعزى ما ذكره النّبيّ دانيال في نُبوءته عن التّنّين في هيكل بابل.

في مِصْر.

□ عَبَدت مِصْر ثَمانية عَقارب مُقدَّسة. وكان لِتوت (Thot) ثمانية تلاميذ. وبِحَسَب هيرودوتس بَدَأَ حُكْمُ الآلهة في مِصْر بواسطة ثمانية آلهة على رأسهم پان (Pan).

في اليونان.

□ تَتغنّى الميثولوجيا اليونانيّة بنشيد وَضَعَه فيثاغوروس يشيد بالثّمانية رَمْزًا للشّهوة والحُبّ. وكان الثّمانية عددًا مُكرَّسًا للإلٰه ديونيزوس (Dionysos) المولود في الشّهر

الثّامن مِن السَّنة.

وتُعتبر الألعاب البيثيّة (Pythior games) ألعابًا وطنيّة إغريقيّة تأتي بَعْدَ الألعاب الأولَمبيّة وكانت تقام كُلّ ثماني سنوات، ثمّ كُلّ أربع سنوات في دلفيس (Delphes)، في ذِكْرَى قَتْل الأفعوان بيثون (Python) على يد الإله أبولو (Apollo)(١).

في فارس.

▫ بِحَسَب الأبستاق، يُقسَم الكهنوت الفارسيّ إلى ثماني دَرجات.

في الهِنْد.

▫ يَعتبر البراهمة الثّمانية عددًا مُقدَّسًا. ويُؤمِن الهنود بالإلهة الأمّ، وهي أمّ ذات ثمانية أذرع، تَربض فوق أسد وتَقتل أطفالها باستمرار؛ وفي الوقت نَفْسه تَمنحهم الحياة وتُعمي بصائرهم ثمّ تَمنحهم المعرفة. وتُطلِق الميثولوجيا إسْم لوكابالاس (Lokapalace) على الآلهة الفيديّين الذين يُعتبرون أرواحًا حارسة لدى البراهمانيّين، وهُمْ حُرّاس الجهات الثّماني في العالَم. وتُصوِّر الأيقونوغرافيا الإله شيڤا بثمانية أشكال. وتَرسم أيضًا الإله ڤيشنو بأذرعه الثّمانية التي تطابق الحُرّاس الثّمانية للفَضاء. ويَعتقد الهنود بوجود ثمانية كواكب حَوْلَ الشّمس، وبثمانية فيلة يَحملون الأرض، وبثماني جُهنّمات حارّة، وثماني جهنّمات باردة، تحوط كُلّ جهنّم كبيرة ستّة عَشْرَةَ جُهنّم صغيرة (٨ × ٢)(٢). وفي الهند، يقود العريس عروسه، بعد حفلة الزّواج، إلى منزل شيخ الضَّيعة، ولا يعود لإسترجاعها إلّا في اليوم الثّامن.

وفي البوذيّة، يَقع عيد ميلاد بوذا في مَساء اليوم الثّامن في الشّهر الرابع من السَّنة القمريّة. وبقي بوذا ثماني سنوات خارِجَ قَصْره العائليّ. وتُصوِّره الأيقونوغرافيا يَجلس على عَرْش من اللوتس يُرسِل ثمانية شعاعات. وأصبحت زوجة ڤيزاكا (Visaka) تلميذته بعدما أعلنت عن ثماني رغبات: أن تُخيِّط ثيابًا ضدّ المطر للرُّهبان، وأن تَضع طَعامًا للرُّهبان الأجانب، وطعامًا للرُّهبان الذين يَمرّون مُرور الكِرام، وطعامًا للمَرضى، وطعامًا للّذين يَهتمّون بالمرضى، ودواء للمرضى، وتوزيع الأرزّ يوميًّا، وتوزيع ثياب حَمّام للرُّهبان. وتَعرف البوذيّة ثَماني درجات كهنوتيّة، وثَمانية نذور. والوَصايا البوذيّة الثّماني هي: لا تَقتل، لا تَسرق، لا تَتبع الثَّروة، لا تَكذب، لا تَسكر، لا تأكل كما تَشاء، ابتعد عن الشّهوة الجسديّة، ابتعد عن التّزيّن. وتقود طريق نبيل من ثمانية فروع إلى النّيرڤانا للتحرّر من الشّهوات. وتُقسَم اليوغا ثمانية أقسام. ويُقال إنّ رماد جُثّة بوذا قُسِّم ثَمانية أقسام.

وطالَب بوذا أتباعه بِسُلوك الطَّريق ذي الثّماني شُعَب التي تُعلِّم القَواعد الثّماني للحياة وهي:

١- الإيمان بالحَقّ، وهو الإيمان بأنّ الحقيقة هي الهادي للإنسان.

٢- القَرار الحَقّ، بأن يكون المرء هادئًا دائمًا لا يفعل أذًى بأيّ مَخلوق.

(١) معجم الأساطير - ص ٢١٢.

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.22.

٣- الكلام الحَقّ، بالبُعْد عن الكَذِب والنَّميمة وعَدم استخدام اللَّفظ الخَشِن.
٤- السُّلوك الحَقّ، بِعَدم السَّرقة والقتل وفِعْل شيء يَأسف له المرء فيما بَعْد أو يَخجل منه.
٥- العَمل الحَقّ، بالبُعْد عن العمل السَّيّئ مِثْل التَّزييف وتَناوُل السِّلع المَسروقة وعدم اغتصاب المرء لما ليس له.
٦- الجُهْد الحَقّ، بالسَّعي دائمًا إلى كُلّ ما هو خير والإبتعاد عمَّا هو شَرّ.
٧- التَّأمُّل الحَقّ، بالهدوء دائمًا وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.
٨- التَّركيز الحَقّ وهٰذا لا يكون إلّا باتِّباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مَرحلة السَّلام الكامل[١].

في الصّين.

▫ أوردت وكالات الأنباء العالميّة في ٢٤ تمّوز (يوليو) ١٩٨٨ خبرًا جاء فيه أنّ رَجُل أعمال في هونغ كونغ دَفَعَ ٣٥٠ ألف جنيه ثمنًا للوحة سيّارة تَحمل الرَّقم ثمانية، وهو العدد الذي يَتفاءل به الصّينيّون. وفي الصّين، صَمَّم المُهندِسون القَصْر الإمبراطوريّ على أن يَضمّ ٩٩٩٩ غرفة، وفي الواقع، يتألّف القصر من ٨٨٨٨ غرفة. ويَقع عيد الأب في الصّين في الثّامن من الشّهر الثّامن - آب - وتُلفَظ الكلمة «بع بع» أي ٨/٨. ويُؤمِن الصّينيّون بوجود ثماني أرواح خَيِّرة وشِرّيرة. وتُقسَم اليوغا إلى ثماني مَراحل. وتقول التّعاليم بثماني قَواعد سُلوكيّة تَحوَّلت فيما بعد إلى ثماني حَقائب وزاريّة: الاقتصاد، المال، الدين، الأشغال العامّة، التَّربية، العَدْل، الخارجيّة، والحرب.

في اليابان.

▫ يُسمّي اليابانيّون بلادهم «بَلَد الجُزُر الثّماني الكبار» أي أنّ اليابان تتكوَّن مِن عدد كبير مِن الجُزُر، وتاليًا فالثّمانية عَدد مُقدَّس. وفي يوكوهاما (Yokohama). بُنِيَ مَعبد للثّقافة الروحيّة تَقوم هندسته على شكل الثّمانية، ويَضمّ في داخله تماثيل أكبر ثَمانية حُكَماء في العالم وهم: شاكيامونـي (Câdyamuni)، كونفوشيوس (Confucius)، سقراط (Socrate)، يسوع المسيح (Jesus-chirst)، الأمير شوتوكو (Le Prince Shôtoku)، اليابانيّ دايشي (Kôbô Daishi)، والكاهنان شينران (Shinran)، ونيشيران (Nichirên).

في أوروبا.

▫ تقول الميثولوجيا الإسكندنافيّة إنّ الإلٰه الخالق يَملك حِصانًا له ثماني قوائم.

في أفريقيا.

▫ إنّه عَدد الخَلْق. تقول الميثولوجيا بوجود ثمانية آلهة خَلقوا الكون، وبثماني عائلات إنسانيّة وُلِدَت من ثَمانية أجداد: أربعة ذكور، وأربع نساء.

عند العبرانيّين.

▫ في سِفْر التّكوين، طَلَب الرَّبّ الإلٰه من

(١) إنجيل بوذا - ص ٥١.

العبرانيّين أن يُختَن كُلّ ذَكَر ابن ثمانية أيّام (١٧ : ١٢). فخَتَنَ إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيّام بِحَسَب ما أَمَره الله به (٢١ : ٤).

عند المسيحيّين.

□ يَقول القدّيس أمبروسيوس إنّ الثّمانية رَمْز للتّجدّد. ويرى فيه القدّيس أغوسطينوس رَمزًا للقيامة المَجيدة، فالسَّيِّد المسيح انتصر في اليوم الثّامن، وهو رَمْز لقيامة الإنسان. وفي عِظَته على الجبل، ذَكَر السَّيِّد المسيح ثماني تطويبات (متّى ٥: ٣ـ ١١). وفي رسالته الثّانية، كَتَبَ القِدّيس بطرس: «لم يشفق الله على العالم القديم وإنّما وَقى نوحًا كأرز البرّ وهو ثامن ثمانية» (٢: ٥).

وفي المسيحيّة، يُقال إنّ كنيسة القيامة كان يَشغلها باستمرار ثمانية كهنة مِن ثمانية مَذاهب مَسيحيّة مُختلفة، وكان يُضاء فيها ثمانية مَصابيح. وتوصي المسيحيّة بمعموديّة الطّفل في يَوْمه الثّامِن.

عند اليَزيديّين.

□ يُلقّب اليزيديّون بِمُطفئي الأنوار أو الرّجال ذوي اللّحى الثّمانية.

عند إخْوان الصَّفاء.

□ يقول الإخوان إنّ طَبائع الأركان ثماني هي: الحارّ الرَّطب، البارد اليابس، البارد الرَّطب، الحارّ اليابس؛ ومُناظَرات الكواكب لها ثمانية مُواضع في الفلك: المركز، المُقابَلة، التّثليثان، التّربيعان، التّسديسان؛ وهناك ٢٨ حرفًا في الألفباء العربية تُماثِل ٢٨ مَنزلة مِن مَنازل القمر، هجاؤها ثمانية حروف هي: أ ل ف ي م ن د و. ويضيف الإخوان إنّ مَفاعيل أشعار العرب ثمانية أجزاء وهي أجزاء العَروض. وقيل إنّ للجنان ثماني مَراتب، وحَمَلَة العرش ثمانية.

في السِّحر.

□ يُؤمن تُراث السِّحر بوجود ثمانية ملائكة هم: ميخائيل، غبريال، هرفايل، أورِيال، صدقيال، أنابيل، سيتيل، وآزاييل، ينتصبون وقوفًا في وجه حاكِم السَّماء.

عند الماسونيّين.

□ يَتضمَّن الطّقس المحفليّ ثماني دَرجات: مُتدرِّب، رفيق، مُناصِر، مُناصِر شرقيّ، النَّسر الأسود لمار يوحنّا، مُناصِر كامل للبجعة، فارِس، فارِس يَحرس البرج الداخليّ.

في الأدب.

يُعتَبر الثّمانية عددًا مُتكبِّرًا، فكتب لامارتين (Lamartine)[1]: «إنّه عدد مَحدود بطبيعته، لا متناهٍ في أُمنياته، وهو عدد إلٰهيّ سَقَطَ من السَّماء ولا يزال يَتذكَّر الآلهة».

في بريطانيا.

□ في الساعة ٨ والدَّقيقة ١٨ في ١٩٨٨/٨/٨، رُزِقَ أمير بريطانيا أندرو وزوجته سارة فيرغسون ابنة في مُستشفى بورتلاند (Portland).

---

(١) كاتب فرنسيّ (١٧٩٠ - ١٨٦٩).

في البارابسيكولوجيا.

□ في باب معرفة تَوافُق الزَّوجين، أي إذا وَدَدْت أن تَعرف هل يَتوافَق زوجان أو لا، ويُرزَقان أولادًا أو لا، احْسُب اسم الرَّجل والمرأة واطْرح الجمع ثمانية ثمانية بَعْدَ أن تُضيف له الآس ٧، فإن بَقِيَ واحد يقع خير ورزق، وإن بَقِيَ ٢ يَتزوَّجها ويَلِد منها، وإن بَقِيَ ٣ لا يَتزوَّجها ولا خير فيها، وإن بقي ٤ يَتزوَّجها في طَلَبها فقط، وإن بَقِي ٥ أوّلها ضيق وآخرها فرج، وإن بقي ٦ يَتزوَّجها لأنها مَحبوبة ويَلِد منها وتُحِبّه الناس والسَّلاطين، وإن بَقِيَ ٧ يَتزوَّجها ويَلِد منها، وإن بَقِيَ ٨ يَتزوَّجها وتحبّه ويحبّها ويَلِد منها.

ثَمانِيَةَ عَشَرَ

□ يَذكر الأدب البوذيّ ثمانيةَ عَشَرَ شرطًا كي يُصبِح الإنسان بوذيًّا صَحيحًا. وكان المكسيكيّون القُدامَى يَقسمون السَّنة إلى ثمانيةَ عَشَرَ شَهرًا. ويَتضَمَّن التَّعليم الموسيقيّ اليونانيّ ثمانيةَ عَشَرَ صوتًا. وفي ورقة اللَّعب، تُمثِّل الورقة ذات الرَّقم ثمانيةَ عَشَرَ القَمر.

ثَمانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا

□ تَقول الميثولوجيا الصِّينيّة إنّ الفراغ كان له، قَبْلَ التَّكوين، شَكْل بيضة دجاجة. بَعْدَ مرور ثمانيةَ عَشَرَ أَلْفَ سنة، وهو، في الصِّين، عَدَد يرمز إلى فترة غير مُحدَّدة، انفتح المُثَنَّى الفراغ ـ البيضة، فتكَوَّنت الأرض والسَّماء[1].

ثَمانِيَة وأَرْبَعون

□ جاء في كتاب البيروني[2]: «يَبلغ صوم النَّصارى ثمانية وأربعون يومًا أوّلُها أبدًا يومُ الإثنين وفِطرُهم يومُ الأحد التاسع والأربعون من أوّلِ صومهم. يسمّونه الشّعانين ومن الشّرائط التّي اشترطوها وقوعُ الفصح بين الشّعانين والفطر الذي هو الأسبوع الأخير من أسابيع الصَّوم لا يَتقدَّم الشَّعانينَ ولا يَتأخّر عن اليوم الأخير من الصَّوم. وقد ذَكَرْنا الحدود التي فيها يَدور فصحُ اليهود فيما تَقدَّم ولٰكنّ النّصارى لم تُوافِقْهم فيها ولا في أوائل الجياجل والجيجل هو الدَّوْر مُعرَّب من السّريانيّة لأنّه غيغل ومعناه ومعنى المحزورِ واحدٌ لكنّ الأليقَ أنْ نذكُرَ عند أهْلِ كلِّ طبقةٍ ما هم عليه من المُواضعات فهم يُسمّون المحزور الكبير (اينديقوطيا) غيرَ أنّه يَثقلُ في التّكرار عند الذّكر فلْنسمّه الجيجل الكبير، وإنّما وَقَعَ هٰذا الاختلافُ لأن عند اليهود أنّ أوّل سنة من تاريخ الإسكندر هي العاشرة من المحزور وليس عند النّصارى ذٰلك كذٰلك بل هي الثّالثةُ عشر وذٰلك أنّهم لمّا أخذوا ما بين آدم والإسكندر وهو عند بعضهم خمسة آلاف وتسع وستّون وعند الآخرين خمسة آلاف ومائة وثمانون وعلى الأخير يَعْمَلُ الجُلُّ منهم وهو المشهور أيضًا عند المُحصِّلين. قال خالِدُ بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان أوّل

(١) Les grandes figures des mythologies - p.16.

(٢) الآثار الباقية – ص ٣٠٢.

فلاسفة الإسلام وحتّى قيل إنّ عِلْمَه من الّذي استخرجه دانيالُ من غارِ الكَنْز وهو الّذي أَوْدَعَه آدَمُ أبو البَشَر ما عَلِمَ:

وفي تَمامِ العَشْر من أعْوامِ
إلى ثُلْثِ معها تَمامِ
ومائةٍ معدودة قد جُمِّعَتْ
إلى أُلوفٍ سُدِّسَتْ ونُظِّمَتْ
أظْهَرَ دِينَ رَبِّه الإسْلاما
فالتَأمَ بالهِجْرة واستقاما»

ثَمانية وثَلاثونَ

□ يَعتبره القدّيس أغوسطينوس رمزًا للمرض؛ ويرى فيه بوهميه (Bœhme) رمزًا للوسيفورس (Lucifer) إرادة الشّيطان[1].

ثَمانية وثَمانون

□ إنّه عدد يرمز إلى العمر الطّويل للأَرُزّ[2].

ثَمانمائة وثَمانية وثَمانون

□ تقول الميثولوجيا الصّينيّة إنّ أحد الخالدين، ويُدعَى بونغ - تسو (P'ong-Tsou) عاش ثمانمائة وثمانية وثمانين عامًا.

(١) Le symbolisme des nombres. p.384

(٢) Dictionnaire des symboles - Laffont. p.53

ثَمانيةٌ وعِشْرونَ

□ إنَّه رَمْز القمر، فهو يعيش ثَمانية وعِشْرين يومًا. ويُنْهِي الإنسان نضوجه في عمر الثّمانية والعِشْرين. ويَبلغ عدد حروف الألفباء العربيّة ثمانية وعشرين حرفًا.

وفي جِسْم الإنسان تَبلغ مَفاصل اليدين ثمانيةً وعشرين، أربعة عشر في اليمنى وأربعة عشر في اليسرى. وفي عمود ظهر الإنسان يُوجَد ثمانٍ وعشرون خرزة، أربع عشرة في أسفل الصُّلب وأربع عشرة في أعلاه.

وفي الصّين، يَبلغ عدد الأبراج الفلكيّة ثمانية وعِشْرين بُرجًا.

مَنازل القمر.

□ جاء في كتاب البيروني[3] «إنّ معرفةَ طلوع منازل القمر في أيّام السَّنة الشّمسيّة أمر يُسْتعمل لما فيه من عموم المنفعة به في تقديم المعرفة بالأحوال الطّبيعيّة التي لا تخلو من الانتقال فيها والتّردُّد بتردّدها. فلنَصْرِفِ القول إلى ذِكْر جوامع ذٰلك وعيونه ونُضيف إليها نَتِفًا مِن أمثالها ملتقَطةً من الكتب المُؤلَّفة في هٰذا المعنى ككتاب الكلثوميّ وكتاب إبراهيم بن السَّرِيّ الزّجّاج وكتاب أبي الحسين الصوفيّ في الكواكب الثّابتة وغيرها من الكتب، ونقول إنّ الهند قَسَّمت الفَلَكَ على عدد مَنازل القمر التي هي عندهم سبعة وعشرون منزلًا فانقَسم بمثلِ عدّتها وأصاب كلُّ منزلة ثلث عشرة درجة وربعًا بالتّقريب، واستنبطوا الأحْكامَ بحلول

(٣) الآثار الباقية - ص ٣٣٦- ٣٤٠.

الكواكب في رباطاتها وهي المعروفة بالجفور المفروضةَ لكلّ حال وحاجة على حِدَة وحكايتُها تَخْرُجُ إلى التَّطويل بالقول بما لا يُشْبه الغَرَضَ وهي موجودة في كتب الأحكام معروفة بها، وأمّا العرب فقد قَسَّموها بثمانية وعشرين قسمًا فأصاب كلُّ منزلة اثنتي عشرة درجة وخمسةَ أسْداس بالتَّقريب ووَقَعَ في كلّ برج منزلتان وثُلُث. قال القائل:

عِـدَّتُـهـا لـمـن اراد عَـدَّهـا
عـشـرون نَـجْـمًـا وثـمـانٍ بـعـدهـا
تـكـون فـي الـبُـرْج مـن المـنـازل
مَـنْـزلـتـانِ بـعـد ثُـلْـثٍ كـامـلِ
لـهـا حِـسـابٌ ولـهـا أنْـواء
يَـدُورُ لـهـا الـصَّـيْـفُ والـشِّـتـاءُ.

واستعملوا منها غيرَ ما استعمله الهند إذ كان مقصودُهم منها معرفَةَ أحوال الهواء في الأزمنة وحوادِث الجَوّ في فصول السَّنة وكانوا أناسًا أمّيّين لم يُمْكِنْهم معرفتُها إلّا بشيء يُعايَنُ فعلّموا عليها بالكواكب الثابتة الّتي اتَّفقت فيها وجَعلوا طلوعها في المشرق بالغَداة بَعْدَ طلوع الفجر عَلَمًا لحلول الشَّمس بعضَها إذ كانت - أعني الكواكبَ - غيرَ زائلة عنها إلّا بعد مُضِيّ قرون وأحقاب ولم يكونوا ممَّن يَتنبَّهُ لمثل ذٰلك ثمّ قرضوا أشعارًا وأنشأوا أسجاعًا ودوّنوا فيها التَّأثير الطّبيعيّ المُتناوَب الموافِقَ لطلوع كلّ واحدة منها على ما وجدوه بالتَّجربة والامتحان لِيَسْهُلَ حفظُها على الأمّيّين ويتمثّلون بها في أحوالهم مثلَ قول أحدهم:

إذا مـا قـارنَ الـقـمـرُ الـثُّـرَيَّـا
لِـثـالـثـةٍ فـقـد ذهـب الـشِّـتـاء.

ذٰلك لأنّ موضع الثريّا من عَشْرِ دَرَج من برج الثَّور إلى خمس عشرة درجة منه بالتقريب. وإذا قارنه القمر ليلةَ الثّالث كان البعدُ بين الشَّمس وبينه أربعين درجة بالتَّقريب فيكون الشَّمس في أوائل الحمل. وكقول الآخر:

إذا مـا الـبَـذْرُ تـمَّ مـع الـثـريّـا
أتـاك الـبَـرْدُ أوَّلُـه الـشّـتـاءُ.

وذٰلك لإنّ القمر إذا قارن الثريّا في الإستقبال كانت الشمس في النصف من العقربِ وتلك الأيّام أوائل البرد وكقول الآخر:

إذا مـا قـارن الـدَّبَـرانَ يـومًـا
لاربَـعَ عـشـرةٍ قـمـرُ الـتِّـمـامِ
فـقـد خَـفَّ الـشِّـتـاءُ بـكـلِّ أرض
فَـوارِسُ مُـؤذِنـاتٌ بـآحْـتـدام
وحَـلَّـقَ فـي الـسَّـمـاء الـبَذْرُ حتّى
يُـقَـلِّـصَ ظِـلُّ أعْـمِـدَةِ الـخِـيـامِ
وذٰلك في انتصاف اللَّيل شَطْرًا
ويَصْفُو الجَوُّ من كَدِرِ الغَمامِ.

لأنّ الشَّمس تكون حينئذٍ في العقربِ مع قلبه وذٰلك أوان البرد والسَّبَرات ويكون ميلُ درجة القمر إلى الشَّمال. وربّما كان له من العرض من فَلَكِ البروج إلى جهة الميلِ ما يُسامِتُ به رؤوسَ الأعراب فتتلاشَى أظلالُ الأشخاص وقتَ بلوغه وَسَطَ السَّماء وذٰلك نصف اللَّيل. وكقول قائلهم:

إذا مـا هِـلالُ الـشَّـهـر أوّلُ لـيـلـةٍ
بـدا لـعـيـون الـنـاس بـيـن الـنَّـعـائـمِ
أتَتْ رِياحُ القُرّ من كلّ وِجْهةٍ
وطاب قُبَيْلَ الصُّبْح كَوْرُ العَمائم.

لأنّ الشَّمس تكون في أوّل القوس حينئذٍ. وكقول الآخر:

وقد بَرَدَ اللَّيلُ التّمامُ بأهله
وأصْبَحَتِ العَوَّاءُ للشَّمس مَنْزِلا.

لأنّ لوالب العَوَّاء هي حوالى الاعتدال الخريفي كما سيُلوّحه الجدول المخصوص بها، ولو ذهبتُ إلى إيراد هٰذه الأبيات وما قيل في طلوع كلِّ منزلة من الأسْجاع لاحتجتُ إلى شرح مَعانيها وتفسير غرائبِ ما فيها من اللُّغة وذٰلك أمْر قد كفانا من ذكرنا من أصحاب كتب الأنواء، ولمّا نَسَبَ العربُ التّأثيرات إلى طلوع الكواكب وسقوطها من جَهْلِ العلوم الطَّبيعيّة أنّ التّأثيراتِ مُتعلّقة بأجرام الكواكب وطلوعها لا ببقاع الفلك وحلول الشَّمس فيها فاعتقدوا شبهَ ما ذكرناه في الشِّعرَى اليَمانيّة عند نَهْي بقراط عمّا نهى عند أيّام طلوعها في زمانه. وإنّ هٰذا الفصل ليُذكِّرني حالاً فيها مِصداقٌ لقول أحمد بن فارس:

قد قال فيما مَضَى حكيمٌ
ما المَرْءُ إلّا بأصْغَرَيْهِ
فقلتُ قولَ امْرِءٍ لَبيبٍ
ما المَرْءُ إلّا بدِرهَمَيْهِ
مَن لم يكن مَعَهُ درهماه
لم تَلْتَفِتْ عِرْسُهُ إليه
وكان مِن ذُلّه حَقيرًا
يَبولُ سِنَّوْرُهم عليه.

وذٰلك أنّي أيّامَ مفارقتي الحَضْرةَ العالية وحِرْماني سعادةَ الخِدْمة الشَّريفة شاهدتُ بالريّ أحدَ المعدودين في العلماء بصناعة النُّجوم وقد استعمل مُقارَناتِ الكواكب المنسوبةِ إلى المَنازل وجعل يحصِّلُها ليَسْتخرجَ الأحكامَ من رِباطاتها وجُفورِها ويَستنبطَ تَقْدِمَةَ المعرفة بأحْداث الجوّ منها فأعلمتُه أنّ الصواب في خلافِ ما يعمله وأنَّ الطَّبيعة المنسوبة إلى المنزلة الأولى وخواصَّها وما وصف الهندُ من ارتباطها مع الأخرى ليس بزائل عن أوائل برجِ الحمل بزوال كوكبها كما لم تَنْتَقِلْ أحكامُ برج الحملِ بانتقال صورتِه عنه فشمخ المذكور بأنْفه مستخفًّا بي وكان أدْوَنَ منّي مرتبةً في جميع ما عَلِمَهُ وكذّب قولي وجبهني واستطال عليّ لِما كان بيننا من تَفاضُلِ الغِنَى والفُقْر الّذي يستحيلُ معه المناقبُ مَثالبَ وتَصيرُ المفاخرُ مَعايبَ فإنّي كنتُ في ذٰلك الوقت ممتحَنًا من جميع الجهات مُخْتَلَّ الحالِ ثمّ صادَفَني بعد ذٰلك لمّا زالت المِحَنُ بعضَ الزَّوال. وليس يَخْفَى أنّه لو كان المُعوَّلُ في معرفة التّأثيرات على طلوع أجرام هٰذه الكواكب بالرُّؤية لاختلفت الأزمنة بانتقالها ولتَفاوتَ ذٰلك في الأقاليم ولاحتيج إلى ما يُحْتاج إليه في معرفة ظهور الكواكب المُتحيِّرة واختفائها من ضروب الأعمال المُتْعِبةِ ولٰكنّ معنى طلوع المنازل أنّ الشّمس إذا حَلَّتْ أُحدَها سَتَرَتْها والتي قبلها وطلعت الثّالثةُ منها على نَكْس البروج بين طلوعي الفجر والشَّمس في الوقت الّذي وصفه ابن الرَّقّاع في شعره:

وأبْصَرَ الناظرُ الشّعري مُبَيِّنَةً
لمّا دَنا من صَلْوة الصُّبْح تَنْصَرِفُ
في حُمْرةٍ لانْبِيضاضِ الصُّبْح أغرفُها
فقد علا اللَّيلُ عنها فَهْوَ مُنْكَسِفُ
لا يَيْأَسُ اللَّيلُ منها حين تَتْبَعُه
ولا النَّهارُ بها للَيْلِ يَعْتَرِفُ

وقد سمّوا طلوع المنزلة نَوْءَها أي نهوضها وسمّوا الطُّلوع بارحًا وتأثير السُّقوط نَوْءًا ومن طلوع كُلّ واحدة منها إلى طلوعِ الّتي تَليها ثلثة عشر يومًا سوى الجَبْهةِ، فإنّ بين طلوعها والتي

تليها أربعة عشر يومًا وقال القائل:

والدَّهْرُ فاعْلَمْ كُلُّه أرْباعُ
لِكلِّ رُبْعٍ واحِدٍ أسْباعُ
وكلُّ سُبْعٍ لِطُلوعِ كَوْكَبْ
ونَوْءِ نَجْمٍ ساقطٍ في المَغْرِبْ
ومِنْ طلوعِ كلِّ نَجْمٍ يَطْلَعْ
إلى طلوعِ ما يَليهِ أرْبَعْ
من اللَّيالي ثُمَّ تِسْعٌ تَتْبَعْ.

ثمّ اختلفوا فيها فَزَعَمَ بعضهم أنّ كلّ تأثير يكون بَعْدَ طلوع منزلة إلى طلوع التي تلوها فهو منسوب إليها. وزَعَمَ الآخرون أنَّ لطلوعِ كلِّ واحدة منها وسقوطِها مقدارًا من الزمان يُنْسَبُ إليها ما يكون فيه فإذا انْقَضَتْ تلك المدّةُ لم يُنْسَبْ إليها ما يكون بعدها وبالقول الأخير أَخَذَ الجمهورُ واختلفوا في مقاديرِ تلك الأزمنة وسنَصِفُها باختلافها وإذا حُقِّقَ التّأثير فلم يَظْهَرْ منه شيءٌ في تلك الأزمنة. قيل خَوَى النجمُ أو خَوَت المنزلةُ يعني مَضَت مُدَّةُ نَوءه ولم يكن فيه مَطَرٌ أو حَرٌّ أو بَرْدٌ.

ولهم في جهات الرِّياح ومَهابِّها وأعدادها اختلافات. فبعضهم يزعم أنّ جهات الرِّياح ستٌّ كما حكى ابن كُناسة عن إبي محمود جعفر بن سَعْد بن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ الفَزاريّ. وأكثرهم يقولون إنّها أربع كما حُكي عن خالد بن صَفْوانَ. وعلى هٰذا أكثر الأمَم وإن كانت المهابُّ تَخْتلف عندهم وكلا الرَّأيين للعرب مجموعين في هاتين الدائرتين: فالرَّأي الأوّل في داخلها والرَّأي الثاني في خارجها بأسمانها وجهات مهابِّها وهٰذا شكل الدائرة.

وقد ذُكِرَ في الرَّأي الأوّل المَحْوةَ عند الجنوب، والمعروفُ أنّ المحوة هي الشَّمال لأنّها تمحو السَّحابَ فارغةً بعدَ أنْ تَسوقُها الجنوبُ مُمتلِئةً. وذُكر في هٰذا الرَّأي أيضًا للنَّكْبآء مَهَبًّا واحدًا على حِدَة. والمعروف أنّ النَّكبآء هي كلُّ ريح يكون مهبُّها بين مهبَّيْ ريحَيْن من الرِّياح الأربعة المذكورة. وقد ذكرها ذو الرُّمّة وذكر النّكباء معها على هٰذه الصِّفة:

أهاضِيبُ أنْواءٍ وهَيْفانِ جَرَّتا
على الدارِ أعْرافَ الجِبالِ الأعافِرِ
وثالِثَةٌ تَهْوِي من الشَّأمِ حَرْجَفٌ
لها سَنَنٌ فوقَ الحَصَى بالأعاصِرِ
ورابعةٌ من مَطْلَعِ الشَّمس أجْفلتْ
عليها بدَقْعآء المِعا فقُراقِرِ
تُحَنِّنُها النُّكْبُ السَّوافي فأكْثَرَتْ
حَنِينَ اللِّقاحِ القارِباتِ العَواشِرِ.

والهَيْفانِ الجنوب والدَّبور، والتي تهوى من الشام الشَّمال، والتي تَجيء من مَطلع الشَّمس الصَّبا، ومَهابُّ الرِّياح عند الفرس كما هي عند اليونانيّين وجميع الطَّبيعيّين، ومَراكزُها منسوبة إلى الجهات الأبعة، وهي في هٰذه الدائرة.

أمّا أسماء مَنازل القمر فهي: الشَّرطانِ، وَالبطينُ، والنَّجمُ، والدَّبرانُ، وَالْهَقْعَةُ، وَالْهَنْعَةُ، وَالذِّراع، وَالنَّثْرَةُ، وَالطَّرْفُ، وَالْجَبْهَةُ، وَالْخَراتانِ، وَالصَّرْفَةُ، وَالْعوَّاءُ، وَالسِّماكُ، وَالْغَفْرُ، وَالزُّبانَى، وَالإكْلِيلُ، وَالْقَلْبُ، وَالشَّوْلَةُ، وَالنَّعائِمُ، والْبَلْدَةُ، وسَعْدُ الذَّابِحِ، وسَعْدُ بُلَعَ، وسَعْدُ السُّعُودِ، وسَعْدُ الأخْبِيَةِ، وفَرْغُ الدَّلْوِ المُقَدَّم، وفَرْغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرُ، وَالْحُوتُ.

حرف الخاء

خمسة

□ يَتطابق الخَمْسة مع أصابع اليد، وهو العدد الأوَّل الذي يَحكي عن التَّجربة والمُراقَبة وفَهْم الواقع. لذلك فهو يُمثّل عَدَد الوجود والطَّبيعة وُحبّ الحياة والتّفاؤل، وهو عَدد دائم الحركة. ويَرمز، أيضًا، إلى الإنسان، أي صورة الله على الأرض.

في مصر.

□ مَنَعَ إله الشَّمس رع (Ra) كُلًّا من الأرض والسَّماء مِن أن يَتجامعا خلال ٣٦٠ يومًا، وهي فترة كانت تُشكّل السَّنة المصريّة القديمة. لَكنّ توت (Thot) إله الكتاب وحامي العلوم الذي هَزَّت مَشاعِرَه رَغْبَةُ العاشقين الظَّمأى، أوْجَدَ خمسة أيّام جديدة كانت تَنقص التَّقويم المصريّ حتّى ذلك الوقت. وهكذا، فَقَدْ أمْكَن للسَّماء والأرض، من دون مَعصية أوامر إله الشَّمس، أن يَنعما، في كُلّ سنة، باللَّذّة والمُتْعة خلال خمسة أيّام ببياضها وسوادها. وأنجب العاشقان أوزيريس وأخته إيزيس وست وأخته نفتيس. واقترنت إيزيس بأخيها أوزيريس، وتَزوَّج ست بأخته نفتيس(١).

وعِنْدَ مُحاكَمة الميت، كان يُحكَم على الخاطىء بأن يُلقَى في آبار النار وهي خمس، أوّلها البئر المُشتعِلة التي تُلقَى فيها أجْساد الخطأة من أعداء رع، إلى أربع آبار أخرى تُلقَى فيها أجساد الخَطأة مُمزَّقة لِتُحرَق مع أرواحها وتَتلاشى إلى الأبد.

في اليونان.

□ تَتغنَّى الميثولوجيا بنشيد وَضَعَه فيثاغوروس يُشيد بالخمسة رمزًا لجوهر الأشياء المَوْجودة في الكون. وبِحَسَب فيثاغوروس، يَرمز الخمسة إلى الزَّواج، وإلى الوسط والتَّناسُق والتَّوازُن. أمّا هيبوقراطس (Hippocrates)(٢) فرأى فيه دَليل الصِّحَة.

وتَحدَّث الميثولوجيا عن السبارتي (Sparti) وهم الرِّجال الذين نَبتوا من زراعة أسنان التِّنين التي بَذَرَهَا قُدْمُوس. والخَمسة الذين ظلّوا أحياء بَعْدَ المَعْركة التي دارت بينهم صاروا أجداد النَّبالة الطِّيبيّة(٣). ويُعتَبر أخيرون (Achyron) نَهر الكَرب، وهو أحد أنهار

(١) الجنس في العالم القديم - ص ١٢١.

(٢) طبيب يونانيّ (٤٦٠- ٣٧٧ ق.م.).

(٣) معجم الأساطير - ص ٢٣١.

هاديس الخمسة. ويُستخدَم هٰذا الإسم أيضًا للإشارة إلى العالَم السُّفليّ بشَكْل عامّ[١].

في روما.

□ عَرفت روما خَمْسَ مَحاكم شعبيّة.

في فارس.

□ رَوى هيرودوتس[٢] أنّ الملك داريوس (Darius)[٣] تلقَّى رسالة من قبائل السّكيث (Skyth) البدويّة، في عمليّة الغزو ضدَّهم، تَشتمل على طائر وفأر وضِفْدَع وخمسة سِهام. وتفسير الرِّسالة: «إن لم تُنجوا بأرواحكم كالطُّيور التي تطير في الجو، أو كالفئران التي تَختفي في الحُجور، أو كالضَّفادع التي تَسبح في مِياه البُحَيْرات الآسنة هاربة من وَجْه الأعداء، فإنّكم سَتَلْقَوْن نِهايَتكم بهٰذه السِّهام الخمسة».

وفي فارس، كان النَّهار يُقسَم خمسة أقسام.

وفي المانويّة، قال ماني: النور خمسة أعضاء: الحلم، العِلْم، العقل، الغيب، والفطنة؛ وخمسة روحانيّة: الحُبّ، الإيمان، الوفاء، المروءة، والحِكْمة؛ والأرض لها خمسة أعضاء: النَّسيم، الريح، النور، الماء، والنار؛ والظُّلمة لها خمسة أعضاء: الضَّباب، الحَريق، السُّمّ، السُّموم، والظُّلمة؛ وإبليس له خمسة أجناس: الدُّخان، الحريق، الظُّلمة، السُّموم، والشَّرّ[٤].

ودعا ماني جَسَد الله المُمكِن فَهْمه بإسم المَنازل ـ الحدود ـ الخمسة وهي: الإدراك، العقل، التَّروّي، الرَّأي، والنِّيّة. واعْتُبِرَت نشاطات العقل هٰذه أنّها تُشكِّل جَوْهَره وثِماره[٥].

وفي البَهائيّة، على المُؤمِن أن يَتوضّأ بِغَسْل اليَدَيْن والرِّجْلَين. ويُستغنَى عن هٰذا الوضوء إذا لم يَجد البهائيّ الماء، ويكون البَديل بأن يَذكر خمس مرّات: بسم الله الأطهر، ثُمّ يَشرع في العمل.

وبِحَسَب تَعاليم البهاء، يَتكوَّن الكَفَن من خمسة أثواب من الحرير أو القطن، ومَن لم يَستطع يَكتفي بواحدة منهما.

في الهِنْد.

□ تَقول المهابهاراتا (Mahabhârata) بوجود خمسة آلهة كبار في الهند لهم خمس سماوات هم: ڤارونا، ڤايو، آغني، إندرا، وكوڤينا[٦]. وتَتحدَّث الميثولوجيا عن وُجود خَمس ملكات: مَلكة الإيمان، مَلكة الحيويّة، مَلكة الإنتباه، مَلكة التَّركيز، ومَلكة المَعرفة. وتقول الهند بوجود خَمسة أسباب للألم: الجهل، الأنانيّة، اللَّذّة، الكُرْه، التَّعلُّق بالحياة. وتُصوِّر الأيقونوغرافيا الإلٰه شيڤا بخمسة وجوه، والخامس يَنظر إلى السَّماء. ويُقدِّم البراهمانيّ يوميًّا خمس تضحيات.

---

(١) نفس المرجع - ص ٣.

(٢) مُؤرِّخ يونانيّ (٤٨٤- ٤٢٠ ق.م.).

(٣) ملك فارسيّ (؟ - ٤٨٦م.).

(٤) ماني والمانويّة - ص ٢٥٧.

(٥) نفس المرجع - ص ٦٦.

(٦) Les grandes figures des mythologies - p.21.

ويُعتَبر الخمسة في البوذيّة عَدَد الحياة. وفي البوذيّة أيضاً، الخَطايا الرَّئيسة خمسة: القتل، السَّرقة، الزِّنى، الكَذِب، والسُّكر؛ والشَّوائب خمس: اللَّذّة، الغَضب، الجَهل، الغَطرسة، والكِبرياء. وتَحكي البوذيّة عن خمسة تأمُّلات هي:

- التَّأمُّل الأوَّل هو التَّأمُّل بالمَحبّة التي بواسطتها تضع قلبك بشكل تَتمنّى فيه بكُلّ حرارة الخير والإزدهار والسَّرّاء لكلّ الكائنات دون أن يكون أعداؤك بمنأى عن هٰذه النِّعم.
- التَّأمُّل الثّاني هو التَّأمُّل بالشَّفقة التي بواسطتها يجب أن تُفكِّر بأن كُلّ الكائنات هي في شدّة وشقاء، وتَتذكَّر وترسم في مُخَيّلتك وتُظهر عذاباتهم وآلامهم النَّفسيّة المُبرّحة وقلقهم الشَّديد بطريقة تخلق في نفسك رحمة عميقة تجاههم.
- التَّأمُّل الثّالث هو التَّأمُّل بالفرح الذي بواسطته تَفتكر بإزدهار ونجاح ويُسْر الآخَرين وتَفرح فرحًا شديدًا لأفراحهم.
- التَّأمُّل الرّابع هو التَّأمُّل بالنَّجاسة التي بواسطتها تُمعِن النَّظر في النَّتائج المُميتة للفساد وفي تأثيرات الخطيئة والأمراض.
- التَّأمُّل الخامس هو التَّأمُّل بطمأنينة الفكر وصفائه وهدوئه التي بواسطتها ترتفع فوق الحُبّ والبغض وفوق الظُّلم وفوق الغِنَى والعَوز ناظرًا إلى مصيرك الشَّخصيّ بهدوء بريء مُتجرِّد مُنصِف خالٍ من المُحاباة ومن التَّعرُّض وبراحة كاملة[1].

ومن المانويّة التي تقول إنّ الإنسان الأوّل يَتشكَّل من خمسة أنوار، وقد افترسته شياطين الظُّلمات، ومنذئذ، تُوجد الأنوار الخمسة أسيرة في البَشر، الخلائق الشَّيطانيّة، وبخاصَّة في المَنيّ، تقول البوذيّة في التيبت بأنّ النور الخُماسيّ يَحتذي «اللُّعبة» الإلٰهيّة، لأنّه لا يُجبّ أن يَكتمل بِقَذْف منيّ. ويُؤكِّد كلّ من كاندرا كيرتي وتزون كايا في شَرحهما (للجوهيا ساماجاتانترا) أنّه في أثناء طقس الميزونا، حَصَلَ قِران بنظام صوفيّ، وعلى أثره حَصَلَ الزَّوْجان على الشُّعور النيرفانيّ. وهٰذا الشُّعور النّيرفانيّ، عند الرَّجُل، والمُسمَّى (بودهيستيا) أي فكر التَّيقُّظ يُظهر نَفْسه في نطفة تَنزل من قمّة الرَّأس وتَملأ الأعضاء الجنسيّة بدفقة من نور خماسيّ. ويقول كاندرا كيرتي: «في أثناء القران، يَجب التَّأمُّل حول عضو التَّذكير والرَّحم كما لو أنهما مُمتلئان، في الداخل، بالنور الخماسيّ. ويبدو التَّأثير المانويّ واضحًا في صورة النور الخماسيّ، ويُلاحَظ شَبَه بين التَّوصُّل التانتريّ بعدم قَذْف المنيّ والدُّفاع المانويّ لجعل المرأة حاملًا.

وفي الهند، تُمثِّل الميثولوجيا إلٰه الحُبّ، كاما (Kama) بخمسة أسهم تَرمز إلى الحَواسّ الخَمْس.

وفي الدِّيانة الجينيّة قال ماهافيرا (Mahavira): «الطَّريق إلى النيرفانا هو طَريق جواهر النَّفْس الثَّلاث، وهي الإعتقاد الصَّحيح والمعرفة الحقيقيّة والسُّلوك السَّليم. والسُّلوك السَّليم يأتي أوَّلًا، وهو بأتِّباع الوصايا الخمس للنَّفْس:

- لا تَقتل أيّ كائن حَيّ أو تُؤذِه بالكلام أو التَّفكير أو العمل.

(١) إنجيل بوذا - ص ١٥٥.

- لا تَسرق.
- لا تكذب.
- لا تَحيَ حياة الفجور أو تُخدِّر نَفْسك.
- لا تَرغب في شيء على الإطلاق.

عِنْدَ السِّيْخ.

□ يَجب على كلّ عُنصر من السِّيخ أن يَحفظ في شخصه خمسة أمور تَبدأ بحرف «K» وهي:

Kes: الشَّعْر الذي لا يُقَصّ إطلاقًا.

Kangi: المشط الذي يَجمع الشَّعر في عُقْدة فوق الرَّأس.

Kara: إسوارة من الحَديد تَرمز إلى البساطة.

Kirdau: السَّيف أو الخِنْجَر.

Kachh: السِّروال الذي يَتوقَّف عند الرُّكبة(١).

في الصّين.

□ إنّه عدد الأرض. يَرمز الخمسة في الصّين إلى نُقْطة الوَسَط. وتَتحدَّث الميثولوجيا عن خَمْسة ألوان، وخَمْسة مُخلِّصين، وخمسة كواكب، وخَمْسة مَشارق، وخَمْسة أماكن فضائيّة، وخَمْس حَواسّ. وداخل القصر الإمبراطوريّ الصّينيّ، تُوْجَد خمسة أجنحة تُسمَّى «طيور الفينيق الخَمْسة». ويَرمز الفِينيق، في الصّين، إلى الحَظّ السَّعيد.

ويتألَّف قوس قُزَح في الصّين من خَمسة ألوان فقط ويُشبِه قَوْس الإله شيفا، وقوس إندرا (Indra)، إله الشّتاء والعاصفة.

وحيثما حلّ منشيس(٢) في الصّين كان يُقابَل باحترام عَظيم لانتشار شُهْرته كفيلسوق. وكان الأمراء يسألونه: ما هو الحُكْم العادل الحَكيم الذي تُبشِّر به؟

وكان يجيب: ليس ما أعِظ به بالشَّيء الجديد فَقَدْ سَبَقني إليه أستاذي كونفوشيوس. ذلك أنّ الحاكم العادل يَحكم شَعْبه طِبْقًا للفضائل الثّابتة الخمس.

ويسأله الأمراء: ما هي هذه الفضائل؟

ويقول منشيس: فعل الخير، وهو الرَّغبة في العمل لصالح الشَّعب؛ والاستقامة وهي ألاّ تفعل للآخرين ما لا تُحِبّ أن يفعلوه لك؛ واللِّياقة وهي أن تَسلك مع الشَّعب الذي تَحكمه سلوكًا يَتَّسم بالحياء؛ والحكمة وهي أن تَسترشد بالمعرفة والفهم؛ والإخلاص وهو أن تكون مُخلِصًا في كُلّ ما تفعله، لأنّه بدون الإخلاص لا يُمكِن للعالَم أن يَبقى كما يقول الأستاذ كونفوشيوس.

في اليابان.

□ تَتحدّث البوذيّة اليابانيّة عن خَمسة مَشارق، وخَمسة عَناصر كونيّة، وخَمسة ألوان. وتقول الميثولوجيا بوجود خمسة أزواج إلٰهيّة خَلقت العالَم.

في أميركا.

□ في شمال غرب أميركا الشّماليّة، تَعتقد

---

(١) Les sectes secrètes de l'Islam

(٢) فيلسوف صينيّ (٣٧٢- ٢٨٩) ق.م. أبرز مُؤيِّدي المدرسة الكونفوشيوسيّة.

قبائل المودوك (Moduks) أنّ الإلٰه كوموكومس غَطَس مَرّات عدّة في مياه بُحَيْرة تولة. وفي المرّة الخامسة وَصَلَ إلى العُمْق وحَمَل بين يديه حَفْنَة من الوحل، فوضعها قُرْبَ البُحَيْرة وفَلَشها على كامل صَفحتها حتّى تَغطَّت؛ وعندها، خَلق الجبال والأنهار والأشجار والنّبات[١].

وفي أميركا الوُسطَى، يُعتَبر الخمسة مُقدَّسًا، ويَرمز إلى إلٰه الذُّرَة، فيُرسَم على شَكْل يَد مَفتوحة. وتَعتقد القبائل أنّ الورقة الأولى من نَبتة الذُّرَة تَنمو بَعْدَ مُرور خَمسة أيّام مِن زراعتها. وفي السِّياق نَفْسه، يَموت آلهة الذُّرَة الصِّغار ثُمّ يُولَدون في النَّهر بَعْدَ مُرور خَمسة أيّام من موتهم.

وفي المكسيك، تَنظر قبائل المايا (Mayas) إلى الخمسة على أنّه عدد الكَمال. ويُعتَبر اليوم الخامس يوم الآلهة الأرضيّة. ولدى قبائل الأزتيك، يُعَدّ الإلٰه الخامس إلٰه الذُّرَة والرَّقص والموسيقى. وفي المكسيك، أيضًا، يَرمز الخمسة إلى النار والشَّمس. ويُرسَم الإلٰه المكسيكيّ كوتزالكوتل (Quetzalcoatl)[٢]، وعلى وَجْهه العَدد خمسة، فالخَمسة يَرمز إلى العُبور مِن الحياة الأرضيّة إلى الحياة الأُخرى بَعْدَ الموت.

وفي البيرو، الخمسة عَدد مُهِم، فالخُضار تَنبت بَعْدَ خَمسة أيّام مِن زراعتها؛ ويَقوم المَوتَى في اليوم الخامس؛ وتَتحدَّث الميثولوجيا عن طُوفان استمرّ خَمسة أيّام، وعَن كُسوف للشَّمس دام خَمسة أيّام، وأنّ إلٰه العاصفة والمطر بارياكاكا (Paryakaka) وُلِدَ من خَمْس بيضات أو هو قادِر على أن يَجعل المَطر يَهطِل مِن خمس مَناطق مُختلِفة، والبَرق يَصدر من خَمس نُقاط سَماويّة.

في إيرلندا.

□ تُؤمِن الميثولوجيا السلّتيّة بِوُجود خمسة آلهة: لوكي (Loki) كبير الآلهة، دادج، أوغني، نوادا، وماك أوك.

في أفْريقيا.

□ يَرمز الخَمسة، في مالي، إلى الأنوثة، أي إلى الخَلْق غير الكامل. وفي بعض بُلدانها، يَأخذ الناس العروس المُعَدَّة للزّواج إلى مَنزل عريسها، فَتهرب من المَنزل وتَختبئ، فيَلحق بها أصدقاء العريس ويَقبضون عليها بَعْدَ إجراء سيناريو من المُقاوَمة، ويصطحبونها إلى والدة العريس، ويُضاجعونها طيلة خَمسة أيّام. وبَعْدَها، يأتي العريس يُطالِب بزوجته، ويَحصل الزّواج.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ أسفار موسى في التَّوراة هي الأسفار الخَمسة الأولى. وفي العبريّة، يُساعِد العدد خَمسة على انطباع الشَّيء في الذاكرة، على عدد أصابع اليد، وقد يكون ذٰلك أساس بَعْضِ الفرائض الطَّقسيّة.

عند المسيحيّين.

□ في العهد الجديد، يَتحدّث متّى عن عشر

---

(١) Les grandes figures des mythologies - p.17.

(٢) بطل وإلٰه الريح والخصب في المكسيك.

عَذرای خمس منهنّ جاهلات وخمس حكيمات (٢٥ : ٢). وفي لوقا، اختبأت إليصابات خمسة أشهر (١ : ٢٤). وكانت خَمسة عصافير تُباع بفلسين (١٢ : ٦). وفي لوقا، أيضًا، قال السَّيِّد المسيح: «أتظنّون أنّي جئت لأُلقي على الأرض سَلامًا. أقول لكم كلّا بل شقاقًا. فإنّه من الآن سيكون خَمسة في بيت واحد يُشاقُّ ثلاثة منهم إثنين واثنان ثلاثة» (١٢ : ٥١-٥٢). ويُفسِّر اللاهوتيّون هٰذا المثل بأنّ العدد خمسة، مجموع العَدد المُفرَد المُزدوِج (٢ + ٣) يُمثّل الزَّواج لدى فيثاغوروس، وتاليًا يُعبِّر عن العَلاقة الكاملة. من هنا، يَفترض بَسْط ملكوت الله القتال الحاسم للخير ضدّ الشّرّ. إنّه الرَّمز الأفضل اختاره السَّيِّد المَسيح لِتَكسير الزَّواج الذي يُمثّله العَدد خَمسة، مع العدد المُزدوِج، الشّرّ، ضدّ المُفرَد، الخير.

ويقول التراث إنّ السَّيِّد المسيح أصيب بخمسة جروحات. ويرسم الكاثوليك إشارة الصليب بخمس أصابع.

وتنصح الكنيسة بخَمسة أفعال قَبْلَ مُنَاوَلة القُرْبَان الطاهر: الأمل، الرَّغبة، التَّواضُع، المَحبّة، والإيمان، وهي أفعال تُطابِق خَمسة مَبادئ مُقدَّسة: الماء المُبارَكة، الخُبْز المُكرَّس، بَرَكة الكاهن، قُبْلَة السَّلام، وإشارة الصَّليب.

عند المسلمين.

□ عند المسلمين، خَمْس سُوَر تَبدأ بالحمد لله وهي: سورة الفاتحة: ﴿الحمد لله رَبّ العالَمين﴾؛ والأنعام: ﴿الحَمد لله الذي خَلَق السَّماوات والأرض﴾؛ والكهف: ﴿الحَمد لله الذي أنزل على عَبْده الكتاب﴾؛ وسبأ: ﴿الحَمد لله الذي له ما في السَّماوات وما في الأرض﴾؛ وسورة فاطر: ﴿الحمد لله فاطِر السَّماوات والأرض﴾.

والمَناسك، في الإسْلام، خمسة: الصَّفا، المَرْوَة، مِنا، مزْدلِفة، وعَرفة.

والصَّلوات الواجبة خَمس:

١- الصَّلوات اليوميّة، ٢- صلاة الآيات، ٣- صلاة الطَّواف، ٤- صلاة الميت، ٥- صلاة الاستيجار، والنَّذر، والعهد، واليمين، ونحوها[1].

وحَوْلَ مَوضوع الصَّلوات الخَمْس روى ابن حيان في صَحيحه أنّ مُحمَّدًا ﷺ قال: «خَمس صلوات كتبهنّ الله على العِباد فَمَن جاء بهنّ ولم يَضع منهنّ شيئًا استخفافًا بحقّهنّ كان له عند الله عَهْد أن يُدخِله الجَنّة، ومن لم يأتِ بهنّ فليس له عِنْدَ الله عَهْد إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخله الجَنّة»[2].

وأصحاب الأعذار عن تأخير الصَّلوات الخمس في وقتها خمسة: النائم قَبْلَ دُخول الوقت حتّى يَستيقظ، النَّاسي للصَّلاة حتّى يَتذكَّر، المجنون حتّى يفيق، الصَّبيّ أو الصَّبيَّة حتّى يَبلغ، الحائض والنُّفساء حتّى يَنقطع عنها دم الحيض أو دم النِّفاس.

وقد سَرد المستشرق دِرْمَنجم قصّة الصَّلوات الخمس مُستخلَصة من مُختلِف كُتُب السيرة، فقال: «في مُنتصَف ليلة بَلغ السُّكون فيه غاية

---

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السَّيِّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٢٦.

(٢) رواه أيضًا الإمام أحمد.

جلاله، وصَمتت فيه طيور اللَّيل، وسَكنت الضّواري، وانقطع خرير الغدران وصفير الرِّياح، استيقظ النّبيّ محمَّد ﷺ على صوت يَصيح به: أيُّها النائم قم. وقام فإذا أمامه الملاك جبريل وضّاء الجبين أبيض الوَجه كبياض الثَّلج مُرسِلًا شَعْره الأشقر، واقفًا في ثيابه المُزركَشة بالدُّرّ والذَّهب، ومن حَوْله أجنحة من كلّ الألوان ترعش، وفي يده دابّة عجيبة هي البُراق، ولها أجنحة كأجنحة النَّسر، انحنت أمام الرَّسول، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السَّهم فَوْقَ جبال مَكَّة ورمال الصَّحراء مُتَّجهة صَوْبَ الشَّمال. وصَحبه الملاك في هٰذه الرِّحلة ثمّ وَقَفَ به عند جبل سيناء حيث كَلَّم الله موسى، ثُمّ وَقَف به مَرَّة أخرى في بيت لحم حيث وُلِدَ عيسى، وانطلق بَعْدَ ذٰلك في الهواء في حين حاوَلت أصوات خفيّة أن تَستوقف النَّبيّ الذي رأى في إخلاصه لرسالته أن ليس لغير الله أن يَستوقف حيث شاء دابّته. وبَلغ بيت المَقدس. فَقَيد مُحمَّد ﷺ دابّته وصَلّى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبرهيم وموسى وعيسى ثمّ أتى بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صَعِدَ مُحمَّد ﷺ سراعًا إلى السَّماوات، وكانت السَّماء الأولى من فضّة خالصة عُلّقت إليها النُّجوم بِسَلاسِل من ذَهب، وقد قام على كُلّ منها مَلاك يَحرسها حتّى لا تَعْرُج الشَّياطين إلى علّو عليها أو يستمع الجنّ منها إلى أسرار السَّماء. في هٰذه السَّماء، ألقى مُحمَّد ﷺ التَّحيّة على آدم، وفيها كانت صور الخلق جميعًا تُسبّح بحَمد ربّها. ولقي مُحمَّد ﷺ في السَّماوات السِّتّ الأخرى نوحًا وهارون وَموسى وإبرهيم وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى. ورأى فيها ملاك الموت عزرائيل، بَلغ مِن ضَخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم، ومن سُلْطانه أن كانت تحت إمرته مائة ألف فرقة، وكان يُسجّل في كتاب ضخم أسماء مَن يُولَدون ومَن يَموتون. ورأى ملاك الدَّمع يَبكي خطايا الناس، ومَلاك النِّقمة ذا الوجه النُّحاسيّ المُتصرِّف في عنصر النار والجالس على عَرْش مِن لَهَب. وقد رأى كذٰلك مَلاكًا ضخمًا نِصْفه من نار ونصفه من ثلج وحَوْلَه من الملائكة فرقة لا تَفتر عن ذِكْر الله قائلة: اللَّهُمّ قد جَمعت الثَّلج والنار، وجَمعت كُلّ عِبادك في طاعة سُنَّتك. وبينما هو يَتأمَّل هٰذا الخَلْق الغريب، إذا به ارتفع قمّة سِدْرة المُنتهَى، تقوم إلى يمين العرش وتُظَلِّل ملايين الملايين مِن الأرواح الملائكيّة. وبَعدما تَخطَّى في أقلّ من لَمْح البصر بحارًا شاسعة ومَناطق ضياء وظُلمة قاتمة ومَلايين الحُجُب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء، يفصل بين كُلّ واحد منها وما بعده مَسيرة خمسمائة عام، تَخطَّى حُجُب الجَمال والكمال والسِّرّ والجَلال والوَحْدة، وقامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سُجّدًا لا يَتحرَّكون ولا يُؤذَن لهم فَينطقون. ثُمّ أحسّ بنَفْسِه يَرتفع إلى حيث المولى جَلَّ شأنه، فأخذه الدَّهش، وإذا الأرض والسَّماء مُجتمِعان لا يكاد يراهما، وكأنّهما ابتلعهما الفناء فلم يَرَ منهما إلّا حَجْم سمسمة في مَزرعة واسعة. وكذٰلك يجب أن يكون الإنسان في حَضرة ملك العالَم. ثمّ كان في حَضْرة العَرْش وكان منه قاب قوسين أو أدنى، يَشهد الله بعين بَصيرته، ويرى أشياء يَعجز اللِّسان عن التَّعبير عنها وتَفوق كُلّ ما

يحيط به فَهم الإنسان. وَمدّ العليّ العَظيم يدًا على صَدْر مُحمَّد ﷺ والأخرى على كَتفه، فأحسّ النَّبيّ كأنّه أثلج إلى مفاره، ثُمّ بسكينة راضية وفناء في الله مستطاب. ويَعْدَ حديث لم تَحترم كتب الأثر المدقّقة قدسيّته أمر الله عَبْدَه أن يُصلّي كُلّ مُسلِم خمسين صلاة في كُلّ يوم. فلّما عاد مُحمَّد يَهبط السَّماء لَقيَ موسى، فقال ابن عمران له: «كيف تَرجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة في كُلّ يوم؟ لقد بَلوت الناس قبلك، وحاولت مع بني إسرائيل كُلّ ما يَدخل في الطَّوق مُحاوَلته؛ فصدِّقني وعُد إلى ربّنا واطلب إليه أن يُنقِص الصّلوات. وعاد مُحمَّد فنقص عدد الصَّلوات إلى أربعين وَجدها موسى فَوْقَ الطاقة، وجَعَلَ يَردّ خليفته في النُّبوّة مرّات عدّة حتى انتهت الصَّلوات إلى خمس. وَذَهَبَ جبريل بمُحمَّد فزار الجَنَّة التي أعِدَّت للمُتَّقين بَعْدَ البَعْث. ثمّ عاد مُحمَّد ﷺ على المعراج إلى الأرض، ففكّ البراق وامتطاه وعاد من بيت المَقدس إلى مَكّة على الدابّة المُجنَّحة[1].

وفي الحديث الشَّريف جاء في «رياض الصالحين»، نقلًا عن أبي هريرة، أنّ النَّبيّ مُحمَّد ﷺ قال: «حَقّ المُسلِم على المُسلِم خمس: رَدّ السَّلام، عيادة المريض، إتباع الجنائز، إجابة الدَّعوة، تَشميت العاطس». وأوصى النَّبيّ مُحمَّد ﷺ أصحابه بخمس: «إن ظُلِمتم فلا تَظلموا، وإن مُدِحتم فلا تَفرحوا، وإن ذُمِمتُم فلا تَحزنوا، وإن كُذِّبتم فلا تَغضبوا، وإن خانوكم فلا تَخونوا». وفي «البخاري» جاء أنّ رسول الله قال: لي خَمسة أسماء: أنا مُحمَّد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يَحشر الناس على قدميّ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكُفْر، وأنا العاقِب، أي الذي لا نبيَّ بَعْدَه.

وفي الإسلام أيضًا يَجب على الإنسان إعطاء الخِمس:

١- من الغنيمة المأخوذة في حال الحرب التي تُقام بإذن الإمام أو نائبه.
٢- من المَعدن، سَواء كان سائلًا كالنَّفط، أو جامدًا كالذَّهب.
٣- من الكَنز، وهو المال المذخور تحت الأرض.
٤- من الغوص، كاللُّؤلؤ والمَرجان.
٥- من المال الحَلال المُختلِط بالحرام.
٦- من الأَرض التي يَبيعها المُسلِم إلى غير المُسلِم.
٧- من الأرباح التي يَجنيها المُسلِم من التِّجارة أو الزِّراعة أو الصِّناعة[2].

عند اليَزيدِيّين.

□ في اليَزيدِيّة، تَتألَّف الأخويّة من خَمسة أشخاص: المريد، القَوّال، الفَقير، الشَّيخ، وأمير شيخان. وعلى اليزيديّ أن يُتمِّم واجباته الخمسة في الدِّيانة.

عند إخوان الصَّفاء

□ يَعتقد إخوان الصَّفاء أنّ للنَّفس الإنسانيّة

(١) حياة مُحمَّد - مُحمَّد حسين هيكل.

(٢) مُوجز أحكام الإسلام - الإمام السَّيِّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٤٣.

خَمسَ قُوَى أساسيّة: القُوَّة المُفكِّرة في وَسَط الدِّماغ، القُوَّة المُتخيِّلة في مُقدَّم الدِّماغ، الحافِظة في مُؤخَّر الدِّماغ، الناطقة على اللِّسان، الصّانعة التي مجرَاها اليَدان والأصابع.

عند المتصوِّفة.

□ تَقول المُتصوِّفة بوجود خمس درجات في الإنسانيّة: آدميّ للرَّجُل العاديّ، إنسان للرَّجُل الحَكيم، بارسا للفاضل، وَليّ للقِدّيس، ونبيّ للنَّبيّ. وبِحَسب المُتصوِّفة، يَتطوَّر الإنسان في خمس طرق: ناسوت، رَحموت، جَبروت، لاهوت ورَهبوت، وهي طرق تَتطابق مع العناصر الخمسة: الأثير، الهواء، النار، الماء، والأرض.

عند المُوحِّدين (الدروز).

□ تُنسخ رسائل الحكمة وشروحاتها باليد في ألوان خمسة؛ هٰذه الألوان تُؤلِّف العَلَم عند المُوحِّدين وهي: الأخضر، الأحمر، الأصفر، الأزرق، والأبيض. والأبيض لون جديد حَلّ في العهد التّنوخيّ محلّ البنفسجيّ. ويَتّبع المُوحِّدون خمسة دُعاة: حمزة، إسمعيل، مُحمَّد، سَلامة، وبهاء الدين، وهم أسماء الحدود وَفقًا للتّقليد الإسماعيليّ ويُمثِّلون: العقل، النَّفس، الكلمة، السابق، والتالي.

وفي التّوحيد، أفعال النَّفس خمسة: تدبير، نيّة، اعتقاد، قول، وعمل. فالتَّدبير: ما بين صواب وخطأ. والنِّيّة: ما بين طَيِّب وخَبيث. والاعتقاد: ما بين صِحّة وفساد. والقول: ما بين صِدْق وكَذِب. والعمل: ما بين خَير وشَرّ. وكمالات النَّفس خمسة: صفاء، يقين، طاعة، يقظة، ومُواظَبة. ومَراتب نَقْصها خمسة: ظُلمة، شُكوك، مَعصية، غَفلة، وهجران. ومَواطن عِزّها خمسة: عادة، هداية، مُشاهَدة، طاعة، وتَباعُد. ومَواطِن ذُلّها خمسة: قطيعة، ضلال، حجبة، مَعصية، وانعكاس. ومَراتبها خَمْس: دَرجة، مَكان، بَقاء، حَركة، وصقال. فدَرجتها العبوديّة، ومكانُها تحت العجز، وبقاؤها بالهداية، وحركتُها بالأمر والنَّهي، وصفاؤُها بالعلم الصحيح والعمل الصالح. وتربيتُها خمسة: بالحكمة، والمفيد، والمهلة، واليقظة، والعمل، ولذّاتها خمسة: الفهم، والعلم، واليقين، والإيمان، والمشاهدة. فلذّة العقل: الفهم؛ ولذّة النفس: العلم؛ ولذّة الفكر: اليقين؛ ولذّة القلب: الإيمان؛ ولذّة البصيرة: المساهمة[١].

عند الشّيعة.

□ المَتاولة منهم أو الرافضيّة، يقولون: «توالينا بَعْدَ الله في الدين خمسة، أعني مُحمَّد، فاطمة، عليّ، الحسن، والحسين». وفي الشّيعة أيضًا يُطلَق على فرقة الخطابيّة تسمية المُخمِّسة لأنّها زَعمت أنّ الله هو مُحمَّد ﷺ وأنّه ظَهر في خمس صُوَر مُختلِفة وهي صُوَر مُحمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

---

(١) أصل المؤحدين الدروز - أمين طليع - ص ١١٧.

عند المُعتزِلة.

□ تَتكوَّن عقيدة المُعتزِلة من خمسة أصول:

ـ التَّوحيد: إذ قالوا إنَّ الله ليس كالأشياء والأجسام، وإنّه ليس بجزء ولا عنصر ولا جوهر، بل هو الخالق لهٰذه الأشياء جميعًا، وأنه يحصره المكان ولا تحويه الأقطار.

– العَدل هو الأصل الثاني، ومَعناه أن الله لا يُحِبّ الفساد ولا يَخلق أفعال العِباد، بل إنّهم يَفعلون ما أُمِروا به ونَهوا عنه بالقدرة التي جَعلها الله لهم، لأنّه لم يأمر إلّا بما أراد، ولم يَنه إلّا عمّا كره. وأنّه وليّ كلّ حسنة أمر بها، بريء من كُلّ سيّئة نهى عنها، وأنّ الله لو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم عن مَعصيته، غير أنّه لم يَفعل وهو قادر. وعلى ذٰلك فإنّ من الظُّلم أن يُعاقَب الإنسان على عمل ساقَه إليه القَدر الإلٰهيّ.

– الوَعيد هو الأصل الثّالث: وهو أنّ الله لا يغفر لِمُرتكِب الكبائر إلّا بالتَّوبة، وأنّه لَصادِق في وَعْده ووَعيده لا مُبدِّل لكلماته.

– الأصل الرّابع هو المنزلة بين المنزلتين: وهو أنّ الفاسق مُرتكِب الكبائر ليس بمؤمن ولا بكافر، بل يُسمَّى فاسقًا.

– أمَّا الأصل الخامس فوجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر: وهو أنّ ما ذُكِرَ على سائر المؤمنين واجب على حَسب استطاعتهم في ذٰلك بالسَّيف فما دونه، ولا فَرْقَ بين جهاد الكافر والفاسق.

أولاد إبْليس.

□ يقول القزويني إنّ الشّياطين الأبطال خمسة، يُزيِّنون الصَّغائر والكبائر للناس، وهم أولاد إبليس على رأي مُجاهِد، قال: «لإبليس خمسة من الأولاد، وقد جَعَلَ كُلّ واحد منهم على شيء من أمره، فذَكر أنّ أسماءهم: ثبر، والأعور، ومبسوط، وداسم، وزلنبور! أما ثبر فصاحب المصائب يأمر بالثُّبور وشقّ الجيوب، وأمّا الأعور فإنّه صاحب الزّنا يأمر به ويُزيِّنه في أعينهم، وأمّا مبسوط فصاحب الكذب، وأمّا داسم فيَدخل بين الزَّوجين ويُوقِع بينهما البغضاء، وأمّا زلنبور فهو صاحب السوق، وبِسَببه لا يَزال أهْل السوق مُخاصِمين»[1].

وَصْف المُؤمِن.

□ قال الإمام الفخر: لمّا وصف تعالى المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذَكَرَ بَعْدَه خَمسة أمور يَتميَّز بها المؤمن عن المُنافِق، فالمُنافِق يأمر بالمُنكَر، ويَنهى عن المعروف، ولا يقوم إلى الصَّلاة إلّا بكسل، ويَبخل بالزَّكاة وسائر الواجبات، وإذا أُمِرَ بالمُسارَعة إلى الجِهاد فإنّه يَتخلَّف ويُثبِّط غيره. والمُؤمن بالضِّدّ منه فإنّه يأمر بالمعروف، ويَنهى عن المُنكَر، ويُؤدّيَ الصَّلاة على الوجه الأكمل، ويُؤتي الزَّكاة، ويُسارِع إلى طاعة الله ورسوله.

عند الماسونيّين.

□ يجتمع المحفل الأكبر الأورشليميّ خمس مرّات في السَّنة، مَرَّة كُلّ ثلاثة أشهر، يوم السَّبت الأوَّل مساء من كلٍّ من كانون الثاني (يناير)، ونيسان (إبريل)، وتمّوز (يوليو)، وآب (أغسطس)، وتشرين الثاني

(١) الميثولوجيا عند العرب – ص ٢٢٠.

(نوفمبر)، وفي آخر سبت من شهر كانون الأوّل (ديسمبر)[١].

ولا يُكرَّس في الماسونيّة أكثر من خمسة أشخاص دفعة واحدة إلّا بإذن الأستاذ الأعظم[٢].

يَرمز الخماسيّ الأضلع (Pentagramme)، في الماسونيّة، إلى النّجمة المُتوهّجة، وهو شعار الدّرجة الثّانية، فتُمثّل الرّأس الذي يُسيطر على الأعضاء، وكذلك الرّوح التي تنتصر على الجاذبية البدائيّة[٣].

أمّا في حال وجود الخماسيّ الأضلع مقلوبًا، فإنّه يَرمز إلى المحاباة السّيئة للمفهوم الخماسيّ[٤]، أي إلى الرّوح التي تاهت في عالم المادّة، أو إلى فقدان الحواسّ، والضياع، والفوضى. إنّه يَتمثّل، حينها، فيَضمّ رأس تيس في صورة شيطانيّة.

في القرن الثّامن عشر، ولكي يحصل على درجة الأستاذ، كان على الماسونيّ أن يَتّصل بالملائكة ويأخذ منهم الخماسيّ الأضلع المُكرَّس، وهو علامة على التّجديد[٥].

وفي إحدى مراحل الاحتفال الطّقسيّ، كان على المُرشَّح لدرجة الأستاذ أن يُنفّذ خمس «أسفار»، ويصعد الدّرجات الخمس في المعبد، ويتأمّل في النّجمة الخماسيّة. ووسط هٰذه النّجمة، هناك الحرف (G)، وهو الحرف الأوّل من خمس قوى أو علوم هي: الجاذبيّة - (gravitation)، علم الجيومتريا - (géométrie)، الجيل - (genération)، العبقريّة - (génie)، والمعرفة الروحيّة - (gnose). وتَرمز النّجمة الخُماسيّة في الماسونيّة إلى الكمال، وهو رمز نقلته الجمعيّة عن الفيتاغوريّة[٦].

أمّا في القانون، فإنّ كلّ مسألة يُختلف عليها تُفصَل بأخذ رأي الأستاذ الأعظم وأربعة مُحترَمين ويُعمَل بها في قرار مَحفليّ[٧].

في البيولوجيا.

◻ تُوجَد خمس حواسّ: النّظر، السّمع، اللّمس، الذّوق، والشّمّ. ويَحمل الإنسان خَمس أصابع في كُلّ يَد وقَدَم، وخَمسة أطراف: الرّأس، اليَدان، والرِّجلان.

ثَلاثة عشَر ظاهِرة للخمسة.

◻ في مقالة طريفة بعنوان «ثلاثة عشر ظاهرة للعدد خمسة»، ظَهرت في مجلّة «بلانيت» (Planète) الفَرنسيّة، في العدد ١٦، في العام ١٩٧٠، عَدَّد الكاتب جاك بيرجيه هٰذه الظّواهر:

١- لا تُحَلّ المُعادَلات بوسائل عِلْم الجبر، في ما وراء القدرة الرّابعة للمجهول.

٢- لا يملك الكون إلّا أربعة أبعاد: ثلاثة في الفضاء، واحد في الزّمن. ولم يَتمكّن أحد حتّى اليوم أن يبلور البُعْد الخامس.

(١) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ١٧.

(٢) نفس المرجع - ص ٢١.

(٣) Le symbolisme des nombres - p.139

(٤) Ibid.

(٥) Les symboles - p.351

(٦) La franc-maçonnerie - p.55

(٧) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ٧٥.

٣- ليس هناك من خلايا ثابتة تَملك خمس خصائص، فيما تُوجَد نواة، أحيانًا غير ثابتة وأحيانًا إشعاعيّة النّشاط، لكُلّ الأعداد حتى ٢٧٥.

٤- لا وجود لكوكب خامس، بل هناك دائرة من النّيازك، وكأنّ الكوكب الخامس قد انفجر.

٥- لا وُجود لجسم بلّوريّ يملك تَناسُقًا يَرتكز على الخمسة.

٦- على العكس، تُوجَد هناك أشكال حيّة عديدة، مثل نجمة البحر، لها تَناسُق يرتكز على الخمسة.

٧- في البدء، كانت كُلّ الأشكال الأرضيّة الحيّة تَملك خمس أصابع، وهو أمر لا يَزال يَنطبق على الإنسان.

٨- تعود الحال الخاصّة بالسّوائل لِتَنظيم يَدور حول الخمسة.

٩- يحتاج الرّسّام إلى أربعة ألوان لِتَكوين أيّ خارطة. ولا نعرف حتّى اليوم أيّ خارطة تفترض خمسة ألوان، مهما كانت مُعقّدة.

١٠- تَتقاطع فقّاعتان من الصابون بحسب مُخطّط، ثلاث على اليمين، وأربع بِحَسب مَوضع النُّقطة، لكن لا يُمكن لخمس فُقّاعات أن تَتقاطع إطلاقًا.

١١- يُعتَبر مُخَمس الزوايا ـ (Pentagone) ـ صورة سحريّة خالصة.

١٢- يَنطبق هٰذا الأمر، أيضًا، على النّجمة الخماسيّة ـ (Pentacle) ـ.

١٣- في نظريّة حِساب المجموعات، يَجب اللّجوء لاختراع نظريّات جبريّة جديدة في كلّ مرّة نلتقي فيها بالعدد خمسة.

خَمْسَةَ عَشَرَ

□ يَعتقد آباء الكنيسة أنّ هٰذا العدد يَرمز إلى العهدين العتيق والجديد لأنّه يُؤلّف مجموع العدد سبعة، رَمْز السّبت، والعدد ثمانية رَمْز القيامة. ويرى فيه القِدّيس إيرونيموس كمال العِلْم، ويُسمّيه بوهميه «لَذّة العِشْق الإلٰهي»(١).

وفي المسيحيّة الأسرار التّابعة للسّيّدة العذراء خمسة عشر: أسرار الفرح خمسة: البشارة، زيارة إليصابات، ميلاد يسوع، تَقدمته إلى الهيكل، وإيجاده في الهيكل. وأسرار الحزن خمسة: صلاة يَسوع في البستان، جَلْده على العمود، تكليل رأسه بالشّوك، المسيح يَحمل الصّليب، وموته على الصّليب. وأسرار المجد خمسة: قيامة المسيح من الموت، صعوده إلى السّماء، حلول الروح القُدُس على التّلاميذ، انتقال السّيّدة العذراء إلى السّماء، تكليلها سلطانة على السّماوات والأرض.

خَمْسَة وتِسْعون

□ في البهائيّة، أعفى البهاء المرأة في حال الحيض من الصّلاة والصّوم، وإذا ما انتهى عندها دم الحيض فلا داعي للاغتسال، وإنّما يَكفي عندها «أن يتوضّأن ويُسبّحن خمسًا وتسعين مَرّة من زوال إلى زوال: «سبحان الله ذي الطّلعة والجَمال».

(١) Le symbolisme des nombres - p.363

في الماسونيّة.

□ يَشمل طقس ممفيس خمسة وتسعين درجة تُخصَّص العليا منها للفلسفة المُتعمِّقة وللبحث عن المُسبِّبات والأصُول. وقد دخلت مشاغل طقس ممفيس، بعد تقلُّبات عديدة، في الشَّرق الكبير عام ١٨٦٢[١].

خَمْسَةٌ وَثَلاثون

□ إنَّه التَّجسُّد التاسع لفيشنو (Vishnu) وهو يَدلّ على تَمثُّل الدين الجديد في الكُتُب الهنديّة المُقدَّسة.

خَمْسَةٌ وعِشْرون

□ يَتألَّف نظام الدَّرجات الماسونيّة في الطَّقس الإسكتلندي (Ecosse) من خمس وعشرين درجة. وقد لَعِبَ هٰذا الطَّقس القديم العهد دورًا مُميَّزًا داخل الحركة الماسونيّة العالميّة.

كان لمجلس أباطرة الشَّرق والغرب الذي تأسَّس في فرنسا في العام ١٧٥٨م دور هامّ في خلق سُلَّم انتقائيّ من خمس وعشرين درجة وهو طقس الكمال أو طقس هِردوم. وقد أعطي أحد أعضائه، إتيّين مورِن ـ (Etienne Morin)، الذاهب إلى أميركا، براءة تُخوِّله نشر الطَّقس فيها[٢].

(١) La franc-maçonnerie (Nandon) - p.91

(٢) Ibid - p.47

خَمْسمِئة وثَلاثون

□ يقول أتباع بوذا بأنّه عاش قَبْلَ أن يُصبح المستنير خمسمائة وثلاثين نوعًا من الحياة، فعاش إلهًا اثنتين وأربعين مرَّة، وملكًا خمسًا وثمانين مرَّة، وأميرًا أربعًا وعشرين مرة، وعالمًا اثنتين وعشرين مرَّة، كما عاش لصًّا مَرّتين، وعبدًا مرَّة واحدة، ومقامرًا مرَّة واحدة، تمامًا كما عاش عدة مرَّات في أجساد أسد فغزال فجواد فنسر فثور فثعبان فضفدعة.

خَمْسون

□ يَرمز الخمسون إلى النِّعمة، وهو عدد اليوبيل الذَّهبيّ.

في سومر.

□ عَثَرَ الخُبراء في نصوص بلاد الرافدين على عدد من المزامير التي كتبتها إنانا إلى حبيبها دوموزي، جاء في مزمور منها: «...الحبيب التقى بي، فقضى منّي وطرًا وقضيت. جاء بي إلى بيته فأضجعني على سَرير العسل وقام بفعل الحُبّ خمسين مرّة»[٣].

في اليونان.

□ قام إيجبتوس (Egyptus) ابن الملك المصريّ بيلوس، بتزويج أبنائه الخمسين من بنات أخيه دانوس الخمسين ـ الدانيدات (Danaides) ـ لٰكنّ العرائس قمن بذبح

(٣) Le symbolisme des nombres - p.388

العرسان ولم يَنْجُ سوى واحد فمات إيجبتوس حسرة وكمدًا[١]. وتُعتَبر آرغو (Argo) سفينة جيسون، ذات خمسين مِجْذافًا، لها خمسون بحّارًا بقيادة جيسون[٢]. وتقول الميثولوجيا إنّ بريام (Priam) أنجب خمسين ابنًا؛ وإنّ إنديميون، ملك إليس (Ulysse)، أنجب خمسين بنتًا، وهو يُمثّل الدّورات القَمريّة الخمسين بين الألعاب الأولمبيّة. وتَحكي الأوديسيه (Odyssée) عن الأيّام الخمسين الأخيرة من حرب طروادة.

عند العبرانيّين.

□ كان القانون العبرانيّ يسمح بإيداع الدُّيون حتّى السَّنة الخمسين. وتَسلَّم موسى الوصايا بَعْدَ خُروجه من مِصْرَ بخمسين يومًا. وفي سفر الأحبار، قال الرَّبّ الإله للعبرانيّين: «إلى غد السَّبت السابع تَحسبون خمسين يومًا ثُمّ تُقرّبون تَقدمة جديدة للرَّبّ» (٢٣: ١٦). وأيضًا: «قَدّسوا سنة الخمسين فتكون لكم يوبيلًا» (٢٥: ١٠).

عند المسيحيّين.

□ إنّه عدد الروح القُدس، فقد حَلّ على الرُّسل بَعْدَ خمسين يومًا من قيامة السَّيّد المَسيح، وهو عيد العنصرة.

عند المسلمين.

□ جاء في القرآن الكريم في سورة العنكبوت ﴿«ولقد أرْسلنا نوحًا إلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهِمْ ألْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسينَ عامًا» (١٤)﴾

في الطَّقس.

□ الخَمسينيَّة نَمط مُناخيّ مدّته خمسون يومًا، وهي تُشكّل مع أربعينيّة الشّتاء تسعين يومًا، أي فصلًا كاملًا، أو رُبْع السَّنة.

في السّحر.

□ تَتحدّث كُتُب السّحر عن خَمسين بابًا للمعرفة.

الخَميس

□ يَحتفل المَسيحيّون بأعياد عدّة في أيّام الخميس منها: خميس الأسرار وهو الخميس الواقع في أسبوع الآلام السابق لعيد الفُصْح، ويُحتفَل به بذكرى الغسل والعشاء السِّرّي ورسم سِرَّي القربان المُقدَّس والكهنوت. وهناك خميس السَّكارى (خميس المرفع) ويقع في الأُسبوع السابق للصَّوم الكبير، ويَحتفل به المسيحيّون بإقامة الولائم وشرب الكحول قَبْل حُلول الصَّوْم.

---

(١) مُعجم الأساطير. ص ٨٣.

(٢) نفس المرجع. ص ٤٨.

حَرْفُ الذَّالِ

ذِكْرَى الوِلادة

يَرمز ذكرى الولادة (Birthday) إلى المَحطّات المُهِمّة في دَورة الوجود، لا سيّما السَّنوات الماضية.

يَأخذ ذكرى الولادة أهمّيّة خاصّة في اليابان[1]، ويَحتفل اليابانيّون بِشَكل مُميّز بالسَّنوات التالية:

- العام الأربعون: يُسمّى بداية الشَّيخوخة.
- العام الواحد والسّتّون: نهاية السّتّينات. في هٰذه المُناسَبة، يَرتدي صاحِب العيد قَلنسوة حمراء ورداء كيمونو (Kimono) أحمر، ويُهنّئه الناس باعتباره مَولودًا جديدًا.
- العام السّبعون: أو العمر النادر. وهٰذه التّسمية أطلقها الشاعر الصينيّ الكبير «تو - فو» حين قال: إنّ السَّنوات السَّبعين ميزة بين البَشر.
- العام السابع والسَّبعون: إنَّه عُمر طَويل سَعيد.
- العام الثامن والثمانون: إنَّه عمر طَويل للأرزّ.

(1) Dictionnaire des symboles - Laffont. p.53

حرف الرّاء

الرَّقْم والعَدَد

□ الرَّقم غَيْر العدد. فالعَدد هو اسم يُرمَز إليه بعَلامة هي الرَّقم، فواحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة هي أرقام، و ١، ٢، ٣، ٤، ٥ هي أعَداد، أي رُموزها المُتعارَف عليها. لَكنّ الاستعمال لا يُميِّز أحيانًا بينهما.

حرف الزاي

الزمن

□ يَبدو أنّ تَقسيم الزّمن إلى فترات مُعيّنة عَرفته مُعظَم الحضارات القَديمة، فقد اعتبر البابليّون «الأسبوع» وَحْدة الزّمن عندهم. وتشير قصّة الطّوفان الواردة في العهد القديم من الكتاب المُقدّس أنّ دورة الزّمن التي كانوا يَعتمدونها في فُروضهم وطُقوسهم الدينيّة قوامُها سَبعة أيّام. أمّا المصريّون فكانت الوَحْدة الزّمانيّة عندهم مُؤلّفة من عشرة أيّام، إذ قَسّموا الشهر إلى ثلاثة أقسام، وكان ذٰلك قَبْلَ بناء الأهرام. وقد قَسّم اليونانيّون الشّهر إلى ثلاثة أقسام؛ أمّا الرومانيّون، فكانت دَورة الزّمن عندهم ثمانية أيّام، ولٰكنّهم، في القرن الثاني الميلاديّ، أخذوا يَستخدمون دورةً مُؤلّفةً من سبعةِ أيّام. وقَسّم العبرانيّون الوقت إلى أسابيع في عَصْر مُبَكرٍ جدًّا في تاريخهم. فالخَلْق تَمّ في أسبوع من سبعة أيّام، وكانت حَفلات الزّواج والمآتم، عندهم، تَستَغرق سَبعة أيّام. ويَظهر أنّهم كانوا يُطلِقون أسماء العدد على أيّام الأسبوع، فيما عدا اليوم السّابع الذي أطلقوا عليه اسم «السّبت»[1].

وبِحَسَب إخوان الصّفاء فإنّ أطولَ أجزاء الزّمان السُّنون، والسُّنون منها ما قد مَضى ومنها ما لم يجئ بَعْدُ، وليس الموجودُ منها إلّا سنةً واحدةً، وهٰذه السّنة أيضًا شهور منها ما قد مَضى ومنها ما لم يَجئ بَعْدُ، وليس الموجود منها إلّا شهرًا واحدًا، وهٰذا الشّهر منه أيّام قد مَضت وأيّام لم تجئ بَعْدُ، وليس الموجود منها إلّا يومًا واحدًا، وهٰذا اليوم ساعات منها ما قد مضت ومنها ما لم تجئ بَعْدُ، وليس الموجود منها إلّا ساعةً واحدةً، وهٰذه السّاعة أجزاءٌ منها ما قد مَضى وآخر ما جاء بعدُ، فبهٰذا الاعتبار ليس للزّمان وجودٌ أصلًا.

فأمّا الوجه الآخَرُ إذا اعتُبِرَ فالزّمانُ موجودٌ أبدًا، وذٰلك أنّ الزّمان كُلّه يومٌ وليلة، أربعٌ وعشرون ساعة، وهي موجودة في أربع وعشرين بقعة من استدارة الأرض تكون حولها دائمًا. بيان ذٰلك أنّه إذا كان نصفُ النّهار في يوم الأحد مثلًا في البلد الذي طوله تسعون درجة، فإنّ السّاعةَ الأولى من هٰذا اليوم موجودة في البلدان التي طولها من درجة إلى خمسَ عشرَة درجة، والسّاعة الثّانية موجودة في البلدان التي طولها من ستّ عشرَة درجةً

(1) أسماء الأشهر والعدد والأيّام. د. أنيس فريحة - ص ١٣٨- ١٣٩.

إلى ثلاثين درجة، والساعة الثالثة موجودة في البلد الذي طوله من إحدى وثلاثين درجة إلى خمسٍ وأربعين درجة، والساعة الرابعة موجودة في البلدان التي طولها من ستّ وأربعين درجة إلى ستّين درجة، والساعة الخامسة موجودة في البلدان التي طولها من إحدى وستّين درجة إلى خمس وسبعين درجةً، والساعة السادسة موجودة في البلدان التي طولها من ستّ وسبعين درجة إلى سبعين درجة، والساعة السابعة موجودة في البلدان التي طولها من إحدى وتسعين درجةً إلى مئةٍ وخمس درجات، والساعة الثامنة موجودة في البلدان التي طولها مائة وستّ درجات إلى تمام مائةٍ وعشرين درجة، والساعة التاسعة موجودة في البلدان التي طولها مائة وخمس وثلاثون درجة، والساعة العاشرة موجودة في البلدان التي طولها إلى تمام مائة وخمسين درجة، والساعة الحادية عشرة موجودة في البلدان التي طولها إلى تمام مائةٍ وخمسٍ وستّين درجة، والساعة الثانية عشرة موجودة في البلدان التي طولها إلى تمام مائة وثمانين درجة[١].

(١) رسائل إخوان الصّفاء وخلّان الوفاء - الجزء الثاني - ص ١٧.

حَرْفُ السِّين

سَبْعَة

□ يَرمز السَّبعة إلى الكَمال. وآمنت شعوب الشَّرق الأقصى، والشُّعوب الساميّة، وكثير من الشُّعوب الأخرى، مثل الإغريق، والمصريّين القُدامَى، وشعوب ما بين النَّهرين، بالسَّبعة عددًا مُقدَّسًا، وأدركوا الرَّمز الذي يُجسِّده، وكانوا يَنسبون هٰذا العدد إلى الشَّمس وقُوَى النُّور. لٰكن لا أحد يَعلم عِلْم اليقين لماذا قَدَّس الساميّون، بشكل خاصّ، العَدد سبعة. وربّما يَعود ذٰلك لأنّه يَتألَّف من مجموع (٣ + ٤)، وهما من الأعداد المُقدَّسة لدى الساميّين.

في سومر.

□ عَبدت سومر الإلٰهة إنانا ومَعنى اسمها «ملكة السَّماء»، وهي كوكب الزُّهَرة، ابنة الإلٰه القمر وقَرينة آنو وشفيعة أوروك. كان شِعارها: عصًا ونعاجًا، وأصبح اسمها في العصر الأكاديّ عشتار.

رَغبت إنانا بأن تَجعل من مدينتها أوروك أهَمّ مَدينة سومريّة فتسمو شهرتها بين الآلهة، فتَوَجَّهت إلى أريدو (Aridu) حيث كان إلٰه الحكمة إنكي (Enki) يَسكن في مياه العُمْق الأبسو (Apsu). وكان إنكي يَملك النَّواميس الإلٰهيّة السَّبعة. وقرّرت إنانا أن تَحصل على هٰذه النَّواميس، ولمّا رآها إنكي تَقترب من الأبسو، أُخِذَ بسحر جمالها ودعاها إلى مائدة الوليمة. شَرِبَ إنكي وطابت نَفْسه وقَدَّم النَّواميس السَّبعة لإنانا، فأخذتها الإلٰهة ورَكِبَت قارِبها السَّماويّ باتِّجاه أوروك (Uruk). صحا إنكي من سَكرته وعَلِمَ بما فَعلَه، فأمر باستعادة النَّواميس السَّبعة من إنانا، فأجرى رسوله سَبْع مُحاوَلات في سَبْع مَحطّات دون جدوى. ووصَلت إنانا بسلام وأفرغت شحنتها من النَّواميس الإلٰهيّة في أوروك وسط أفراح الشعب.

وفي ميثولوجيا ثانية، تُقرِّر إنانا إخضاع العالَم الأسفل إلى سُلْطانها. ولكي تقي نَفْسها شَرَّ أيّ فواجع قد تَتعرَّض لها في العالَم السُّفليّ، توصي إنانا وزيرها نينشوبور بأنّها إذا لم تعد خلال ثلاثة أيّام، عليه أن يُؤدِّي شَعائر الحِداد لها، ويقصد الآلهة الثَّلاثة: إنليل من ينبور، ونانا إلٰهة القمر من أور، وإنكي إلٰه الحكمة البابليّ من أريدو، فيتوسَّل إليهم كي يَتدخَّلوا بالنِّيابة عنها لئلاّ تَتعرّض للموت في العالَم السُّفليّ. ثمّ ترتدي إنانا لباسها الملكيّ وحليّها وتَقترب من بَوّابة العالَم المُنخفِض، حيث يَتحدّاها نيتي حارس بوّابات الموت

السَّبع. وبناء على أوامر الإلٰهة أرشيكيجال، يُجرِّد نيتي إنانا من لباسها بالتَّدريج، فكُلَّما عبَرت إحدى البوّابات السبع، تَخلع ثوبًا، إلى أن وصلت إلى القُضاة السَّبعة الذين سَلَّطوا عليها عيون الموت فَتحوَّلت إلى جثّة. وحين تنقضي الأيّام الثَّلاثة ولا تعود إنانا، يُنفِّذ نينشوبور أوامر سَيِّدته، فيرفض إنليل ونانا التَّدخُّل، لٰكن إنكي يُسارع إلى نَجدة الإلٰهة الميتة، فيَصنع مخلوقين ويُعطيهما طعام الحياة وشراب الحياة، ويُزوِّدهما بالتَّعليمات اللازمة لعبور العالَم الأسفل واستعادة إنانا إلى الحياة. في هٰذا الوقت، يَبدأ ظهور القمر مُجدَّدًا أوَّل الشَّهر كخيط رفيع يتزايد يومًا بَعْدَ يوم، فتضع إنانا لدى صعودها عند كلّ بوّابة ما خَلَعته في نزولها، فعند البوّابة الأولى أعاد إليها ثياب جسدها، وعند البوّابة الثانية أعاد الأساور إلى يديها وقَدَميها، وعند الثالثة أعاد إلى وركها تعويذة الولادة، وعند الرابعة أعاد إلى صَدْرها جميع الحليّ، وعند الخامسة أعاد إلى جِيدها العقود، وعند السادسة أعاد إلى أذنيها الأقراط، وعند البوّابة السابعة أعاد إلى رأسها التاج العَظيم[١].

في الآكاديّة.

□ تقول الآكاديّة بوجود سبعة مُرسَلين أرسلهم إيا (Ea) خالق الرِّجال. وهٰؤلاء المرسلون السَّبعة يُعتبَرون مستشارين لدى الإلٰه.

في أشور.

□ في الأيقونوغرافيا الأشوريّة، تَجلس عشتار على عرش قائم على عربة تَجرّها سبعة أُسود، وتَحمل بيدها قوسًا مَشدودة. وتَذكر الميثولوجيا أنّه كلّما مرّت عشتار في باب طبقة من الطبقات السماويّة، كان يُنزع عنها بعض ملابسها، إلى أن وصلت إلى السَّماء السّابعة عريانة. وهناك كانت تَبقى زمنًا تذوي فيه الحياة وينقطع التَّوالد ويَموت الحبّ الجنسيّ. وبَعْدَ زمن، كانت تعود فتستعيد مَلابسها على طَريقها صُعدًا إلى أن تَظهر في الرَّبيع بحلّة زاهية الألوان. وتَرمز هٰذه الميثولوجيا إلى موت الطَّبيعة في الشِّتاء وعودتها إلى الحياة في الرَّبيع.

وتُسمَّى ميثولوجيا التَّكوين، في أشور، بـ «رقم الخليقة السَّبعة» وقد كُتِبت بالشِّعْر البابليّ ودُوِّنت على سَبعة ألواح من الطين تعود إلى القرن السابع قَبْلَ الميلاد، وهي نُسْخة مِن قصّة انحدرت من سومر إلى بابل وأشور تُمجِّد الآلهة.

وجاء في آثار بنيرار ملك أشور أنّه غزا سورية ووصل إلى شاطئ البحر الأبيض المُتوسِّط في فلسطين، وكتب على جدار بلاطه: «بلاط بنيرار الملك العظيم الملك القدير ملك الشُّعوب ملك أرض أشور المَلِك الذي اتَّخذه أشور ملك الآلهة السَّبعة ابنًا له».

وكان آذار شهرًا مُقدَّسًا كرَّسه الأشوريُّون للإلٰه أشور أبي الآلهة لأنّ هٰذا الشَّهر سابقًا كان شَهرًا يتشاءمون منه وكانوا يسمّونه (arakh sib-u-ti) أي شهر السَّبعة، الأرواح الشِّرّيرة السَّبعة التي كانوا يقيمون الصَّلاة لِطَرْدها.

(١) منعطف المخيّلة البشريّة - ص ١٦.

ولَكن تَيمُّنًا جَعلوا الشَّهر شهر الإِلٰه أشور أقوى الآلهة[١].

وكان أشور يمثِّل شعبه الشَّياطين في أشباح بَشَر، وهو في رُعْب دائم منها، ولم يَعبدها قَطّ. يُقاوِمها الكهنة المدعوّون أسْفيبو كْلاس، (Asphipu-Class) يَطردونها بواسطة السِّحر فيريحون الأطفال من شَرّها. وُجِدَ هٰذا النَّشيد وفيه تعبير صادق عن تأثير تلك الألهة:

«إنّها سبعة حقًّا. إنّها سبعة
تسكن قرار المحيط وهي سبعة
وليست بالذُّكور ولا بالإناث
إنّها الريح الجارفة والوباء العُضال
ليس لها أولاد ولا لها زوجات
ولا تعرف الرَّحمة ولا تُحِسُّ بالحَنان
ولا مَرَّة أصغتْ لِتوسُّل ولا لِضَراعة...»[٢].

عِنْدَ الكَلْدان.

□ كان العدد سبعة، لدى الكلدان، يُشكِّل رتبة من طقوس الشَّعْوَذة. وفي نبوءة دانيال، في العهد القديم، يدور كلام حَوْلَ الأزمنة السَّبعة. وجاء في الخطوط المسماريّة ذكر سبعة حجارة سوداء كانت تُعبد في هيكل أوروك (Uruk) في بلاد الكلدان.

في بابل.

□ سُمِّيت ميثولوجيا الخَلْق البابليّة «إينوما إليش» (Enuma Elish) بسبب كلماتها الافتتاحيّة «عندما في الأعالي»، وهي ميثولوجيا يَعود تاريخها إلى حَوالى ألفي عام قَبْلَ الميلاد، وقد سُجِّلت في القرن السابع بالخطّ المسماريّ على سَبعة ألواح تصف أبسو وتُعامة، القُوَّتين الكونيّتين البدائيّتين، وولادة الآلهة، وتَسرد قصّة خَلْق الكون من القمر البدائيّ للعماء (chaos). وتُعتَبر ألواح الخلق السَّبعة مِن أقدم الكتابات الدينيّة في منطقة الهلال الخَصيب.

واشتهرت بابل بميثولوجيا جلجامش (gilgamesh)، فيروي اللَّوح الحاديَ عَشَرَ منها قصّة نزول البطل إلى العالم السُّفليّ ليلتقي بالرَّجل الصالح الذي مَنحته الآلهة الخلود، واسمه أوت نابيشتيم (Ut-Naphistum)، لِيَقف منه على السِّرّ الذي يُمكِّنه من التَّغلُّب على الموت. ويَروي له هٰذا الرَّجل كيف مَنحته الآلهة الخلود بفضل صلاحه واختيار الإلٰه إيا له لينجو من الطُّوفان ويُنقِذ سلالات الأحياء في الفلك بعدما قَرَّر كبير الآلهة إنليل القَضاء على الخليقة بالماء. تقول الميثولوجيا: «يا إنليل، يا أحكم الآلهة، كيف لم تَتمهّل ولم تستشر؟ لِمَ تَسرَّعت وأحدثت الطُّوفان؟ كان الأجدر بك أن تُعاقِب الخاطئ على خطيئته وتَحمل من تَخطِّى الحدّ بوزره، وتُعاقِب فلا تَتمادى لئلّا يتمادى الشرّير في الشَّرّ، ولا الكلّ تأخذ بجريرة البعض. ليتك بدلًا من الطُّوفان، سَلَّطت السِّباع، وليتك بدلًا من الطُّوفان، سَلَّطت الذِّئاب، أو ليتك جَلَبت القحط أو أطلقت الوباء، والطاعون بدلًا من الطُّوفان لتأديب البشر. ودونًا عن كلّ البشر، اختار الإلٰه الحكيم إيا الرَّجل الصالح أوت نابيشتيم

(١) أسماء الأشهر والعدد والأيّام. د. أنيس فريحة.

(٢) موسوعة الأديان. د. أبو شقرا - ص ٩٨.

فناداه من كوخه وقال له: قوّض بيتك وانشد الحياة. تخلّ عن كلّ ما تملك وانج بحياتك، وابن لك فلكًا، واحمل في الفلك بذرة كلّ ذي حياة، والفلك الذي ستبنيه يجب أن تضبط مقاساته وتختمه. فبنيت الفلك وختمته، فحشوت ما بين ألواحه بستّ شارات من القار وثلاث شارات من القَطِران وجَعلت علوّ جدران الفلك مائة وعشرين ذراعًا وطول كلّ جانب من جَوانب سَطْحه مائة وعشرين ذراعًا وجَعلت فيه ستّة طوابق غير السَّطْح وقَسمت كلّ طابق تسعة أقسام، واكتمل بناء الفُلْك في اليوم السابع. وحلّ أجَل المَوْعِد المُعيَّن. وضَرَبَ لي الإله مَوْعِدًا مُعيّنًا بقوله: حينما يَنزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك، أدخل الفُلْك وأغلق بابك. وحملت في الفُلْك كلّ ما كان عندي من المخلوقات الحيّة. أركبت في السَّفينة جميع أهلي، وأركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البرّ. وتَطلَّعت إلى الجوّ فكان مُكفهرًّا مُخيفًا، فدَخلت الفُلْك وأغلقت بابي. وفي اللَّيل أنزل الموكل بالعاصفة مطرًا مُهلِكًا. ولمّا ظهرت أضواء السَّحَر علت من الأفق البعيد غمامة مُظلِمة. ومن قَلْب الغمامة أرعد الإله أدَد، ونَزع الإله إيركال أعمدة العالم السُّفليّ. وأعقبه الإله نَنورتا الذي هَدَمَ سدود العالَم السُّفليّ. زَلزلت رعود الإله أدَد السَّماء وحوَّلت كلّ نور إلى ظلام وتحَطَّمت الأرض كما تتهشَّم الجرّة وارتفعت المياه حتّى غطّت قِمَم الجبال، وانتحبت الإلٰهة عشتار بصوتها الشَّجيّ تَندب البشر: واحسرتاه لقد عادت أيّام الفوضى الأُولَى وعادَ البَشَر إلى طين. ومَضت ستّة أيّام وسبع أمسيات ولم تَزل زوابع الطُّوفان تَعصف. ولمّا حلّ اليوم السّابع خَفَّت شِدَّة الزَّوابع وهدأ البحر وسَكنت العواصف. وغيّض عباب الطُّوفان وتطلَّعت فَوَجَدْت السُّكون في كلّ مكان وكلّ البشر قد عادوا إلى طين. فتحت كوّة طاقتي، فَسَقَط النُّور على وجهي. سَجدت وأخذت أبكي، وانهمرت الدُّموع على وجهي. واستقرّ الفُلْك على جبل نصير، وأمسكت صخور الجبل بخشب الفُلْك فلم تَدعه يجري. وفي اليوم السَّابع أخرجت حمامة فأطلقتها، لٰكنّها عادت لأنّها لم تجد مَوْضِعًا تَحطّ فيه، فأخرجت السُّنونو وأطلقته، لٰكنّه عاد لأنّه لم يَجد موضِعًا يحطّ فيه. فأخرجت غُرابًا وأطلقته فذَهَبَ ولم يَعد إذ وَجَدَ المياه قد انحسرت فأكَل وحام وحَطّ ولم يعد. آنذاك أخرجت كلّ من بالفُلْك وكلّ ما كان به، وقَدَّمت قربانًا للآلهة، وسَكبت ماء مُقدَّسًا على قِمَّة الجبل، وأقمت سبعة قدور للقرابين وكَدَّست تحتها القصب وخشب الأرز والآس، فتنسّم الآلهة شذاها وتنسّموا عرفها الطيّب»[(١)].

وفي مَلحمة جلجامش، أيضًا، جاء كلام عن ثور السَّماء الذي كان يَشخر ويَنخر ويُخرِج النار من جَوْفه العَظيم فيَحلّ القُحْط والجَفاف. وعندما أهان البطل جلجامش الإلٰهة عشتار (Ishtar) وشَتَمَها ذَهبت باكية إلى أبيها آنو (Anu) وأمّها آنتم (Antum)، وقالت: لقد عَدَّد جلجامش مَثالبي وعاري وفَحشائي. فأعطني الثَّور السَّماويّ لِيَغلب جلجامش

---

(١) ديانة بابل وأشور - س. هـ. هوك.

ويُهلِكه. ففتح آنو فاه وأجاب عشتار الجليلة: لو فعلت ما تريدينه منّي وزوّدتك بثور السّماء لحلّت في أوروك سبع سنين عِجاف. فهل جمعت غلالاً لهٰذه السّنين العِجاف؟ وهل خزّنتِ العَلَف للماشية؟ فقتحت عشتار فاها وأجابت أباها آنو: لقد جَمعت بيادر الحبوب للناس، وخزّنت العَلَف للماشية. فلو حَلّت سبع سنين عِجاف، فقد خزّنت غلالاً وعلفًا تكفي الناس والحيوان.

وتُضيف الميثولوجيا أنّ الآلهة أرسلت الثّور إنكيدو (Enkidu) لِيَقتل جلجامش، فأرسل البطل غانية لِترويض الثّور، فروّضته بَعْدَ سبعة أيّام وسبع ليال وجَعلته إنسانًا. وعندما مات إنكيدو، بكاه جلجامش سبعة أيّام. وتقول الميثولوجيا إنّ جلجامش قَطَعَ سبعة جبال حتّى وجد أرزة قلبه[١].

وفي بابل، كان الشّعب يتوقّف عَن العمل في ٧ و ١٤ و ٢١ و ٢٨ من كلّ شهر. ويُمكن أن يكون ذٰلك مصدر يوم الاستراحة الأسبوعيّ الذي انتقل إلى العبرانيّين ثُمّ إلى باقي الشُّعوب. وكان البابليّون يَعرفون سَبعة أفلاك فقط، ويُسمّون أيّام الأسبوع بالمُقارَنة مع الأعداد من واحد إلى سبعة.

وتُؤمن بابل أنّ العالَم تعَرّض سبع مرّات للطُّوفان، وأنّ آلهة المصير سبعة، وأنّ جهنّم يَحكمها سبعة قضاة. وتقول صلاة بابليّة: «لا تطرح عبدك يا ربّ، فإنّ خطاياي سبع مرّات سَبعة». وكان العدد سبعة في بابل تعبيرًا عن أعظم قوّة، وعن كمال العدد.

(١) منعطف المخيّلة البشريّة - ص ٢٩.

وورد في ميثولوجيا جلجامش أنّ إلٰهة الأعمار تَسكن في أسفل شجرة الحياة التي تَحمل سبعة أغصان. ويقول كتاب إينوخ (Enoch) إنّ شجرة معرفة الخير والشّرّ، وهي شجرة كرمة، تقع بين سبعة جبال. وفي هٰذا الموضوع، جاء في «روضة العلماء» أنّ نوحًا لمّا غرس الكرمة جاء إبليس فَنفخ فيها فَيبِسَت، فاغتمّ نوح لذٰلك وجَلَسَ يُفكّر في أمْرها. فجاءه إبليس وسأله عن تفكيره فأخبره، فقال له: يا نبيّ الله إن أردت أن تَخضرّ الكرمة فَدَعني أذبح عليها سبعة حيوانات. فقال افعل. فذبح أسدًا ودُبًّا ونمِرًا وابن آوى وكَلْبًا وثَعلبًا وديكًا وصَبّ دماءها في أصْل الكرمة فاخضرّت من ساعتها وحَملت سبعة ألوان من العنب، وكانت قَبْلَ ذٰلك تَحمل لونًا واحدًا. ومن أجل ذٰلك يَصير شارب الخمر شُجاعًا كالأسد، قويًّا كالدُّبّ، غضبانًا كالنّمر، مُحدِّثًا كابن آوى، مُقاتِلًا كالكلب، مُتملّقًا كالثّعلب، ومُصوّتًا كالديك. فحُرِّمَت الخمرة على قوم نوح.

وجاء في ميثولوجيا الخلق:

«قال الرّبّ للقمر:

اطلع كلّ شهر دون انقطاع مُزَيّنًا بتاج
وفي أوّل الشّهر عندما تُشرق على كلّ البقاع
ستظهر بقرنين يعينان ستّة أيّام
وفي اليوم السّابع يَكتمل نصف تاجك
وفي المُنتصَف مِن كلّ شهر ستغدو بَدْرًا في كَبِد السّماء».

وفي الميثولوجيا البابليّة اتّحدت عشتار بنجمة الزُّهرة ورمزها نجمة ذات أشعّة سبعة، وهي ابنة سين إلٰه القمر. ولها نحيب وأسّى عميق على حبيبها المفقود تمّوز، تناقلته

المناطق المُجاوِرة بألَم عميق، وتَظهر مُنتصِبة على ظهر أسد تَتألّق على جبهتها الزُّهرة وبيدها باقة زهر أو فرع غار. إلٰهة تنطوي جوارحها على إحساس بشريّ عارِم ورهيف: إنّها تُحِبّ وتَتألّم وتَدمع شأن كُلّ العاشقين[١].

وكان العالَم، بالنسبة للبابليّين، مملوءًا بالأرواح والعفاريت والجِنّ والملائكة، وينقسم هٰؤلاء إلى قسمين: الأوّل طيّب يدعو إلى الخير، والثاني، وهو الغالب، قويّ شرّير، يَنشر الخوف والفزع والأوبئة وسوء الحظّ. وتفيد الميثولوجيا أنّ العفاريت الشّرّيرة كانت، في الماضي، آلهة صغار من أبناء وبنات الإلٰه الأعلى آنو (Anu)، وهناك آخرون صَعدوا من العالم الأسفل كأرواح موتى تهيم على الأرض. ومن أخطر العفاريت ما عرف بالأشرار السّبعة. ولم يكن هٰؤلاء الأشرار مُجرَّد أرواح لمُختلِف أنواع الرُّعب، بل كان لِكلّ واحد منهم واجب مُعيَّن. وكان الشّرّير أوتوكو يَستهدف قفا الإنسان، وآخر الرأس، وثالث يَتسلّل إلى البيوت ويَسرق النّوم من عيون الناس. وجاء في الميثولوجيا حَوْلَ هٰذا الموضوع:

«إنّهم سبعة، إنّهم سبعة، أكرِّر مَرّتين هم سبعة. وُلدوا في جبال الغرب، ونَشأوا في جِبال الشّرق. إنّهم يَسكنون في شقوق الأرض ويَظهرون في الصّحاري، ويُحَسّ بهم في السّماء والأرض، ولٰكنّهم غير معروفين بين الآلهة الحكماء، وأسماؤهم غير موجودة في السّماء وعلى الأرض».

ومن العفاريت المُرعِبة، أيضًا، لاماشتو (Lamashto)، التي كانت تنشر مَرض حُمّى النفاس بين الأمّهات والمَوْلودين الجُدُد وغيرها من الأمراض. ويُعتقَد بأنّ عِفريت العاصفة بازوزو (Basoso) كان يَجلب معه صُداع الرّأس الشّديد[٢].

في أمّور.

▫ جاء في رسالة أرسلها عبد أشيرتا من مَدينة عرقة إلى الفرعون أمنحوتب (Amenhotep) الثالث: «إلى الملك، إلى الإلٰه الشّمس، مولاي: يقول عبد أشيرتا عبدك وغبار قدميك: إنّي أسجد عند مَوطئ قَدَميك، مولاي، سبع مرّات وسبع مرّات. وأؤكّد أنّي خادِم المَلك وكلبه الذي يَحرس له بيته وكُلّ بلاد أمورو».

وكان القانون الأمّوريّ يَقضي على المرأة التي تنوي الزّواج بأن تُمارِس العمل الجنسيّ مُدّة سبعة أيّام مع الغُرباء عند بَوّابة المَعبد.

في مِصْرَ.

▫ عن السّبعة عند الفراعنة، يقول سفر التّكوين في العهد العتيق: «وكان بَعْدَ مُضيّ سنتين مِن الزّمن أنّ فرعون رأى حُلُمًا كأنّه واقِف على شاطئ النّهر، فإذا بسبع بقرات صاعدة منه وهي حِسان المَنظر وسِمان الأبدان فارتعت في المرج. وكأنّ سبع بقرات أخرى صاعدة وراءَها من النّهر وهي قِباح المَنظر وعِجاف الأبدان، فوَقفت بجانب تلك على

(١) موسوعة الأديان - د. أبو شقرا - ص ١٠٢.

(٢) ديانة بابل وآشور - ص ٥٣.

شاطئ النّهر، فأكلت البقرات القِباح المَنظر العِجاف الأبدان السَّبع البَقرات الحِسان المَنظر السّمان واستيقظ فرعون. ثمّ نام فَحلم ثانية فرأى كأنّ سبع سنابل قد نَبتت في ساق واحدة وهي سِمان جِياد، وكأنّ سَبع سَنابل دِقاق قَدْ لَفحتها الرّيح الشَّرقيّة نَبتت وراءها، فابتلعت السَّنابل الدِّقاق السَّبع السَّنابل السَّمينة المُمتلِئة، واستيقظ فرعون، فإذا هو حلم» (٤١: ١-٧). وعند المصريّين كان عدد البَقرات السَّبع من الرُّموز الدينيّة، فكانوا يَعتقدون أنّ الثَّوْر المُتألّه، المعروف بأوزيريس، يَملك سَبع بقرات بِمَنزلة سَبع زوجات.

وفي مِصر تُعتَبر حاتور (Hathors) مجموعة من النّساء الفتيات، عددهنّ سبع، قادرات على التّنبّؤ بالمُستقبَل للطِّفل المولود حديثًا، ويَقمن بحماية الأطفال[١]. وعرفت مِصرُ سَبعة آلهة كِبار. ووجد الخُبَراء سَبْع جِرار في هيكل الشَّمس في مِصر العليا. والظُّلمة البَرّانيّة في مِصر عِبارة عن خَنْدَق عَظيم يزيد عُمْقه على مئتي ذِراع يَموج بالزَّوَاحف، لكلّ زاحفة سبعة رؤوس. وكان من طقوس قبائل الشايلوك، التي تَسكن ضفاف النيل، أن يقتلوا مُلوكهم بَعْدَ سبع سنين من تولّيهم الحُكْم. وتحكي الميثولوجيا عن سَبْع بَوّابات للعالَم الأسفل. وفي طقوس المُحاكَمة المصريّة، يسأل الإله الميت: على ماذا عساك أن تعيش الآن في حَضرة الآلهة؟ فيجيب الميت: ليأتني الطَّعام من مكان الطَّعام، ولأعش على أرغفة الخبز السَّبعة التي تجيئني طعامًا في حَضرة حورس (Horus)».

وفي مصر، يُعتبر توت من أعظم الآلهة المُبدعة بلا مُنازع. إنه سيِّد المنطق الإلٰهيّ، ولسان «أتون» وكلمة الإلٰه، والإلٰه المُجسَّد، والروح الإلٰهيّة. اتَّحد العالَم بنفخة من فمه. «توت» هو الإلٰه الذي شفى جراحَ «الإلٰه القمر» مِن سهام الإلٰه المؤذي «ست». كان مُعاونًا للإلٰه الأعظم «رع» في محاريب هليوبوليس وهو حارس الموتى، لدى مُحاكَمتها، مِن قِبَل الإلٰه «أوزيريس». يَرمزون إليه بصورة الطائر «أبيس» الطَّويل المنقار. هو أب للإلٰه «بتاح» وزوج لإلٰهة الشَّرع والعدالة «حاتور» مُتوَّج بنجم ذي سبعة أشِعّة. أسماه اليونان مُؤخَّرًا: هرمس المُثلَّث في العظمة «Triomagist»[٢].

في فينيقيا.

□ قَدَّست الفينيقيَّة السَّبعة، فالإلٰه إيل (El) هو الله وأبو الآلهة، وزوج المَلكة أشيرة (Ashira) يَجلس على عَرْش الآلهة ويَرئس المَجمع المُقدَّس، يُجدِّد قُواه عن طريق الموت والبعث من جديد في دورة مِقْدارها سبع سنوات. وتقول الميثولوجيا الفينيقيّة إنّ الإلٰه دوموزي (Dumuzi)، ابن الشَّمس، اغتالته الشَّياطين السَّبعة، فأصبح إلٰهًا يُمثِّل لُغزَ الحياة والموت.

وتقول الميثولوجيا إنّ الولائم، لدى الفينيقيّين، كانت تَدوم سَبعة أيام، وكان الفينيقيّون يُعِدّون القرابين في القِدْر سَبْع مرّات، ويَعزفون على العود سبع مرّات، وتُردِّد

(١) معجم الأساطير - ص ١١٤.

(٢) موسوعة الأديان - د. أبو شقرا - ص ١٧٨.

الجوقة أبيات الشّعر سبع مَرّات.

وفي إحدى رَسائل تلّ العَمارنة، كَتَبَ أبيملك (Abimelek)، ملك صور، إلى فِرْعَوْن مِصْر يَطلب منه إمداده بالأخشاب والمِياه، ويُعلِمه بأنّ صيدون انضمّت إلى الجهة المُعادية، فتقول الرّسالة في مَطلعها: «إلى الملك سَيّدي وإلٰهي، هٰذا ما يقوله أبيملك، سَبع مرّات أُمرِّغ نَفْسي على أقدام المَلك سيّدي. أنا التُّراب تحت أقدام سَيّدي وعليه يطأ. يا مَلكي وسَيّدي أنت صنو الإله شمس والإله رمون في السّماء».

وفي الفنّ الفينيقي، يقوم ناووس أحِيرام المستطيل الشّكل على قاعِدة نُحِتت عليها أشكال تُمثّل أُسُوْدًا بالنّحت البارز على ضِلْعيه الطّويلتين، بينما اندفعت رؤوسها إلى الخارج. على كلّ ضلع من التابوت رَسْم محفور بارِز يَعلوه إفريز مِن بَراعم وزَهرات لوتس تتّجه إلى الأسفل. وعلى الضّلعين الطّويلتين، أيضًا، رَسْم يُمثّل مَشاهد مَوكبيّة، المَشهد الرّئيس منها يُمثّل السُّلطان يحوط أبوي هول مُجنَّحين قُبالة مائدة مَمدودة للطّعام يَتقدَّم منها سَبعة من المُصلّين والمُقرّبين.

وتَروي ميثولوجيا آقهات بن دان إيل الأوغاريتيّة قصّة صراع دان إيل مع قَدَره للحُصول على ابن مِن صُلْبه يَحميه ويَخدمه ويَستمرّ به وجُوده. يَنقطع دان إيل في المَعبد سَبعة أيّام يَتضرَّع للآلهة. وفي اليوم السابع يَظهر بعل ويَتوسَّل إلى إيل آن، فيَستجيب لِرَجاء دان إيل؛ ويَستجيب إيل لِشَفاعة بعل ويبشّر دان إيل بولادة ابن له. رُزق دان إيل بالابن الموعود به فاحتفل بولادته طيلة سَبعة أيّام ودعاه آقهات.

وتقول الميثولوجيا إنّ بعلًا يغيب عن الأرض سبع سنوات، فتَحصل سَبْع سَنوات مِن الجَفاف والمجاعة. وفي ميثولوجيا حَدَد (Hadad)، جاء أن الوحوش تَنقضّ على الإلٰه فيَختفي سَبع سنوات غَريقًا في مُستنقَع عاجزًا عن الحركة. وتروي ميثولوجيا كريت (Crete) أنّ الإلٰه يُصاب بالمرض، فيدعو الكاهن مَجلس الآلهة سبع مرّات للبحث بين الآلهة عمّن يَستطيع إيجاد عِلاج لمرض كريت[1].

في اليونان.

□ يَرمز العدد سبعة عند اليونان إلى الكمال، وهو العدد الذي يَجمع رَمزيًّا الأرض بالسّماء، والمبدأ النّسائيّ بالمَبْدأ الذُّكوريّ، والعَواصف المُظلِمة بالنور. إنّه عَدد أبولو[2] (Apollo)، فهٰذا الإلٰه وُلِدَ في اليوم السّابع مِن الشّهر، وعَمَّده أخيل[3] (Achilles) تحت اسم «القيصر، الإلٰه السّابع، إلٰه البَوّابة السابعة». كانت أعياده تَقع دائمًا في السابع من الشّهر، وكانت قيثارته تَتألّف من سَبعة أوتار. عند مَوْلده، دار الإوزّ المُقدَّس سَبْعَ مرّات بالأناشيد حَوْلَ الجزيرة العائمة.

وتَرسم الأيقونوغرافيا اليونانيّة سيبيل (Cybèle) إلٰهة الأرض مُتوَّجة بنجمة لها سبعة أضلع، وهو رمز لِسُلْطتها على دورات التَّطوُّر

(١) الحضارة الفينيقيّة.

(٢) ربّ الشّمس في الميثولوجيا اليونانيّة والرومانيّة وإلٰه النور والنّقاء والحقيقة.

(٣) بَطَل الحرب الطّرواديّة.

البيولوجيّ الأرضيّ[١].

وتَروي الميثولوجيا قصّة هالسيون (Halcyone)، ابنة إيلوس وزوجة سيكس، فعندما غرق سيكس في البحر تَحوّل هو وهالسيون إلى طائر من نوع الرَّفراف وهو طائر يأكل السَّمك. يَمنع إيلوس الرِّياح أن تَهبّ قَبْلَ سَبعة أيّام وبَعْدَ سَبعة أيّام من الانقلاب الشّتويّ ليتمكّنا من التّفريخ، ولذلك فإنّ أيّام هالسيون هي أيّام هدوء[٢].

وجاء في إلياذة هوميروس (Homer) أنّ أغاممنون (Agamemnon)، قائد حصار طروادة، أقسم أن يعطي أخيل (Achilles)، في حال النّصر، سبع فتيات طرواديّات، ويَمنح أرغوس سبع مدن قويّة.

وتُصوِّر الأيقونوغرافيا الإغريقيّة الإله ديونيزوس (Dionysos) في هيئة ثور، تَصطفّ فوقه سبعة نجوم تشير إلى العدد القمريّ المُقدَّس. وقد كرَّست الكلاسيكيّة اليونانيّة السَّبعة رَمزًا للعُذْريّة ونَسَبَتْه إلى بالاس (Palace). وقال هيزيودس (Hesiod) إنّ اليوم السّابع مُقدَّس. ورأى فيه فيثاغوروس عَدَدَ الكَمال. ومَنحت الفَلسَفة الإغريقيّة لَقَب «السَّبعة» إلى سبعة فلاسفة كبار هم: صولون، طاليس، شيلو، بيتاكوس، بياس، كليوبيل، وبيرياندرس.

ويقول هيبوقراطس إنّ اليونان عَرفت مَجاعة استمرّت سَبْع سَنوات.

ويقول هيبوقراطس: «إنّ السَّبعة، بفضائله الغامضة، يَمنح الحياة والحركة ويُؤثِّر في الكائنات السَّماويّة».

وجاء في الميثولوجيا أنّ نيوبي (Niobe)، ابنة تنتالوس وزوجة ملك طيبة أمفيون، أنجبت له سَبعة صِبْيان وسَبع بنات. وتباهت نيوبي بأنّها أعظم من ليتو التي أنجبت ابنين فقط أبولو وأرتميس اللّذين قتلا بسهامهما كلّ أبناء نيوبي. عندها عاش أمفيون حياته الحزينة وحيدًا، فيما ظَلّت نيوبي تبكي إلى أن حوّلتها الآلهة إلى حجر يَنضح بالرُّطوبة بِسَبب دُموعها[٣].

وتُخبِر الميثولوجيا عن الميناتور (Minotaur)، وهو مخلوق عجائبيّ نصفه ثور ونصفه الآخر رجل، صنع له ملك كريت مينوس قصرًا خاصًّا على شكل مَتاهة لا يَستطيع الداخل إليها أن يَعثر على طريق خروجه منها. وكان الميناتور لا يَتغذّى إلّا بلحوم البشر، وخصوصًا لحوم أَسْرَى الحرب؛ كما كانت له وجبة دوريّة من أهالي أثينا التي فرض مينوس على أَهْلها جزية قوامها سَبع فتيان وسَبعة فتيات تُقدَّم طعامًا للميناتور[٤].

وتحكي الميثولوجيا عن البليادات (Pléiades)، بنات أطلس من بليوني، وهنّ سبع حوريّات: ألسيوني، سيلينو، الكترا، مايا، ميروبي، ستيروبي، وتايجيتي. وقد وَضعهنّ زوس في السَّماء عندما أحبَّهن أوريون ولاحَقهنّ[٥].

(١) معجم الأساطير - ص ٨١.

(٢) معجم الأساطير - ص ٣٧.

(٣) نفس المرجع - ص ١٨١.

(٤) نفس المرجع - ص ١٦٩.

(٥) نفس المرجع - ص ٢٠٦.

في روما.

□ بَنى الرّومان في مَعبد الأله بريياب (Priap) تمثالاً سمّوه «تمثال الآلهة السّبعة». وفي القصر الإمبراطوريّ الرّومانيّ، تُوجد قاعة ضخمة تُدعَى «قاعة الأعمدة السّبعة». وقد تَحكّم بالعرش الرومانيّ سَبعة ملوك ابتداء برومولوس (Romulus)، وانتهاء بتاركانوس (Tarkanus) الصّغير.

وتَروي إلياذة فرجيل (Virgil) أن آنياس الذي نَجا من حريق طروادة بَعْدَ الحرب الطّروادية مع أبيه أنخيس وابنه اسكانيوس، كان مُقدَّرًا له أن يقود الناجين مِن الطروادييّن إلى إيطاليا حيث أسّس الأمّة الرومانيّة. ومع أنّ أفروديت ساعدت ابنها انياس مع رفاقه الطّرواديّين، إلاّ أنّهم جوبهوا بِحِقْد هيرا التي انحازت إلى جانب اليونانيّين في الحرب. فَجعلتهم يضلّون سبع سنوات، ويُواجِهون كثيرًا من الأخطار.

في فارس.

□ في سِفْر عزرا، من العهد العتيق، نَقرأ أنّ الملك الفارسيّ أرتحشستا، ملك الملوك، كان له سبعة مُستشارين (٧: ١٤). وفي عهد الملك أحشوروش الذي ملك من الهند إلى كوش، على ١٢٧ إقليمًا، كان يُوجَد في بلاد فارس سبعة رؤساء هم: كرشنا، شيستار، أدماتا، ترشيش، مارتس، مرسنا، مموكان (سفر إستير ١: ١٤). وعلى أيّامه، صَنَعَ أحشوروش وليمة لجميع الشّعب في شوشن العاصمة، كبارهم وصغارهم، سبعة أيّام في دار حديقة قصر الملك (إستير ١: ٥).

يَتألّف الكهنوت الفارسيّ من سبع درجات هي: الغراب، الزّوجة، الجنديّ، الأسد، فارِس، رَسول الشّمس، والأب. وكانت تُمنح الدّرجات الأولى للأولاد منذ السابعة من العمر.

ويروي هيرودوتس أنّه حين كان داريوس ورفاقه السّبعة في فارس يَتردّدون في مُهاجَمة قصر غوماتا (Gaumata)، وهو الملك المُستبدّ للبلاد، إذا بهم يُشاهِدون سبعة أزواج مِن الصُّقور يُلاحِقون زوجين من الغِرْبان ويَنزعون ريشها، فاعتبروا المَشهد دليل فَأل لِنَجاح مُخطّطهم، فانطلقوا بِعَزْم لمُهاجَمة القصر[1].

وفي الدِيّانة الميترَاوِيّة، كان الانْتساب إلى عُضويّة المَذْهب يَتطَلّبُ تَكريسًا في سَبعِ مراحل أو رُتَب كَرَمْزٍ لِمُرور الرُوحِ بعد الموت خِلال السّموات السّبع[2].

وتَعتبر الميثولوجيا ماشيا (Mashya) أو ماشيو (Mashyoi) الزّوجين البشريّيْن الأوّلين وُلِدَا من بُذور جَسَد الفايومارت (Fayomart) بَعْدَ وَضعها في الأرض أربعين عامًا، وأنجبا بدورهما سَبعة أزواج[3].

وخِلال عيد النوروز الكبير، يَبذر كلّ مؤمن سَبعة أنواع من الحبوب في جرّة واحدة. وعلى ضوء نُموّهما، يُدرِك نتيجة المَوسم القادم في حقوله.

وقَبْلَ زَواجها، تَذهب العرُوس إلى النّهر

(١) Dictionnaire des symboles

(٢) بَعل هداد. د. حسني حدّاد - ص ١٤٩.

(٣) معجم الأساطير - ص ١٦٢.

فتملأ إبريقها وتُفرغه سَبع مَرّات ثُمّ ترمي في المياه سَبعة أنواع من البُذور، وهو رَمْز الخِصْب. وعند ولادة طِفْل، تُضاء شَمعة، ويُوضَع على السَّجّادة سَبعة أنواع من الفاكهة، وسَبعة أنواع من الحبوب. ويُطلَق الاسم على الطِّفل في يَوْمه السابع.

وفي الميثولوجيا الفارسيّة، يَتألّف العالَم العلويّ، كما العالَم السُّفليّ، من سَبْع طَبقات. وتُؤمِن قَبائل عديدة أن الإله نوم يعيش في السَّماء السابعة. وتفصح أسرار الدِّيانة الميتراويّة أنّ السُّلّم الاحتفاليّ له سبع درجات، كلّ درجة منه مصنوعة من مَعْدِن يَختلف عن الآخر؛ وهٰذه الدَّرجة تَتطابق مع سماء من السَّماوات السَّبع: فالدَّرجة الأولى مَصنوعة من الرَّصاص وتَتطابق مع سماء ساتورن، والثانية من القَصْدير - ڤينوس، والثالثة من البرونز - جوبيتر، والرابعة من الحديد - ميركور، والخامسة من امتزاج مَعادن النُّقود - مارس، والسادسة من الفِضّة - القمر، والسابعة من الذَّهب - الشَّمس. وتقول الميثولوجيا إنّه على المُؤمِن أن يَمرّ بهٰذه السَّماوات السَّبع كي يَصل إلى نقطة الأمبيريّة (Empyrée).

وتُفيد الميثولوجيا الفارسيّة أنّ الإنسان الأوّل، وهو نصف رَجُل ونصف امرأة، وَصَل إلى الأرض بَعْدَ اجتيازه سَبْع سماوات. وفي أثناء مُروره على كلّ سماء منها، اكتسب مَظهرًا لطبيعته ومِزاجه. وعند موته، أصبح رأسه من الرَّصاص، ودَمه من القَصدير، ونُخاعه من الفِضّة، وقَدماه من التَّنك، وعِظامه من النُّحاس، ومن شَحْمه صُنِعَ الزُّجاج، ومن عَضلاته صُنِعَ الحديد، ومن نَفَسِه الذَّهب الخام.

وتُؤمن فارس أنّ عمود العالَم له سبع فرضات، وأن الشَّجرة الميتولوجيّة الكونيّة تَتألّف مِن سبعة فروع تُمثّل الطَّبقات السَّماويّة السَّبع. أمّا الفكرة - المُعتقَد التي تقول إنّ نفوس الموتى تتصاعد نحو السَّماوات السَّبع، فقد أخذت مَكانة هامّة في القديم، حتّى أنّ كلّ رؤيا وكلّ انخطاف صوفيّ يَلحظ تصاعدًا نحو السَّماء.

وفي فارس، يُؤمِن أتباع زرادشت، أو الدِّيانة المَجوسيّة، بسَبْعة آلهة للنور جاء آهورامازدا خلاصة لهم. وكذٰلك يُعتبر آهريمان خلاصة سَبعة آلهة منهم: آلهة الشَّرّ، الغرائز السَّيّئة، الأخطاء، المُجرَّبون... وتقول الميثولوجيا إن زرادشت تأمّل سَبْع سنوات في الصَّحراء، وإنّ مَذبح ميترا كانت تضيئه سَبْع نيران.

وفي الدِّيانة المانويّة، جاء أنّ ماني فرض على أتباعه صيام سبعة أيّام في كُلّ شَهر، وسَبْع صَلوات. وتَرك ماني سَبْعة كتب[1].

وجاء في أحد المزامير المانويّة:

«صحا الإنسان الأوّل من غَيْبوبته
وأطلق دعاء تكرّر سبع مرّات
وعندها استدعى إله العَظَمة مَخلوقًا ثانيًا
إلى حَيِّز الوُجود»...

في الهند

□ في الهند، يَتربَّع إندرا على رَأس الهَرَم الذي تُؤلّفه الآلهة الفيديّة، وهو بَطَل قوميّ

---

(١) ماني والمانويّة - ص ٢٦٥.

حَقّق انتصاراتٍ خارقةً إذ خَلَبَ لُبّ النور وتَسلّح بالصاعقة، فخَلَّص البَقَرات السّماويّة أي الأمطار، وقَتَلَ خَصْمه التّنين سمبارا الذي كان يَحبس المياه. ولذلك يُسمّيه الهنود الثّوْر الجَبّار ذا الأعِنّة السّبعة الذي حَرَّر الأنْهُر السّبعة وأجْراها.

وتقول الريغ فيدا (Rig-veda) إنّ عَرَبة الشّمس تَجرّها سَبْعة أحصنة. وإن آغني (Agni)، إله النار، يَتجوّل في مَركبة تَجرّها سَبعة أحصنة أيضًا.

وتُخبِر الميثولوجيا أنّ الريشيز (Rishies) كائنات ميثولوجيّة تُحافِظ على المَعرفة وتَنقلها عَن طَريق الفيدا، عَدَدُهُنّ سَبْع، وهُنّ نجوم الدُّبّ الأكْبَر[١].

وتُفيد البراهمانيّة أنّ مَعبد كالي (Kali)، إله الموت، مبنيّ قُرْب النّهر المُقدَّس، وقد عُلِّق جثمان الآلهة بِسَبْع أوشِمة، لها دَوْر مُهِمّ في طُقوس نهاية العالَم.

وتُحذِّر الهندوسيّة من سَبْع خَطايا مُميتة هي: اللّعب، الصَّيْد، الشّتيمة بالكلمة، الشّتيمة بالأفعال، الزّنى، السُّكر، السَّرقة. وتقول المهابهاراتا: حاذِر الخطايا السّبع تَعيش سَعيدًا.

وتُخبر الميثولوجيا أنّ الفردوس تَحوطه سَبْع قِباب، وسَبْعة صُفوف منَ السّتارات الثّمينة، وسَبْعة صفوف من القُرَى، وتُزيِّنه سَبْعة أرْصِفة، وسَبْعة صُفوف من أشْجار النّخيل، وسَبْع بُحيرات مُغطّاة باللّوتس من كُلّ الألْوان[٢].

(١) معجم الأساطير – ص ٢١٧.

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.21

وتَتحدَّث الكُتُب الهنديّة المُقدَّسة عن سَبْعة ألْسُن ناريّة. وتقول إنّ الحياة تَملك سَبْع سُلُطات تَتمثّل بالحُروف الصّائتة السّبعة، وهٰذه السُّلطات – الطاقات هي: الطاقة الحيويّة، النّفسيّة، الفكريّة، العقليّة، الروحيّة، الجسديّة، والذّهنيّة.

وتقول الميثولوجيا إنّ الإله غانيشا (Ganesha)[٣] سَلَّم على أهْله فدار حولهم سَبْع مرّات، وهو طَقْس فيديّ يَتطابق مع دورات الأرض السّبع.

ويُعتبر الأديتيّون (Adityas) سَبْعة أبناء للرَّبّة أديتي (Aditi). لٰكن، في الحقبة الأخيرة، كان هناك اثنا عَشَرَ أديتيًا، حُرّاس أشْهُر السّنة، يُمثّلون الشّمس في دَوْرتها[٤].

وفي الميثولوجيا جاء أنّ غانغا (Ganga) هي ابنة الهملايا وزوجة الآلهة. كانت ربّة الغانج، أعظم نَهر مُقدَّس في الهِنْد، وهو النّهر الذي أجْرَته الآلهة في الأرض. جَعَلها شيقا بدينة ثمّ قَسَّمها سَبْعة أقسام[٥].

ويُعتَبر تمثال «زُحَل» رَمْزَ الطالع الحَسَن في الهند. وقد اعتقد الهندوس أنّ الكواكب السّيّارة سَبْعة هي: رافي «الشّمس»، وشاندرا «القمر»، ومانجالا «مارس»، وبودا «عطارد»، وبراهسباتي «جوبيتر»، وسوكرا «فينوس»، وساني «زُحَل».

وتقول الميثولوجيا الهنديّة إنّ ألوان قوس قُزَح السّبعة تَتطابق مع السّماوات السّبع.

(٣) إله المَعرفة في الهند.

(٤) معجم الأساطير – ص ٣٠.

(٥) نفس المرجع – ص ١٠٣.

وفي الهند، جاء أنّ الأرض التي عاش عليها مانو وأبناؤه من البَشر، قامت في الطَّبقة السّابعة من بيضة براهما. من فوقها ترتفع ستّ سماوات، ومن تحتها سبع أراضٍ تَعيش عليها أرواح الثّعابين والحيوانات. وهي خالية من البشر الذين لا يستطيعون الحياة فيها لأنّها مَليئة بالسِّحر والغموض، بكُلّ ما تَحتويه من كنوز مُخبَّأة وثروات. أمّا أسفل هٰذه الطَّبقات السَّبع فتقع سَبْع طبقات أخرى، تُسمَّى «نراكا» كُلّ منها تُعتبر جهنّم تُصلي نيرانها كُلّ المخلوقات التي تعيش في الطَّبقات السّبع الوُسطى، حيث تَتعذَّب لتُكفِّر عن الذُّنوب التي ارتكبتها.

وفي عادات الزَّواج عند الهندوس تدور العروس حول المَذبح الهندوكيّ سبع مَرّات وتَقف، فيقتدي العريس بها ويقف أمامها، ثم يَنطُقُ بالقسَم الذي تَلقَّنه من أمّه صباحًا: «أقسِم بأبويّ، وبالإلٰه الواحد، أن أغمرك بحناني، وأن أحميك وأُحِبّكِ!» وتُردِّد العروس الكلماتِ ذاتها، ثم يمشي العروسان بين المشاعل، فيُلقى عليهما ستار كبير يَحجبُهما عن الأنظار.

عند البوذيّين.

□ تقول السِّيرة البوذيّة إنّه بَعد وِلادة بوذا بسَبعة أيّام، ماتَت والدته مايا، وتَربَّى الطّفل خِلال سبع سنوات في عُهْدة عمَّته. وفي السِّيرة نَفْسها، نقرأ أنّه خِلال اللّيل الذي أمضاه جالسًا قُرْبَ جِذْع الشَّجرة، تَوصَّل بوذا إلى الإشراق، وبَقِيَ يَتمتَّع بِسَعادة الإشراقِ خِلال سَبْعة أسابيع[1].

وتَقول البوذيّة إنّ عَمليّة الخَلْق تَبدأ من القمّة، أي من نُقْطة تُعَدّ في الوقت نَفْسه مَركزيّة وتَصاعُديّة: «حين تحين ولادته، يضع البوذيساتفا قَدميه بقُوَّة على الأرض، ويَستدير نحو الشَّمال، ثُمّ يَقفز سبع قفزات، فيَصل إلى القُطْب ويَصرخ: أنا على قِمَّة العالَم، أنا بِكْر العالَم». وهٰذه الخُطوات السَّبع مُهِمَّة جدًّا في الأيقونوغرافيا البوذيّة.

وفي البوذيّة، واستنادًا إلى ديغانيكايا الثاني، أنّه في عَصْر بوذا الأوَّل فيباسي، كان الإنسان يَعيش ثمانين ألف سنة، وفي عصر بوذا الثاني سيخي سبعين ألفًا... وهٰكذا حتّى ظهور بوذا السّابع غوتاما، فتَراجعت هٰذه المدّة إلى مئة، في حَدِّها الأدْنى. ويقول إنجيل بوذا إنّه اختلى سبع مرّات، وكلّ مرّة كانت مدَّتها أسبوعًا[2].

تُضيف السّيرة أنّ بوذا تَميَّز بالشَّجاعة، وعندما حاز على الفوز في مُسابَقة بالقوس، اخترق فيها سَهْمه سبع أشجار. وتشير السِّيرة إلى أنّ بوذا، بَعْدَ سَبْع سَنوات من التَّأمّل، أدرك أنّ نهاية العالَم تَتمّ عن طَريق الوَعْي الفرديّ.

وتَقول الميثولوجيا إنّه كان يُحتَفل بالأعياد في اليوم السّابع من الشَّهر. وكانت شِعارات بوذا سَبْعة، وأنّ الشَّمس تُرسِل سَبْعة شعاعات، وأنّ الحِكمة لها سَبْع دَرَجات[3]، ودَرَجات الكمال سَبْع. وفي التّعاليم البوذيّة، يَقضي النّاسك سَبْع سَنوات في العُزْلة، ويَبقى تحت الشَّجرة سَبْعة أيّام سَبْع مَرّات، ويَصوم

(١) بوذا – هنري أرفون – ص ٢٢ .

(٢) إنجيل بوذا – ص ٤٤.

(٣) إنجيل بوذا – ص ٨٩.

سَبْعة أيام سَبْع مَرّات. وعند موت بوذا، بَكاه تَلاميذه سَبْعة أيّام.

في الجينيّة

□ تَقسم الدِّيانة الجينيّة الجَحيم سَبْعة أقْسام كلّ منها جهنّم من نوع يَختلف عن الآخرين. وأدنَى هٰذه الأقسام هي أكثره ظلامًا، وهي التي تقع إلى يَمين قَدم. ولٰكنّ الجَحيم الأعلى، وهو أوَّل الطَّبقات فيُسمَّى الجوهرة، والثاني الذي يَليه يُسمَّى السُّكر، والثالث يُسمَّى الرَّمْل، والرابع هو الطّين، والخامس الدُّخان، والسّادس الظّلام، والسّابع هو الظَّلام الأعظم.

هٰذه الطَّبقات من الجحيم جميعًا مُكوَّنة من غُرَف الرُّعْب، وأدنَى الآلهة هم الذين يَنشغلون دائمًا في تَعذيب الأرواح الشِّرِّيرة في هٰذه الحُجُرات.

وآلهة الرُّعْب الذين يَعيشون في الجحيم لِتَعذيب ضَحاياهم خَمْسَةَ عَشَرَ نوعًا: النَّوع الأوَّل ويُسمَّى «أمبا» مُهِمَّته تَحطيم أعصاب ضحاياهم، والنَّوع الثّاني «أسباراسا» مُهِمَّته سَلْخ لحم الضَّحايا عن العِظام، والثّالث وهو «الساما» مُهِمَّته هي الضَّرْب، و«السابلا» لِتَمزيق اللَّحم وتَقطيعه، و«الرودرا» تَتولّى التَّعذيب بواسطة الرِّماح، و«الماهادورار» لفرم اللَّحم، و«الكالا» لِشَيّ الضَّحايا، و«الماهاكالا» لِتَمزيقهم بالكلاليب، و«الأنبالا» هم حَمَلَة السِّهام لاصْطِياد الضَّحايا بسهامهم، و«الكومبها» يُعذِّبونهم بمساحيق حامية، «والغالو» يَغرسون الضَّحايا في الرِّمال المُحرِقة، و«الفيتاراني» يَقذفونهم بقُوَّة وسط الصُّخور، و«الكاراسفارا» تُرغِم الأرواح على الجلوس فوق الخوازيق، و«الماهاجوث» لِحَبْسهم في الجُحور المُظلِمة الرَّهيبة.

وفي الجينيّة، أيضًا، ومن أجْل الفوز بسعادة الحياتين، على الجينيّ في الهند أن يَتحلّى بصفات تَتَّضح في المبادئ السَّبعة الرَّئيسة لطهارة الروح:

- المَبدأ الأوَّل هو أخْذ العهود والمواثيق، وهو ذو أثر بالِغ في اقتلاع الأخلاق السَّيِّئة والتَّمسُّك بالزُّهد والتُّقى.
- والمَبدأ الثّاني في المُحافَظة على الوَرَع وتَجنُّب الأذى والضَّرر لأيّ كائن مهما كان حقيرًا ضئيلًا.
- والمَبدأ الثّالث في التَّقليل من الحركات البَدنيّة، وفي الكلام والتَّفكير في الأمور الدُّنيويّة والجسمانيّة خوفًا من ضياع الأوقات النَّفيسة والأنفاس الثَّمينة في الأمور الثانويّة وسَفاسف الحياة وتَوافهها.
- والمَبدأ الرّابع في التَّحلّي بِعَشْر خِصال هي أُمَّهات الفَضائل وهي العفو والصِّدق والاستقامة والتَّواضُع والنَّظافة وضَبْط النَّفْس والتَّقشُّف الظاهريّ والباطنيّ والتَّزهُّد والإيثار والاعتزال عن النِّساء.
- والمَبدأ الخامس في التَّفكير في الحقائق الأساسيّة عن الكون والنَّفْس.
- والمَبدأ السّادس في السَّيطرة على مَتاعب الحياة وهمومها وعدم الاهتمام بها.
- والمَبدأ السّابع في القَناعة الكاملة والطُّمأنينة والخُلُق الحَسَن والطّهارة الظاهريّة والباطنيّة.

في الصِّين.

□ الأربعة في الصِّين عَدد الأرض، والثَّلاثة عَدد السَّماء، والسَّبعة عَدد الكون (٤ + ٣).

وفي الصِّين، ترى البوذيّة والطاويّة والكونفوشيوسيّة أنّ تنظيم الكون حَصَلَ على يَد سَبْعة آلهة. وكان المِصْباح الأحمر للجمعيّات السِّرّيّة الصِّينيّة له سَبْعة فروع. وتعتقد الطاويّة والبوذيّة الصِّينيّة بوجود سبعة مبادئ في الإنسان: النفس، النور، الفكر، الإرادة، الجسد، الدم، والحركة.

في أندونيسيا.

□ تُفيد الميثولوجيا الأندونيسيَّة أنّ الأرض هي زوجة الشَّمس، وأنّه، مرّة واحدة كُلّ سَنة، عند بداية الشّتاء، يَنزل إله الشَّمس من السَّماء ويُضاجع الأرض، زوجته، في شجرة صُبّير. ولِتَسهيل عَمليّة النُّزول من السَّماء، يُنصَب للإله على شجرة الصُّبّير سُلَّم يَتألَّف من سَبْع دَرَجات[١].

وتَعتقد حَضارات قديمة عديدة، وخصوصًا الأندونيسيّة منها، بأنّ الإنسان يَملك سبع أرواح. وعند الموت، تَنزل روح إلى القبر، وثانية إلى ملكوت الظُّلمات، وتَصعد الثّالثة إلى السَّماء. وهناك روح تَسكن في العظام، وثانية في الدم، وثالثة تُشبِه شبحًا. وعند الموت، تَبقى روح في الهيكل العظميّ، وتفترس الأرواح روحًا ثانية، وتَظهر ثالثة على الناس في شَكْل شَبَح.

في تايلاندا.

□ تقول الميثولوجيا إنّ طُوْفانًا قَضى على كلّ بني الإنسان باستثناء فتًى وفتاة تَمكَّنا من النَّجاة منه بواسطة ثَمَرة قَرْع. ومن زَواج هٰذين الشابَّين، أتى كلّ السُّكّان في العالَم. ولَكن، بَعْدَ انحسار المياه في ذٰلك الزَّمن السَّحيق، لم يكن لدى الأبناء السَّبعة لهٰذين الزَّوجين نار يَتدفّأون بها.

في فييتنام.

□ تقول الميثولوجيا إنّ سبعة آلهة خلقوا العالَم. وتقول أغنية شعبيّة في إحدى مَناطق فييتنام إنّ الإله الأوَّل أحصى الرَّمل، والثّاني التُّراب، والثّالث النُّجوم، والرّابع الأنهار، والخامس غرس الأشجار، والسّادس خلق الغابات، والسّابع نَصَب عمود السَّماء[٢].

في اليابان.

□ في اليابان، يُسمَّى قوس قُزَح جسر الألوان السَّبعة التي يَستعملها بوذا عند نزوله إلى الأرض.

وتخبر الميثولوجيا اليابانيّة عن شيتشي فوكوجين (Shichi Fukujin)، آلهة الحظّ السَّبعة، وهي مجموعة من ستّة آلهة وربّة واحدة هم: بينيتس، بيشامون، ديكوكو، ابيسو، فوكوروكوجو، هوتي، وجوروجين[٣].

ويَعتقد اليابانيّون أنّ الغراب يَرمز إلى الحُبّ العائليّ. وفي الصفوف الإبتدائيّة، يَتعلّم

(١) Traité d'histoire des religions - Mircea Eliade

(٢) Les grandes figures des mythologies - p.16

(٣) معجم الأساطير - ص.٢٢٥.

الأطفال أغنية تقول: «لماذا يُغنّي الغراب؟ / لأنّه في الجبل / له ابن عزيز عُمْره سَبعة أعوام / يُغنّي الغراب / يا عزيزي! يا عزيزي! / يُغنّي / يا عزيزي! يا عزيزي!» وفي اليابانيّة، صوت الغراب يُقلّده الأولاد «كاكا» وكلمة عزيزي «كاوايي».

في أميركا.

□ في المكسيك، وفي أثناء الاحتفال بطقس الذُرَة، تتقدَّم سبع فتيات إلى مَعبد آلهة الذُرة، وتُقدِّم كلّ واحدة منهنّ سُنْبُلة ذُرة من الموسم السّابق.

ويذكر كتاب بوبول ـ فوه (Popol-Voh) أنّ الميت كان يوضع على ظهره كي تَتمكّن روحه من أن تَخرج من فمه بحرّيّة فيَسحبها الإله إلى العالَم الآخَر. أمّا قبائل الكورتي (Chorti)، فهي تَرمز إلى الروح بسلسلة من ثلاث عَشْرَةَ ثمرة تَلفّ الجثّة ويُسمّونها الخيط الرَّفيع الذي بواسطته يسحبنا الإله إليه.

في أوروبّا.

□ تُخبِر الميثولوجيا السّلتيّة أنّ بران (Bran)، وهو مارِد شُجاع، صاحِب المرجل. يُمسِك به بقوّة لإعادة الموتى إلى الحياة، لكن من دون أن تعود إليهم قُدْرة النُّطق. جُرِحَ جُرْحًا بليغًا في مَعركة ضدّ أريش، فطَلَبَ من السَّبعة الآخَرين أن يَقطعوا رأسه. ويُقال إنّ رأسه دُفِنَ في لندن وعيناه في اتّجاه فرنسا لِيَرصد تَحرُّكات الغزاة[1].

(١) مُعجم الأساطير – ص ٦٦.

وفي الميثولوجيا الفنلنديّة، جاء أنّ إيلماتير (Ilmater) هي ابنة الهواء التي طارت فَوْقَ البحر سَبعة قرون، ثمّ خَلقت العالَم من البَيض الذي وَضَعته في ركبتها. ومن قُشور البيضة، تَشكّلت السّماوات والنُّجوم والشّمس والقمر[2].

وتَتحدَّث الميثولوجيا السّلافيّة عن سبعة آلهة هم: (Perun, Volos, Khors, Dazhbog, Stribog, Simarglu, et Mokosh)[3].

في أفريقيا.

□ يَرمز الأربعة في أفريقيا إلى الأنوثة، والثّلاثة إلى الذكوريّة، فيَرمز السَّبعة ـ مجموع ٤ + ٣ـ إلى الخُصوبة والكمال الإنسانيّ.

في أفريقيا، لدى قبائل الكيمبارا (Kimbaras) والنافارا (Navaras)، نظام تعليميّ يَعتمد مراحل عِدَّة: الأولى هو مَرحلة البوورو (Poworo)، وتدوم سبعة أعوام على أربع فترات، وهي مُخصّصة للأطفال. الثّانية مَرحلة الكوونرو (Kwonro)، وتدوم سبعة أعوام، وهي مُخصَّصة للمُراهقين. الثّالثة مَرحلة التيولوغو (Tyologo) وهي مرحلة تلقين الرّاشدين، وتَستمرّ سبعة أعوام. وتُعرَف هٰذه المراحل بنظام البورو[4].

وفي شمال توغو، لدى قبائل الموبا (Moubas)، نظام تعليميّ آخر، فيجمع مُعلِّم السَّيف المُراهِقين ويَصحبهم إلى الغابة حيث

(٢) نفس المرجع – ص ١٢٩.

(٣) Dictionnaire des religions - p.281

(٤) «ديانات الأرواح الوثنيّة» – ص ١٧١.

يَخلعون مَلابسهم باستثناء غطاء صغير للقَضيب، ثمّ يَرقصون ويَشربون «الدواء السّحريّ»، وعند القدح السّابع يَفقدون وعيهم. وفي اليوم التالي، يُوضَع المُراهِقون سبعة أيّام بدون طَعام ولا شَراب، وفي اليوم السّابع يَشربون دواء يعيد إليهم عقولهم[١].

وتَعتقد قبائل الدوغون أنّ الإلٰه فارو يَسكن السّماء السّابعة، وأنّ الشّمس تغيب وتنام في السّماء السّابعة، وأن الأرض، مثل السّماء، لها سبع طبقات.

عند العبرانيّين.

□ في العبريّة، تَعني جذور لفظة «شبع» القَسَم والحَلْف والإيمان، وهٰذا المعنى مأخوذ من تَرداد الحَلْف أو القَسَم سَبْع مَرّات لأنّ الحالف العبريّ كان مُرتبِطًا بسبعة أرواح.

ويَذكر العَلاّمة غريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبري أنَّ العبرانيّين سبع فرق: الأولى الرَّبّانيون وهم كُتّاب الناموس ومُعلّموه، والثانية اللاويّون الذين لم يُفارقوا خدمة الهيكل، والثالثة المُعتزِلة الذين يُؤمِنون بقيامة الموتى ويَقولون بوجود الملائكة ويصومون يَومين في الأسبوع، والرابعة الزَّنادقة الذين يُمجّدون القيامة والملائكة، والخامسة المُغتسِلون الذين يقولون: لا يُثاب أحد إن لم يَغتسل كُلّ يوم، والسادسة النُّسّاك الذين لا يأكلون شيئًا فيه روح، والسابعة السَّحرة الذين لا يَقبلون من الكتب إلاّ التّوراة، ويَزعمون أنّ الله ذو جسم.

وكان الشَّهر السّابع يُعتَبر، عند العبرانيّين، أوَّل شهر في الروزنامة العبريّة. وبِحَسَب الطَّريقة العِبريّة، كان الميت يُلَفّ بسبعة أكفان. وألَّف المُعلِّم هِلّل (Hillel) «القواعد السَّبع» وهو بحث في أسلوب شرح الكتب المُقدَّسة.

وتَقضي الخُطَّة العسكريّة لدى الطائفة الأسينيّة (Asséniens) بأن يهاجم المُقاتِلون الأسينيّون الرّومان في تشكيلة من ثَلاث كتائب مشاة، فتُطلِق الكتيبة الأولى على الأعداء سبعة سهام سبع مَرّات، وتعود إلى مكانها، وهي مُحاطة بسبع تشكيلات من الخَيّالة، شمالاً ويمينًا.

في سِفر التّكوين، في العهد العتيق، قال الرَّبّ الإلٰه إنّ الانتقام لقايين سيكون سبعة أضعاف (٤: ١٥)؛ وجاء أنّ عدد البهائم الطاهرة وطيور السّماء التي دَخلت سفينة نوح عددها سبعة؛ وأن الرَّبّ الإلٰه أحدث الفيضان بَعْدَ سبعة أيّام من دخول نوح التابوت هو وأهله (٧: ١ ـ ٤)؛ وأنّ سفينة نوح استقرّت في الشّهر السابع على جبال أراراط (٨: ٤)؛ وأنَّ نوحًا لبث أيضًا سبعة أيّام بعدما أطلق الغراب، قبل أن يُطلِق الحمامة (٨: ١٢).

وفي سفر العدد أَمَر الرَّبّ هارون أن يضيء في وجه المنارة سبعة سُرج (٨: ٢). (راجع شرح هٰذا الرَّمز في الكلام عن العدد سبعة عند المسيحيّين).

وجاء في العهد العتيق أنّ سور أريحا سَقَطَ بعدما طاف بنو إسرائيل في اليوم السابع حوله سبع مرّات، وحَمَلَ سبعة كهنة سبعة أبواق (يشوع ٦: ١٥). وأنّ شمشون أعطى الفلسطينيّين فرصة سبعة أيّام لحلّ لغزه (قضاة

(١) ديانات الأرواح الوثنية - ص ١٧٤.

١٤ : ١٢). وأنّ قُوّته فارقته بعدما استدعت زوجته دليلة رجلًا فحَلَقَ سبع خُصَل رأسه (قضاة ١٦ : ١٩).

ومن أخبار سليمان الحكيم، جاء في سِفْر الملوك الثالث أنّه تَزوَّج سبعمئة امرأة (٣: ١١)؛ وأنّه بنى هيكله الشَّهير في سبع سنوات (٦ : ٣٧)؛ وأنّ احتفال تدشينه استمرّ سبعة أيّام (٢ أخبار ٧: ٨)؛ وأنّه أصْعَدَ تابوت عَهْد الرَّبّ من مدينة داود في الشهر السابع (٣ ملوك ٨ : ٢).

وقال سفر الأمثال إنّ الصدّيق يَسقط سبع مرّات ويَنهض (٢٤: ١٦)؛ وأنّ الكسلان أحكم في عيني نَفْسه من سبعة ينطقون بالحِكم (٢٦ : ١٦)؛ وأنّه إذا لاطفك المُبغِض بصوته فلا تُصدِّقه فإنّ في قَلْبه سبعة أنواع من الرِّجس (٢٦ : ٢٥). وجاء في المزمور الحادي عشر أنّ أقوال الرَّبّ صُفِّيت سبع مرّات (٧)؛ وفي المزمور الثامن عشر بعد المئة: «سبّحتك سبع مرّات في النّهار على أحكام عدلك» (١٦٤). وقال يشوع بن سيراخ إنّ النَّوْح على الميت سَبْعة أيّام والنَّوح على الأحمق والمنافق جميع أيّام حياته (٢٢: ١٣). وتَحدَّث طوبيّا عن الملائكة السَّبعة (١٢ : ١٥). وذَكَرَ زكريّا أعين الرَّبّ السَّبعة (٣: ٩).

ومن المُتفرّقات، تقول الميثولوجيا إنّ الرَّبّ الإله خَلَقَ حوّاء في الساعة السابعة. ويُؤكّد اللاهوتيّون أن العدد سبعة ذُكِرَ سبعة وسبعين مرّة في العهد العتيق. وتُعتَبر الأسفار الحكميّة سبعة: أيّوب، المَزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة، ويشوع بن سيراخ.

وعند العبرانيّين يَقع في السابع من آذار، أوّل هبوب الدّبور، فتسقط الجمرة الأولى وتُسمّى الصُّغرى. وتسقط الجمرة الثانية، وتُسمّى الوسطى في الرابع عشر منه كما قال الأوّلُ:

اذا ما مَضَى المِيلادُ والدَّنْحُ بعدَه
وعَشْرٌ وعَشْرٌ ثُمَّ خَمْسٌ كَوامِلُ
وخمسٌ وستٌّ من شُباط وأربَعٌ
فإنَّ صَمِيمَ القُرّ لا شَكَّ زائلُ
وذاكَ سُقُوطُ الجَمْرَتَيْنِ وإنَّما
بَقاءُ الّذي يَبْقَى لَيالٍ قَلائِلُ

أمّا الجَمرة الثالثة فتَسقط في الحادي والعشرين منه، وهي الجمرة الكبرى[1].

عند المسيحيّين.

□ يَعتقد القدّيس أمبروسيوس (St. ambroise) أن السَّبعة رمز للعُذْريّة، ورأى فيه القِدّيس أغوسطينوس (St. augustin) رمزًا للكمال وعدد الخلق والتَّطوّر الكونيّ، وقال اللاهوتيّ ترتليانوس (Tertullien) إنّه رمز الراحة الخالدة والقيامة.

وفي المسيحيّة، يُقسَم العالَم سبعة عصور: الأوّل يُحسَب من آدم إلى الطُّوفان، الثاني من الطُّوفان إلى إبرهيم، الثالث من إبرهيم إلى موسى، الرابع من موسى إلى داود، الخامس من داود إلى جلاء بابل، السادس من جلاء بابل إلى السَّيِّد المسيح، والسابع من السَّيِّد المسيح حتّى نهاية الدَّهر، وهو عصر النِّعمة.

وتُقسَم الصَّلاة الرَّبّانية سبع صلوات. ثلاثة

(١) البيروني - الآثار الباقية - ص ٢٥٢- ٢٥٣.

منها تَنتيب إلى الله، والباقي إلى البَشر. وجاء أنّ الأسرار المُقدَّسة سبعة: المعموديّة، الأفخارستيا، الكهنوت، التّثبيت، الزّواج، التّوبة، والمسحة الأخيرة. والفضائل سبع: الإيمان، الرّجاء، المَحبّة، الصّبر، القَناعة، العدَالة، والحِكْمة. والخطايا الرّئيسة سبع: الكبرياء، الكسل، الشّهوة، الغضب، الفجور، الشّراهة، والبخل. والوصايا المُعاكسة سبع: التّواضع، النّشاط، مَحبّة القريب، الوداعة، التّسامُح، القَناعة، والتّجرُّد. ومَزامير التّوبة سبعة.

وجاء أنّ أسابيع الصّوم المُقدَّس سبعة؛ وأسابيع الطّقس الميلاديّ سبعة؛ والأسابيع الفاصلة بين عيد الدّنح وبداية الصّوْم سبعة؛ والأسابيع الفاصلة بين الفصح والعنصرة سبعة؛ وفي خميس الأسرار، يَزور المسيحيّون سبع كنائس؛ ويَتألّف درب الصّليب من أرْبَعَ عَشْرَةَ مرحلة، مُضاعَف العدد سبعة.

ومن على الصّليب المُقدَّس، تكلّم السّيّد المسيح سبع مرّات: الأولى حين قال: أغفر لهم يا أبتاه إنّهم لا يدرون ما يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤). والثّانية حين قال للّص: «هٰذا اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣). والثّالثة حين قال لأمّه: «يا امرأة هٰذا ابنك وللتّلميذ هٰذه أمُّك» (يوحنا ١٩: ٢٦). والرّابعة حين صرخ: «إلٰهي إلٰهي لماذا تَركتني» (مرقس ١٥: ٣٤). والخامسة: «أنا عطشان» (يوحنا ١٩: ٢٨). والسّادسة: «لقد تَمّ كُلّ شيء» (يوحنا ١٩: ٣٠). والسّابعة: «يا أبتِ، في يديك أستودع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦).

وفي إنجيل مرقس، أخرج السّيّد المسيح من مريم المجدليّة سبعة شياطين (١٦: ٩). وفي لوقا، طَلَب السّيّد المسيح من تلاميذه الغفران من دون حساب: «إن خطئ إليك أخوك سبع مرّات في اليوم ورَجَعَ إليك سبع مرّات قائلًا أنا تائب فاغفر له» (١٧: ٤). وذَكَرَ إنجيل يوحنّا أنّ السّيّد المسيح اجترح سبع عجائب مع الطّبيعة: المشي على الماء، هدوء العاصفة، أعجوبة صَيْد السّمك، وَضع قطعة من النّقود في فم سمكة، لَعْن التينة، مُباركة الخُبْز والسّمك، وتحويل الماء إلى خمر. وفي يوحنّا، قال السّيّد المسيح سبع مرّات «أنا هو».

وفي رؤيا يوحنّا، وَرَدَ السّبعة أربعين مرّة. ويَتّخذ هٰذا العدد بُعْدًا فلسفيًّا، فنُلاحِظ سُباعيّات عديدة، إذ تُقسَم الرُّؤيا سبع حلقات، كلّ حَلقة من سبعة مَشاهد: حَلقة الرّسائل، حَلقة الأختام، حَلقة الأبواق، حَلقة الجامات، حَلقة الآيات، حَلقة مُنشدِي سقوط بابل، وحَلقة مَشاهد عرس الحمل في أورشليم الأرضيّة والسّماويّة.

ويَبدو القسم الأوّل من سِفْر الرُّؤيا بشكل رسالة مُوجّهة إلى سبع كنائس في تركيّا الحاليّة، لكنّ يوحنّا يقصد الكنيسة الجامعة، تلك الكنيسة الموجودة والمُجسّدة في التاريخ. من هٰذه الكنائس أفسس، برغامس، ازمير، سرديس، ولاوديكيّة. والعبارة نَفْسها تختتم كلّ رسالة: «من له أذنان، فليسمع ما يقول الروح القدس».

وجاء في الرُّؤيا أنّ ابن البشر يَجلس وَسَط سَبْع منائر، ويَحمل في يده اليُمنى سَبْع كواكب. وتَرمز المنائر السّبْع إلى الكنائس

السَّبْع، والكواكب السَّبْعة إلى مَلائكة الكنائس السَّبْع. ويَذكر العَلّامة أسطفان الدُّويهيّ(١) «أنّ سبعة السُّرج هي سَبع العجائب التي ظَهرت في تَجسُّده تعالى: الأولى أنّ مريم حَبِلَت به من غير زَرْع بشريّ، والثّانية أنّه اكتمل حالاً بالنَّفس والجسد، والثّالثة أنّ نَفسه في حال خِلْقتها امتلأت نِعْمة، الرّابعة أنّها اكتملت حالاً بالعِلْم والحكمة، والخامسة أنّها اتّحدت حالاً بالجسد واللاهوت في أُقنوم واحد، والسّادسة أنّها حال الاتّحاد شاهَدت اللاهوت أفضل من القِدّيسين في السَّماء، والسّابعة أنّه خَرَجَ من أحشاء أُمّه والخواتم باقية». والمنارة هي الشَّمعدان ذو الفروع السَّبعة الذي قال الكهنة عنه أنّ يهوه أراده من سبعة فروع تقديسًا لأيّام الخلق السَّبعة: الأيّام السِّتّة التي خلق فيها العالَم، والسَّبت المُقدَّس، الذي استراح فيه. وتقول الميثولوجيا العبريّة إنّ فروع المنارة السَّبعة، مثل الكواكب السَّبعة، تَتلقّى الضَّوء من الشَّمس وترمز إلى حضور الله في الهيكل. ويعود بنا هٰذا القول إلى أنّ المنارة تَرجع إلى عبادة الإلٰه المصريّ للشّمس. والمعروف أنّ المنارة كانت توضع في الهيكل باتّجاه غرب ـ جنوب ـ غرب أي باتّجاه أون في هليوبوليس، مَركز عبادة رع آتون الإلٰه الشَّمس الذي كان موسى من كهنته.

وعلى عدد السُّرُج السَّبعة في المنارة، جاءت أجزاء القدّاس سبعة. هنا يضيف الدُّويهيّ: «وعلى عدد هٰذه العجائب السَّبع رَسَمَت البيعة للكهنة أن يُقدِّموا سَبْع طلبات: الأولى الصَّلاة، الثانية تسبحة الملائكة، الثالثة الحساية أي صلاة الغفران، الرابعة المُقدِّمة، الخامسة البخور، السادسة تَذكار المُخلِّص ووالدته وقدّيسيه، والسابعة الطَّلب من أجْل الأحياء والأموات الذين يُقدَّم لأجلهم القُدّاس، وهٰذه نُقدِّمها للسَّيِّد المُخلِّص يوم تَذكار ولادته كالمنارة ذات السَّبعة السُّرُج». وفي الموضوع نَفسه، كتب الدُّويهيّ «أنّ المنارة ذات السَّبعة السُّرُج تدلّ إلى أسرار البيعة السَّبعة، أو إلى الكتب السَّبعة من العهد الجديد لأنّها بقوّة ما تُرسِل إلى النُّفوس من أشِعَّة النِّعمة تُمزِّق حُجُب الخطيئة عن القلوب».

وجاء، أيضًا، في الرُّؤيا: «ورأيت بيمين الجالس على العرش كتابًا مكتوبًا من داخل ومن خارج مختومًا بسبعة ختوم» (٥: ١). وفسّر الدُّويهيّ هٰذا الكلام بقوله «إنّ الكِتاب المختوم بسبعة ختوم يَعني سرّ الثالوث المُقدَّس، فإنّ كثيرين راموا الفحص عنه في العلل الطَّبيعيّة والبراهين العقليّة، غير أنّ ذراع الرَّبّ لم تُعلَن لأحد منهم ولا استطاع مخلوق فكّ ختمه لأنّها مضبوطة بيمين الرَّبّ ومختومة بإصبعه».

وفي موضوع الأرواح السَّبعة، قال الدُّويهيّ: «إنّ المُراد بالقرون سَبْع مَواهب الرّوح القُدُس التي بها هدم وحَطَّم سبعة رؤوس التنين أعني الخطايا الرّئيسة التي منها تَتولَّد جميع الخطايا. والسَّبع عيون هي سبعة أرواح الله أعني سبعة كتب العهد الجديد التي أرسلها الآب إلى سائر أقطار الأرض لتستنير بها عقول البشر. ويُسمّى الروح القُدُس موهبة، بسبب سبع مَواهب الروح المذكورة في

---

(١) تاريخ الأزمنة.

إشعيا حين قال: «يَستقرّ عليه روح الرَّبّ، روح الحكمة، والفهم، روح المشورة، والقوّة، روح العلم، وتقوى الرَّبّ». وفي الموضوع نَفْسه، يذكر الدُّويهيّ «إنّ رؤساء الكهنة يُوقِدون سبع شموع لأنّ سبعًا هي مَواهب الروح، وسبعًا كانت المنائر التي شاهد يوحنا في وَسَطها منظر ابن الإنسان. ومن أجْل هٰذا يُلحِّن الشَّمامسة سبعة أبيات في ابتداء القدّاس عندما يَسرجون الشَّمع. وعند إضاءة الشَّمعة الأولى، يقول الشَّمّاس: سَبِّحوا الرَّبّ يا جميع الأمم وهَلِّلوا. ثمّ يُوقِد الشَّمعة الثانية ويهتف قائلًا: سَبِّحوه يا جَميع الأُمم وهَلِّلوا للبارّ القُدّوس القائم ما بين المنائر. ثمّ يُوقِد الشَّمعة الثالثة ويَهتف الشَّماس قائلًا: فلنرفعنّ المجد للثالوث الأقدس ونَتضرّعنّ إليه تعالى لكي يَقبل صلواتنا وقرابيننا. ثمّ يُوقِد الشَّمعة الرابعة ويقول: من الآن وإلى كلّ أوانٍ وإلى دهر الداهرين. ثمّ يُوقِد الشَّمعة الخامسة ويقول: لتكن لنا صلاة البتول المُبارَكة سورًا حصينًا. ثمّ يُوقِد الشَّمعة السادسة ويَطلب المعونة من صلوات الشُّهداء لأنّهم قَدَّموا أجسادهم للعَذاب والآلام حبًّا بالسَّيِّد المسيح. ثمّ يُوقِد الشَّمعة السابعة ويَطلب الرَّحمة والراحة للموتى المؤمنين».

وفي موضوع الكؤوس السَّبع، تستعيد الصُّوَر هنا ضربات مصر التي أنزلها الرَّبّ الإلٰه بالشَّعب المصريّ المضطهد لكي يتوب ويترك الحرّيّة لشعب الله. وتَرمز المرأة الفاجرة إلى روما الكافرة، والرُّؤوس السَّبع إلى تلال المدينة السَّبع، أو إلى سبعة ملوك من القياصرة الرومانيّين، من نيرون إلى تيطس.

وفي الرُّؤيا، أيضًا، نَذكر أنّ صفات الحَمَل المذبوح سبع: القدرة، الغنى، الحكمة، القوّة، الكرامة، المجد والبَرَكة. ووَرَدَ فيها، كذٰلك، لفظة «آية» سبع مَرّات، ولفظة «طوبى» سبع مَرّات، و«ها أنا ذا آتٍ عن قريب» سبع مَرّات.

وفي المسيحيّة، هناك سبع كنائس سُريانيّة: اليعقوبيّة، السُّريانيّة الكاثوليكيّة، المارونيّة، النَّسطوريّة، الكَلدانيّة، المالاباريّة، والملكيّة. وقد تألّفت «جمعيّة يسوع» المعروفة بالرَّهبنة اليسوعيّة، في البداية، من سبعة رفاق. وفي فلورنسا اجتمع سبعة تجّار، وألّفوا مُنظَّمة دينيّة عُرِفَت بمُنظَّمة الخدم. وخلال العصر الرومانيّ، ذَبَحَت السُّلْطة أبناء القدّيسة «فيليسته» وعددهم سبعة.

وتُعيِّد الكنيسة الكاثوليكيّة سبعة أعياد في السَّنة للسَّيدة العَذراء هي: ولادتها في الثامن من أيلول (سبتمبر)؛ تقديمها إلى الهيكل في أورشليم من قِبَل والديها؛ الحَبَل بلا دَنَس في الثامن من كانون الأوّل (ديسمبر)؛ انتقالها إلى السَّماء بالنَّفْس والجَسد في الخامس عشر من آب (أغسطس)؛ ذكرى مرور أربعين يومًا على ولادتها السَّيِّد المسيح في الثّاني من شباط (فبراير)؛ عيد البشارة في الخامس والعشرين من آذار (مارس)؛ زيارتها إلى نسيبتها إليصابات في الثاني من حزيران (يوليو).

وفي التراث، تُصوِّر الأيقوتوغرافيا العجلة الشَّمسيّة في العصور الأُولى وقد تَحوّلت إلى نبع شعاعات العنصرة، وتقول إنّ عجلة السُّيوف التي كان يحملها القدّيس جاورجيوس - زجاجيّة في كنيسة شارتر (Chartres) - كانت

ترمز، قَبْلَ قَرْن من رَسْمها، ولاحقًا في القرون الوسطى، إلى العذابات السَّبعة للسَّيّدة العذراء.

وفي سورية، يُعتَبر دير الحميراء المكان الأشهر للقدّيس جاورجيوس، يقع على مَقربة من نبع مُتقطّع للماء. ويَذكر المؤرّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفوس أنّ تيطس، في طريق عودته من القدس، قام بزيارة خاصّة لهٰذا النّبع الذي كان يفيض كلّ سبعة أيّام، كما تقول الميثولوجيا.

وفي التراث، أيضًا، جاء أنّ صليب السّيّد المسيح مأخوذ من سبعة أغصان، كُلّ غصن من مَعْدِن مُختلِف، والغصن السابع من الذَّهب، لون الشَّمس.

ويعتقد التُّراث الإسبانيّ أنّ مَلكة الصَّوم عبارة عن عجوز لها سبع سيقان، فينزعون لها خلال أسابيع الصَّوم السَّبعة، ساقًا بعد ساق، إلى أن يَصل يوم الفصح وقد أصبحت بلا سيقان.

عند الموارنة.

□ نَشأت البطريركيّة المارونيّة في القرن السابع. وجاء في التُّراث المارونيّ أنّه من واجب الآباء أن يَصطحبوا أولادهم إلى الكنيسة متى بلغوا السابعة. ونقل بطرس دميان عن الحبساء أنّه، عند وفاة أحدهم، كان يُفرَض على كلّ من الإخوة أن يَسجد سبعمئة سجدة يوميًّا على مدى سبعة أيّام. وكتب الدُّويهيّ أنّ عدد التَّذكارات في نافور مار يَعقوب سبعة.

ويُقسَم الفرض الإلٰهيّ المارونيّ إلى سبع صلوات لليوم الواحد في ليله ونهاره، بِحَسَب القاعدة الطُّقسيّة التي تَجعل اليوم يَنتهي بغروب الشَّمس، ويَبدأ اليوم التالي بَعْدَ الغروب مُباشَرة، وهٰذه هي الصَّلاة الطَّقسيّة المعروفة بالفرض. والفرض هو الصَّلوات الطَّقسيّة السَّبْع التالية: صَلاة المساء عند الغروب، صَلاة السّتار قَبْلَ النَّوم، صَلاة مُنتصَف اللَّيل، صَلاة الصَّباح أو الفجر، صَلاة الساعة الثالثة، صَلاة الساعة السادسة، وصَلاة الساعة التاسعة.

وفي العصور الأولى للمسيحيّة اللبنانيّة، استشهدت سبع مؤمنات هنَّ: الكنعانيَّة التي شفى السَّيّد المسيح ابنتها، مرسيل التي هتفت «طوبى للبطن الذي حملك وللثّديين اللّذين أرضعاك»، كريستينا الصوريّة، ثاوذوسيا الصوريّة، أفدوكيا البعلبكيّة، برباره البعلبكيّة، وأكويلينا الجبيليّة.

وفي لبنان، هناك بثرة حمراء تصيب الجفن تدعى الشَّحاذ. ويداوي اللُّبنانيّ الشَّحاذ بالاستعطاء والاستجداء من سبع مريمات. وعلى المصاب بالبثرة أن يَذهب بِنَفْسه ويَستعطي، وما يُجمَع من طعام يُعطَى لفقير أو كلب أَسْوَد. ويقال، في لبنان، عن رَجُل يَعصى الوصايا إنّه «عمل السَّبعة وذمَّتها» أي أنّ الفواحش السَّبع ثابتة في ذمّة الرَّجل. ويزور وافي النَّذر قبر القدّيس سبع مرّات. ويَحقّ للطالق أن يَتزوّج بَعْدَ مُرور سَبْع سنين على الهجر.

وفي التُّراث المارونيّ، «عدّية» تُصوِّر الصِّراع بين مار جرجس والتّنين تقول:

. . . «مار جريس في ذاك الحين /
بِسيفو ذبح التّنين /
جابوا له سبع فدادين /
جرّوه تحت الحيطان» . . .

عند العرب.

◻ يَعتقد العرب أنّ الأرض المسكونة تُقسَم سَبعة أقسام، ويقول الشَّيخ كمال الدين الدَّميري[1]: «إنّ الرُّبع المسكون من أقاليم الأرض قُسِّم سبعة أقسام، كلّ قِسْم يُسمَّى إقليمًا كأنّه بساط مَفروش من المَشرق إلى المَغرب، طوله وعرضه من جهة الجنوب إلى جهة الشَّمال، وهي مُختلِفة الطول، فأطْوَلها وأعْرَضها الإقليم الأوَّل، فإنّ طوله من المَشرق إلى المَغرب نحو ثلاثة آلاف فَرْسَخ، وعَرْضه من الجنوب إلى الشَّمال نحو مئة وخمسين فرسخًا، وأقْصَرها طولاً وعَرْضًا الإقليم السّابع، فإنّ طوله من المَشرق إلى المَغرب نحو ألف وخمسمئة فَرْسَخ، وعَرْضه من الجَنوب إلى الشَّمال نحو سبعين فرسخًا. أمّا سائر الأقاليم التي بينهما فيختلف طولها وعَرْضها بالزِّيادة والنُّقصان. ثمّ إنّ هٰذه الأقسام ليست أقسامًا طبيعيّة لٰكنّها خطوط وهميّة وَضَعها الملوك الأوَّلون الذين طافوا بالرُّبع المسكون من الأرض لِيَعلَم بها حدود البلدان والمَمالك مثل أفريدون وإسكندر وأردشير».

ويَعتقد العرب أنّ الفنون الرَّئيسة سبعة: الشِّعر القَريض، المُوشَّح، الدوبيت، الزَّجل، المَوّال، الكان وكان، والقوما. وفي الشِّعر، صَنَّف العرب قصائدهم المختارة طبقات جاعلين في كلّ منها سبع قصائد. نذكر، هنا، الشاعر أبا زيد القرشيّ الذي اختار من الشِّعر الجاهليّ والمُخضرَم تسعة وأربعين قصيدة صَنَّفها على سبع طبقات، وفي كلّ طبقة سبع قصائد. ومن أشهر القصائد العربيّة «المُعلَّقات السَّبع».

وعند العرب، يُعتَبر القِداح الواسطة بين الناس والآلهة. وقد ذكروا أنّه كان أمام هبل في جوف الكعبة سبعة أقدح يَستقسمون بها إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سَفَرًا أو عملاً فما خَرَجَ عملوا به انتهوا إليه. وقال ابن واضح:

«وكانت العرب تَستقسم بالأزلام في كلّ أمورها، وهي القداح. ولا يكون لها سَفَر ومقام، ولا نكاح ولا معرفة حال إلّا رَجعت إلى القداح. وكانت القداح سبعة. فكانوا إذا أرادوا أمرًا رَجعوا إلى القداح فضربوا بها ثمّ عملوا بما يخرج القداح لا يتعدّونه ولا يجوزونه. وكان لهم أُمناء على القداح لا يثقون بغيرهم».

والظاهر أنّ عدد القداح وما يُكتَب عليها يختلف باختلاف الأغراض التي يُضرَب من أجلها. فبينما يكون أمام هبل سبعة أقداح مثلاً، يكون عند ذي الخلصة ثلاثة. وكذٰلك يَختلف ما كتب على القداح السَّبعة عند ابن الكلبيّ واليعقوبيّ.

والذي يُطالِع رسالة الميسر والقداح لابن قتيبة يَتَبيَّن له أنّ الاستقسام بالأزلام كان لغرضين: الأوَّل استشارة الإلٰه الصنم بأمر من الأمور. وهنا يقول:

«وكانوا إذا أرادوا الخروج إلى وجه ضربوا بالقداح فإنّ القدح الآمر نَفَذَ لوجهه راجيًا السَّلامة والصُّنع، وإذا خرج القَدَح الناهي أمسك عن الخروج خائفًا النَّكبة».

والثاني يَختلف عن الأوَّل كُلّ الاختلاف، وهو نوع من القمار ليس إلّا، يمارسونه عند

---

(١) صاحب كتاب حياة الحيوان.

الشدّة والضيق، وهو ما يسمّونه بالميسر. أمّا قداح هٰذا الضّرب من الاستقسام فعشرة متساوية منها سبعة ذوات خطوط وهي الفذ، والتّوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمسبل، والمُعلّى، وثلاثة أغفال لا خطوط بها وهي: السَّفيح، والمنيح، والوغد.

وكان على كلّ قدح من السّبعة علامة «حز» فعلى الفذّ حزّ، وعلى التوأم حزّان وهٰكذا... إلى سبعة على المُعلّى. ولكلّ حزّ نصيب. وأما الثّلاثة التي لا نصيب لها، فليس عليها علامات، وإنّما تجعل مع السّبعة ليكثر بها العدد، ولتُؤمَن بها حيلة الضارب[1].

ومن ميزات العرب أنّهم اشتقّوا أسماء الكواكب السّبعة وغيرها من صفاتها كما نجد ذٰلك في مَعَاجم اللُّغة. فالخنَّس الجواري الكنَّس التي ذُكرت في القرآن ـ وهي السّيّار عدَا النيّرين ـ إنّما سُميت خنّسا لأنّها تسير في البروج والمنازل كسير الشّمس والقمر، ثم تَخنس أي تَرجع، بينما يرى أحدها في آخِر البروج، وإذا به يَكرّ راجعًا إلى الأوّل، وسُمّيت كنّسا لأنّها تكنس أي تَستتر كما تَكنس الظّباء.

ولا ندري ما الذي أدّى بالعرب وغيرهم إلى تسمية الكواكب بأسماء الحيوانات وغيرها من الأشياء الأرضيّة، فإنّنا لا نرى ثمّة جملًا ولا ناقة ولا رجلًا ولا امرأة مهما أمعنّا النّظر في ليلة ظلماء أو قمراء؟! يقول القزويني إنّهم سَمّوها بهٰذه الأسماء ليمعرفتها ومَعرفة خواصّها. ولربّما كان ذٰلك راجعًا أيضًا إلى مَيْل الإنسان منذ البدء إلى تشخيص ما فوق حواسّه الخمس وإحلاله مَحَلّ الموجودات من إنسان وحيوان ونبات وجَماد، تلك الأشياء التي تَحفّه من كُلّ جانب، وقد مَرّ معنا أنّ الصابئة إنّما شَخّصوا آلهتهم لتكون بينهم ونصب أعينهم حتّى يتمكّنوا من أن يُقدّموا لها ضروب العبادات. وكذٰلك القول في أصنام العرب. فلا بأس إذن من أن تكون تسمية الأمم القديمة مجاميع الكواكب نوعًا من التّشخيص المعنويّ حتى يَتمكّنوا من تَصوُّرها في عقولهم.

ويَظهر أنّ لصفات الكواكب المزعومة عند العرب أثرًا في اشتقاق اسم ذاك الفرقد وتلك الكوكبة. ولنأخذ «الثُّريّا» مثلًا: زعموا أنّ في المطر عند نوئها الثَّروة. فليس بعيدًا، إذن، أن تكون مُشتقّة من الثَّراء. وفي لسان العرب: «والثُّريّا من الكواكب سمّيت لغزارة نوئها». وفي العُمْدَة لابن رَشيق: «سُمّيت بهٰذا لأنّ مَطرها عنه تكون الثَّروة وكثرة العدد والغنى».

وللنّوء شبه صلة بعبادة العرب للنُّجوم وتعظيمها. وإيمانهم بالأنواء دعاهم إلى الاعتقاد بأثرها في تَصرُّفاتهم وحَركاتهم وسَكَناتهم. وقد نَسبوا ذٰلك إلى الكواكب، وقالوا إنّ التّأثيرات مُتعلّقة بأجرام الكواكب وطلوعها وسقوطها. ومن أمثالهم «أخطأ نوؤك» يُضرَب لمن طَلَبَ حاجته فلم يَقدر عليها. والنَّوء النَّجم يَطلع أو يسقط فيُمطِر، فيقال مُطِرْنا بنوء كذا. «فالنَّجم إذا سَقَطَ فما بين سقوطه إلى سقوط التالي له هو نوء، وذٰلك في ثلاثة عشر يومًا، فما كان في هٰذه الثّلاثة عشر يومًا من مطر أو ريح أو حَرّ أو بَرْد

---

(١) الميثولوجيا عند العرب – ص ١٤٢–١٤٣.

فهو في نوء ذٰلك النَّجم الساقط»، فإن سَقَطَ ولم يكن مطر قيل خَوى نجم كذا وكذا. ومنهم من يقول إنّ النَّوء على الحقيقة للطالع من الكواكب لا للغارب ومنهم من سَمَّى تأثير الطُّلوع بارحًا وتأثير السُّقوط نوءًا. ولقد رَجز بعضهم حساب النَّوء فقال:

والدَّهر، فاعلم، كُلّه أرباع
لكلّ رُبْع واحد، أسباع
وكُلّ سبع لطلوع كوكب
ونَوْء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كُلّ نجم يطّلع
إلى طلوع ما يليه أربع
من الليالي ثمّ تسع تَتبع.

ويَنطبق هٰذا الرَّجز على حقيقة حساب النَّوء. جاء في العمدة: «السَّنة أربعة أجزاء، لكلّ جزء منها سبعة أنواء، لكلّ نوء ثلاثة عشر يومًا، إلّا نوء الجبهة فإنّه أربعة عشر يومًا».

ولمّا كان لا نوء في طلوع «بنات نعش» وسقوطها، شَبَّه شاعر بها مَعشره، وقد أراد هَجْوهم بأن لا خير فيهم، قال:

أولٰئك مَعشري كبنات نعش
خوالف لا تنوء مع النُّجوم.

ومن الأنواء التي يَعتبرها العرب شؤمًا عليهم نوء «الدَّبران»، ذٰلك الكوكب الأحمر المنير الذي خشيته العرب وتَشاءمت به، وزَعمت أنّهم لا يمطرون بنوئه، إلّا وستتهم جدبة. ففي نوئه يَشتد الحَرّ وتَهبّ السَّمائم. وممّا قيل في طلوعه: «إذا طلع الدَّبران، تَوقَّدت الحزان، وكرهت النيران، واستعرت الونان، ويبست الغدران». فلا غرابة إذا ضَرَبَت العرب بشؤمه المَثَل، فقالت: أشأم من حادي النَّجم وهو اسم آخر له.

وسنرى أنّ هٰذا الكوكب الذي استدبر الثُّريّا، لم يَكتفِ بأن خَشيَه العرب بل عبده قوم منهم، كما عبد آخرون غيره من الأجرام.

فالعرب، كما رأينا، كان لهم معرفة بالفلك، وكانت هٰذه المعرفة مُتفاوِتة بينهم. وقد قالوا إنّ أعلم العرب بالنجوم بنو مارية بن كلب وبنو مرَّة بن همام بن شيبان. كما كانت عبادة النُّجوم عند قوم أشدّ منها عند آخرين[١].

وعَبَد العرب ملائكة السَّماوات السَّبع وهم يُسبِّحون حتّى قيام الساعة، فإذا قامت، يقولون سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك. وهم في السَّماء الدُّنيا على صُوَر البقر، وفي الثانية على صور العقبان، وفي الثالثة نسور، والرابعة خيل، والخامسة حور عين، والسادسة ولدان، والسابعة بنو آدم! موكل بهم على التَّرتيب، الملائكة: إسماعيل، ميخائيل، صاعديائيل، صلصائيل، كلكائيل، سمحائيل، روبائيل. وفوق السَّماوات السَّبع ملائكة أُخر لا يعرفون بعضهم لكثرتهم، ويُسبِّحون الله بلغات مختلفة كالرَّعد الصاعق[٢]!

عند العرب، أيضًا، «تبدأ في السّادس والعشرين من آب رياح تَسْتَدِيرُ عند ابرخس وبينَه وبينَ أوّل أيّام العَجُوز نصفُ سنةٍ سَواءٌ وفيه يَكُرُ الحرُّ لانْصَرافه كما يَكُرُّ القُرُّ هناك عند انصرافه وهي سبعة أيّام آخِرُها أوّلُ أيلول وتُسَمِّيها العربُ وَقْدَةَ سُهَيْل وهيَ رِياحُ طلوعِ الجَبْهَةِ لٰكنْ سهيلٌ يَطْلُعُ قريبًا منه فيَغْلِبُ ذِكْره

(١) الميثولوجيا عند العرب - ص ٨٣- ٨٦.
(٢) نفس المرجع - ص ٢٠٦.

على ذِكْرِها ويكون الهواء في هٰذه الأيّام أحَرَّ مِمَّا قَبْلها وبَعْدها ثمّ تَطيبُ اللَّيالي عُقَيْبَ ذٰلك وهو أمْرٌ مُتعارَفٌ عند العامّة لا يَكاد يُخطِئ.

قال مُحمَّد بن عبد الملك الزَّيّات:

بَرَدَ الماء وطال اللَّيْلُ والْتَذَّ الشَّرابُ
ومَضَى عنك حَزيرانُ وتَمُّوزُ وآبُ[1].

وعند العرب، أيضًا، ذكر أبو الحسين الأهْوازيّ في كتاب معارف الروم صِفَةَ المتنصِّرِ وهو أنّه يُقْرَأُ عليه سبعةَ أيّام في البيعة غُدُوًّا وعَشِيًّا فإذا كان السابعُ عُرِّيَ ودُهِنَ جسدُه كلُّه بالزَّيت ثمّ صُبَّ الماء المُسخَّن في آنِيَةِ رُخام مَنصوبةٍ في وَسَط البِيعةِ ويُنَقِّطُ القَسُّ على وَجْهِ الماء بالزَّيت خَمْسَ نُقَطٍ على مثالِ الصَّليب أربعًا وواحدةً وَسَطَها ثمّ يُشالُ ويُحَطُّ رِجْلاه جميعًا فَوْقَ النُّقطة الوسطى ويُجْلَس في المآء ويأخذ القَسُّ من أحِد جوانبِه ملْءَ كَفِّه مآء فيَصُبُّه على رأسه ثمّ من جانبٍ إلى أنْ يأتِيَ على الجوانب الأربعة على مثال الصَّليب ويَتَنَحّى القَسُّ عنه ويجيءُ مَنْ يُريدُ أنْ يَأخُذه من المآء هو الذي أجْلَسَه فيه فيَغْسِلُه القَسُّ وجميعُ مَنْ في البيعة يَقْرأون ثمّ يُخْرَجُ من الماء ويُوَشَّحُ بإزارٍ ويُحْمَلُ حَمْلًا لئلّا تَمَسَّ رِجْلُه الأرضَ ويَصِيحُ أهْل البيعة كلُّهم سبع مرّات كرياليسون أي يا رَبُّ ارْحَمْنا ويُلْبَسُ ثِيابَه وهو محمولٌ ثمّ يُحَطُّ عنه ويَلْزَم البيعةَ أو يَتردَّدُ إليها سبع أيّام فإذا كان اليومُ السّابعُ غَسَلَه القَسُّ بلا زَيْتٍ ولا في تلك الآنِيَةِ الأولى[2].

وتجمع الروايات عند العرب على أنّ قداسة المقام إنّما هي نَابعة عن صلته بإبراهيم. ومن هٰذه الرِّوايات قولهم إنّه هو الحجر الذي قام فيه إبراهيم حين رفع بناء البيت، وقيل هو الحجر الذي وقف عليه يوم أذِنَ في الناس بالحَجّ، فتطاوَل له وعلا على الجبال حتّى أشرف على ما تحته، فلمّا فَرَغَ منه، وَضَعَه قبلة. وكذٰلك رَسخت قدما إبراهيم فيه مقدار سبع أصابع، ووسطه قد استدقّ من التَّمسُّح به، أمّا ذرعه فمقدار ذراع، وهو على ما يَذكر ياقوت، في حوض مُربَّع حوله رصاص. ومن مقداره يَظهر أنّه أكبر من الرُّكن وهو مثله حجر أسْوَد[3].

ومن عادات العرب أن يأمر الوالد بِجَزور فتُنحَر في سابع يوم لمولد ولده، ويُطلَق اسم على الصَّبيّ. ويقول العرب إنّه إذا وُضِعَ سيف عارٍ أمام طفل عمره سبعة أيّام، فهٰذا الولد يصبح شجاعًا في شبابه.

ومن أقوال العرب: سبعة لا ينبغي لصاحب لبّ أن يشاورهم: جاهل، عدوّ، حَسود، مراءٍ، جَبان، بَخيل، وذو هوى. فإنّ الجاهل يضلّ، والعدوّ يريد الهلاك، والحسود يَتمنّى زوال النّعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يَقدر على مُخالَفته.

وقال المأمون للحسن بن سهل: نظرت في اللَّذّات فوجدتها كلّها مملولة سوى سبع. قال وما السَّبع يا أمير المؤمنين؟ قال: خبز الحنطة، لحم الغنم، الماء البارد، الثَّوب

---

(١) البيروني - الآثار الباقية - ص ٢٧٣.

(٢) البيروني - الآثار الباقية - ص ٢٩٣.

(٣) الميثولوجيا عند العرب - ص ١٣٠.

الناعم، الرائحة الطَّيِّبة، الفِراش الواطيء، والنَّظر إلى الحَسَن من كلّ شيء.

ومن القصائد العربيّة كافاتُ الشَّتوة أو كافات الشِّتاء وهي أدوات جَمَعها ابن سُكَّرة الهاشمي بقوله:

جاء الشِّتاءُ وعندي من حوائجه
سَبْع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيس وكَنٌّ وكانون وكاس طلا
مع الكباب وكفّ ناعم وكِسا

وسمّاها بعضهم كافات الشِّتاء بقوله:

وكافات الشِّتاء تُعَدّ سبعًا
وما لي طاقة بلقاء سبع
إذا ظَفَرَت بكاف الكيس كفيّ
فذٰلك مُفرَد يأتي بجمع

عند المسلمين.

□ تَتألَّف سورة الفاتحة من سبع آيات: ﴿بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم، الحمد لله رَبّ العالَمين الرَّحمٰن الرَّحيم، مالك يوم الدين، إيّاك نَعبد وإيّاك نَستعين، أهدنا الصِّراط المُستقيم، صِراط الّذين أنعمت عليهم غَيْر المغضوبِ عليهم ولا الضالّين﴾.

جاء النَّبيّ مُحمَّد ﷺ في القرن السابع. وقيل: نَزَلَ الوحي عليه في سبع لهجات مُختلِفة من لهجات العرب. وأنجب من خديجة سبعة أولاد.

وفي الإسلام، يُمارِس الحُجّاج المُسلِمون السَّعي بين الصَّفا والمَرْوَة سبعة أشواط. ويُعتبر السَّعي بين الصَّفا والمَرْوة، عادة وثنيّة قديمة. ولربَّما أرجع العرب هٰذه العادة إلى هاجر نَفْسها، وذٰلك حينما عطش طفلها إسماعيل، وأخذ يتلوَّى من شدَّة العطش في مكان زمزم يوم أخذت تَصعد إلى الصَّفا وتَنحدر طورًا إلى المروة تَسعى سَعْي الإنسان المجهود. ولقد نَسبوا تعليق السَّعي بفعل هاجر إلى النَّبيّ قائلًا: فلذٰلك سعَى الناس بينهما[1].

وفي رواية ثانية سردها الأزرقي وترجع إلى محمَّد بن إسحاق قال: «لمّا فرغ إبراهيم خليل الرَّحمٰن من بناء البيت الحرام جاء جبريل فقال: طف به سبعًا، فطاف به سبعًا هو واسماعيل يستلمان الأركان كلّها في كلّ طوف، فلمّا أكملا سبعًا هو وإسماعيل صلّيا خلف المقام ركعتين، قال فقام معه جبريل فأراه المناسك كلّها الصَّفا والمروة ومنا ومزدلفة وعرفة. وبعد حصب إبليس، وعرفان إبراهيم مناسكه كلّها أمره أن يؤذن في الناس بالحجّ، فقال إبراهيم: «يا ربّ ما يبلغ صوتي». فقال الله تعالى «أذِّن وعليّ البلاغ». فعلا على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولها، فجمعت له الأرض سهلها وجبلها وبَرَّها وبحرها وإنسها وجنَّها حتى أسمعهم جميعًا. وكان قد وضع إصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمنًا وشامًا وشرقًا وغربًا وبدأ بشقّ اليمن. فقال: أيُّها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق، فأجيبوا ربّكم، فأجابوه من تحت التُخوم السَّبعة، ومن بين المَشرق والمَغرب إلى منقطع التُّراب من أقطار الأرض كلّها: لبّيك اللّهمّ لبّيك.[2]

وَيؤمن المسلمون بالدَّعائم التَّكليفيّة

---

(١) الميثولوجيا عند العرب - ص ١٥٦.

(٢) نفس المرجع - ص ٢٦.

الناموسيّة التي تُعتَبر بمثابة أركان الدين الإسلاميّ وهي سبعة: الشّهادتان، الصّوم، الصّلاة، الزّكاة، الحَجّ، الجِهاد، والولاية.

وجاء في القرآن الكريم ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وهو بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾ (البقرة: ٢٩). وجاء في سورة الحجر ﴿ولقد أتيناكَ سَبْعًا مِنَ المَثاني والقرآن العظيم﴾(٨٧). والمثاني السَّبع، على الأرجح، هي الآيات السّبع التي تُؤلّف سورة الفاتحة، كما وردت في الأثر، وتُكرَّر في الصّلاة، ويُثنى فيها على الله تعالى. وجاء في بعض التّفاسير أنّ المقصود بها السُّور الطّوال السّبع وهي: البقرة، آل عمران، النّساء، المائدة، الأنعام، الأعراس، الأمثال والتّوبة بوصفهما سورة واحدة، وهو تفسير من كتاب «في ظلال القرآن» في الجزء الرابع عشر. وجاء في سورة النّساء ﴿إنَّ المُنافِقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النّارِ ولَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيرًا﴾ (١٤٥). وتفسيرها أنّ أبواب الجحيم سبعة هي: جَهنّم، لظى، الحطمة، السّعير، سقر، الجحيم، والهاوية. وجاء في سورة المؤمنون: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ﴾ (١٧). وجاء في سورة لقمان كلام عن البحور السّبعة ﴿والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ﴾ (لقمان: ٢٧). وجاءَ في سورة يوسف: ﴿قالَ تَزْرَعونَ سَبْعَ سِنينَ دَأَبًا فَما حَصَدْتُمْ فَذَروهُ في سُنْبُلِهِ إلّا قليلاً ممّا تَأْكُلونَ ثُمّ يأتي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلّا قَليلاً ممّا تُحْصِنونَ. ثُمّ يَأْتي مِنْ بَعْدِ ذٰلكَ عامٌ فيهِ يُغاثُ النّاسُ وفيهِ يَعْصِرونَ﴾ (٤٧ـ ٤٩).

وفي الإسلام، تَتألّف لفظة الشّهادة (Shahada) من سبعة حروف. وجاء أنَّ أبْوابَ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ، وأنَّ أصْحابَ الكَهْفِ سَبْعَةٌ.

وجاء في الحديث الشّريف: «لاعب ولدك سبعًا، وأدّبه سبعًا، وراقبه سبعًا، ثمّ اجعل حَبْله على غاربه». ونُقِلَ عَن مُحمَّد ﷺ أنّه قال: «عمر الدُّنيا سبعة آلاف سنة؛ بُعِثْتُ في آخِر ألْف منها». و«إنّ أبواب الجنّة تُفتَح أمام سبع بنات».

وفي التُّراث، تدور العاقرات في المَغرب سبع مرّات حَوْلَ جُذوع بعض أنواع الأشجار. وفي سورية، الفتاة التي لا يَطلبها أحد للزّواج تَسبح في البحر تاركة فوق رأسها سبع أمواج تمرّ، لِتَطرد الأرواح الشّرّيرة التي تَحول دون ذهاب الرّجال إليها. وفي فلسطين، يَستمرّ العرس سبعة أيّام.

عند الفاطميّين.

□ تؤمن الفاطميّة بالأدوار السّبعة، أي أنّه كلّما انتهى دور سبعة أئمّة من أئمّة الدين تلاه دَوْر آخَر لِسَبعة آخرين. نذكر، هنا، أنّ أحد الشُّعراء الفاطميّين بنى بيتين من الشّعر على كلّ كلمة في كلمات البيت الأخير، وفرّع عن يمين هٰذا البيت الأخير وشماله أربعة عشر بيتًا، سبعة أبيات عن يمين، وسبعة أبيات عن شمال، حتّى تتّخذ القصيدة شكل السّبعة. وقد أراد بذٰلك أن يهدي إلى إمامه مثالاً في الشّعر للشّجرة التي ذُكِرَ في القرآن أنّ أصْلها ثابت في الأرض، وفروعها في السّماء.

عند اليزيديّين.

□ يقول اليزيديّون إنّ النَّفس الإنسانيّة

تَتقمَّص باستمرار حتّى يوم الدَّينونة، فالأشرار يَتقمَّصون على شَكْل كلاب، والإنسان العاديّ، إذا كان مُجرِمًا، يَتقمَّص سبع مرّات في سبعة أشكال حيوانات مُختلِفة. ويُضيفون أنّ الله خالِق الكون واحد يَحوطه سبعة ملائكة.

عند البهائيّين.

□ يؤمن البهائيّون أنّ عمليّة الخَلْق تَتمّ على صورة الله، لا بداية لها ولا نهاية، بل تَتجدَّد باستمرار في الخالق. ويَقولون إنّ الإنسان مُسافِر على هٰذه الأرض، وعليه، خلال سَفَره، أن يَجتاز سَبعة أودية: وادي البحث، وادي الحُبّ، وادي المعرفة، وادي الوحدة، وادي الثَّروة، وادي الحيرة، وأخيرًا وادي الفقر المُطلَق والعَدَميّة. ويَعتقد البهائيّون بأنّ الأرض المسكونة تَتألَّف من سبعة أقاليم.

عند الحشّاشين.

□ يؤمن الحشّاشون أنّ الله خَلَقَ سبع سماوات وسبع أراضٍ.

عند الموحّدين (الدُّروز).

□ الدَّعائم التَّوحيديَّة في عقيدة أهْل التَّوحيد (الدُّروز) سبعة: صِدْق اللِّسان، حِفْظ الإخوان، تَرْك عِبادة العَدم والبهتان، البراءة من الأبالسة والطُّغيان، التَّوحيد للباري في كلّ عَصْر وزمان. ويَعتقد المُوحِّدون أنّ العقل الكلّيّ ظَهَرَ في أدوار سبعة من آدم إلى المَهدي عُبَيْد الله، الخليفة الفاطميّ الأوَّل.

عند العرفانيّين.

□ يَعتقد العرفانيّون بالعدد سبعة باعتباره يُمثِّل آخِر الفيوضات أو القوى السَّبعة المُتمثِّلة بالكواكب السَّبعة: عُطارد، الزُّهرة، المرّيخ، المشتري، زُحل، الشَّمس والقمر. وهٰذه الكواكب هي التي تُدبّر العالم، برأيهم، أي تُؤثِّر فيه وتَصنع فيه الحياة والحركة والموت. وقد أشار المعرّي إلى ذٰلك لمّا قال في حكاية قول هٰؤلاء والردّ عليه:

يقولون: صُنْعٌ من كواكب سبعة
وما هو إلّا من زعيم الكواكب[1].

وتُشبه الأرض في الميثولوجيا العرفانيّة النُّقطة الداخليّة القصوى لسجن واسع، وهناك شبه كبير بينها وبين العالَم السُّفليّ لدى الإغريق أو الجحيم المسيحيّة، والأرض محاطة عادة بعدد من الأكوان تدور حول نفس المحور عددها سبعة، مع أنّ بعض المُفكِّرين الغنطوسيّين يرفعون عددها إلى أكثر من ذٰلك. وحكم كُلّ كون من الأكوان أركون شِرّير من بين سبعة أراكنة أشرار (ربط اسم كلّ منها بكوكب من الكواكب السَّبعة) وتنتَظم شؤون الكون الثّامن ـ وهو أبعدها ـ بالنُّجوم الثّابتة، وحَدَّد استبداد الأراكنة القَدَر أو قانون الطَّبيعة[2].

وكما أنّ الأرض بحسب العرفانيّة محاطة بسبعة أكوان كذٰلك روح الإنسان مُغلَّفة بسبعة أغلفة وهي الطِّباع أو الميول التي تُشكِّل النَّفس، والنَّفس مِثلها مِثل الجسد هي من

(١) زعيم الكواكب أي الخالِق.

(٢) ماني والمانويّة - ص ٢١٠.

مخلوقات الأراكنة الذين أضفوا عليها طبيعتهم الشرِّيرة، والروح فقط التي هي الشُّعاع المُقدَّس تحتوي على عناصر نورانيّة أساسيّة وهي لذٰلك نقيّة، ففي الفوضى الواسعة التي سبقت خلق العالَم وقع جزء من الأشعّة النورانيّة في شِراك العالَم المادّيّ، وقد جرى تكوين جسد الإنسان خِصِّيصًا ليُمسِك بهٰذه الإشعاعات ويَمنعها من النَّجاة[١].

وتعتقد الصوفيّة، في رأي الحلاّج، إنّه لكي يُصبح الجسم آلة صالحة للروح يَمرّ في مَراحل سبع، هي السُّلالة والنُّطفة والعَلَقة والمُضغة والعظم واللَّحم والخلق الآخَر كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظامًا فَكَسَونا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[٢].

وكما يَمرّ الجسد في سبع مَراحل لِيَصلُح آلة للروح، كذٰلك يَمرّ الإنسان في سبع مَراحل لِيَصل إلى الغاية في الهداية. وهٰذه المَراحل السبع هي الشَّرائع التي تُهيِّئ الإنسان لِتقبُّل الحقيقة، وهي شريعة آدم وشريعة نوح وشريعة إبراهيم وشريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة مُحمَّد، سلام الله عليهم، ودور القيامة حيث يُصبح المهتدي خلقًا آخَر في التَّوحيد. وكما يَمرّ الإنسان في هٰذه المَراحل السَّبع، يَمرّ السالك أيضًا في مَراحل سبع يُسمّيها المُتصوِّفة بالمقامات[٣]. وهي، كما ذكر أبو نصر السّراج: التَّوبة، والوَرع، والزُّهد، والفَقْر، الصَّبر، التَّوكُّل، والرِّضا. وفي مرور السَّالك في هٰذه المقامات السَّبعة يَتقبَّل في ارتقائه الأحوال من عين الجود فيصل إلى إدراك سِحر الحياة في هٰذا العالَم الكثيف البدو. وكما يَمرّ السّالك في هٰذه المقامات السَّبعة، يَتنقَّل أيضًا في أطوار سبعة هي الطَّبع، والنَّفس، والقلب، والروح، والسِّرّ، والخفيّ والأخفى. وكما يَمرّ في هٰذه الأطوار السَّبعة، يَنتقل المُريد، في تَحقُّقه، كما ذَكَرَت الهندوسيّة، في حالات عرفانيّة سبع أيضًا هي حالة النَّوم العميق، وحالة الحلم، وحالة اليقظة، وحالة الوعي الصافي، وحالة الوعي الكونيّ، وحالة الوعي القدَريّ وحالة الأحديّة:

فاجمع الأجزاء جمعًا ... في جسوم نيِّراتِ
من هواء ثمّ نارٍ ... ثمّ من ماءٍ فراتِ
فازرع الكلّ بأرضٍ ... تربها تربُ مواتِ
وتعاهدها بسقي ... من كؤوسٍ دائراتِ

---

(١) نفس المرجع – ص ٢١١.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ – ١٤.

(٣) في تعريف المقام يقول القشيري: «والمقام ما يَتحقَّق به العبد بمُنازَلته من الآداب ممّا يتوصَّل إليه بنوعٍ تَصرُّف، ويَتحقَّق به بضرب تَطلُّب ومقاسات تَكلُّف. فمقام كل أحد مَوضع إقامته عند ذٰلك وما هو مُشتغِل بالرِّياضة له. وشَرْطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخَر ما لَمْ يَستوفِ أحكام ذٰلك المقام». القشيري، الرسالة القشيريّة.

مـن جـوارٍ سـاقـيـاتٍ
وسـواقٍ جـاريـاتٍ
فـإذا أتـمـمـتَ سـبـعًـا
أنـبـتـتْ كُـلَّ نـبـاتٍ[(١)].

في السّحر.

□ يَتمتَّع السَّبعة بِمقدرة مُطلقَة، ويُعَدّ العدد السِّحريّ الأهمّ في القرون الوُسطَى، وهو الحُلْم الرائع لفيتاغوروس، فمفاتيح السُّلَّم الموسيقيّة سَبعة، والكواكب القديمة سَبعة، وأوتار القيثارة سَبعة، والعصافير السِّحريّة سَبعة: البجعة، البومة، الرُّخّ، اليمامة، اللَّقلاق، النّسر، والهُدْهُد. والسّمكات السِّحريّة سبع: Phoque، lucins، Œlurus، trimallus، mugil، Dauphin، Seiche. والحيوانات السِّحريّة سَبعة: الأسد، الهِرّ، الثّعلب، التّيس، القِرْد، الإبل، والخُلْد. والمَعادن السِّحريّة سبعة: الذَّهب، الفِضَّة، الحديد، القِصدير، الزّئبق، النُّحاس، والرَّصاص. والحجارة الكريمة سَبعة: Carbunculus، cristal، diamant، emeraude، agate، Saphir، onyx. والعَلامات السِّحريّة سَبع: الشَّمس، القمر، المرّيخ، الزُّهَرة، ميركور، جوبيتر، وساتورن. والرُّموز الفَلكيّة - الدينيّة سَبعة: الإيمان تُمثّله الشَّمس / الكبرياء؛ الأمل - القمر / البخل؛ المَحبَّة - فينوس / الفَخامة؛ القُوَّة - مارس / الغضب؛ الحذر - ميركور / الكسل؛ الاعتدال - ساتورن / الجشع؛ العدالة - جوبيتر / الحسد. والرُّموز الملائكيّة - الكواكبيّة سَبعة: الشَّمس ملاك النور، القمر - الأحلام، مارس - الموت، فينوس - الحُبّ، ميركور - الحضارة، جوبيتر - القُوّة، ساتورن - الوَحدة. والملائكة السَّبعة هم: ميخائيل، جبرائيل، صاموئيل، عنائيل، رافائيل، زاخاريال، وأوريفال. والفنون السَّبعة الحرّة سَبعة: النّحو، المَنطق، الخَطابة، الهَندسة، الحِساب، الفَلك، والموسيقى. وهٰذه الفنون هي الكارات السَّبعة، ومن هنا يقال عن إنسان فائق الذَّكاء «مُسبَّع الكارات».

ويقول تراث السِّحر إنّ الذهب الخام يَحتاج في تصنيفه إلى سَبْع طبقات؛ وإنّ الحرف اللاتينيّ السابع (G) يُفسِّر الحكمة والرُّؤيا العليا للمعرفة، وهو بداية الحكمة (God)، (Géométrie)، (Géotie). والجيوسيا هي علم الشَّيطان. وكذٰلك، فإنّ هيئة أركان إبليس في العالَم لها سبعة رؤوس. وجُهنَّم مساحة كبيرة تنقسم إلى سبعة آلاف زَنْزانة يختبئ فيها سَبعة آلاف عقربة. ويشير السِّحر إلى أنّ الشَّياطين يعرفون سَبعة فنون؛ وأنّ العَقْد بين لوسيفوروس، زعيم الشَّياطين، والشَّرّ يَتجدَّد كلّ سَبْعة أعوام. ويُرمَز إلى لوسيفوروس بحيّة ذات سَبْعة رؤوس، فيقول إشعيا النَّبيّ: «في ذٰلك اليوم يُعاقِب الرَّبّ بسيفه القاسي العظيم الشَّديد لوياثان، الحيّة الهاربة، لوياثان الحيّة المُتحوِّية، ويَقتل التّنين الذي في البحر» (٢٧ : ١). ويقول السِّحر إنّ اللَّعنة لا تكون نهائيّة على الإطلاق، بل تَتجدَّد كُلّ سبع سنوات في التاريخ نَفْسه الذي حَلَّت فيه المصيبة.

(١) كتاب الحلاج. د. سامي مكارم - ص ١٣٢- ١٣٣.

وتقول كتب السّحر إنّ القوى الحاكمة بحسب الأعمار سبع: الشّمس - الطفولة، القمر - المُراهَقة، مارس وفينوس - الصِّبا، ميركور - الرُّجولة، جوبيتر - الكهولة، وساتورن - الشّيخوخة. ويقول كتاب السّحر إنّ يشوع بن نون كان ساحرًا، إذ إنّه، في أثناء حِصاره لأسوار أريحا، تقدَّم الشّعب سبعة كهنة يُزمِّرون ويُطبِّلون بِسَبْعة طبول، مُدَّة سبعة أيّام، فطافوا حَوْلَ الأسوار سَبْع مرّات في النهار، وأطلق الشّعب صرخة سحريّة، فَسَقطت الأسوار.

وفي السّحر، يَحمل الخاتم السّحريّ سَبعة خواتم وسَبعة مَعادن كواكبيّة: الشّمس - الذّهب، القمر - الفِضّة، ميركور - الحديد، فينوس - النُّحاس، مارس - القِصدير، جوبيتر - الزّئبق، وساتورن - الرَّصاص. ويَتألّف ورق اللّعب السّحريّ من اثنتين وعِشرين ورقة، هي هيئة الأركان الكبرى، وسِتّ وخمسين ورقة، هيئة الأركان الصُّغرى. وتَنقسم الهيئة الكبرى = (٧ × ٣ + ١)، والواحد هو الثّاني والعشرون ويَعني العدم أو المجنون، فيما تَنقسم الهيئة الصُّغرى = (٧ × ٤ × ٢). والعدد أربعة يرمز إلى الألوان الأربعة، سباتي، ديناري، بستوني، كُبّة، وهي تعبير عن الطّبقات الاجتماعيّة الأربع التي كانت سائدة في القرن الخامس عشر: فالعصا تَرمز إلى الفَلّاحين، والسّيف إلى النُّبلاء، وقطعة الذّهب إلى السُّفراء، والكأس إلى الإكليروس. وتَرمز الورقة السابعة في هيئة الأركان الكبرى إلى النَّصر: (٧ = ٧)، أي الانتصار على الأطباع الأربعة، والغَرائز الأربع، والدَّواليب الأربعة لمصير العَربة المُرَبَّعة، وكلّ مُرَبَّع من الأعمدة الأربعة. فالإنسان يَحمل في يده عصا القيادة ويَحمل على كتفيه مُعَدّات ألوهة تابوت العهد وهي تَعني الربح والانتصار[١].

في البيولوجيا.

□ يَحمل السّبعة أهمّيّة بيولوجيّة، فمَخارج الرّأس سَبعة: العينان، المنخاران، الأُذنان والفم. وفي مصر القديمة، تعويذة يَتلوها الكهنة تقول: «اخرج أيُّها البرد يا ابن البرد، يا من تُهشّم العظم، وتُتلِف الجُمْجُمَة، وتُمرِض مَخارج الرّأس السّبعة، اخرج على الأرض، وفرّ، وفرّ، وفرّ». ويُقال إنّ الإنسان «الناضج» له سبع فُتُحات في القلب. ويَتألّف الإنسان من ٧ × ٩٠ = ٣٦٠ عضلة. وتَتجدَّد الخلايا في الجسم مَرّة كُلّ سَبع سنوات.

ويَقسم السّحر أطباع الإنسان إلى سَبعة كراكتيرات (caracter) كوكبيّة، قياسًا على قسمات الوجه، وهو ما يُعرَف بعلم الفيزيوغنومونيا (Physiognomy). والأطباع هي: شمسيّ (مستدير الوجه - فرح)، فانوسيّ (كامل)، مارسيّ (قاس)، ميركوريّ (جميل)، قمريّ (شاحب)، جوبيتريّ (شريف)، ساتورنيّ (حزين). وتَرمز اللّحية إلى العنف والانتقام، والجبهة العريضة إلى الكسل، والصّغيرة إلى الحماقة. وفي السّحر، أيضًا، يَتألّف جوهر الإنسان المصريّ من سبع قُوًى: (كا) النّفس الإلهيّة، (با) النّفس الرُّوحيّة، (ساهو) النّفس الإنسانيّة، (كايبيت) النّفس الحيوانيّة (تيت)

---

(١) Histoire de la magie. F. Dumas

الجسد الكوكبيّ، (هاتي) القُوَّة والحياة، (كو) الجسد البلاستيكيّ. وفي الهند، القُوَى السَّبع نَفْسها هي: أتما، بودي، ماناس، كامارويا، لينغاشارفيا، جيفا، ورويا[١].

وعند المرأة، تدوم الدَّورة الشَّهريّة، بشكل وسطيّ، ثمانية وعشرين يومًا، وهٰذا العدد يُمثِّل تكرار السَّبعة أربع مرّات. ويَبدأ الجنين بالتَّحرُّك في رَحِم والدته في الأسبوع السابع. وتَستمرّ فترة الحمل الجنينيّ متين وثمانين يومًا أي ٧ × ٤٠. وأحيانًا، تَستمرّ هٰذه الفترة سَبعة أشهر عوضًا عن تسعة؛ وهنا، يقال «أنّ سابع ابن السابع، ابن عنده القَوّة في المُعالَجة والشّفاء، وأنّ سابعة بنت السابعة بنت تَعرف الأحلام وتُفسِّرها تمامًا». وفي هٰذا الإطار، حاوَل الصّينيّون منذ القِدَم معرفة جنس الجنين قَبْلَ ولادته، فكانوا يَقومون بعمليّة حسابيّة لمعرفة ذٰلك السِّرّ، فيَضربون ٧ × ٧، ثمّ يَحسمون من النَّتيجة عمر الأُمّ، ويُضيفون عدد ١٩ مع رقم شهر الحَبَل، فإذا جاءت النَّتيجة مُزدوجة، يكون المولود المُنتظَر صبيًّا، وإذا جاءت مُفرَدة تكون بنتًا.

وفي عِلْم الكيرومانسيا (chiromancie)، أي فنّ اكتشاف الأطباع الإنسانيّة من خلال قراءة شكل اليد، اكتشف الخبراء سبع تلال هي: فينوس، جوبيتر، ساتورن، الشَّمس، ميركور، مارس، والقمر.

ونشير، أيضًا، إلى أنّ أفلاطون أدخل السَّبعة في مُعادَلة الزَّواج، فنصح الشابّ أن يَقسم عدد سني عمره على اثنين، ثُمّ يضيف إلى النَّتيجة العدد سَبعة. بمعنى أوضح، إنّ الشابّ الذي يَبلغ عمره ٣٦ عامًا، تَنسحب عليه، بِحَسب أفلاطون، فتاة تَبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا (٣٦ ÷ ٢ + ٧).

وتقول التَّعاليم التِّيوزوفيّة (thesophy) إنّ الأجسام الباطنيّة التي تُؤلِّف وجود الإنسان سبعة؛ وإنّ الروح انطلقت من عالَم المادّة عَبْرَ سَبْع طبقات، فاكتسبت سَبْع دَرجات من الوعي؛ وإنّ الغُدَد الروحيّة في جِسْم الإنسان سَبْع، والغُدَد الصمّاء سَبْع.

عند الماسونيّين.

□ يَرمز العدد سبعة في الماسونيّة إلى الكمال، ويلعب هٰذا العدد دورًا رمزيًّا مهمًّا في الجمعيّة، فهو يُمثِّل، بحسب فيتاغوروس، الحكمة العذراء على الرُّغم من الخيانة التي يَرتكبها الرِّجال باسمها[٢].

يُعتبر العدد سبعة مُقدَّسًا في الماسونيّة، وهو مُخصَّص للدَّرجة السّابعة التي هي درجة الأستاذ الأعظم، وقد نقلت الماسونيّة هٰذا الرَّمزَ عن جمعيّة ميترا (Mithra) الفارسيّة القديمة. وتشبه احتفالات التَّكريس للدَّرجات الماسونيّة، احتفالات التَّكريس للدَّرجات الميتراويّة المُقابِلة[٣].

وفي الماسونيّة، يتألَّف المحفل الرمزيّ في الدرجة الأولى من سبعة إخوان بينهم ثلاثة أساتذة على الأقل. ويتألّف في الدرجة الثانية من تسعة إخوان بينهم خمسة أساتذة على

---

(١) Ibid - p.116

(٢) La franc-maçonnerie - p.61

(٣) Ibid - p.73

الأقل. ويتألّف في الدرجة الثالثة من تسعة أساتذة لا أقل[١].

يرمز العدد سبعة في الماسونيّة، إلى العدالة. ويصوّره الفنّ الماسونيّ بشكل نجمة لها سبعة فروع داخل المثلّث المركزيّ الذي يزيّن الرداء الأحمر في الماسونيّة الإسكتلنديّة[٢].

وتقول تعاليم الماسونيّة الإسكتلنديّة إنّ من يترقّى إلى الدرجة التاسعة والعشرين يتعلّم سرّ العلاقة بين الملائكة والكواكب السبعة: ميخائيل (ساتورن)، جبرائيل (جوبيتر)، أورِيال (مارس)، زيراخيال (الشمس)، شاماليال (فينوس)، رافائيل (ميركور)، وتسافائيل (القمر)[٣].

أخذت الماسونيّة هٰذه التعاليم عن الحضارة المصريّة القديمة: رمغا (ساتورن)؛ بي - رع (الشمس)؛ بي - يوه (القمر)؛ إرتوسي (مارس)؛ بي - هرمز (ميركور)؛ بي - زيوس (جوبيتر)؛ وسيروث (فينوس)[٤].

وفي موضوع اللّباس يرتدي الأستاذ الأعظم مئزرًا من الحرير البنفسجيّ طولُه ١٤ قيراطًا وعرضهُ ١٦ قيراطًا وهو من جلد الحمل (الخروف) الأبيض مبطّن بالحرير الأزرق وعلى دوائره شريط بنفسجيّ مطرّز بالذهب وفي أركانه الأربعة رسم الرمان والنبق وغصن قمح بسبعة سنابل والحواشي مدلاّة بسجف من القصب المذهّب وفي الوسط رسم عين محاطة بشعاع من القصب مذهّب[٥].

أمّا وكيل الأستاذ الأعظم فلباسه الماسونيّ مثل لبس الأستاذ الأعظم ما عدا ياقة الجواهر. وأمّا العين التي داخل المثلّث بشعاع في الوشاح فتبدل بنجمة بسبعة رؤوس وكذٰلك المئزر مثل مئزر الأستاذ الأعظم ولٰكن النجمة بدل العين وكذٰلك في الأكمام[٦].

وفي الميثولوجيا الجرمانيّة كانت السّبعة عند قبائل التيوتون علامة الكمال، فهي عدد القضاة الكامل في بعض القضايا والشُّهود فيها. وكانوا يجيزون لمن له طول سبعة أقدام من أمامه وسبعة من ورائه من العقار بشهود الجلسات في المحاكم. وكانت الضَّريبة الدينيَّة ٧ بنسات والضَّريبة المدنيّة (الزَّمنيّة) ثلاثة، وكانوا يعقدون أسواطهم سبعًا، وكانت سبع سنين كافية لتعيين الحدود. وكانوا يعبّرون عن هٰذا الرقم هٰكذا ٤ + ٣[٧].

قَوْسُ قَزَحَ.

▫ يَتألّف قَوْسُ قَزَحَ من سَبْعة ألوان: بنفسجيّ، نيلي، أزرق، أخضر، أصفر، ليمونيّ، وأحمر.

وفي الكونيّة، عقود العمر سَبعة، والبحور سَبعة، وبنات نَعْش - برج كان الرُّعيان يهتدون به - سَبعة، والكواكب السَّيّارة سَبعة. وحول

(١) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ٣٢.

(٢) Le symbolisme des nombres - p.226

(٣) Ibid

(٤) Ibid - p.227

(٥) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ٢١.

(٦) نفس المصدر - ص ٢٣.

(٧) تاريخ الماسونيّة القديمة وآثارها - ص ١٢٦-١٢٧

الكواكب السّبعة، أو الثُّريّا، جاء في الميثولوجيا الأوستراليّة، على لسان روبرت هاملتون، حَوْلَ أصْل النار قوله: إنّ فتاة اسمها الوطني مون - مون - ديك تمكّنت، بطريقة أو بأخرى، أن تَملك النار، فاحتفظت بها على طَرَف عصاها من خَشَب اليام - وهي عصًا طولها خَمْس أقدام تَصلّب طَرَفُها الحادّ بفعل النار وتُستخدَم في اقتلاع الجذور - وكانت الفتاة تَقدح النار على هواها ولكنّ أحدًا لم يَستطع إقناعها بأن تُشاطِر الآخرين بفوائدها. فَذَهَبت كُلّ المُحاوَلات للتّغلّب على عنادها بالقوّة أو بالدّهاء أدراج الرياح. عندها أرسل بونجيل ابنه لمُساعَدة بني البشر. وحين لم يَتمكّن الابن من إقناع الفتاة بأن تَخضع عن طيب خاطر لَجأ إلى الحيلة للوصول إلى مُبتغاه. وبعدما دَفَنَ أفعًى سامّة في وَكْر كبير للنّمل رجا الفتاة أن تأتي للبحث عن بيوض النّمل التي كانت قطعًا حقيقيّة من الحلوى. وقد نَبشت الأفعى، بطبيعة الحال، فصاح تارّانغ: «اضربيها، اضربيها»! فلمّا ضربتها بعصاها من اليام انبثقت منها النار فأمسك بها تارّانغ وقَدّمها لبني الإنسان. ومن أجل أن يَمنع الفتاة من أن تستعيد احتكارها، قام بنقلها إلى مكان في السّماء حيث أصبحت «كوكبة النّجوم السّبعة»، أو الثُّريّا، ولا تَزال تُرى هناك حتّى الآن.

وفي إيطاليا، بُنيت العاصمة روما على سَبع تِلال. ويَبلغ عدد الجُزر الإيونيّة في البحر الأبيض المُتوسّط سبعًا. وتطفو اليابان على سَبعة وسبعين بركانًا ثائرًا. وفي العام ١٥٩٧، فهرس العالم الفلكيّ الدانمركيّ ٧٧٧ نجمة في السّماء.

المُستقرَضات.

□ «في شَهر شباط - بحسب البيروني -، تقع أيّام العَجوزِ وأَوّلُها اليومُ السادس والعشرون منه وهي سبعةٌ متواليةٌ فإذا كانت السّنةُ كبيسةً كان أربعةُ أيّام منها من شباط وثلاثة من آذار، وإذا لم تكن كبيسةً فثلاثة من شباط وأربعة من آذار، ولها عند العرب أسماء فأوّلها الصّنُّ وهو شِدَّةُ البَرْد، والثاني الصَّنْبرُ وهو الذي يَتْرُكُ الأشياءَ كالصَّنْبَرَة وهي ما غَلُظَ وخَثُرَ وقد يكون النونُ زيادةً كما قالوا في جمع البَلْصُوص بَلَنْصَى، والثّالثُ أُخوهنّ الوَبْر لأنّه وَبَرَ آثار هٰذه الأيّام أي قَصّها، والرّابع الآمِرُ يَأمُرُ الناس بالحَذَر منه، والخامس المُؤْتَمِرُ أي إنّه يأتَمِرُ بأذى النّاس، والسّادس المُعلِّلُ يَعنون به أنّه عَلّل الناس بشَيْء من تخفيفه، والسّابع مُطفِيْ الجَمْر وهو أشدُّها كان فيه يَنْطفئ الجَمْرُ، ويقال له أيضًا مُكْفِئ القِدْر يعنون من شدّة ريحه الباردة وقد نظم هٰذه الأسماء أحدُ الشُعراء فقال:

كُسِعَ الشّتاءُ بِسَبعَةٍ غُبْرِ
أيّامِ شَهْلَتِنا مِن الشَّهْرِ
فإذا انْقَضَتْ أيّامُ شَهْلَتِنا
بالصِّنّ والصَّنْبَرِ والوَبْرِ
بآمِرٍ وأخِيهِ مُؤْتَمِرٍ
ومُعَلِّلٍ وبِمُطْفِيْ الجَمْرِ
فهُناكَ وَلّى البَرْدُ مُنْسَلِخًا
وأَتَتْكَ وامِدَةٌ مِن البَحْرِ.

وقد يُسمّى السّادسُ شَيْبانَ والسّابعُ مِلْحانَ. وهٰذه الأيّام لا تَكاد تَخْلو من بَرْد ورياح وكُدورة وتَلَوّنٍ في الهواء، بل البَرْدُ يَشْتدّ فيها

في الأكثر لانصرافه، وبه سُمّيت الصَّرْفَةُ لأنّ سقوطَها قريب منها، ولا يَتعَجّبَنَّ مُتعجِّبٌ من قُوَّة البرد عند آخِره واهتياجِه عند انصرافه فإنّ ذٰلك للحَرّ مثلُه كما سَنذْكُرُ، ويُوجَدُ أمثالُه في الطَّبيعيّات المعتادةِ كالسِّراج، فإنّه إذا قَرُبَتْ من الانطفاء العارِض لها من فَناء مادّةِ الدُّهْنِ، تَوَقَّدَ واشتَدَّ ضَوْءُها دَفَعاتٍ مُتواليات شبيهةً بالاختلاجِ، وكالأعْلال وخاصّةً من يَفْنَى منهم بِدَقٍّ أو سِلٍّ أو بَطَنٍ أو أمْثالِ ذٰلك، فإنّهم يَقْوَون بالقُرب من مَوْتِهم قُوَّةً ويَرْجُوهم من لا يكون له معرفة بهٰذه الأحوال عندها، ويَيأسُ منهم من جَرَّبها. ورأيتُ ليعقوب ابن اسحق الكِنْديّ مقالة في عِلّة هٰذا الحادث في هٰذه الأيّام وجُمْلَةُ ما اعْتَلَّ به هو بلوغُ الشَّمس تربيعَ أَوْجها وهو موضع التَّغيُّر وتأثيرُ الشَّمس في الهواء أكثرُ من غيره، فَيجِبُ أنْ يَتناسَبَ التَّغيُّرُ العارضُ لها في فَلَكها والتَّغيُّرُ الحادث في الهواء لها، وأنَّ ذٰلك التَّأثيرَ ثابت في أكثر الأحوال مُدَّةَ كَوْنِ القمرِ في الرُّبع الذي اتَّفَقَ فيه أوّلُه والرُّبع من الشَّمس الذي اتّفق فيه. وسَمِعتُ أنّ عبد الله بن عليّ الحاسب بخارا لمّا وَقَفَ على رسالة الكنديّ هٰذه سَيَّرَ تلك الأيّام ونَقَلها على حَسَبِ ما اقتضَته حركةُ الأوْج فَسُمِّيَتْ أيّامَ عَجوزِ عبدِ الله قلم وأنّه ما كاد يُخطِئ فيها وفي التَّأثير القويّ يُظْهِرُه، وإنّما سُمّيت هٰذه الأيّامُ بأيّام العجوز على ما حكاه القدماء لأنّها هي التي ذَكَرَها الله في كتابه سَبْعَ لَيالٍ وثمانية أيّام حُسُومًا، وأنّ عادًا هَلَكُوا بريحها الصَّرْصَرِ وأعاصيرِها وأهوالِها فَبَقِيَتْ من جملتهم عجوز تَرْثيهم وتَنُوحُ عليهم وأخبارُها مشهورة. قالوا فلذٰلك سمّيت أيّامَ العجوز وذَكروا أنّ الريح التي أهلكتهم كانت دبورًا. قال رسول الله: (ص) «نُصِرْتُ بالصَّبا يعني يومَ الخَنْدَق وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبور». وقال الشاعر:

أهْـلَـكَـتِ الـدَّبُـورُ حِـبـالَ عـادٍ
فـبـادُوا كـالـجُذُوعِ مُـطَرَّحِـيـنـا.

وقالوا إنّ الأيّامَ النَّحِسات المذكورة في القرآن الكريم كلُّ أربع تُوافقُ من الشَّهر يومًا مُوافِقًا لأربعة كأربع خَلَوْن أو بَقِين وأربع عشرة خَلَتْ أو بقيت وأربع وعشرين خلت أو بقيت. وزعم البعض أنّ ذٰلك لأنّ عجوزًا رَأَت الحرّ فطَرَحَت المِحْشأ عنها ماتت في بَرْدِ هٰذه الأيّام. وزعم بعضُ العرب أنَّ أيّام العجوز سُمِّيَتْ بهٰذا الاسم لأنّها عَجُزُ الشِّتاء أي آخِرُه، وقد يُوجَدُ للأيّام الخمسة المُسْتَرَقة التي بين آبان ماه وآذر ماه أسْماءٌ عند العرب كأسماء أيّام العجوز: فالأوّل الهنبر، والثّاني الهنزبر، ومعناها الأذَى بالبرد، والثّالث قالبُ الفِهْر أي من شدّة الريح، والرّابع حالق الظُّفر يعنون أنّ الرّيح تَشتدّ حتّى تحْلِق الظُّفْرَ مَثَلًا، والخامس مُدَحْرِج البَعْر يعنون في الصَّحاري حتّى يَلَغَ المنازلَ من شدّة الريح. قال القائلُ يَنْظِمُها:

أوَّلُـهـا الـهِـنَّـبْـرُ يـومٌ فـارط
وبَـعْـدَه الـهِـنْـزَبْـرُ يـأتـي خـابِـط
يَـخْـبِـطُـه حـتّـى يَـجـيءَ الـقـاسـط
وقـالِـبُ الـفِـهْـرِ يُـسَـمَّـى حَـقًّـا
وحـالـق الـظُّـفْـر الـمُـبِـيـنُ الـحَـلْـقـا
يَـفْـلِـقُ بـالـبَـرْدِ الـصُّـخُـورَ فَـلْـقـا
وبَـعْـدَهـا آخِـرُهُـنَّ الـخـامِـس
مُدَحْرِجُ البَعْرِ العَضُوضُ اللاحِس

وما له فيما يُسَمَّى سادِس[1].

البَواحير.

□ «يَبدأ في الثامن عشر من تموّز - بحسب البيروني - هُبوبِ الرياح الحَوليّة عند ابرخس وهو أوّل أيّام الباحور باطْباقِ مِمَّن ذكرها من أهل البحر والفلّاحين ومن جَرَى لهم التجاربُ وذٰلك أنّها سبعةُ أيّام مُتواليةِ آخِرُها الرّابع والعشرون من الشّهر. ويَسْتدلّون بكلّ يوم منها على شُهور الخريف والشّتاء وبعض الرّبيع من تَغيُّراتٍ، ويكونُ أكثرُ ظهورِها في العَشِيّات والأسْحار. وزعموا أنّها للسَّنَة كأيّام البُحْران في الأمراض الحادّةِ فيها يَظْهَرُ دلائلُها والبشارة والإنذارُ في العواقب من حوادثِ أحوالِها. واسمُ الباحور والبُحْران مُشتقّ في اللُّغة اليونانيّة والسُّريانيّة من حُكْم الحُكّام. وقيل إنّ البُحْران مُشتَق من البَحر لأنّ بحران المريض شبيه بالهَيْج العارض في البحر المُسمّى مَدًّا وجَزْرًا، وهو قريب لأنّ العلّة في كليهما حركات القمر وأدواره وأشكاله. أمّا في دَوْرَةِ اللّيلِ كالمَدِّ يُوجَدُ أوّلُه عند بلوغ القمر شَرقَه وغَرْبَه من الأُفُق وكالجَزر يُوجَد أوَّله عند بلُوغه فَلَكَ نصفِ النّهار واللّيلِ. وأمّا في دَوْرة له إمّا من نُقْطَة اليها بعينها وإمّا من الشّمس إليها، فقد تُوجَدُ المدودُ في النّصف الأوّل من الشّهر القمريّ أقْوَى، وفي الثّاني أضعف، وكذٰلك يُوجَد للشّمس في ذٰلك فِعلٌ. والعَجَبُ مِمّا يُحكَى عن بحر المغرب أنّه يَمُدُّ من ناحية الأندلس عند كلّ مَغيبٍ للشّمس فيَنْقُصُ زُهاءَ خمسةِ فراسخ أو ستّةٍ في قَدْرِ ساعة، ثمّ يَجْزُر ولا يُخالِفُ ذٰلك الوقتَ. قالوا فإنْ كان عِشاء اليوم الثّامن عشر غَيْمٌ في الآفاق فإنّك تَرَى بردًا ومطرًا في رأس تشرين الأوّل، وإنْ كان مثلُ ذٰلك في نصف اللّيل كان البردُ والمطر في نصف الشّهر، وإنْ كان في وَجْهِ الصُّبْح كان في آخِرِ الشّهر، وكذٰلك الأمر في الأيّام إلّا أنّ التغيّر فيها بالليل أظْهَرُ وحَيْثُ تَراه من الجوانب الأربع كان ذٰلك فيه، وليالي الأيّام محسوبة بعد أيّامها ولأجْلِه ظَنَّ مَنْ يُقَدِّم الليالي على الأيّام أنّ ليلة اليوم الثّامن عشر هي التّاسع عشر فجَعَلَ أوّلَ البواحير من اليوم التّاسع عشر وآخِرَها اليومَ الخامس والعشرين فاليوم الأوّلُ من هٰذه الأيّام السَّبعة دَليلٌ على تشرين الأوّل، والثّاني على الثّاني، والثّالثُ على كانون الأوّل، وكذٰلك إلى أن يكون السّابعُ دليلًا على نيسان. وقد ذكر أصحابُ التّجارب أنّه إذا تُقُدِّمَ قَبْلَ ذٰلك فعُمِدَ إلى لَوْحٍ وزُرِعَ عليه من كُلّ زَرْعٍ ونَباتٍ حتّى إذا كانت اللّيلةُ الخامسة والعشرون من تمّوز وهي آخِرُها وُضِعَ اللوحُ بارزًا لِطلوعِ الكواكب وغروبها بحيثُ لا يَحول بينه وبين السّماء شيءٌ فإنّ كلَّ ما يَزْكُو في تلك السَّنة من الزُّروع يُصْبِحُ أصْفَرَ وما لا يَصْلُحُ رَيْعُه منها يَبْقَى أخْضَرَ. وكذٰلك كان القبط تَفْعَلُ ذٰلك، وقد أكْثَرَ أصحابُ التّجارب من الاحتيالات لتَقْدِمَة المعرفة بأحْوالِ السَّنة من هٰذه الأيّام حتّى خرجوا إلى جنس العزائم والرُّقيّ، فزعم بعضُهم أنّه إذا عُمِدَ إلى أوْرَاقِ إثنتي عشرة من شَجَرِ الزّيتون وكُتِبَ على كلّ وَرَقَةٍ اسمُ شهر من شهور السُّريانيّين ثمّ وُضِعَتْ في هٰذه اللّيلة المذكورة في موضع

(1) الآثار الباقية - ص ٢٥٤ إلى ٢٥٦.

نَدِيٌّ فما جَفَّ منها تلك اللَّيلة لم يكن في الشَّهر الذي كُتِبَ عليها مَطَرٌ وزَعَمَ بعضُهم أنْ فيها يُوقَفُ على كَثْرَةِ أمْطار السَّنة وقِلَّتها بأنْ يُنْظَرُ موضعٌ مُسْتوٍ ليس حوله شيء يَمْنَعُه عن وصول النَّدى والريح والطَّلّ اليه ثمّ يُؤخَذُ قَدْرُ ذِراعَيْن من ثَوْبِ كَتّان فيوزَنُ ويُحْفَظُ مقدارُ وَزْنه ثمّ يُبْسَطُ على ذٰلك الموضع ويُتْرَكُ فيه من أوّل اللَّيل إلى أربع ساعات منه فإذا تَمَّتْ وُزِنَ ثانيةً فما زاد فيه فكلُّ زِنَةِ مثقال يَزيدُه الوَزْنُ الثّاني على الأوّل هو يوم مَطير في الشَّهر المنسوب إلى ذٰلك اليوم كما قدّمتُ ذِكْرَه، وهٰذه الأيّامُ أعني أيّام البواحير هي مرسومة بطلوع كَلْبِ الجَبّارِ وهو الشِّعري اليمانيةُ العَبُورُ. وقد نَهَى بُقْرِطُ في كتاب الفصول عن تَناوُلِ الأدْوية الحارّة والفَصْدِ حوالَى طلوعها في زمانه بعشرين يومًا مُتقدِّمةً وعشرين أُخَرَ مُتأخِّرة لأنّ ذٰلك زمانُ اشتدادِ القَيْظِ وانتهاء الحَرّ مُنتهاه، والصَّيفُ نَفْسُه مُسَخِّنٌ مُحَلِّلٌ مُخرِجٌ للرُّطوبات. وما نهى عنه بقراط في إقلالها فإذا جاء الخريف ببرودته ويُبْسِه لم يُؤمَن فيه انطفاءُ الحَرارة الغريزيّة. وقد ظنّ قوم ممّن لم تكن لهم دُرْبَةٌ بالعلوم الطَّبيعيّة ولا بَصَرٌ بالأحوال العُلْويّة أنّ التّأثير المذكور منسوب إلى جِرْم هذا الكوكب وطلوعِه مع انتقاله وحتّى أَوْهَمُوا فيه وقالوا إنّه لِعظَم جِرْمه يَسْخُن الهواءُ فنَحْتاجُ إلى أنْ نُشير ونُعَرِّفَ موضعَه ونُحقِّقَ عليه وقتَ طلوعه كما قال أبو نؤاس:

مَضَى أيْلُولُ وارْتَفَعَ
وأخْبَتْ نارَها الشِّعْريّ العَبُورُ

فزعم عليّ بن عليّ الكاتب النَّصرانيّ لأجْلِ ذٰلك أنّ أوّلَ البواحير اليوم الثّاني والعشرون من تمّوز إشارةً إلى أنّها نُقِلَتْ بانتقال الكوكب وهو أعني الشِّعري دائرٌ طُولَ السَّنةِ في مَدارٍ واحد مُوازٍ لمعدّلِ النَّهار. وإنّما أراد بُقراطُ بذٰلك الوقت صميمَ الصَّيف، واشتدادَ الحرّ بقُرْب الشّمس من سَمْتِ الرُّؤوس مع ابتدائها في الانحدار في الفَلَكِ الخارج المركزِ عن الأوْج وكان ذٰلك في زمانه مُوافِقًا لطلوع الشِّعري فأطْلَقَ القولَ به عِلْمًا منه أنّ حقيقةَ الحال لا تَخْفَى على من ارتاضَ بالعلوم. فلَوْ أنّ كوكب الشِّعري تَحرَّكَ حتّى بَلَغَ رأسَ الجَدْي أو الحَمَلِ لما انتقَلَ معها الزّمانَ المَنْهِيّ فيه عن تَناوُلِ الأدْوية. وذكر سِنانٌ في كتاب الأنْواء أنّ للرُّعاة خاصّة سبعةَ أيّام مَعدودةٍ من أوّل تمّوز تَجْري مَجْرَى أيّام الباحور في الاستدلال بها على أحوالِ شهرٍ من شهور الشّتاء وتُعْرَفُ ببَواحيرِ الرُّعاةِ ويَقَعُ فيها أحوالُ الهواء مُبايِنةً لِما قبلَها وبعدَها ولَطْخٌ مِنْ غَيْمٍ لا تكادُ تَخْلُو منه كلُّها أو بعضُها، وفي التّاسع عشر دبور أو حرّ عند القبط، وفيه تَشْتدُّ كِلابُ البَحْر ويَعْظُمُ ضَرَرُها وفي العشرين دبورا أو ما يُشْبِهُه عند القبط. وذَكَرَ أصحاب التَّجارب أنّ فيه يَكْثُرُ الرَّمَدُ، وفي الحادي والعشرين تَهُبُّ الرِّياحُ الحوليّة عند اوقطيمن وابتداءُ الحرّ عند ابرخس ودبور وحرّ عند القبط، وفي الثّالث والعشرين هواء شاتٍ في البحر ورياح عند فيلفس ومطروذورس وابتداء الرِّياح الحوليّة عند القبط، وفيه ابتدأ أبو جعفر المنصورُ ببناء مدينة السَّلام وهي التي تُسمَّى مدينة المنصور في الجانب الغربيّ من دجلة ببغداد، وذٰلك في سنة ألف وأربع وسبعين للإسكندر. وأصحابُ

أحكام النُّجوم يَحْتاجون إلى معرفة أمثال هٰذا الوقت والتاريخ بمعرفة التَّحاويل والانتهاءات والأدوار والتَّسْييرات من لَدُنه حتّى يَسْتنبطوا الحُكْمَ لأهْلها وكان نَوْبَخْتُ تَوَلّى اختيارَ الوقت واتَّفَقَتْ هيئةُ الفَلَك التي يَتَشكَّلُ بها ومَواقِعُ الكواكب[1]».

عِنْدَ الحَيوان.

□ تَحضن النَّعامة بيضها سَبعة أيّام؛ والحَمامة أربعة عشر يومًا، مُضاعَف السَّبعة؛ ويَحضن القاوند، وهو طير يعيش على ساحل المُتوسِّط، بيضه سَبعة أيّام، ثمّ تَخرج فراخه فيزقّها سَبعة أيّام.

في لبنان.

□ في التُّراث اللُّبنانيّ أنّ البيت القرويّ غدا مثال البيت الثابت، وكان يَرتكز على سبعة أعمدة: ثلاثة من كلّ جهة، وعمود كبير في الوَسَط يكون الرَّكيزة الأصليّة، تَستند إليه الجوائز المُتقابلة. ويَنتشر ذِكْر هٰذا البيت المثاليّ المُسبَّع الأعمدة بانتشار البناء اللُّبنانيّ في الأقطار المُجاوِرة حتّى يصبح من الاستعارات الشِّعريّة والصُّور البيانيّة.

في الحرب.

□ في ١٩٣٧/٧/٧، أطلقت الكتيبة ٣٧ في الفيلق التّاسع عشر في الجيش الصِّينيّ النار على كتيبة من الجنود اليابانيّين، ما تَسبَّب باندلاع الحرب الصينيّة - اليابانيّة. وسُمّي هٰذا الحادث بـ «تاريخ السَّبعات الثّلاث».

وبين ١٧٥٦ و١٧٦٣ اندلعت حرب بين إنكلترا وبروسيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى، عُرفت في التاريخ بـ «حرب السَّنوات السَّبع».

في الاقتصاد.

□ تَنادَت الدُّوَل الصِّناعيّة الكبرى في العالَم الغربيّ، وأنشأت تَجمُّعًا باسم «تجمُّع السَّبعة الكبار» يَضمّ الولايات المُتَّحدة الأميركيّة، كندا، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا الغربيّة، إيطاليا، واليابان.

وفي المُقابل، عُقِدَت في باريس في ١٤ تمّوز ١٩٨٩ أوّل قمّة لأفقر سبع دول في العالَم، برعاية عدد من المُؤسَّسات التنمويّة غير الحكوميّة، تحت اسم «الدُّول السَّبْع الأكثر فقرًا» وهي: بنغلادش، البرازيل، بوركينافاسو، هايتي، الفيليبّين، الموزامبيق، وزائير.

في الرِّياضة.

□ في كرة القدم، يَلعب الفريق الذي يتأهَّل إلى الدَّوْر النِّهائيّ في إطار مُبارَيات (الموندیال) سَبع مُبارَيات: ثلاث في الدَّوْر الأوَّل، مُباراة في الدَّوْر الثاني، مُباراة في الدَّور ربع النِّهائيّ، مُباراة في نصف النِّهائيّ، ومُباراة في النِّهائيّ.

في المَسرح.

□ كَتَبَ سوفوكليس أكثر من مئة وعشرين مسرحيّة، لم يَبْقَ منها إلّا سبع هي: «أجاكس» وتدور حَوْلَ موضوع موته، «أنتيغوني» وتُعالِج الصِّراع بين قوانين الحكومة والدين، «أوديب

(١) الآثار الباقية - ص ٢٦٧ إلى ٢٧٠.

ملكًا» وسمّاها أرسطو التراجيديا الكاملة، «أوديب في كولون» وتدور حَوْلَ موت أوديب، «الكترا» وتُعالِج الكراهية بين الفتاة والأمّ، «فيلوكتيت» وتدور حَوْلَ استدراج فيلوكتيت للانضمام إلى اليونانيّين في طروادة، و«التراخينات» وتدور حَوْلَ موت هرقل.

في الشِّعر.

▫ صَدر ديوان للشّاعر الإغريقيّ أخيل بعنوان «السَّبعة ضدّ طيبة»؛ وديوان للشّاعر الفارسيّ نظامي بعنوان «الأميرات السَّبع» يحكي فيه عن سَبعة قصور، كلّ قَصْر له لون أحد الكواكب السَّبعة، وتعيش أميرة في كلّ قصر؛ وديوان للشّاعر الفرنسيّ بول إليوار (Paul Eluard) بعنوان «قصائد الحُبّ السَّبع في الحرب»؛ وديوان للشّاعرة المصريّة وفاء وجدي بعنوان: بيسان والأبواب السَّبعة. ويقول رينه شار (René char) عن القصيدة «إنّ لها جزمة بطول سَبعة فراسخ».

في الرِّواية.

▫ في الرِّواية العربيّة، صَدر لجهيمان العتبي «الرَّسائل السَّبع»، والعتبي هو الذي قاد إحدى الفرق الدينيّة لاحتلال الحَرَم الشَّريف في كانون الأوّل ١٩٧٩. وكتب ميلاد حنّا «الأعمدة السَّبعة للشَّخصيّة المصريّة».

وفي الفرنسيّة، صَدر كتاب «الكلمات السَّبع للسَّيِّد المسيح على الصَّليب» للكاتب رينيه باجو؛ و«سَبْع نساء في التيبت» للكاتبة ماري جول دو بونشفيل.

وفي الإنكليزيّة، صدر «المَنزل ذو الصَّنَوْبرات السَّبع» لتنايل هاوتورن؛ و«الخَطايا الرَّئيسة السَّبع للندن» لتوماس ديكر؛ و«أعمدة الحكمة السَّبعة» لتوماس لورنس؛ و«ليلة القمر السابع» لفكتوريا هولت.

في الموسيقى.

▫ صَدر لفكتور سَحّاب كتاب بعنوان «السَّبعة الكبار في الموسيقى العربيّة» وهم، بحسب الكاتب: مُحمَّد عبد الوهّاب، رياض السُّنباطي، مُحمَّد القصبجي، زكريّا أحمد، سيِّد درويش، أم كلثوم، وأسمهان.

في الصَّحافة.

▫ في تونس، صدَرت مجلّة ثقافية فكريّة شهريّة تَحمل اسم «السابع من تشرين الثاني - نوفمبر». ويعود مَصدر هٰذا الاسم إلى التاريخ الذي تَسلّم فيه الرَّئيس التونسيّ زين العابدين بن عليّ الرِّئاسة في السابع من تشرين الثاني ١٩٨٧.

في الأدب.

▫ قال الرِّوائيّ الاسبانيّ كاميلو خوسيه سيلا، الحائز على جائزة نوبل للآداب لسنة ١٩٨٩، إنّه كان يحلم بالجائزة وهو في السابعة من عمره، عندما بدأ كتابة أوّل أشعاره.

وفي نهاية حياة تولستوي (Tolstoi)، استمرّ هذيان الموت يقارع الأديب الروسيّ سبعة أيّام، إلى أن مات صباح ٧/١١/١٩٤٥ في مَحطّة استابوفو.

في المُقاوَمة الفكريّة.

▫ في الصّين، أسَّست الثَّورة الثَّقافيّة الماويّة

مَدارس لإعداد الإدارة الحزبيّة في مُختلِف الأقاليم، تُسمَّى مدارس ٧ أيّار.

وفي تشيكوسلوفاكيا، تألّفت «الشُّرعة ٧٧» من جَماعة من المُفكّرين والمُثقّفين المُناهِضين للشُّيوعيّة، تجمّعوا في العام ١٩٧٧ وأعلنوا الثَّورة الصامتة على كلّ المُمارَسات القمعيّة والتّجاوُزات التي شَملت أبسط حقوق الانسان.

في اللُّغة.

□ يَبلغ عدد الحروف اللاتينيّة الصائتة سَبعة. وتُعتبَر اللُّغات القديمة الأساسيّة سبع: عربيّ، عبرانيّ، سريانيّ، يونانيّ، هنديّ، رومانيّ، وفارسيّ. وتَبلغ الصُّفوف الابتدائيّة في المَدارس سَبعة، والصُّفوف في المرحلتين التّكميليّة والثانويّة سَبعة.

في الأمثال.

□ يقول مثل عاميّ: يَنام على سَبع خرزات من ظهره، أي إنّه ينام نومًا عميقًا.

في الرّسم.

□ رَسَمَ ميكال أنج (Michael Ange) جداريّات كنيسة سكستين (Sixtine) في إيطاليا في سَبع سنوات. ويُلقّب الفنّان «مارك شاغال» بالرّسام ذي الأصابع السَّبع.

في التّلفزيون.

□ بثّت القناة الفرنسيّة الخامسة برنامجًا تلفزيونيًّا بعنوان «سبعة على سبعة».

في السِّينما.

□ يُطلَق على السينما «الفنّ السابع». وقد صوّرت السينما أفلامًا عديدة تحمل في عناوينها السَّبعة، من بينها: «الساموراي السَّبعة»، «القراصنة السَّبعة»، «سبع سنوات من التّعاسة» من بطولة ماكس لِندر. وصَوَّر إنغمار برغمان فيلم «الخاتم السّابع» وأخرج كارل شولتز فيلم «العلامة السّابعة».

في البارابسيكولوجيا.

□ تقول البارابسيكولوجيا إنّ الحروف تَنقسم أربعة أقسام، كلّ قسم من سبعة حروف: طَبْع اليبوسة والحرارة ا ه ط م ف ش ذ وهو طَبْع النار، طَبْع البرودة واليبوسة ب و ي ن ص ت ض وهو طَبْع الأرض، طَبْع الحرارة والرُّطوبة ج ز ك س ق ث ظ وهو طَبْع الهواء، وطَبْع البرودة والرُّطوبة د ح ل ع ر خ غ وهو طَبْع الماء.

وتَعتقد البارابسيكولوجيا بإصابة العين. ولكي يشفى من إصابته، على المصاب أن يَسكب سَبْع رصاصات، فيزول المرض حالاً.

وتَصف البارابسيكولوجيا العاج دواءً، فيُؤخَذ منه سَبعة دراهم على سَبعة أيّام فهو نافع جدًّا، وإذا شربته امرأة عاقِر فهي تَحبل، وإذا وُضِعَ على الجُرْح فهو يَختم.

وإذا كانت زوجتك تبغضك، اكتب لها أسماء القمر في سَبع حبّات من التّمر أو التين وقدّمها لها، فإنّها تُحبّك بعد أن تَعمل لها حجابًا كُتبت فيه سورة يوسف بالزّعفران.

وتقول البارابسيكولوجيا إنّ الأسماء السُّريانيّة سبعة: للطهطهطيل، مهطيل، قهطيطيل،

فهطيطيل، نهطططيل، جهلططيل، ولحهطططيل.
فإذا أردت إحضار امرأة لمُضاجَعتها، اكتب الاسم السّابع يوم الجمعة واعطه للطالب يَحمله واكتب الأسماء السّتّة على شيء حلو، فإنّك تحصل عليها. وإذا أردت فصل الرَّجل عن المرأة فَخُذ خيط حرير من سبعة ألوان وافتلها خيطًا واحدًا ثمّ اجلس يوم السّبت والقمر ناقص النور في برج الجدي واعقد في الخيط سَبْع عُقَد وقل الأسماء سبع مرّات على كلّ عقدة، ثمّ اجعله في حَلزونة واختم عليها بزفت وادفنها في قبر لا يُزار. وفي سبعة أيّام يَحصل الطّلاق.

السّبعة ضدّ طيبة

□ تُخبر الميثولوجيا اليونانيّة عن «السّبعة ضدّ طيبة» وهي حرب للإطاحة بأثيوكليس. رَفَض أثيوكليس أن يُقدِّم عَرْش طيبة لأخيه بولينيس بحسب الاتّفاق الذي يَقضي بالتّناوُب السّنويّ، فذهب بولينيس إلى أرغوس، فجَمَعَ بمُساعَدة أدراستوس جيشًا يُؤيِّده في قضيّته ضدّ اثيوكليس، في قيادة سَبعة هم: أفمياروس، كابانيوس، هيبوميدون، بارتينوبيوس، تيديوس، بولينيس، وأدراتوس. وجاءت النّتيجة بأنّ كلّ أخ قَتَلَ أخاه، فنتهت الحرب بمَقتل الأخوين، ومن السّبعة لم يَبْقَ حيًّا في هٰذه الحرب سوى أدراتوس، القائد الأعلى للجيوش[١].

(١) معجم الأساطير - ص ٢٢٣.

سَبْعَةَ عَشَرَ

□ يَرمز العدد سبعة عشر إلى النَّحس.

في روما.

□ يُعتبَر العدد ثلاثة عشر عددًا حسنًا في روما. ويرمز السَّبعة عشر إلى النَّحس منذ فترة الحُكْم الامبراطوريّ الرومانيّ. وقد ارجأ نابوليون بونابرت هجومه العسكريّ على مُقاطَعة بروميِر (Brumaire) الإيطاليّة إلى اليوم الثّامن عشر بعدما كان مُقرَّرًا نهار الجمعة في السّابع عشر، فقال: «لا أُحِبّ النُّفوس المُتكبِّرة. ليس هناك إلّا المجانين يَتحدّون القَدَر».

وفي الفنادق الإيطاليّة، لا يَحمل أيّ فندق العدد سَبْعَةَ عَشَرَ لا في الطّوابق ولا في الغُرف. ويَقفز ترقيم المَقاعد داخل طائرات شركة آليطاليا من ١٦ إلى ١٨. وقد تغيَّرت تسمية السّيارة الفرنسيّة الصُّنع رينو ١٧ فأصبحت رينو ١٧٧. ويعود السَّبب إلى أنّ السّبعة عشر كان يُكتَب في الأعداد الرّومانيّة بالحروف، فتعني القيمة العدديّة لحروف الجملة اللاتينيّة «لقد حييت». وتاليًا «أنا ميت»[٢].

في مِصْرَ.

□ يُعتبَر السّابع عشر من شهر حاتور أشأم أيّام السَّنة، وهو ذكرى اغتيال أوزيريس في مَنزل سِث، ورمي تابوته في مياه النيل.

(٢) Les chiffres - Georges IFRAH - p.216

في اليابان.

□ إرتَدت العروس كيكو، زوجة آيا، ابن الإمبراطور اليابانيّ، فستانًا مُرصَّعًا بِسَبْعَةَ عَشَرَ كيلوغرامًا من الذَّهب.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ ذَكَرَ سِفْر التّكوين تاريخ حُصول الطُّوفان «في السَّنة السِّتّ مئة من عمر نوح في الشَّهر الثاني في اليوم السّابع عشر» (٧: ١١). واستقرّ تابوت نوح في الشَّهر السّابع في اليوم السّابع عشر منه على جبال آراراط (٧: ١٤).

عِنْدَ المَسيحيّين.

□ تُؤكّد العقائد السّرّية أنّ العَدد سَبعة عشر -الذي تشير إليه «لغة الفراعنة» مرّات عدّة- يوازي رياضيًّا العدد ١٥٣ الذي ذَكَرَه يوحنّا في إنجيله (٢١: ١١). فإذا حَصَلَ جمع الأعداد من واحد إلى سبعة عشر يَصل المجموع إلى ١٥٣.

عِنْدَ المسلمين.

□ عَدد الحروف التي تدعو المُسلِم إلى الصَّلاة سبعة عشر (أشْهَد أن لا إله إلّا الله). وعدد الرّكعات التي تَحصل خِلال الصَّلوات الخمس اليوميّة سبع عشرة:

١- صلاة الصُّبح وهي رَكعتان.
٢- صلاة الظُّهر وهي أربع رَكعات.
٣- صلاة العصر وهي أربع رَكعات:
٤- صلاة المَغرب وهي ثلاث رَكعات.
٥- صلاة العشاء وهي أربع رَكعات[١].

ويَتردّد العدد سبعة عشر في التُّراث الإسلاميّ، ففي التُّراث هناك سبع عشرة نصيحة تُهمس في أُذُن الأمير عند حَفْل التّنصيب. ويقول التُّراث إنّه كان لعليّ بن أبي طالب سبعة عشر رفيقًا.

عِنْدَ المتصوّفة.

□ يُقدّس المُتصوّفة الشيعة السّبعة عشر، ويرون إليه رمزًا لِتَوازُن كلّ الأشياء.

في تركيّا.

□ يرتدي السَّبعة عشر في تركيّا طابعًا سحريًّا.

سَبْعة وسَبْعون

□ يَرمز هٰذا العدد في اليابان إلى العمر الطَّويل السَّعيد[٢].

سَبْعة وعِشْرون.

□ يرمز العدد سبعة وعشرون، في الماسونيّة، إلى الموت، إذ لاحق سبعة وعشرون أستاذًا قتلة حيرام للقبض عليهم[٣].

---

(١) مُوجز أحكام الإسلام - الإمام السَّيّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٢٧.

(٢) Dictionnaire des symboles - Laffont. p.53

(٣) Le symbolisme des nombres - p.375

سَبْعون

□ يَرمز السَّبعون إلى التَّطوُّر الشامل في الكون[١].

عِنْدَ الماديّين.

□ يقول سِفْر يهوديت إن ارفكشاد، ملك الماديّين، بنى سبعة أسوار لمدينة أحتما على ارتفاع سبعين ذراعًا (١ : ٢).

في فينيقيا.

□ أنجب الإله إيل سبعين وَلَدًا. ومن ميثولوجيا «البعل وعناة» نقرأ في النّصّ السادس:

. . . «حَزنت عناة على البعل فبكته ودفنته
ثمّ إنّها نَحرت سبعين ثورًا ذبيحة عن الظافر البعل
ثمّ نَحرت سبعين خروفًا ذبيحة عن الظافر البعل
ثمّ نَحرت سبعين أيلًا ذبيحة عن الظافر البعل
ثمّ نحرَت سبعين وعلًا ذبيحة عن الظافر البعل
ثمّ نَحرت سبعين حمارًا وحشيًّا ذبيحة عن الظافر البعل»[٢] . . .

عَنْدَ الحثّيين.

□ تروي الميثولوجيا الحثّيّة عن أوليكومي (Olikomi) ابن الغول الصَّخريّ الذي خَيلَت به كوماربي (Komarbi) من صخرة ليطيح بتيشوب. وقد رَكِبَ أوليكومي كتفي العملاق أوبيلوري، حيث نمت قامته وقوّته على الرَّغم من الهجوم الذي شَنّته عصابة من سبعين ربًّا حاوَلوا صَرْعه، فامتلك قوّة جبّارة، لٰكنّه ضَعُفَ عندما انتزعه إيا من كتف ابيلوري لأنّ الآلهة خافت من أن يُدمّر أوليكومي البشر[٣].

عِنْدَ العبرانيّين.

□ جاء في سفر التّكوين أنّ الانتقام سيكون لِلامك سبعة وسبعين ضعفًا (٤ : ٢٤). ودخل من آل يعقوب إلى مصر سبعون نفسًا (٤٦ : ٢٧). وبكى المصريّون على يعقوب سبعين يومًا (٥٠ : ٣). وفي سفر العدد، جمع موسى سبعين رجلًا من شيوخ إسرائيل (١١ : ٢٤). وفي سفر الاخبار الثّاني، استوفت الأرض سبوتها لأنّها سبتت كلّ أيّام خرابها إلى تمام سبعين سنة (٣٦: ٢١).

عِنْدَ المسيحيّين.

□ رأى فيه القدّيس أغوسطينوس بُعْدًا صوفيًّا. وفي إنجيل متّى، طَلَبَ السَّيِّد المسيح من تلاميذه أن يَغفروا سبعين مَرّة سبع مَرّات (١٨: ٢٢).

وذَكَرَ البيروني أنّه «جاء في تُراث النَّصارى أنّ دانيال رأى في المنام بأرض بابل عند مُضيّ سنين من مُلْكِ كورَش في أربعة وعشرين يومًا من الشَّهر الأوَّل حين صلّى لله وبنو إسرائيل

(١) Le symbolisme des nombres - p.394
(٢) دراسات في التاريخ. د. أنيس فريحة.
(٣) معجم الأساطير. ص ٢٤١ .

أَسْرَى في أيدِي الفرس فأوْحَى الله اليه أنَّ أورشليم وهو بيت المقدس تَعْمُرُ سبعين سابوعًا وتَستريح على شَغْبك ثمّ يَجيء المسيح فيُقتَلُ وبمَجِيئه تَخرَبُ اورشليم خَرابَها الأخِيرَ وتستريح على الفساد إلى كمال الدّهر. والسابوعُ سَبْعُ سنين مَجموعَة، فمن ذلك سَبْعُ سوابيع في بِناء أورشليم وهي التي ذَكَرَها زكريّا بن برخيا بن عدوا في كتابه: «انّي رأيتُ مَنارةً عليها سَبْعَة سُرُج ولكلّ سِراج سبعةُ أفواه». وقال قبل ذلك إنّ يَدَيْ زربابيلَ أسَّسَتا أساسَ هذا البيت ويداه تُكمِلانه. والمُدَّةُ التي من أوّلِ ما أُسِّسَ البيت حتّى أكمَلَهُ تِسْع وأربعون سنة تكونُ سَبْعَ سوابيع، ثمّ بعد اثنين وستّين سابوعًا جاء عيسى بنُ مريم، وفي السّابوع الأخير بَطَلَت الذّبائحُ والقرابين وخَرِبَتْ أورشليم خَرَابَها المذكور من انقطاع الوَحْي والأنبياء وتَفَرّق بني إسرائيل مُهْمَلِين لا ذبائح لهم ولا مَذْبَحَ[1]».

عِنْدَ العَرَب.

□ كان العرب يَعتقدون أنّه يُوجَد في السّماء السّابعة، مَقرّ أهْل العدل، ملك أكبر من الأرض كلّها، له سبعون ألف رأس، في كلّ رأس سبعون ألف فم، في كلّ فم سبعون ألف لسان، يَتكلّم كُلّ لسان سبعين ألف لغة، من كلّ لغة سبعون ألف لهجة، وكلّها تُسبّح بحمد الله وتُقدّس له.

وذَكَرَ القرطبي في تفسير سورة غافر عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار أنّه قال: «لمّا خلق الله تعالى العرش، قال لم يَخلق الله تعالى خلقًا أعظم منّي، واهتزّ تَعاظُمًا، فَطوّقه الله بحيّة لها سبعون ألف جناح، وفي كلّ جناح سبعون ألف ريشة، وفي كلّ ريشة سبعون ألف وجه، وفي كلّ وجه سبعون ألف فم، وفي كلّ فم سبعون ألف لسان يَخرج من أفواهها كلّ يوم من التّسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشّجر وعدد الحصى والثّرى وعدد أيّام الدّنيا وعدد الملائكة أجمعين، فالتَوَت الحيّة على العرش، والعرش إلى نصف الحيّة، وهي مُلتوية عليه، فتَواضع عند ذلك».

عند المسلمين.

□ جاء في الحديث الشّريف أنّ محمّدًا ﷺ قال: «الصّدقة تَسدّ سبعين بابًا من الشّرّ». ونقلًا عن ابن مسعود، قال مُحمّد ﷺ: «من تَعلّم بابًا من العِلْم ليُعلّمه النّاس ابتغاء وجه الله، أعطاه الله أجْر سبعين نبيًّا».

عند المُتصوّفة.

□ ساد اعتقاد بين المُتصوّفة بأنّ جبل لبنان هو الموطن الرّئيس للأبدال، وهم في عرف الصوفيّة قوم من الصالحين يُوفِّرون البركة الدائمة للعالَم بوجودهم، وإن لم تكن هويّاتهم الشّخصيّة معروفة، والأبدال في العالَم سَبْعون بدلًا، ومُعظمهم في الشام، فإذا مات أحد منهم حَلّ آخَر مَكانه، ومن هنا تسميتهم.

وفي «المُستدرك على الصّحيحين»، رُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: «لقد سلك فج الروحاء سبعون نبيًّا حَجّاجًا عليهم ثياب الصوف، ولقد

(١) الآثار الباقية - ص ١٦- ٦٧.

صلّى في مَسجد الخيف سبعون نبيًّا». ونَسَبَ أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» إلى الحسن البصريّ قوله: «أدركت سبعين نبيًّا كان لباسهم الصوف».

عند الموحِّدين (الدُّروز).

□ استمرّ دَوْر العليّ الأعلى مدّة تُقدَّر بـ ٣٤٣ سنة على حدّ قول حمزه: «... ومن وقت إبداعه العقل الكلّيّ إلى حين ظهور آدم الصّفا وسجود الملائكة له وهو تمام سبعين دورًا، بين كلّ دَوْر ودَوْر سبعون أسبوعًا، وبين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عامًا».

السَّبعيّة

□ في الاسْلام طائفة تُسمّى الإسماعيليّة أو السَّبعيّة.

يَنتسب الإسماعيليّون إلى جمعيّة مُنظَّمة تنظيمًا دقيقًا، لها تعاليم سرّيّة على حظّ كبير جدًّا من الدَّهاء، وتَنتسب إليهم الدَّولة الفاطميّة التي أسَّسها الفاطميّون في مصر. وكان قيام هٰذه الفرقة في أواخر القرن الثّالث الهجريّ نسبة إلى الإمام السابع من الإثني عشريّة وهو إسماعيل بن أبي جعفر الصادق. وقالوا لتأكيد الإمامة فيه «أن السَّموات سبع والأرض سبع والأيّام سبعة وكلّ ذٰلك دليل على أن دَوْر الأئمّة يَتمّ بسبعة».

وظلّ الإسماعيليّون يَعترفون بالإمامة لإسماعيل، برغم أنّ أباه بعد أن نَصَّبه للإمامة رَجع فَسَحب الولاية منه، لما رآه عليه من انغماس في الملذّات والمُنكَرات وتعاطي الخمور. وعندما نعى خصوم الإسماعيليّة عليهم ذٰلك لم يحاولوا أن يُبرّئوا إمامهم ممّا يَصنعه من إتيان المُنكَرات جهارًا. فزعموا أن الإمام مباح له أن يَفعل كُلّ شيء لأنّه مُطهَّر عند الله ومعصوم من الخطأ والمُنكَر. فكلّ ما يأتيه من قول أو فعل يراه الرَّأي مُنكَرًا ليس كذٰلك إلّا في الظاهر فقط. أمّا الحقيقة فهو مُبرّأ منذ القِدَم من المعاصي معصوم من الخطأ!

وكان الإسماعيليّون يُخفون ما يريدون أن يَحملوا الناس على اتّباعه ويَتظاهرون أمامهم بأمور أخرى. وكان دُعاة المَذهب الإسماعيليّ إذا شَكَّكوا المَدعوّ وطلبوا إليه حَلّ رموز الدَّعوة التي جَعلوها سرّيّة، أخذوا عليه العهود والمَواثيق بألّا يكشف عن سِرّ دعوتهم، وأن يُدافِع عنها وأن يَتحمَّل في سبيل الدِّفاع عنها كُلّ ضروب العَذاب والآلام.

والطُّرق المُحدَّدة في طريق نَشْر الدَّعوة، وإن كانوا يَهتمّون جيّدًا بإخفاء أُسرارها، تسير في عدّة خطوات:

أوّلها: اختيار استعداد الشَّخص لقبول التَّعاليم، وثانيها: الاستئناس به، وثالثها إدخال روح التَّشكُّك في أعماقه. فإذا نَجحت هٰذه الخطوات الثّلاث تُوخَذ عليه المواثيق بألّا يبوح بشيء ممّا يَسمع، ثمّ تَبدأ خطوات الإقناع وأوّلها غَرْس الإيمان بعقيدة الإسماعيليّين وقُوّتهم، وثانيها تلقين التابع تعاليم العقيدة. فإذا تَمّ ذٰلك رُفِعَت عنه بعض الفروض الشَّرعيّة ومُنِحَ السِّرّ الأعظم.

وكما كان دَوْر الأئمّة يَتمّ بسبعة عند الشِّيعة، كذٰلك فإنّ الأئمّة أَنفسهم سبعة كأيّام

الأسبوع وكالسّموات والكواكب. ويُوجَد بين كُلّ إمامين سبعة رُسُل ناطقين. وبين كُلّ ناطقين سبعة من أئمّة العصر يَعملون لإتمام شريعة الناطق التابعين له. ولكُلّ إمام عصر من هٰؤلاء مُساعِدون يَبلغ عددهم به سبعة هم الذين يُقتَدى بهم:

فإمام العصر يَستمدّ فيضه من الله لِيُتمّ شريعة الناطق. والحُجَّة يَستمدّ فيضه من الإمام ويكون حُجّة لوجوده. وذو المصّة يَمتصّ العِلْم من الحُجّة. والداعي الأكبر وهو أعظم المؤمنين مقامًا. والداعي المأذون يأخذ العهد ممّن يريد الدُّخول في الإسماعيليّة من أهْل الظاهر. والمُكالِب لا يُؤذَن له بالدَّعوة ولٰكنّه يُرشِد الطالب إلى المأذون. والمؤمن هو الذي دَخَلَ في زمرة الجماعة.

وكلّ ناطق يَنسخ الشّريعة التي أتى بها الناطق السابق له. والسّبعة الناطقون هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومُحمَّد بن عبد الله ثمّ مُحمَّد المهدي.

أمّا التّنظيم الإسماعيليّ فيقوم على المقامات التالية، وهي بحسب أهمّيّتها: ١- الإمام (أعلى رتبة في التّنظيم، وتُمثّل السُّلطتين المُطلَقتين، الزّمنية والدينيّة). ٢- الحُجّة أو الباب (وهو نائب الإمام عند غيابه والظّلّ الذي لا يفارقه في حضوره). ٣- داعي الدُّعاة (هو الرّئيس المُباشر للدُّعاة والمسؤول الأوّل أمام الحجّة عن تَوزُّع الدُّعاةَ على المناطق والأقاليم). ٤- داعي البلاغ (وهو المسؤول عن سرّيّة الأوامر وتبليغها إلى الدُّعاة في الأقاليم). ٥- الداعي المُطلَق أو النّقيب (له صلاحيّة الانتقال من مَكان إلى آخر بحُجّة التّبشير بالدّعوة). ٦- الداعي المأذون (رُتبته أدنى من رتبة الداعي المُطلَق، فهو غير مأذون بمُفاتَحة أحد أو مُناقَشة أيّة فرقة أو السّفر إلى أيّ منطقة أو بلد إلّا بإذن من داعي الدُّعاة). ٧- الداعي المحصور (رتبته أدنى من رتبة الداعي المأذون، إذ إنّه لا يستطيع أن يُفاتِح أحدًا أو يُبلِّغ أو يَتكلّم إلّا في منطقة يُحدّدها له داعي الدُّعاة، وبلغة أدقّ فهو محصور في منطقة مُعيَّنة لا يغادرها). ٨/ ٩- الجناح الأيمن، الجَناح الأيسر (إنّهما شخصان مُلحَقان بصورة دائمة بالداعي المُطلَق، فهما جناحاه أثناء جولاته الدّعائيّة). ١٠- المُكاسِر (رتبة تُعطى لكلّ من تَفوّق في مَجال الفلسفة والعلوم والفقه. ولهٰذا يَخضع لامتحان مُقرَّر، ولا يَحظى بهٰذه الرُّتبة إلّا بعد أن يُبرهِن على قدرته في النّقاش وفي سيطرته على السامع بأسلوبه الساحر. وقد تنحصر مهمّته في مُناقَشة رؤساء الأديان والمَذاهب الأخرى فيَكسرهم ويُبطل حُجَجَهم، ويَتلقّى المُكاسِر الأوامر من داعي الدُّعاة مُباشَرة). ١١- المُكالِب (تَنحصر مُهمّته في التّجسُّس ونَقْل الأخبار إلى المُكاسِر). ١٢- المُستَجيب (أوّل رتبة تُعطَى للمُنتسِب إلى الدَّعوة بَعْدَ الخضوع لامتحان مقرَّر من داعي الدُّعاة ومن الدُّعاة الآخرين).

سِتّة

□ يُعتبر السِّتّة عَددًا نسائيًا شكلًا وصوتًا. ففي الشّكل يأخذ قالَبًا ناعمًا مالِسًا، وفي الصّوت، تَتطابق اللّفظة مع كلمة «سِكس» التي تعني الجنس. من هنا، يَرمز السِّتّة إلى الحُبّ،

كما يَرمز أيضًا إلى النَّقص، فهو سَبعة ناقص واحد، فالعدد سبعة رمز الكمال.

في سومر.

□ في ميثولوجيا الخلق السومريّة، تشكو الآلهة من عدم قُدرَتها على تحصيل قوّتها. إنكي إله الحكمة الذي تَرجع إليه الآلهة عمومًا في حالات الضَّرورة يغطّ في نومه، لكنّ نامو المحيط البدئيّ وأمّ الآلهة توقظه من سباته. وعملًا بتوجيهات إنكي تقوم نامو ونيماه إلهة الولادة بمُساعَدة بعض المعبودين في جبل الطين الذي يعلو اللُّجَّة بإخراج الإنسان إلى الوجود. يقيم إنكي مأدبة للآلهة احتفالًا بخلق الإنسان فيفرط إنكي وننما في الشَّراب ويثملان. تأخذ ننما بعض الطين من سطح اللُّجَّة وتَخلق ستَّة أنواع مُختلِفة من الكائنات البشريّة ذات الطبيعة الغريبة ما خلا المرأة العاقر والخصيّ. يَحكم إنكي بأن يكون قَدَر الخصيّ المثول أمام الملك. وتمضي الميثولوجيا لتصف قيام إنكي بفعل الخلق الثاني فيَخلق كائنًا بشريًّا ضعيف العقل والجسد، ثمّ يَسأل ننما أن تَفعل شيئًا ما يُحسِّن حال المخلوق البائس، لكنّها تبدو عاجزة عن القيام بأيّ شيء، فتلعن إنكي لصنعه هذا المخلوق[1].

في بابل.

□ جاء في مَلحمة جلجامش أنّه كان على البطل جلجامش، حين وصل إلى الجزيرة حيث عشبة الخلود، أن يسهر ستَّة أيّام وستّ ليالٍ، لكنّه لم يَنجح ففقد الوصول إلى الخلود.

في اليونان.

□ تَتغنّى الميثولوجيا اليونانيّة بنشيد وَضَعَه فيتاغوروس يشيد بالعدد ستّة رمزًا لمبدإ الكائنات الحيّة.

في روما.

□ كَرَّس الرّومان العدد سِتَّة للإلهة فينوس (Vénus)، إلهة الحُبّ الجسديّ، وهي تُجسِّد في عِلْم الفلك العاطفة والحُبّ والتّناسُق والنُّعومة والاتّجاهات الغريزيّة.

في فارس.

□ يَعتقد الفُرْس بوجود ستّ أرواح مُقدَّسة تَعمل للخير، يُطلقون عليها اسم «آميشا - سبنتا» (Amesha-Spenta) وهي موضوعة بإمرة آهورا مازدا وهو الذي خلقها. إنّها تقَمُّصات للسِّمات والأهداف النّبيلة تُجسِّد مزايا آهورا مازدا وتُهيمن على الكون المُتبدِّي، وعلى الحياة في الأرض. تقابلها ستّ أرواح شِرِّيرة: أكامانو شيطان الأفكار السَّيِّئة، إندرا يسوق المحكومين إلى جَهنّم، كورو شيطان العنف، فاهونهايتيا شيطان الكبرياء، تاورو وزايريكا شيطانا العطش والجوع[2].

وجاء في سِفْر أستير أنّه كانَ يَتمّ تطهير نساء الملك الفارسيّ ستَّة أشهر بزيت المرّ وستّة

(١) منعطف المخيّلة البشريّة - ص ٢٧.

(٢) معجم الأساطير - ص ٣٩.

أشهر بأطياب وأدهان تطهير النّساء (٢: ١٢). وتقول الميثولوجيا إنّ الله خَلَقَ العالَم في ستّ مراحل. وتَحتفل فارس بستّة أعياد رئيسة. وتَذكر مبادئ المانويّة ستّة فصول في السَّنة تَرمز إلى هٰذه الأعياد السِّتّة.

وفي فارس، حَضّ زرادشت[١] أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإلٰه الحكيم، وذٰلك باتّباع ستّ خصال حميدة هي:

- طهارة الفِكْر والكلمة والعمل.
- النَّظافة والبُعْد عن كُلّ ما هو دَنَس.
- الإحسان بالفعل والقلب.
- الرِّفق بالحيوانات النافعة.
- القيام بالأعمال النافعة.
- مُساعَدة الذين لا يَتيسَّر لهم تحصيل التَّعليم بتعليمهم.

فالَّذين يَتَّبعون هٰذه التَّعاليم يُمكِن أن يُوصَفوا بأنهم يَسلكون سبيل الإلٰه الواحد الحكيم.

في الهند.

□ تُصوِّر الأيقونوغرافيا الإلٰه كومارا (Komara) بستّة وجوه. ويُعتبَر كارتيكيا (Karttikeya) ربّ الحرب وربّ الشَّجاعة في ميثولوجيا فيديّة قديمة. فعندما سَلَّط الشّيطان شيفا الوباء على الآلهة، وُلد ستّة أطفال من لهيب عينه الثّالثة لكي يحاربوه. وفي يوم من الأيّام، قَبَضَ عليهم بارفاتي (Parvâti) وعَصَرَهم فاختلطت أجسادهم وصارت جسدًا واحدًا، لٰكنّ رؤوسهم ظلّت مُتعدِّدة. وفي ميثولوجيا أخرى أنّ كارتيكيا هو ابن آغني وغانغا، وقد عُرِف باسم شاندا، ورَسَمته الأيقونوغرافيا يَمتطي طاووسًا[٢]. وفي الهند، هناك ستّ طُرُق موسيقيّة يُمثّلها ستّة عباقرة.

وفي البوذيّة، هناك ستّ حِكم: الدين، العِلْم، الواجب، الحُبّ، الثَّروة، والحرّيّة.

في الصِّين.

□ إنّه عدد السَّماء والأرض، يَرمز إلى تَوازُن الماء والنار. ويَقسم الصِّينيّون السَّنة إلى سِتّة فصول، كلّ فصل من شهرين.

في المكسيك.

□ إنّه عدد نسائيّ يَرمز إلى الثَّورات السِّتّ للقمر، فيما العدد سبعة ذكوريّ. ويَنتمي النَّهار السَّادس إلى آلهة العواصف والمطر. وهو أيضًا يوم الموت، ويُرمَز إليه بطائر البوم.

وتَروي قبيلة النافاهو (Navaho) أنّ أجدادها القدماء كانوا سِتّة رجال وسِتّ نساء خَرجوا من الأرض في وَسَط بحيرة موجودة في وادي مونتيزوما. وعند خروجهم من باطن الأرض كان قد سَبقهم إلى سَطْحها الجُرادة والغُرير. والواقع أنّهم عندما وَصلوا إلى سَطْح الأرض وجَدوا عليه الحيوانات نَفْسها التي تَسكن اليوم ما عدا الأيّل والظَّبي اللّذين لم يكونا قد خُلقا بَعْدُ.

(١) مُؤسِّس المجوسيّة (القرن السادس قبل الميلاد).

(٢) معجم الأساطير - ص ١٤٠.

في أفريقيا.

□ تَعني لفظة إفا (Efa) لدى قبيلة يوروبا (Yoroubas) الأفريقيّة «ستّة»، وتَتطابق بأصواتها مع كلمة أخرى تعني «مُرتبِط»، فإذا ما أراد شاب أن يُعبِّر عن حُبّه لفتاة من قبيلته، يُرسِل إليها ستّ أصداف. وإذا هي أرادت أن تَستجيب لِحُبّه، تُرسِل إليه ثمانية أصداف، فالثّمانية، في لغتهم، تَتطابق لفظًا مع كلمة «مُرتبِط».

عِنْدَ العبرانيِّين.

□ خَلَقَ الرَّبّ الإلٰه الكون في ستّة أيّام (تكوين ٢: ٢). وفي سِفْر الخُروج، قال الرَّبّ الإلٰه لليهود: «ستّة أيّام تَلتقطون المنّ، وفي اليوم السّابع سبت لا تجدونه فيه» (١٦: ٢٦). وفي سِفْر الملوك الثّاني، «كان كلّما خطا حاملو تابوت الرَّبّ ستّ خطوات يَذبحون ثورًا وكبشًا مُسمَّنًا» (٦: ١٣). وجاء في سِفْر الأمثال: «ستّة يَبغضها الرَّبّ والسّابع رِجْس عنده: العينان المُترفِّعتان واللّسان الكاذب واليدان السّافكتان الدّم الذكيّ والقلب المُنشِئ أفكار الإثم والرِّجلان المُسارِعتان في الجري إلى المساوئ وشاهِد الزور الذي ينفث الأكاذيب ومُلقي الشِّقاق بين الإخوة» (٦: ١٦- ١٨). ويَتألّف عَلَم الدَّولة الصُّهيونيّة من نجمة مُسدَّسة الأضلع هي نجمة داود وتَرمز إلى الحكمة الإنسانيّة.

عِنْدَ المسيحيّين.

□ اعتبر القدّيس أغوسطينوس السّتّة العدد الأكثر كمالاً من بين كلّ الأعداد الكاملة. ووافقه الفيلسوف فيلون الإسكندريّ فكتب: «كان لا بدّ من عمليّة تنسيق لِترتيب الخَلْق، والتّنسيق يَتطلّب وجود العدد. ومن بين كُلّ الأعداد، ليس هنالك أفضل من السّتّة لِتنظيم البنية. إنّه العدد الكامل الأوَّل».

وفي المسيحيّة، صُلِبَ السَّيِّد المسيح في اليوم السّادس من الأسبوع، نهار الجمعة، وأسلم الرّوح في الساعة السّادسة.

فِرق العرب.

□ يَذكر ابن العبريّ أنّ كبار فِرق العرب الأصوليّين ستّ هي: المُعتزِلة ثم الصِّفاتيّة، وهما مُتقابِلتان تَقابُل التّضادّ؛ وكذلك القَدريّة تضادّ الجَبْرية، والمُرجئة الوعيديّة، والشيعة الخوارج. ويَتشعَّب من كلّ فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة. فالمُعتزِلة يَعتقدون بنفي الصِّفات القديمة عن الرَّبّ الإلٰه هربًا من أقانيم النّصارى؛ والصِّفاتيّة يُثبتون لله صفات أزليّة من العِلْم والقُدْرة والحياة. والقَدريّة يقولون إنّ الإنسان مُخيَّر لا مُسيَّر؛ والجبريّة يَقولون إنّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر؛ والمُرجئة يقولون بإرجاء حُكْم صاحِب الكبيرة من المؤمنين إلى القيامة أي بتأخيره إليها؛ والوَعيديّة يقولون بتكفير صاحِب الكبيرة وتَخليده في النار وإن كان مُؤمِنًا؛ والشّيعة هم الذين شايَعوا عليّ بن ابي طالب وقالوا بإمامته بَعْدَ النّبيّ.

عند المسلمين.

□ في الإسلام، شروط الصّوم ستّة:

١- البلوغ، فلا يجب على غير البالغ.

٢- العقل، فلا يجب على المجنون.
٣- أن يكون سالمًا من المرض.
٤- ألّا تكون المرأة حائضًا ولا نَفْساء.
٥- ألّا يكون مُسافِرًا بسفر يُقصّر فيه الصّلاة.
٦- أن يكون سالمًا من الإغماء الغالب على الحواسّ[١].

وفي الإسلام، يُشترَط في وجوب الزّكاة أمور ستّة:
١- البلوغ، في تمام السّنة فيما يشترط فيه السّنة، وعند تَعلُّق الوجوب فيما لا يعتبر فيه الحول: (تمام السّنة).
٢- العقل، وهو كالبلوغ - فيما تَقدَّم -.
٣- الحرّيّة.
٤- الملكيّة التامّة، فلا يجب في الموهوب قَبْلَ القبض.
٥- التّمكُّن من التّصرُّف، فلا يجب في المال المسروق، والمرهون.
٦- النّصاب، أي وصول المال إلى قَدْر خاصّ[٢].

عند المُتصوّفة.

□ بَلغت أقسام الصوفيّة عند الفخر الرازي ستّة أقسام: الأوّل أصحاب العادات: يَتّسمون بتزيين مَظاهرهم، كلبس الخرقة وتسوية السّجّادة. الثاني أصحاب العبادات: يَنقطعونَ للعبادة تاركين الدُّنيا. الثالث أصحاب الحقيقة: لا يَشتغلون بَعْدَ الفرائض إلّا في التّفكير في مَلكوت الله، وتجريد النّفس عن كلّ ما يَشغَلها عند ذِكر الله تعالى. الرابع النوريّة: يقولون إنّ الحجاب حجابان: حجاب نوريّ وحجاب ناريّ؛ فالنوريّ هو الاشتغال باكتساب الصّفات المحمودة، والحجاب الناريّ هو الاشتغال بالشّهوة والغضب والحِرْص والأَمَل. الخامس الحلوليّة: يَزعمون حُصول الحلول أو الاتّحاد لهم، حيث يَدَّعون دعاوى عظيمة وليس لهم نصيب من العلوم العقليّة. السّادس المُباحيّة: يدّعون محبّة الله ثمّ يُخالِفون شريعته، ويقولون «إنّ الحبيب رفع عنّا التّكليف».

عند الإسماعيليّين.

□ تَعتقد الإسماعيليّة بوجود ستّة أشخاص روحانيّين يَملكون سُلْطة سماويّة مُطلَقة بالقوّة لا بالفعل هم: الروح، الصّوت، العَقْل، الفِكْر، التّفكير، والاسم[٣].

عند إخوان الصّفاء.

□ يقول الإخوان إنّ البروج ستّة منها شماليّة، وستّة جنوبيّة، وستّة مُستقيمة الطُّلوع، وستّة مُعوجَّة الطُّلوع، وسِتّة ذكور، وستّة إناث، وستّة نهاريّة، وستّة ليليّة، وستّة فوق الأرض، وستّة تحت الأرض، وستّة تطلع بالنّهار، وستّة تَطلع باللّيل، وستّة صاعدة، وستّة هابطة، وستّة يَمْنة، وستّة يَسْرة، وستّة من حيِّز الشّمس، وستّة من حيِّز القمر. وتفصيلها أنّ السّتّة الشّماليّة هي الحَمَل،

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السّيّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٣٩.
(٢) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السّيّد مُحمَّد الشيرازي - ص ٤٤.
(٣) Les sectes secrètes de l'Islam

الثَّور، الجوزاء، السَّرطان، الأسد، والسُّنبلة؛ والسِّتَّة الجَنوبيّة هي الميزان، العَقرب، القَوْس، الجدي، الدَّلو، والحوت؛ والمُستقيمة الطُّلوع هي السَّرطان، الأسد، السُّنبلة، الميزان، العَقرب، والقَوْس؛ والمُعوجَّة الطُّلوع هي الجَدْي، الدَّلو، الحوت، الحَمَل، الثَّور، والجوزاء؛ والسِّتَّة الذُّكور النَّهاريّة هي الحَمَل، الجوزاء، الأسد، الميزان، القَوْس، والدَّلو؛ والسِّتَّة الإناث اللَّيليّة هي الثَّور، السَّرطان، السُّنبلة، العَقرب، الجَدْي، والحوت؛ والسِّتَّة التي تَطلع بالنَّهار هي من البُرْج الذي فيه الشَّمس إلى البُرْج السَّابع منها؛ والسِّتَّة التي تَطلع باللَّيل هي من البُرْج السَّابع إلى البُرْج الذي فيه الشَّمس؛ والسِّتَّة التي من حيِّز الشَّمس هي من بُرْج الأسد إلى برج الجَدْي؛ والسِّتَّة التي من حيِّز القمر هي من بُرْج الدَّلو إلى بُرْج السَّرطان.

عند الدَّراويش.

□ يَعتقد الدَّراويش بوجود ستَّة أَضْلُع في الكون، وهي، إضافة إلى الأَضْلُع الأربعة المعروفة: الزينيت (Zénith) والناديـر (Nadir)[١].

عند المُوحِّدين (الدُّروز).

□ على العكس من الميثولوجيا العِبريَّة التي تقول إنّ الله خَلَقَ العالَم في ستّة أيّام، يَعتقد المُوحِّدون (الدُّروز) أنّ الله ليس بحاجة إلى الوَقت لِيَخلق العالَم، كما أنّه ليس بحاجة للراحة.

في السِّحر.

□ يَعتقد تراث السِّحر أنّ مَملكة الشَّيطان تَتألَّف من ٦٦٦٦ فرقة من الشَّياطين، كُلّ فرقة تَضمّ ٦٦٦٦ عنصرًا. ويَتألَّف خاتَم سليمان السِّحريّ من ستّة أضلع، وهو يأتي في مُقدَّم العَلامات السِّحريّة، وهو مَصنوع من مُثلَّثين؛ وكذٰلك نجمة داود السِّحريّة.

وفي ورق اللَّعب، تَرمز الورقة السّادسة إلى العاشق.

في تركيّا.

□ يتمثَّل شعار حزب الشَّعب الجمهوريّ، وقد صَمَّمه مصطفى كمال بنَفْسه، في صورة شَمْس تَنبعث منها ستّة أشعّة تَرمز إلى المبادىء الثابتة والدائمة للحُكْم وهي:

١- النِّظام الجمهوريّ هو النِّظام النّهائيّ لتركيّا.
٢- الشَّعب التُّركيّ يُمثِّل أُمّة واحدة قائمة بذاتها وذات قوميّة مُتميِّزة.
٣- تركيّا دولة علمانيّة.
٤- النِّظام الجمهوريّ العلمانيّ في تركيّا نظام شعبيّ.
٥- النِّظام الاقتصاديّ للدَّولة هو نظام «الحرّيّة المُراقَبة».
٦- طبيعة النِّظام طبيعة ثوريّة مُستمِرّة.

عند الماسونيّين.

□ تبنّت الماسونيّة السُّداسيّ الأضلع (Hexagramme) رمزًا للعدالة[٢].

ومن بين الرُّموز الماسونيّة، لا بدّ من ذكر

(١) Les sectes secrètes de l'Islam

(٢) Le symbolisme des nombres - p.167

وجود ستّ جواهر في المحفل[١].

وفي موضوع مَحكمة جلسة الجنح، تتألّف هٰذه المحكمة من رئيس المَحفل ومن خمسة إخوان هم: المُنبِّه (الأوّل أو الثاني). الخطيب، أمين الصُندوق، كاتِم السِّرّ، والمُرشِد الأوّل (أو الخبير الأوّل، أو مُدبِّر المَحفل)[٢].

سِتَّةَ عَشَرَ

□ يُؤمِن الجينيُّون بستَّة عَشَرَ إلٰهة.

سِتَّة وثَلاثون

□ إنّه عدد السَّماء وعدد التَّضامُن الكونيّ[٣].

سِتَّة وسِتُّون

□ يَشتمل الكتاب المُقدَّس، بعهديه العتيق والجديد، على مَجموعة من الكتب عددها ستّة وستّون. ويقول التُّراث المسيحيّ إنّ عدد الضربات على جَسد السَّيِّد المسيح، قبل عمليّة الصَّلب، بلغ ٦٦٦٦ ضربة.

(١) Le symbolisme des nombres - p.169

(٢) الدُّستور الماسونيّ العامّ – ص ٨١.

(٣) Le symbolisme des nombres - p.383

سِتَّة وعِشرون

□ يُمثِّل العدد ستّة وعشرون، مُضاعَف العدد ثَلاثَة عَشَرَ، الصِّراع ضدّ الخطيئة[٤].

سِتّمئة وسِتّ وسِتّون

□ في المسيحيّة. نُظِمت رؤيا يوحنّا بفنّ الثُّلاثيّات المُرتَّبة مَقاطع من ستّة أجزاء، في ستّين مَقطعًا، فيكون المجموع ستّماية ثلاثيّة، وربّما هو رمز لِعَدد الوحش الذي يَضطهد المسيحيّة وهو ٦+ ٦٠+ ٦٠٠= ٦٦٦ (١٣ : ٨).

وفي الرُّؤيا، تَرمز قُوَى الأرض إلى وَحْشَيْن يُمثِّلان العالَم الشِّرّير: واحد يَصعد من البحر، من الغرب، يُمثِّل الامبراطوريّة الرومانيّة المُضطهدة – على مَرّ العصور تَحلّ محلّها قُوَى سياسيّة واقتصاديّة – وآخَر يأتي من آسيا، من الشَّرق، يَرمز إلى الإيديولوجيّات – في كلّ زمان – ونَقرأ من خِلال هٰذه الصُّور تلميحات مُرقَّمة إلى الزَّمن المُعاصِر ليوحنّا، كانت واضحة لمُعاصِري سِفْر الرُّؤيا، وبَدت أقلّ وضوحًا لنا: فأسماء التَّجديف التي يَحملها الوحش على رأسه تُلمِّح إلى الألقاب الإلٰهيّة التي كانت تُطلَق على الأباطرة، والرَّأس الذي جُرِحَ وبُرِئ يُذكِّرنا بميثولوجيا وَرَدَ فيها أنّ نيرون يعود إلى الحياة. والأحجية المشهورة أحجية مُرقَّمة تَدلّ إلى إنسان -هي مجموعة أحرف نيرون قيصر في الأبجديّة العبريّة.

(٤) Le symbolisme des nombres - p.375

ويُقال إنّ نيوتن (Newton) اهتمّ بِكَشْف سرّ رؤيا يوحنّا أكثر من اهتمامه بمُعادَلاته الحسابيّة. وكان قد سَبقه البارون جون نابييه (Napier) (١٥٥٠- ١٦١٧) م فألّف كتابًا بعنوان «كَشْف كُلّ أسرار الرُّؤيا» عَرَفَ نجاحًا كبيرًا عند طَبْعه في العام ١٥٩٣، وأعيد طَبْعه عشرين مَرّة بالإنكليزيّة وتُرجِم إلى لغات عديدة.

ويبدو أنّ نيوتن ونابييه لم يَتوصّلا إلى ما كانا يَصبوان إليه. وفي القرن التاسعَ عَشَرَ حاوَل المُبشّر الأنغليكانيّ بوللينغز (Bullinger) تَحليل الأعداد الواردة في الرُّؤيا، فأخفق بدوره.

ومن جهته، أَلّف الأب بتروس بونغوس (Bungus) كتابًا من سبعمئة صفحة أكّد فيه أنّ الوحش ليس إلّا مارتن لوثر، مُستنِدًا في تحليله إلى الأبجديّة اللاتينيّة:

L	V	T	H	E	R	N	V	C
30	200	100	8	5	80	40	200	3

666

ووُجِدَ من قال إنّ الوحش ما هو إلّا الماسونيّة.

أمّا أتباع مارتن لوثر (Luther)، فقالوا إنّ النّظام البابويّ يُشكّل لَعْنة، وتَنبّأوا بسقوطه في العام ١٦٦٦م، وزَعموا أنّ الوحش هو البابا[١]: «Vicaire du fils de Dieu»:

V	I	C	A	R	I	V	S	F	I	L	I	I	D	E	I
5	1	100			1	5			1	50	1	1	500		1

666

سِتّون

□ يَرمز العدد سِتّون إلى القياس[٢].

في سومر.

□ يُعتبَر آنو (Anu) الإلٰه الأعظم لدى السومريّين، رقمه المُقدّس في عِلْم الفلك سِتّون. وقد أصبح هٰذا العدد مُقدّسًا وأساسًا للحساب السّتّيني: الساعة ستّون دقيقة، والدَّقيقة ستّون ثانية، والدائرة ٦× ٦٠= ٣٦٠ درجة.

في بابل.

□ تَزوَّج الملك أحيقار ستّين امرأة. وكما في سومر، يُعتبَر السّتّون في بابل عددًا كاملًا، فكان نظامهم الحسابيّ يقوم على السّتّين.

في الهند.

□ أرسل بوذا ستّين راهبًا رسولًا لِتَبشير العالَم.

عند العبرانيّين.

□ عند العبرانيّين، تَدلّ لفظة سِتّين إلى

(١) Les chiffres. georges IFRAH - p. 216

(٢) Le symbolisme des nombres. p.391

الكثرة المُطلَقة، فجاء في نشيد الأناشيد: «هوذا سرير سليمان حَوْلَه ستّون جبّارًا من جبابرة إسرائيل» (٣: ٧). وأيضًا: «الملكات ستّون والسَّراري ثمانون، والأبكار لا عدد لهنّ» (٦: ٧).

ويَذكر التَّلمود أنّ مِساحة مِصْرَ أربعمئة ميل طولًا وعرضًا. وأرض الموريّين تكبر مِصْرَ ستّين مَرَّة، والمعمورة تكبر أرض الموريّين ستّين مرّة، والجنّة تَكبر المعمورة ستّين مرّة، والجَحيم أكبر من الجنَّة ستّين مَرّة[١].

عند الحيوان.

□ يَعتقد عدد من الباحثين أنّ التِّمساح له ستّون نابًا وستّون عرقًا ويَسفد ستّين مرّة ويَبيض ستّين بيضة ويَحضنها ستّين يومًا ويَعيش ستّين سنة.

سِرّ العَدد

□ في بابل، لَعبت الأعداد دورًا مُهمًّا في ديانات ما بين النَّهرين. ورَبَطَ البابليّون الأعداد بِمُعتقَداتهم الدينيّة، وجَعلوا لِبَعْض الأعداد فَضائل وأسرارًا تَتَّصل بالوجود.

في مِصْرَ، يَعتقد أفلاطون أنّ توت، إله الحكمة عند المصريّين، أوَّل مَن عَلَّم الكون أسرار الأعداد، وعِلْم الحِساب، وعِلْم الهَندسة. وقد وَقَفَ العقل المصريّ على سرّ العَلاقة بين الرِّياضيّات والحَقائق الكونيّة، واكتشف قُدْرة العَدد على التَّعامُل مع العالَم الماورائيّ تَعامُلًا يَجعله قابلًا للفهم.

في فارس، تَمّ تصميم النِّظام العدديّ في الدِّيانة المانويّة، لِمُساعَدة الإيداع في الذاكرة. وقد تَخيَّل ماني، على غرار النَّمط الفيتاغوريّ المُحدَث، وجود أسرار خاصّة في العَلاقة المُتبادَلة بين الأعداد.

وترتكز الماسونيّة، بشكل أساسيّ، على رموز الأعداد. وعالَم الأعداد، في الماسونيّة، عالَم مُفعَم بالأبعاد الفكريّة. وترى الماسونيّة إلى العدد على أنّه من أكثر الأشياء حكمة[٢].

في منشور يُنسَب إلى هنري السادس، كتبه جوهان لايلاند - (Johann Leylande)، جاء «أنّ سرّ الماسونيّة هو معرفة الطَّبيعة والقوّة المُتأتّية منها، والأعمال التي أفرزتها، وبالأخصّ معرفة الأعداد، الأوزان، والمقاييس بالطَّريقة الفضلى بشكل يُؤدّي إلى صناعة كُلّ الأشياء لصالح الإنسان وحياته، وبالأخصّ الأبنية المُختلِفة وكلّ شيء يخدم هٰذا الإنسان»[٣].

السَّنة الهنديّة

□ حَكى أبو مُحمَّد النائب الآمليّ في كتاب الغُرَّةِ عن يعقوبَ بن طارِقٍ أنّ الهند تَستعمِلُ أربعَةَ أنواعٍ من المُدَد أحدُها عَوْدةُ الشَّمس من

(١) «التَّلمود تاريخه وتعاليمه» لظفر الإسلام خان - ص ٧٨.

(٢) La franc-maçonnerie - Christian Jacq - p.60

(٣) Ibid - p.158

نُقْطَةٍ من فَلَكِ البروج إليها بعَيْنها وهي سنة الشّمس، والثّانيةُ طُلوعُها ثلثمائة وستّين مرّةً وتُسمّى السّنةَ الوُسْطَى لأنّها أكْثَر من سنة القمر وأقَلُّ من سنة الشّمس، والثّالثةُ عَوْدَة القمر من الشَّرْطَيْن وهما رأسُ الحَمَل اليهما إثنَتَيْ عشرة مَرّةً وهي سنة القمر عندهم ومِقدارُها يكون ثلثمائة وسبعة وعشرين يومًا وسَبْعَ ساعات وثُلُثَيْ ساعَةٍ بالتّقريب، والرابعة اهلالُهُ إثنَتَيْ عشرة مرّة وهي سنة القمر المُستعمَلة[1].

(١) البيروني - الآثار الباقية - ص ١٣.

حَرْفُ الشِّين

الشَّهر القمريّ

□ يبلغ مُعدَّل الشَّهر القمريّ ٢٩ يومًا و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة وهٰذا يَختلف عن عمر القمر الفلكيّ الحقيقيّ بثانيتين و٨ أعشار الثانية، أي باختلاف يوم واحد في مدى ٢٤٠٠ سنة[١].

(١) أسماء الأشهر والعدد والأيّام. د. أنيس فريحة.

حرف الصّاد

الصّفر

□ يُعَدّ الصّفر أوّل الأعداد وأكثرها تَبسيطًا وأشدّها شُهرة ودَهشة واستعمالاً وأهمّيّة وروعة. وفي الحقيقة، يَمتاز هٰذا العدد بمزايا خاصّة استثنائيّة لا يَتمتّع بها أيّ عدد آخر، إذ بَعْدَ انتهاء العَدد تِسْعة، تَستعين الأعداد بالصّفر من أجْل دورة جديدة؛ وحين يَصل العدّ إلى التّسعة عشر، يَتدخّل واحد ثانٍ مع الصّفر، من أجْل ابتداء دورة جديدة ثانية. من هنا، الصّفر بُعْد أزليّ، وهو أساس الخَلْق، والسّرّ الذي تَرتكز إليه كُلّ الأعداد، وإليه تعود في النّهاية لِتتنامى وتَعظم. لذٰلك يَرمز الصّفر إلى الاسْتِمْراريّة، منه يَبتدئ كُلّ شيء، وفيه يَنتهي كُلّ شيء، ويَستحيل على الأعداد الاستمرار من دونه.

في بابل.

□ يَعتقد العُلَماء أنّ البابليّين هم أوّل من اخترعوا الصّفر، لٰكنّه لم يَكن يُمثّل قيمة عَدديّة بِحَدّ ذاته، وهو الصّفر الأقدم في التاريخ. وقد حَصَلَ هٰذا الاخْتِراع في القرن الثّالث ق.م.

في مِصْرَ.

□ في مِصْرَ، لا يَتطابق أيّ حرف هيروغليفيّ مع الصّفر، ولم تُشِر إليه الحضارة المِصْريّة إطْلاقًا، عِلْمًا بأنّ عَددًا من المُحاسِبين فَكّر باختراع مِساحة فارِغة بَعْدَ العَدد تِسْعة. وكانت الفكرة الرّمزيّة صَحيحة تمامًا، فالصّفر هو مَسافة التّجدُّد. إنّه، تمامًا، مثل البَيْضة الكونيّة، يُمثّل كُلّ الطاقات.

في الهِنْد.

□ في مَطلع القرن الخامس ق.م. ظَهَرَ الصّفر في الكتابات الهنديّة، وسَمّوه الفَراغ - سونيا - (Sunya) أو سونيابيندا (Sunyabinda) أي الفراغ - وأطلقوا عليه أحيانًا تسمية - خا - (Kha) أي الثّقب، لٰكنّهم لم يَرسموه. ويُقال إنّهم اسْتَعْملوا الدائرة (٥) والنُّقطة (.) للدّلالة إليه.

في الصّين.

□ في القرن الخامس ق.م. اكْتَشَف الصّينيّون صِفرًا مُشابِهًا للصّفر البابليّ. وبَعْدَ مُرور ثَلاثة قُرون، اخترع الصّينيّون صِفْرًا يَحمل قيمة عَدديّة.

في المكسيك.

□ تُعَدّ حَضارة قبائل المايا المكسيكيّة من أكثر الحضارات الأميركيّة تطوُّرًا في تلك الفترة. وقد اكْتشفَت هٰذه القَبائل مَفهوم الصِّفر وطَريقة استعماله، على الأقلّ بألفي سنة قَبْلَ أن تَعرفه أوروبا، فرَسَمَتْه على شَكْل صَدَفة أو حَلزون. ومن المَعْلوم أنّ الحلزون يَرمز إلى التَّوالد المَوْسِميّ. وفي الكتاب الدينيّ بوبول - فوه (Popol Vuh)، يَتطابق الصِّفر مع تَذكار عيد الإله - البطل للذُّرة، إثر مَعموديّته بالنَّهر، قَبْلَ قيامته وصُعوده إلى السَّماء حيث تَحوَّل شمسًا. وفي مَفهوم نُموّ الذُّرة، يُمثّل هٰذا العيد موت البذور في الأرض، وعودتها إلى الحياة من جديد، من خِلال بُروز نَبْتة الذُّرة. من هنا، يَرمز الصِّفر المكسيكيّ إلى الميثولوجيا الكَبيرة لِعَمليّة التَّجدُّد الدَّوْريّ. أمّا عَلاقة الصِّفر بالصَّدفة، فهي تَرتبط أيضًا بالحياة الجَنينيّة. وفي الفَنّ، يُرسَم الصِّفر لدى قَبائل المايا، على شكل حَلزونيّ، فيَرمز إلى اللاّمُتناهي المَفتوح على المُتناهي المُغلَق.

عِنْدَ العَرَب.

□ نَعَتَ العَرَبُ الصِّفر بالخَير والمُظفَّر. كان الصِّفر يُعتبر في الجاهليّة شهرًا من أشهُر النَّحس. واختُلِفَ في أصْل التَّسمية، فقال البيروني: «لامتيازهم في فِرْقة تُسمَّى صفريّة. وسُمِّي الصِّفر صِفْرًا والسَّبب وباء كان يَعتريهم فيمرضون، وتَصفرّ ألوانهم». وقال النويريّ: «كانوا يغيرون على الصفريّة وهي بلاد». وقال المسعوديّ: «وصفر لأسواق كانت في اليمن تُسمَّى الصفريّة وكانوا يَحتارون فيها، ومن تَخلَّف عنها هلك جوعًا».

ويَعتقد عدد من الباحثين أنّ الصِّفر يَشتقّ من فكرة الخلوّ والفراغ، فجاء في اللِّسان - تحت كلمة صِفْر - «أنّ العَرَب سَمّوا الشَّهر صِفْرًا لأنّهم كانوا يَغزون فيه القبائل فيَتركون من أغاروا عليه صفرًا من المتاع». ويقال في العربيّة: «عاد صِفْر اليَدين».

ويُعتبَر الخوارزمي (٧٨٠ - ٨٥٠) م، من أبرز عُلَماء العَرب والعالَم في الرِّياضيّات، وقيل إنّه هو الذي ابتكر الصِّفر وجعله عددًا مُهِمًّا في العمليّات الحسابيّة. واستعمل العرب النقطة لِتَدلّ إلى الصِّفر، وبَيَّنوا دَوْره في العَمليّات الحسابيّة، وأهمّيّته في تَحديد مَراتب العَشرات والمئات والألوف. ويقول الخوارزمي: «في عَمليّات الطَّرْح، إذا لم يكن هناك باقٍ نَضع صِفْرًا ولا نَترك المكان خاليًا لئلاّ يَحدث لَبْس بين خانة الآحاد وخانة العَشرات. ثُمّ إنّ الصِّفر يجب أن يكون من يمين العدد، لأنّ الصفر من يسار الاثنين، مثلا - ٠٢ - لا يُغيِّر من قيمتها، ولا يَجعلها عشرين». وساعَد الصِّفر في تَسهيل المُعادَلات الجَبْريّة والحِسابيّة. وعن العرب انتقل إلى أوروبا. وكان العرب نَقلوا الأعداد، بما فيها الصِّفر، من الهند. وقيل إنّ العرب استعملوا الصِّفر مكان الفَراغ الذي كان الهنود يَتركونه للدَّلالة إليه.

في أوروبا.

□ في إيطاليا، أدخل الخبير ليوناردو دو بيز (Leonarde De Pese) (١١٧٠- ١٢٥٠) م. الصِّفر تحت اسم (Zephirum)،

واستَعْمَلته إيطاليا حتى القرن الخامس عشر؛ ثُمّ تَبدَّل الاسم إلى (Zephiro)، وتَحوَّلت اللّفظة إلى (Zero) ابتداء من العام ١٤٩١م. وفي فرنسا، تَحوَّلت اللّفظة من (Cifre) إلى (Chifre) ثمّ إلى (Chiffre). وفي ألمانيا، تَبدَّلت من (Ziffer) إلى (Ziphra) أو (Ziffra)، واليوم تُستعمَل (Die null). وفي إنكلترا، اسْتُعْمِلَت لفظة (Cipher)، وحَلَّت مَحلّها لاحقًا لفظة (Zero). وفي البرتغال، تَعني لفظة (Cifra) الصّفر بمعنى (Zero). وفي إسبانيا، تَحمل (Cifra) معنى (Chiffre)، كما تعني لفظة (Cero) الصّفر أي (Zero).

في السّحر.

□ في كُتُب السّحر، تَرمز الدائرة إلى الكمال، فيَدلّ شكلها إلى تَناسُق لا مثيل له في الأشكال الباقية، إذ تَجتمع الشُعاعات في وَسَطها، في وَحْدة كاملة، ويُعطي شَكْلها الدائريّ فِكْرة دولاب يُوحي ديناميّة الحَركة والامتلاء، ما يَرمز إلى المُطلَق، وإلى الخَلْق الإلٰهيّ أيضًا. وتَرمز الدائرة، كذٰلك، إلى الحِماية، فنَجدها في الطّلاسم التي نَحملها كالخواتم والعُقود والصيغة في أشكالها الدائريّة. وهي، أيضًا، تُمثّل فِكْرة الزّمن ودَوْرة الأيّام اللامتناهية. أخيرًا، تُعَدّ الدائرة صورة للسّماء الواسعة الخالدة؛ وكذٰلك تُمثّل الدائرة الصّفر، في شَكْله العربيّ الأساس، فالصّفر، في السّحر، رَمْز للكون، للكلّ، وللفَراغ[1].

(١) Histoire de la magie. F. Dumas

حَرْفُ العَيْن

عاشوراءُ

□ «يُسمَّى اليوم العاشر من شهر مُحرَّم عاشوراء - بحسب البيروني - وهو يوم مشهور الفضل وروي عن النّبيّ عليه السّلام أنّه قال: أيها الناس سارعوا إلى الخَيْرات في هٰذا اليوم فإنّه يوم عظيم مُبارَك قد بارَك الله فيه على آدم. وكانوا يُعظّمون هٰذا اليوم إلى أن اتّفق فيه قَتْلُ الحسين بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عنهم، وفُعِل به وبهم ما لم يُفْعَلْ في جَميع الأمم بأشرار الخَلْق من القتل بالعَطَش والسّيف والإحراق وصَلْب الرُّؤوس وإجْراء الخيول على الأجساد فتشاءَموا به، فأمّا بنو أُمَيَّةَ فقد لبسوا فيه ما تَجدَّدَ وتَزيَّنوا واكتحلوا وعَيَّدوا وأقاموا الولائم والضّيافات وطَعِموا الحَلاوات والطّيِّبات وجَرى الرَّسْمُ في العامّة على ذٰلك أيّامَ مُلْكهم وبَقِيَ فيهم بعد زَواله عنهم، وأمّا الشّيعة فإنّهم يَنوحون ويبكون أسَفًا لقتل سَيِّدِ الشُّهداء فيه ويُظْهرون ذٰلك بمدينة السَّلم وأمثالها من المدن والبلاد ويَزورون فيه التُّربة المسعودة بكربلاء ولذٰلك كَرِهَ فيه العامّةُ من تجديد الأواني والأثاث. ولمّا جاءَ نَعيُه إلى المدينة خَرجت ابنة عَقِيل بن أبي طالب وهي تقول:

ماذا تَقولون إنْ قال النّبيُّ لكم
ماذا فَعَلْتُمْ وأنتم آخِرُ الأُمَمِ
بعِتْرَتي وبأهلي عند مُفْتَقَدِي
نِصْفٌ أسارَى ونصفٌ ضُرّجُوا بدَم
ما كان هذا جَزائي اذْ نَصَحْتُ لكم
أنْ تَخْلُفوني بسُوء في ذَوي رَحِمِي.

وفي هٰذا اليوم قُتِلَ إبرهيمُ بن الأشْتَرِ ناصر آل رسول الله ويقال إنّ الله تاب فيه على آدم واستَوَتْ سفينةُ نوح على الجُوديّ وفيه وُلِدَ عيسى ونُجّيَ موسى وإبراهيم وبَرَدَ النارُ عليه ورُدَّ على يعقوب بَصَرُه وأُخْرِج يوسفُ من الجُبّ وأُعطِيَ سليمان مُلْكه ورُفِعَ العذاب عن قوم يونس وكُشِفَ الضُّرُّ عن أيّوب وأُجيبَ دعاءُ زكريّا ووُهب له يحيى وقيلَ بأنّ يوم الزّينة الذي هو مَوْعدُ سَحَرةِ فرعون هو يوم عاشوراء وقتَ الزّوال ووقوع هذه الاتّفاقات فيه وإنْ كان مُمكِنًا فإنّه مُستَنِدٌ إلى من لا يَرْجِع إلى تحصيل من مُحَدِّثي العوامّ أو مُسالمةِ أَهْل الكتاب. وقد قيل إنّ عاشوراءَ هو عبرانيّ مُعرَّب يَعني عاشور وهو العاشر من تشري اليهود الذي صَوْمُه صوم الكِبُور وأنّه اعْتُبِرَ في شهور العرب فجُعِلَ في اليوم العاشر من أوّل شهورهم كما هو في اليوم العاشر من أوّل شهور اليهود، وقد فُرِضَ صومُه في أوّل سنة الهجرة ثمّ

نَسَخَه صومُ شهر رمضان الآتي بَعْدَه. ورُوي أنّ رسول الله ﷺ لمّا قَدِمَ المدينة رأى اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه فأخبروه أنّه اليوم الذي أغْرق الله فيه فرعون وآله ونَجّى موسى ومَن معه. فقال عليه السّلام نحن أحقُّ بموسى منهم فصام وأمر أصحابه بصومِه فلمّا فُرِضَ صومُ شهر رمضان فلم يأمُرْهم بصوم عاشوراء ولـم يَنْهَهم، وهٰذه الرِّواية غير صحيحة لأنّ الامتحان يَشْهَدُ عليها وذٰلك لأنّ المُحرَّم كان سنةَ الهجرة يومَ الجمعة السّادسَ عشر من تمّوز سنة ثلث وثلثين وتسعمائة للإسكندر فإذا حَسَبْنا أوّلَ سنة اليهود في تلك السَّنة كان يومَ الأحد الثّاني عشر من أيلول ويُوافقُه اليومُ التّاسع والعشرون من صفر ويكون صومُ عاشوراء يومَ الثُّلثاء التاسعَ من شهر ربيع الأوّل[1]».

عَجائب الدُّنيا السَّبْع

□ يُعَدُّ العالِم الجغرافيّ اليوناني سترابونس (Strabon) أوَّل من تكلَّم عن عَجائب الدُّنيا السَّبع وهي: أهرام الجيزة، حَدائق بابل المُعلَّقة، تِمثال جوبيتر الأولمبيّ، تِمثال جَبَّار رودس، ضَريح خالكارناس، هيكل ديانا في أفسس، ومَنارة الإسكندريّة.

العَدَدُ الذَّهبيّ

□ يُسمَّى أيضًا النّسبة الذَّهبيّة. يُنشِىء هٰذا العَدَد مَجموعة مِن النِّسب بحيث أنّ الجزء الأصغر من الخَطّ يَتواجد في النِّسبة ذاتها من الجزء الأكبر، مثلما تَتواجد نسبة الجزء الأكبر في الكلّ.

وبتعبير حسابيّ، العدد الذَّهبيّ هو:

$$\frac{a+b}{a} = \frac{a}{b} = \frac{\sqrt{5}+1}{2}$$

أو يُحسَب بطريقة أرطماطيقيّة:

$$ø = 1.618033.$$

العَدَدُ والموسيقى

□ يروي ل. بانيت في كتابه «رمزيَّة الأعداد في اللاوعي» الحادثة التالية: «زعموا أن فيثاغورس مرّ يومًا أمام مَحرِف حدَّاد، فسمعَ خمسَ مِطرقات تَطرق السَّندانَ في آن. دُهِشَ فيثاغوروس حيثُ أدرك أنّ أربع مطرقات كانت تُحدث بعد اصطدامها بالسَّندان أصواتًا مُتناغمة في حين كانت المِطرَقة الخامسة تُصدر نشازًا. قَبَّن فيثاغوروس المطرقات ولاحظ أن أوزان المطرقات الأربعة الأولى يُمكن التعبيرُ عنها بالأعداد ١٢، ٩، ٨، ٦».

الأصواتُ الأربعة مُتناغمة. والمُلاحظ أيضًا أنّ الأعداد المُقابلة لها تَخضع لِقانون التَناسُب، ذلك أن نسبة ١٢ إلى ٩ مُساوية لنسبة ٨ إلى ٦:

$$\frac{٤}{٣} = \frac{٨}{٦} = \frac{١٢}{٩}$$

هٰكذا اكتشف فيثاغوروس - كما يُؤكِّد الفيلسوف وعالِم الرِّياضيَّات البريطانيّ برتراند راسل في مُؤلَّفه حول تاريخ الفلسفة الغَربيّة «حكمة الغرب» «العَلاقة العدديَّة البَسيطة لما نُسمِّيه الآن بالمسافات الموسيقيّة. فالوترُ

(١) الآثار الباقية - ص ٣٢٩- ٣٣٠.

المشدود يُصدُر الصَّوت الثّامن (الأُوكتاف) إذا قُسِّم طوله إلى النّصف. وبالمثل، فإذا أُنقِصَ الطول إلى ثلاثة أرباع حَصلنا على الصّوتِ الرّابع، وإذا أُنقص إلى الثّلثين، حصلنا على الخامس. والصّوتان الرّابع والخامس معًا يَصنعان الثّامن (الأُوكتاف)، أي:

$$\frac{٣}{٤} \times \frac{٢}{٣} = \frac{١}{٢}$$

تَوصَّل فيثاغوروس باكتشافه هٰذا أن يُحوِّل الكيفيّة (الموسيقى) إلى الكمّ (العدد)، فخطا على حدّ تعبير كسلر «الخُطوة الأولى باتّجاه تَكميم التَّجربة الإنسانيّة الذي يُمثِّل بداية العِلم».

يقول راسل في «حكمة الغرب»: «مِن المُحتمل جدًّا أنّ الكشوف في ميدان الموسيقى هي التي أدَّت إلى الفكرة القائلة إنَّ الأشياء كلّها أعداد، بحيث يَتحتّمُ علينا، من أجل فهم العالم المحيط بنا، أن نهتدي إلى العدد في الأشياء. وما إن نُدرك البِناء العدديّ، حتى يتحقَّق لنا السّيطرة على العالم. وتلك فكرةٌ عظيمة الأهمّيّة، أصبحت من السِّمات الرَّئيسة في النّظرة الحديثة إلى العلم. كذٰلك فإنّنا نجد لدى فيثاغوروس، لأوّل مرّة، اهتمامًا بالرّياضيّات لا يَنبعثُ أساسًا من الاحتياجات العمليّة. صحيحٌ أنّه كانت لدى المصريِّين القُدماء بعض المعارف الرياضيَّة، ولٰكنَّ هٰذه المعارف لم تتجاوز ما كانوا يحتاجون إليه لبناء أهراماتهم أو لقياس مساحة. أما اليونانيّون، فهم الذين بدأوا بدراسة هذه المسائل «حبًّا بالبحث ذاته» على حدّ تعبير هيرودوتس. وكان فيثاغوروس واحدًا من أسبقهم في هذا الميدان».

قد يَرفض الكثيرون اختزال الانفعالات التي تُولّدها الموسيقى إلى مُعادلات رياضيَّة مجرَّدة و«باردة». إلّا أنّ فيثاغوروس اعتبر أنّ العدد لا يُشكِّل إفقارًا للمعاش بل إغناء له. «العدد يشرِّف الموسيقى»، فالمادّة التي تتشكَّل منها أوتار القيثارة ليست مُهمَّة. النّسب هي الأساس. والموسيقى نسبٌ قبل أن تكون أيّ شيء آخر. هٰذه النسب أزليّة والباقي زائل.

انطلق فيثاغوروس من الموسيقى ليُؤكِّد أنّ العدد يَحكم كلّ أوجه الكون. والفلسفة في أسمى مَظاهرها لا بدّ أن تَتناول - في المنظور الفيثاغوريّ - الأعداد وتجليّاتها في العالم. ذٰلك أنّ «الكلّ شيء شكل. كُلّ شيء شكل. وكُلّ الأشكال يُمكِن تحديدها بأعداد».

وقد شكَّل الخط الذي ربط الموسيقى بالأعداد مِحور النّظام الفيثاغوريّ الذي امتدَّ باتّجاهين: باتّجاه الكون أو العالم الكبير (Macrocosme) من جهة، وباتّجاه الإنسان أو العالم الصغير (Microcosme) من جهة أخرى.

شمل نظام فيثاغوروس الفلك، فأكَّدت العقيدة الفيثاغوريّة على «تَناغُم الكواكب السَّيّارة». فالشّمسُ والقمرُ والكواكبُ كافّة تدور حول الأرض وتَرسمُ دوائرَ أحاديَّة المركز: المركز هو الأرض ويُحدث طواف هٰذه الأجسام تبعًا للتَّصوُّر الفيثاغوريّ طنينًا موسيقيًّا. أمّا مَسارات هٰذه الكواكب، فتُشكِّل قيثارة عملاقة أوتارها دائريّة. والمسافات بين هٰذه الأوتار خاضعة لقوانين التَّناغُم، أوالتَّناسبيّة، أي لقوانين العدد.

ولا بدَّ من إشارة في هٰذا المجال إلى أنَّ

الفيثاغوريّين كانوا ينظرون إلى الأعداد بوصفها مَجموعة من النِّقاط تُشكِّل صورًا مميَّزة كتلك التي نراها على زهر النرد. ويؤكد كسلر أن هٰذا التَّصور الفيثاغوريّ للعدد هو الذي أنجب الكلمة الانكليزيّة (Figures) التي تعني «أعداد»[1].

عَشَرَة

□ في الحِساب، يُعتبَر العَشَرَة من أكثر الأعداد البَسيطة دَهْشَة وشُهرة وهي الصِّفر والواحد، فالصِّفر لوحده لا يَعني شيئًا، والواحد وحده قيمته بسيطة صحيحة، والعددان يَقفزان إلى مكانيّة عالية تفوق كُلّ الأرقام الحسابيّة البَسيطة. يَرمز العَشرة إلى الانسجام، بِحَسَب الفلسفة اليونانيّة، باعتباره العدد الأساس في الحِساب.

في اليونان.

□ في اليونان، كانت الوَحْدة العَشريّة الأساس في كُلّ عَدّ. وكان اليونانيّون يَنظرون إلى العَشرة نَظْرَة خاصَّة، فهو يَشتمل، برأيهم، على خَصائص ثلاث تَدلّ إلى الانسجام، أوَّلًا لأنّه يَحوي مِقْدارًا مُتساويًا من الأعداد الأوَّليّة والأعداد غير الأوَّليّة؛ وثانيًا لأنّنا لو جَمَعْنا الأعداد الأربعة الأولى لَوَجدنا أنّها تُساوي عشرة فيكون بذٰلك أكْمل الأعداد؛ وثالثًا لأنّ به من الأعداد الزّوجيّة قَدْر ما به من الأعداد الفرديّة. وبِسَبب هٰذه الخَصائص الثّلاث، كان اليونانيّون يُعْنَوْن عناية خاصّة بالعدد عَشَرة، فالغاية أو المَثَل الأعْلى للرّياضيّات عند اليونانيّين هو الانسجام، أي أنّهم لم يكونوا يُعْنَوْن من الرّياضيّات إلّا بما فيه انسجام، ومن هنا، يُمكِن أن نَفهم الصِّلة القويّة التي وَضعوها بين الأعداد والوجود، كما يَظهر واضحًا في فلسفة فيثاغوروس. فالأعداد، في رأيهم، هي المَثَل الأعلى للانسجام، ولا بُدّ من أن نَفهم الوجود من جهة الانسجام، ومن هنا الرّابطة الأوَّليّة بين الأعداد والوجود، والمغالاة في تَقدير هٰذه الرابطة تُؤدّي حتمًا إلى القول إنّ الوجود أعداد، مثلما قال الفيثاغوريّون.

قَسَم الفيثاغوريّون العَدَد قسمين: العدد الفرديّ والعَدَد الزَّوجيّ، وقالوا إنّ الفرديّ هو المَحدود، والزَّوجيّ هو اللامحدود، فالفرديّ لا يُمكِن أن يَنقسم قسمين بل يقف عند حَدّه، فيما يَنقسم العَدَد الزَّوجيّ، فهو غير محدود. ثُمّ ربَطوا بين المَحدود واللامحدود وبين المَذاهب الأخلاقيّة، فقالوا إنّ المَحدود هو الخير واللامحدود هو الشَّرّ، وأدّى بهم هٰذا الأمر في النّهاية إلى القول إنّ طبيعة الوجود طبيعة ثُنائيّة، ففي الوُجود هناك المَحدود واللامحدود، وكلّ ما يَنشأ من هٰذين المُتعارِضَيْن من صفات، فقالوا إنّ في الوجود تَعارُضًا، ورَفعوا أنواع هٰذا التَّعارُض إلى عَدد مُمتاز هو العشرة، فقالوا إنّ أنواع التَّعارُض في الوجود عَشرة هي: أوَّلًا مَحدود ولا محدود؛ ثانيًا فرديّ وزوجيّ؛ ثالثًا الوَحدة والتَّعدُّد؛ رابعًا المُستقيم والمنحني؛ خامسًا المُذكَّر والمُؤنَّث؛ سادسًا النور والظُّلمة؛ سابعًا المُربَّع

(١) مُقتطفات من مقالة نُشِرت في «مُلحَق النهار» العَدد ٦٧/ ١٩ حزيران ١٩٩٣.

والمُستطيل؛ ثامنًا الخير والشّرّ؛ تاسعًا الساكن والمُتحرّك؛ عاشرًا اليمين واليَسار[١].

وفي اليونان، تَتغنّى الميثولوجيا بنشيد وَضَعَه فيثاغوروس يُشيد بالعَشَرة رَمْزًا لأمومة الكون.

في روما.

□ عِنْدَ الزّواج، كان القانون الرّومانيّ يَقضي بوجود عَشَرَة شهود في العرس.

في الهند.

□ يُمثّل الإله فيشنو الخير ويَترافق مع الشّمس والضّياء. وتَقول الميثولوجيا إنّه قام بعشرة تَجسُّدات أو تَقمُّصات أهمُّها تَجَلّي كريشنا الذي يَظهر في البهاغافاد - جيتا (Bahagavad-gita)، أمّا تَجلّيه التّاسع فكان في جسد بوذا، وتَجسُّده العاشر والأخير سيتمّ في المُستقبَل بهيئة كالكي (kalki) لدى خَلْق عالَم جَديد أفضَل.

ويُطلَق على زوجة شيفا اسم دورغا (Durga)، وهي إلٰهة تتّخذ الشّكل الذي تريد لِتُنازِل الشّيطان المُتوحّش الذي يُهدّد الآلهة. وفي صراع ضارٍ، حيث في كُلّ يد من الأذرع العَشْر يُوجَد سِلاح، تَتغلّب على الشّيطان وتَصرعه[٢].

وعند البوذيّين وضع بوذا وصايا عشرًا وسمّاها خطايا يجب على الإنسان تَجنُّبها والبعد عنها وهي: القتل، السّرقة، الزّنى، الكذب، الافتراء، الشّتم، الكلام الباطل، الطّمع، البغض، الضّلال[٣].

وقال بوذا: عشرة أشياء تَجعل أعمال الكائنات الحيّة رديئة. وتصبح أعمال الناس صالحة عندما يَتجنّبون هٰذه الأشياء العشرة. وهي ثلاث خطايا في الجسد وأربع خطايا في اللّسان وثلاث خطايا في الفكر.

خطايا الجسد الثّلاث هي: القتل والسّرقة والزّنى.

خطايا اللّسان الأربع هي: الكذب والافتراء والشّتم والكلام الباطل.

خطايا الفكر الثّلاث هي: الطّمع والبغض والضّلال[٤].

في الصّين.

□ في الميثولوجيا الصّينيّة، جاء أنّ ملوك الياما (Yamas) عددهم عشرة يَتربّعون كحُكّام وقُضاة على عشرة بِلاطات الجَحيم، كلّ واحد منهم له اختصاص في مُحاكَمة نوع مُعيَّن من أنواع الجرائم المُقترفَة في أثناء الحياة الأرضيّة[٥].

وترى الميثولوجيا إلى (بانغ كو) واديًا حيث تعيش عشر شموس مع أمّهم يوميًّا، كلّ بدوره، حَسَب ساعة من النّهار، تَعبر الشّمس الجَلَد، كلّ في عَرَبته الخاصّة مع الأمّ، وهي الحوذيّة، إلى جبل في الغرب. وتضيف الميثولوجيا أنّه كلّما ظَهَرَت الشّموس العَشْر

---

(١) موسوعة الفلسفة. د. عبد الرحمن بدوي.

(٢) معجم الأساطير - ص ٩٠ .

(٣) إنجيل بوذا - ص ٨.

(٤) نفس المرجع - ص ١١٣- ١١٤.

(٥) معجم الأساطير - ص ٢٦٦ .

معًا، يُصوِّب الرامي الماهر (بي) سَهمه السِّحريّ ويُسقِط الشُّموس إلّا واحدة، فيُنقِذ الأرض من لَهيب الحرَارة[١].

وفي الصِّين، يَرمز العدد عَشَرَة إلى الصَّليب. ويَضمّ هٰذا العدد مجموع الأعداد البَسيطة (١ + ٢ + ٣ + ٤).

في المكسيك.

□ يَرمز العَشَرة في المكسيك إلى الموت.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ يُعتبَر العَشَرة رَمْزًا للكمال، لا سيّما الكمال الأدبيّ، وهو الطَّهارة والقَداسة، وقد استُعمِلَ بوجه خاصّ في قياس قُدْس الأقداس، فجاءت كُلّ جهة من جهاته عِشْرين ذراعًا - مُضاعَف العدد عَشَرة -. ولا شكّ في أنّ الأعداد، في العبريَّة، رموز تشير إلى أبعاد سِرّيّة.

يُعطِي العَهْد العَتيق الرَّبّ الإلٰه عَشَرَة أسماء. ويَعتقد العبرانيّون بوجود عَشْر أرواح شرّيرة. ويَتألَّف التَّصوّف العبريّ من عشر درجات: اليقظة، الحذر، الفِراق، الطَّهارة المعنويّة، الطَّهارة الطَّقسيّة، القداسة، التَّواضُع، القَلَق من الخطيئة، التَّقوى، والرّوح الطّاهرة. وكان يُوجَد في الهيكل عشر آلات موسيقيّة هي: (Néza, Nable, Mizmar, Sir, Téphile, Bérache, Habel, Hodaïa, Asre, Halleluīah).

ويُنشِد المَزامير عَشَرَة رِجال هم: آدم، إبرهيم، ملكيصادق، موسى، أصاف، داود، سليمان، وثلاثة أبناء لخوراس.

يَدلّ العَشَرَة، عند العبرانيّين، إلى الوَفرة، فيقول سفر التَّكوين في العهد العتيق: «الابان غَيَّر عشر مَرّات أُجرة يعقوب» (٣١: ٧). ويَلعب العشرة، أيضًا، في العبريَّة، دور الانطباع في الذاكرة، مِثْل عدد الأصابع العَشْر، فيَدلّ هٰذا الدَّوْر إلى ضَربات مِصْر العَشْر (خروج ٧: ١٤/١٢: ٢٩). وإلى الوصَايا العَشْر (خروج ٣٤: ٢٨). ويَذكر أيّوب أنّ أصدقاءه عيَّروه عَشْر مَرّات (١٩: ٢).

كان الأُسبوع يَتألَّف عند العبرانيّين من عَشَرَة أيّام وكانوا يُسمّونه عاشور. ويَحتفل العبرانيّون بيوم كيبور في العاشر من شهر تشري فيَقضونه في الصَّوم والصَّلاة؛ ومَعنى التَّسمية يوم التَّكفير، فجاء في سِفْر الأحبار: «العاشر من الشَّهر السّابع هو يوم الكفَّارة مَحفلاً مُقدَّسًا يكون لكم تُذلِّلون فيه نفوسكم وتُقرِّبون وقيدة للرَّبّ» (٢٣: ٢٧). وعند العبرانيّين قُنِّنَ الختان في التَّوراة، وأصبح فرضًا في شرائع التَّلمود، بَعْدَ أن كان منذ إبراهيم عادة ثابتة عند المسلمين تَرجع تاريخيًّا إلى ما قَبْل الإسلام. يقول الطَّبري: «قد ابتلي إبراهيم بعشرة أشياء هي في الإسلام سُنَّة: المَضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والسِّواك ونَتْف الإبط وتَقليم الأظافر وغسل البراجم والختان، وحَلْق العانة وغَسْل الدُّبْر والفرج[٢].

(١) نفس المرجع والصَّفحة.

(٢) الطَّبري. تاريخ الأمم والملوك. طبعة خيّاط بيروت ١٩٦٨. ج أول - ص ٣١٢.

عِنْدَ المسيحيّين.

◻ يقول ترتليانوس (Tertullien) إنّ العَشَرَة يَدلّ إلى الولادة الروحيّة المُتجدِّدة. وفي الإنجيل، شَبَّه السّيِّد المسيح مَلكوت السَّماوات بعشر عذارى (متّى ٢٥: ١). وقال لوقا إنّ السّيِّد المسيح شفى عَشَرَة رِجال بُرْص (١٧: ١٢). وأعطى السّيِّد المسيح، في إنجيل لوقا، مثلاً عن عَشَرَة عَبيد دَعاهم سيّدهم وأعطاهم عَشَرَة أمناء (١٩: ١٣). وتوصي الكنيسة بالوصايا العَشْر.

عند المسلمين.

◻ في الإسلام، شروط الوضوء عشرة هي:

١- أن يكون الماء «مُطلَقًا» إلى تمام الغَسل والمسح، فلا يَصحّ الوضوء بالماء المضاف كعصير الرُّمّان.

٢- طهارة الماء وطهارة أعضاء الوضوء.

٣- أن يكون الماء مُباحًا، وكذلك مكان الوضوء، ومَصبّ مائه، فلا يَصحّ الوضوء إذا كان أحدها مغصوبًا.

٤- أن لا يكون ماء الوضوء مُستعمَلاً في رفع الحدث الأكبر، فلا يَصحّ الوضوء بالماء المُغتسَل به سابقًا.

٥- أن لا يكون هناك أيّ مانع من استعمال الماء كمرض يضرّ به الماء، فإنّه يجب التّيمُّم حينئذ.

٦- أن يُباشر الشّخص بِنَفْسه، في حالة القُدْرة والاختيار فلا يَصحّ لو وضّئه غيره.

٧- مُراعاة التَّرتيب، بأن يُقدِّم الوجهَ على اليد اليمنى، واليد اليمنى على اليسرى، ومسح الرأس على مسح القدمين.

٨- الموالاة، بأن يتابع بين أعضاء الوضوء، فلا يَصحّ أن يَغسل وجهه صباحًا، ويده ظهرًا، مثلاً.

٩- النّيّة، بأن ينوي الوضوء قربة إلى الله تعالى.

١٠- الخلوص، بأن يكون وضوؤه لله سبحانه، فلو تَوضّأ ليراه النّاس - مثلاً - فلا يَصحّ[١].

وفي الإسلام، **المفطرات التي يَجب** الإمساك عنها عَشرة:

١- الأكل، ولو كان قليلاً، أو غير معتاد كالتُّراب.

٢- الشُّرب، ولو كان قليلاً، أو غير معتاد.

٣- الجِماع، ولو لم يَخرج المنيّ.

٤- الاستمناء، وهو طَلَب خروج المنيّ، بغير الجِماع.

٥- البقاء على الجنابة، إلى طلوع الفجر.

٦- الحقنة بالمائع، أمّا الجامد، فلا بأس به.

٧- إيصال الغُبار الغليظ إلى الحَلْق، ومثله إيصال الدُّخان الغليظ إلى الحَلْق.

٨- القيء المُتعمَّد.

٩- الكَذب على الله، أو على رسوله، أو على الأئمّة عليهم الصَّلاة والسَّلام.

١٠- الارتماس في الماء، بإدخال تمام الرَّأس فيه، ولو كان البدن خارجًا[٢].

---

(١) مُوجَز أحكام الإسلام - الإمام السَّيِّد مُحمَّد الشيرازي - ص ١٢.

(٢) نفس المرجع - ص ٤١.

في السِّحر.

□ يَملك الله، في كُتُب السِّحر، عَشَرَة أسماء لها مفعول سحريّ. ويقول السَّحَرة بعشر وصايا. ويُصنِّف مَعبد السَّحرة الطوباويّين عَشْر درجات هي: المُمجَّدون، المُسالِمون، العادِلون، المُسامِحون، المُنتصِرون، الأطهار، المُحسنون، الأغنياء، الطوباويّون، والأخيار.

عند الماسونيّين.

□ يبلغ عدد الضُّبّاط العظام، في الماسونيّة، عشرة هم: المُهندِس الأعظم، التَّشريفاتي الأعظم، الموسيقيّ الأعظم، أمين المكتبة الأعظم، المهيب الأعظم، حامِل الكتاب الأعظم، ناقِل العلم الأعظَم، السَّيّاف الأعظم، الحاجب الداخليّ الأعظم، والحاجب الخارجيّ الأعظم[١].

وتَعتبر الماسونيّة العدد عشرة عددًا مُقدَّسًا، على غرار الأسينيّين والفيثاغوريّين. ويَرمز العشرة، في الجمعيّة الماسونيّة، إلى الكمال، والسَّبب الأصَابع العشر التي تتألّف منها اليد[٢].

العَشَرَة عَدَد الملوك

□ لاحَظ الخُبرَاء وُجود عَشرة آباء أو مَلوك، لدى مُعظَم الحَضارات القديمة، يَطابِقون عدد الآباء العشرة الذين ذَكَرَهم الكِتاب من آدم إلى نوح. فعند الكلدان، تَتابَع عِشرة آباء قبل الطُّوفان، فكَتَبَ فرنسيس لانرمان نقلًا عن بيروز (Bérose) أسماءهم إلى جانب أسماء العَشَرَة آباء قبل الطُّوفان، في جَدْوَل اختلفت فيه الأسماء وتَطابَق العددان في الكِتاب والآثار. ورَوَى أنّ أبيدان - وهو كاتب يونانيّ كَتَبَ تاريخ بعض شعوب آسيا في عهد خلفاء الإسكندر - قال إنّ الأشوريّين عَرفوا عشرة أبطال، قَبْلَ بناء نينوى، تَولّوا تَدبير شؤون البلاد. وفي إيران قام عَشَرَة ملوك واسمهم أشدّين أي رجال السُّنَّة القديمة كانوا يَقتاتون بِشَراب يُسمّونه هوما أي شراب عدم الموت إشارة إلى طول أعمارهم. واعتقد الهنود بِوُجود تِسْعة آباء يُسمّونهم براهمديكاس، ويُضيفون إليهم براهما أصلهم وأوّلهم، ويُسمّون الكُلّ البيتريس العشرة أي الآباء العَشرة. وقال الجرمانيّون والسكندنافيّون بِعَشرة جدود. واعْتَقَد الصِّينيّون بِعَشرة سلاطين اشتركوا بالطَّبْع الإلهيّ قَبْلَ بُزوغ التاريخ. ومِن تَقاليد العَرب تَتابُع عشرة ملوك من قبيلة عاد، وهم أوّل من سَكَنَ شِبْهَ الجزيرة، مع عشيرتهم، بين البحر الأحمر والخَليج العربيّ. وعَدّ سنكونياتون عَشرة مواليد للآباء الأوّلين عِنْدَ الفينيقيّين أوّلهم بروتوكونس أي المولود الأوَّل وأيون أي حوّاء. وروى لانرمان أنّ أبيدان عَدَّ عَشَرَة أبطال عند الأرمن القُدماء تَقدَّموا آرام بن سام بن نوح جدّهم. وأنّ المصريّين اعتقدوا أنّ الآلهة حَكَموا في الأرض في العصور الأولى للبشريّة[٣].

---

(١) الدُّستور الماسونيّ العام - ص ١٩.

(٢) La franc-maçonnerie - p.261

(٣) تاريخ سورية الدنيويّ والدينيّ - المطران يوسف الدِّبس.

... وعَدَد نُجوم الكُرَة

□ في كُرَة القَدَم، هناك سِرّ يَجمع ما بين عَمالقة الكُرَة والعدد عَشَرة وهو رقم النُّجوم، وقد حَمَلَه بيليه، جوهان كرويف، مارادونا، باولوروسي، بلاتيني، رود غوليت، زيكو، لينيكر، ماثيوس...

في الشِّعْر.

□ يَقول غوته[1] على لِسان فاوست: «إذا كانت التِّسعة هي واحد، فإنّ العشرة ليست أحَدًا. هنا يَكمن الغموض كُلُّه».

عَشَرَة آلاف

□ يَرمز العَشَرَة آلاف إلى الخِصْب والوَفْرة.

في فينيقيا.

□ جاءَ في أحد نصوص اللآلئ الأوغاريتيّة:

... «إصهر الفِضّة المُختتَمة
والأساور الذّهبيّة، اصهر الفضّة الموجودة بالآلاف
والذَّهب اصهره ولو كان بعشرات الآلاف
اصهر الحَيوانات ورَدِّد الصِّيَغ السِّحريّة
ذَوِّب مِن جَديد الإلٰه الذي أقمته»...

في فارِس.

□ يَقول المُؤرّخون اليونانيّون إنّ حرس ملك فارس كان يَتألّف من عشرة آلاف جنديّ يُسمَّون «الخالدون»: ألف رَجُل يَحمل كُلّ منهم سَهمًا له رأس ذهبيّ، وتسعة آلاف يَحمل كُلّ منهم سهمًا له رَأس من الفِضّة، وهو عدد يَرمز إلى الجيُوش الهائلة عند الفُرْس وأهمّيَّتها في الحرب بحيث لا يَخسر الفُرْس أبَدًا في المَعارك.

في الصِّين.

□ يَعني العَشَرَة آلاف عدد الكمال. إنّه رمز لِشَيء كبير جدًّا لا يُمكِن تَسميته أو وَصْفه، وهو يُمثِّل عَدَد الكائنات والأشياء على الأرض.

عند العبرانيّين.

□ يُشير إلى مِقدار خياليّ، والقصد المُبالَغة، فجاء في سِفر التّكوين: «وبارَكوا رفقة وقالوا لها أنتِ أختنا كوني ألوف ربوات وليرث نَسلكِ باب أعدائه» (٢٤: ٦٠). وفي سِفر الخروج، قال الرَّبّ الإلٰه: «أصنع رحمة إلى ألوف من مُحبّي وحافظي وصاياي» (٢٠: ٦). ويُؤمِن يشوع بن سيراخ «أنّ عيني الرَّبّ أضوأ من الشَّمس عشرة آلاف ضعف» (٢٧: ٢٧). ويَتوجّه إرميا إلى الرَّبّ الإلٰه قائلًا: «أنت الصّانع رحمة إلى الألوف» (٣٢: ١٨).

عند المسيحيّين.

□ شَبَّه القدّيس إيرونيموس مَلكوت السَّماوات بِحَقْل من الكروم فقال: «الأيّام آتية حيث ستنمو أشجار الكَرْمة ولِكُلّ واحدة عَشَرَة آلاف غُصْن، وفي كُلّ غُصْن عَشَرَة آلاف

---

(١) شاعِر ألمانيّ (١٧٤٩ - ١٨٣٢).

غُصَيْن، وفي كلّ غُصَيْن عَشَرَة آلاف بُرْعُم، وفي كُلّ بُرْعُم عَشَرَة آلاف عُنقود، وكُلّ حَبَّة عنب تُعصَر ستُعطي خَمسة وعِشْرين دَنًّا من الخَمْر».

عِشْرون

□ يَرمز العِشْرون إلى الإنسان على أساس أنّه يَحمل عِشْرين إصبعًا، وهو رَمْز نَجده في الهند وفنزويلا. ولَدَى قَبائل المايا في المكسيك يُمثّل العِشْرون إله الشَّمس كَرَمز للإنسان الكامل. وتَتضمَّن الرّوزنامة المكسيكيّة ثمانيةَ عَشَرَ شَهْرًا، كُلّ شَهر من عِشْرين يومًا. وقدَّست قبائل المايا العدد أربعمئة مُضاعَف العَدَد عِشْرين. وفي الأريزونا، يُعطي الهنود الطِّفل اسمه في اليوم العِشْرين لولادته، تَتبعه طُقوس تطهيريّة، فالطِّفل لا يُصبح إنسانًا إلّا بعد تَقبُّله الطُّقوس التَّطهيريّة مرّة واحدة كُلّ خمسة أيّام على أربع مرّات مُتكرِّرة. وفي قبرص، بَنى المُؤمنون عِشْرين مَعْبَدًا لأفروديت. وعِنْدَ العبرانيّين، يقول سِفْر التّكوين إنّ يعقوب خَدَمَ لابان عِشْرين سنة (٣١: ٤١)؛ وأيضًا: «باع أبناء يعقوب أخاهم يوسف بعِشرين من الفِضّة» (٣٧: ٢٨).

عِلْم العَدَد

□ يُؤكِّد عِلْم العَدَد أن الصُّدفة لا وجود لها في الحَياة، وما من شيء يَخرج عن نِظام الطَّبيعة في هٰذا الوُجود. من هنا، اعتبر الباحثون عِلْمَ العَدَد فَلْسَفة قائمة بذاتها، وحَقيقة واقعيّة، ورَكيزة أساسيّة في بُنْيان الإنسان والكون.

في بابِل.

□ جاء في رَقيم مِسماريّ أنّ مَقاييس بُرْج بابِلَ وُضِعَت استنادًا إلى الأعداد المُقدَّسة. كذٰلك الأمر بالنِّسبة إلى مدينة بابِلَ نَفْسها.

في مِصْرَ.

□ إعْتَقَدَ المِصْريّون أنّ العَدَد يَحكم الإنسان ويُسيطِر عليه لأنّه يَتجاوز مُستواه المَنطقيّ والفِكْريّ، وهو وَسيلة مِن وَسائل التَّعبير عن التَّناغُم الكونيّ.

وقد ازْدَهَرَ عِلْم العدد في العام ٣٠٠٠ ق.م. لا سيّما حين مَهَرَ العُلَماء المِصْريّون في استعمال المُعادَلات الرَّقميّة في فَنّ بناء الأهرام. وتَعامَل المِصْريّون بالكُسور، وعَرفوا العَمَليّات الحِسابيّة الأربع - جَمْع، ضَرْب، طَرْح، قِسْمة -. وبَسَّطوا عَمَليّات الحِساب فأَجْرَوا الضَّرْب على أساس الجَمْع، والقِسْمة على أساس الطَّرْح.

في اليونان.

□ يُعتبَر تَفسير الأعداد من بين العلوم الرَّمزيّة الأكثر قِدَمًا. وفي اليونان، أرجع طاليس أصْل الأشياء إلى الماء، وأنكسمندريس إلى الجوهر اللامحدود، وأنكسمانس إلى الهواء، والإيليّون إلى الوجود بما هو موجود؛ أمّا فيثاغوروس فَقَدْ أَرْجَعَ أصْل الوُجود إلى العَدَد، ورأى فيه الدَّرجة الأعلى للمعرفة وجوهر التَّناسُق الكونيّ.

نظريّة فيثاغوروس.

□ كان فيثاغوروس شَديد الاهتمام بعِلْم العَدد وكيفيّة نُشوئه، كثير البَحْث عنه وعن خَواصّه ومَراتبه ونِظامه، وكان يقول: «إنّ في مَعرفة العدد وكيفيّة نشوئه من الواحد الذي قَبْلَ الاثنين، مَعرفة وَحدانيّة الله، عَزّ وجَلّ، وفي معرفة خَواصّ الأعداد، وكيفيّة تَرتيبها ونِظامها، مَعرفة موجودات الباري تَعالَى، وعِلْم مُختَرَعاته وكَيفيّة نِظامها وتَرتيبها، وإنّ عِلْم العَدَد مَغروس في النَّفس يَحتاج إلى أدنَى تَأمُّل ويَسير من التَّذكار حتّى يَستبين ويُعرَف بلا دَليل».

ولم تَكن الفيثاغوريّة مَدرسة فلسفيّة وحَسْبُ، بل كانت أيضًا مَدرسة دينيّة أخلاقيّة على نِظام الطُّرُق الصوفيّة. ومن أبرز مُعتقَدات هٰذه المَدرسة أنّ كلّ شيء هو العَدَد، وقَدْ صيغَ هٰذا القول في صيغتين مُختلِفتين: الأولَى هي أنّ كُلّ الأشياء أعداد، بمعنى أنّ الأشياء نَفْسها في جَوْهرها أعْداد، أو بعبارة أخرى إنّ الأعداد هي التي تُكوِّن جَوْهَر الأشياء؛ والثانية هي التي تَذكر أنّ الأشياء تُحاكي الأعداد، ومَعنى ذٰلك أنّ الأشياء صيغت على نَموذَج أعْلَى هو العَدَد. ووَصَل فيثاغوروس إلى فِكْرة العَدَد بحِسْبانه أصْل الوجُود، وفَوْقَ الظَّواهر الحِسّيّة، مِن تَأمُّله في الانسجام بين النَّغمات، وفي مَواضع الأجرام السَّماويّة وحَركاتها.

من ناحية أخرى، لاحَظ الفيثاغوريّون، من عنايتهم بالموسيقى، أنّ النَّغمات أو الهرموني تقوم على الأعداد: فالنَّغمات الموسيقيّة تَختلف الواحدة منها عن الأخرَى تَبَعًا للعَدَد. ويُلاحَظ من ناحية أُخرَى أنّ اكتشاف الفيثاغوريّين للانسجام المَوْجود في الكون قد أدهشهم، وجَعَلَ من الطَّبيعيّ لَدَيْهم أن يَمتدّ هٰذا الانسجام إلى الكون كُلّه حتّى يُصبح هٰذا الانسجام جَوْهَرَ الأشياء؛ ولمّا كان الانسجام يَقوم على العَدَد، كان من الطَّبيعيّ أن يقال إنّ جَوْهَرَ الأشياء هو العَدَد.

قَسم الفيثاغوريّون العَدَد قسمين: العدد الفَرْديّ والعدد الزَّوجيّ، وقالوا إنّ العدد الفَرْديّ هو المحدود، والزَّوجيّ هو اللامحدود، لأنّ الفَرْديّ لا يُمكِن أن يَنقسم قسمين، بل يَقف عند حَدّه؛ بينما العدد الزَّوجيّ يَنقسم، فهو غير مَحدود. ثُمّ رَبَطوا بين المَحدود واللامحدود، وبين المَذاهب الأخلاقيّة، فقالوا إنّ المَحدود هو الخير، واللامحدود هو الشَّرّ.

واختَلَف الفيثاغوريّون فيما بينهم حَوْلَ هٰذا التَّقسيم للعَدَد بين فَرْديّ وزَوْجيّ، فقال عدد منهم إنّ الأصل في الأعداد هو الوَحدة، ومن هٰذه الوَحدة تَنشأ الثُّنائيّة. أمّا أصحاب الرَّأي الآخَر فيقولون إنّ الأصل هو هٰذه الازدواجيّة بين الوَحدة وبين الثُّنائيّة أو الكثرة، ويَنشأ الكون بانفصال الواحد عن الآخَر، وعلى هٰذا يَتكوَّن الكون عن طَريق الصُّدور.

بَدَأ الفيثاغوريّون بأن نَسبوا إلى الأعداد صفاتٍ هندسيّةً، فقالوا إنّ الواحد يُناظِر النُّقطة، والاثنين يُناظِر الخَطّ، والثّلاثة تُناظِر السَّطح، والأربعة تُناظِر الجِسْم، فهناك إذًا تَناظُر واتّصال بين الأعداد وبين الأشكال الهندسيّة.

ونَسَبَ الفيثاغوريّون إلى الأعداد صفاتٍ أخلاقيّة، فقالوا مثلًا إنّ الخمسة مَبدأ الزَّواج،

لأنّه حاصِل الجمع بين العدد الذي يَدلّ إلى المُذكَّر والعدد الذي يَدلّ إلى المُؤنَّث. كذٰلك الحال في السَّبعة، فهو العَدد الذي من طريقه تَنقسم الحياة الإنسانيّة. والعَشَرَة أكمل الأعداد، وهو الوَحدة الرّئيسيّة التي تَشمل كلّ الأشياء الأخرَى، خصوصًا إذا ما لاحظنا أنّ العَشَرَة حاصِل جَمْع الأعداد الأربعة الأولى. ولهٰذا ارتفع به الفيثاغوريّون - كما ارتفع به لاحقًا الأفلاطونيّون الذين اتَّجهوا اتّجاهًا فيثاغوريًّا - إلى مَرتبة الآلهة لأنّ هٰذا العَدد هو أصْل الوجود. اعتبر فيثاغوروس عِلْم الأعداد مِن المَعارف المُقدَّسة، فكان يُلقِّن دُروس الأعداد شفهيًّا لِتَلاميذه المختارين، لئلاّ تَتسرَّب المَعلومات خارج جدران مَدرسته. وقد تَبنَّت الفلسفة الإيليّة، ومن أبرز فلاسفتها برمنيدس، نظريّة الفيثاغوريّين في العَدَد.

في المَدرسة الفيثاغوريّة، ألَّف نيقوماخوس الأردنيّ، أحد تلامذة فيثاغوروس، كتاب «المَدخل إلى علم العدد». ويدور الكتاب على فكرة أساسيّة هي أنّ العَدد أساس كُلّ العُلوم، وأنّ الأشياء في جَوْهرها أعداد. والعَدَد ليس مُفارقًا للمَوْجودات، بل هو مُلتصِق بها. ولمّا كانت الأعداد مُنسجِمة، فَقَدْ ظَهَرَ الانْسِجام في الوُجود، الذي هو في جَوْهره عَدَد. ويَنتهي بأنّ عِلْم العَدَد هو أشْرَف العُلوم، لأنّه عِلْم أزليّ سابق على بقيّة العُلوم، وإلى أنّ الله لمّا خَلَقَ الأشياء فَعلى مِثال العَدَد[1].

نظريّة أفلاطون.

□ يَقول أفلاطون إنّ الأعداد تُكوِّن جَوْهَرَ الأشياء بِوَصْفها صورة. ويُفرِّق أفلاطون بين نَوْعَيْن من الأعداد: الأعداد الرِّياضيّة والأعداد المِثاليّة، فيقول إنّ الأعداد بِوَصْفها وَحدات مُقابِلة للأشياء الحِسِّيّة هي الأعداد الرِّياضيّة؛ أمّا الأعداد بِحِسْبانها مَبادىء الأشياء، ومن طَريقها نَستطيع أن نَستخلص بَقيّة الوُجود، فيُمكِن أن تُسمَّى باسم الأعداد المثاليّة أو الأعداد كَصُوَر. والفَرْق بين فيثاغوروس وأفلاطون هو أنّ الأعداد، لدى أفلاطون، لها مَكانة وَسَط بين الوُجود الحِسّيّ والوُجود العَقْليّ، بينما، لدى فيثاغوروس ، وُجود الأعداد هو الوُجود المَحسوس[2].

نَظريّة أرسطو.

□ يُفرِّق أرسطو بين العَدَد عند أفلاطون، والعدد عند فيثاغوروس، فيقول إنّ الفيثاغوريّين لا يَجعلون الأعداد مُفارِقة للأشياء التي هي نَموذج لها - كما فَعَلَ أفلاطون حينما جَعَلَ الصُّوَر أو المُثُل مُفارِقة للأشياء التي تُشارِكها في الوُجود - وإنّما هم يَجعلون الأعداد مُتَّصلة وغير مُنفصِلة عن الأشياء. وهٰذا يُبيِّن لنا الطَّريق الصَّحيح الذي علينا أن نَسلكه من أجْل بَيان ماهيّة الأعداد من حيث صِلَتها بالأشياء.

ونُقِلَ عن أرسطو قوله للإسكندر الكبير وقد سَألَه أن يوصيه: «لا صديق أشرف من حَكيم ولا عِلْم أشرف من الحِكْمة وأشرف فنونها كما عَلِمْت أيُّها الملك هو عِلْم أسرار الحُروف والأعداد».

(١) موسوعة الفلسفة. د. عبد الرحمن بدوي.

(٢) نفس المرجع.

نظريّة إتسلر.

□ يقول إتسلر إنّ الأعداد صورة وهيولى معًا للأشياء.

في فارِس.

□ تَمّ تَصميم النّظام العَدديّ، في الدّيانة المانويّة، لمُساعَدة الإيداع في الذاكرة. وقد تَخيّل ماني - على غِرار النّمط الفيثاغوريّ المُحدَث - وُجود أسرار خاصّة في العَلاقة المُتبادَلة بين الأعداد.

في الهند.

□ إعْتَنى عُلَماء الهِنْد بالأعداد وعَظّموا هٰذا العِلْم.

في الصّين.

□ تَرى الصّين إلى العدد مِفْتاح التّناسُق الكونيّ وتَطابُق الأرض مع القَوانين السّماويّة. ويَقول المُؤرّخ بان - كو إنّ عائلتي هي وهو من سُلالة مينغ - تانغ قد اهتمّتا كثيرًا بعِلْم العَدَد.

في المكسيك.

□ تَرتدي الأعداد لدى الأزتيك أهمّيّة كونيّة، فكُلّ عَدد يَرتبط بإلٰه ولون ونقطة في الفَضاء، وبِمَجموعة تأثيرات جَيّدة أو سَيّئة.

في أفريقيا.

□ تَعتقد قبائل أفريقيّة كثيرة أنّ العَدَد خِدْعة الغُموض.

عِنْدَ العبرانيّين.

□ يَقول سِفْر الحِكْمة في التّوراة «إنّ الرَّبّ الإلٰه رَتّب كُلّ شيء بمِقْدار وعَدَد ووَزْن». (١١ : ٢١)؛ وذَكَرَ يشوع بن سيراخ آية تقول: «وحيث تكون الأيدي الكثيرة أقفل ومتى قَسّمت فبالعدد والوزن» (٤٢ : ٧).

عِنْدَ المَسيحيّين.

□ أعطى الشّرْق القديم أهمّيّة كبرى لِرَمزيّة الأعداد. لٰكنّ الكِتاب المُقدّس لا يَعتبر أيّ عدد مُقدّسًا في ذاته، إلّا أنّنا، في مُقابِل ذٰلك، وبناء على بعض الاصطلاحات العُرْفيّة، أو نتيجة التّأثير الجانبيّ من بعض الحَضارات المُجاوِرة، نَجِد فيه الكثير من الاصْطِلاحات الرّمزيّة. وقد اهتمّ آباء الكنيسة بعِلْم العَدَد، فتبنّى القِدّيسان إيريناوس ويوستنيانوس الفلسفة الفيثاغوريّة، ودَرَسَ القِدّيس أمبروسيوس عِلْم العَدَد في ضَوْء النّعمة الإلٰهيّة. وقال القِدّيس أغوسطينوس إنّ الإنسان يَستطيع أن يَتعرّف إلى الله بواسطة العَدَد. ودافَع القِدّيس إيرونيموس عن العَدَد باعتباره سبيلًا لاهوتيًّا، وأيّده في نَظريّته القِدّيسان سيريلوس ويوحنّا فم الذّهب(١).

عِنْدَ المسلمين.

□ يقول القرآن الكريم في سورة الفرقان ﴿وخَلَقَ كُلّ شيء فقَدّره تقديرًا﴾ (٢)؛ وجاء في سورة الجنّ ﴿وأَحْصَى كُلّ شيء عددًا﴾ (٢٨)؛ وجاء في سورة الإسراء ﴿وجَعَلْنا اللّيلَ

(١) معجم اللاهوت الكتابيّ - ص ٥٣١.

والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبتغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ولِتَعْلَموا عَدَدَ السِّنينَ والحِسابَ وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصيلاً﴾ (١٢).

عِنْدَ أخوان الصَّفاء.

▫ يَقول الإخوان إنّ الأرطماطيقي هو معرفة خَواصّ العَدَد وما يُطابِقه من مَعاني المَوْجودات. وأوّل ما يُنظَر في هٰذه العُلوم الفلسفيّة الرِّياضيّات وأوّل الرِّياضيّات مَعرفة خوَاصّ العَدَد لأنّه أقرب العُلوم تَناوُلاً. ومن بين رَسائل الإخوان، تأتي رسالة العدد في الطَّليعة؛ والغَرَض المُراد من هٰذه الرِّسالة هو رياضة أنْفُس المُتعلِّمين للفلسفة، المُؤْثِرين للحكمة، الناظرين في حَقائق الأشياء، الباحثين عن عِلَل المَوْجودات بأسرها. وفيها بيان أنّ صورة العَدَد في النُّفوس مُطابِقة لِصُوَر المَوْجودات في الهَيولَى، وهي أُنموذج من العالَم الأعلَى، وبِمَعرفته يَتدرَّج المُرْتاض إلى باقي الرِّياضيّات والطَّبيعيّات. وإنّ عِلْم العَدَد جَذْر العُلوم، وعُنْصُر الحِكْمة، ومَبدأ المَعارف، وإسطقس المعاني.

وعلى طَريقة الفيثاغوريّين، يَعتبر الإخوان العَدَد أصْل المَوْجودات، فرَتَّبوه على الأُمور الطَّبيعيّة والروحانيّة. واعتقد الإخوان «أنّ المَوْجودات بِحَسَب طبيعة العَدَد وخَواصّه، فَمَنْ عَرَفَ طَبيعَة العَدَد وأنواعه وخَواصّ تلك الأنواع، تَبيَّن له إتْقان الحِكْمة وكون المَوْجودات على أعداد مَخصوصة».

عِنْدَ النُّصيريّين.

▫ يقول النُّصيريّون «إنّ السَّيِّد مُحمَّد أوَّل الأعداد، وهو الواحد، والأعداد بدؤها منه وعَوْدها إليه. وإنّ عليّ بن أبي طالب لا يَنقسم ولا يَدخل في عَدَد».

عِنْدَ الإسماعيليّين.

▫ يُحيّي الإسماعيليّون الإلٰه بالأسماء والأعداد.

عِنْدَ الماسونيّين.

▫ تَرى الماسونيّة إلى العَدَد على أنّه من أكثر الأشياء حِكْمة.

في الفِكْر.

▫ يَقول لايبنيتز (Leibnitz)[1] «إنّ عِلْم العَدَد يَحتوي على أسرار كبيرة». وكَتَبَ فيكتور هوغو[2]: «الإنسان، الرَّقم المُختار، الرَّأس المُهيب للعَدَد». وقال بالزاك: «كُلّ شيء لا يُوجَد إلّا بالحَركة والعَدَد. والحركة هي العدد الفاعل». ورأى بويسيوس (Boèce)[3] أنّ المَعرفة السّامية تَمرّ في الأعداد. وكَتَبَ نيقولا دو كيو أنّ الأعداد تُمثِّل الطَّريقة الفُضلَى للاقْتِراب من الحَقائق الإلٰهيّة. وقال دو ميتر (De Maître) «في حياتي، لم أدرس إلّا العَدَد. إنّه الحركة، إنّه الصَّوْت، إنّه كلمة الفِكْر. وبما أنّه موجود في كُلّ مَكان، فإنّي

---

(١) فيلسوف ألماني (١٦٤٦- ١٧١٦م).

(٢) شاعر فرنسيّ (١٨٠٢- ١٨٨٥م).

(٣) شاعِر لاتينيّ (٤٨٠- ٥٢٤م).

أراه في كُلّ مكان». ورأى لاميراندول (Lamirandole) أنه، من خِلال العَدَد، نَستطيع أن نَجِدَ طريقًا لِتَفسير كُلّ الأشياء.

ثابت بن قُرَّه.

□ تَرجم ثابت بن قرّه كتاب «المَدخل إلى علم العدد» لنيقوماخوس، أحد تلامذة فيثاغوروس.

يدور الكتاب على فكرة أساسيّة وهي، أنّ العدد أساس كُلّ العلوم، وأنّ الأشياء في جوهرها أعداد. والعدد ليس مُفارِقًا للموجودات، بل هو مُلتصِق بها.

ولمّا كانت الأعداد مُنسجِمة، فَقَدْ ظَهَرَ الانسجام في الوجود، الذي هو في جوهره عَدَد.

والأعداد نوعان:

الأعداد المُفرَدة (وتُسمّى المحدودة لأنّها لا تَنقسم):

٣، ٥، ٧، ٩، ١١، ١٣، ١٥...

والأعداد المُزدوِجة (وتُسمّى اللامحدودة، لأنّها تَنقسم):

٢، ٤، ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٤...

وكُلّ شيء في الوجود، مُفرَد ومُزدوِج، مَحدود ولا مَحدود، خير وشرّ.

ويتألّف الكتاب من مَقالتين.

جاء في المَقالة الأولَى:

«ولمّا كان كُلّ شيء من الكائنات يُمكِن أن نَفرض وجوده، أو عدم وجوده، أو وجوده على غير ما هو عليه دون أن نَصطدم باستحالة عقليّة، إلّا العَدَد. فالحكمة هي إدراك العَدَد، لأنّ العَدد حقيقة الأشياء، وأساس وجودها.

يُبيّن نيقوماخوس أهمّيّة العدد في الجانب التّطبيقيّ: في الحساب، والقسمة، والجمع، والمُقايضَات، وكذلك الهندسة؛ وأنّها نافعة في بناء المدن، والهياكل، والقصور، وفي قسمة الأراضي؛ وأنّ الموسيقى تَشفي البدن، وتريح النّفْس، أمّا عِلْم النُّجوم فنافع في المِلاحة والفِلاحة، وتَعيين الأوقات.

ويَنتهي إلى أنّ عِلْم العَدَد هو أشرف العلوم، لأنّه عِلْم أزليّ سابِق على بقيّة العلوم، وإلى أنّ الله لمّا خَلَقَ الأشياء فعلى مِثال العَدَد.

وممّا جاء في المقالة الأولَى، تَقسيم نيقوماخوس الأشياء الموجودة إلى:

ذوات عدد.

وذوات مقدار.

وإن العدد والمقدار عير متناهيين.

أمّا الأشياء التي هي أعيان الموجودات فبعضها مُتّصل مُختلِط مثل: الحيوان، والشَّجَر، وبعضها مُنفصِلة، مُنقسِمة، مُتجاوِرة، مثل: القطيع والأمّة.

فالمتَّصل، كالحيوان، والشَّجر، ذو عظم، وذو مقدار، فنسمّيه: ذوات المقدار.

والمُنقسِم المُتجاوِر ذو عدد وكثرة، ونُسمّيه ذوات العدد والكثرة.

ويعود قبل نهاية المقالة لِيَقسم العدد إلى:

مُفرَد: مَحْدود لا يَنقسم.

وزوج: غير مَحدود ويَنقسم.

ويُعدّد أقسامًا للمُفرَد والزَّوج: زوج الزَّوج، وزوج-الفرد، وزوج زوج الفرد.

ثُمّ يَقسم الزَّوج إلى: زائد، وتامّ، وناقص، والمُفرَد إلى:

غير مُركَّب، مثل ٣، ٥، ١٧ ومُركَّب مثل: ٩، ١٥، ٢١ وغير مُركَّب ومُركَّب في آن معًا مثل: ٩ بالنّسبة إلى ٢٥، فللتّسعة ثلث وليس لـ ٢٥ وللخمسة والعشرين خُمْس وليس لـ ٩.

العدد الزائد: كُلّ عدد إذا جُمِعَت أجزاؤه كانت أكثر منه مثل ١٢ .

(١، ٢، ٣، ٤، ٦ ومجموعها: ١٦).

والعدد النّاقص: كُلّ عدد إذا جُمعت أجزاؤه كانت أقلّ منه مثل ١٠ .

(١، ٢، ٥، ومجموعها: ٨).

العدد التّام: كلّ عدد إذا جُمعت أجزاؤه كانت الجملة مثل سواء، أي حاصل الجمع يساوي العدد نَفْسه:

٦ = ١، ٢، ٣/٢٨ = ١، ٢، ٤، ٧، ١٤ .

والأعداد المتحابّة (يقال للعددين إنّهما مُتحابّان إذا كانت مجموع أجزاء أحدهما يساوي الثاني، ومجموع أجزاء الثاني يساوي العدد الأول مثال: ٢٢٠ و٢٨٤).

ويُنهي نيقوماخوس المَقالة الأولَى بدراسته النّسبة (Proportion) وهي المُساواة بين كمّيّات مُختلِفة الحدود مثل ٢/٤ = ٣/٦ = ٤/٨ ويَعزو إليها كُلّ الفضائل، لأنّ الفضائل «ترتيب القُوَى الفكريّة التي مقامها مقام المساواة»، كما يَعزو الغَضَب والشّهوة إلى فِقْدان النّسبة، أي فِقْدان التّرتيب في القُوَّة الفكريّة، الأمْر الذي يَجعل المُساواة مَفقودة.

أمّا في المَقالة الثانية فيَشرح خَواصّ الأعداد: «فالشّيء الأصغر الذي من اجتماعه يكون قِوام شيء ما، هو مبدأ تكوين الأشياء كلّها». فالعَدَد واحد هو الجوهر الفرد، أصْل كُلّ شيء ومَبدؤه. منه تَتكوَّن سائر الأشياء، والأعداد، والأبعاد، والأنواع، وهو في ذاته ليس بُعْدًا ولا عَدَدًا، مثل النُّقطة التي ليست خَطًّا وإنّما ابتداء لِخَطّ. بِمَعْنًى آخَر: العدد واحد هو كُلّ عَدَد آخَر بالقُوَّة. والأعداد مَوجودة ما دام العَدَد واحد قائمًا فيها، فإذا عَدِمَ الواحد عَدِمَت الأعداد، فهو الواهب لجميع الأعداد مَرتبتها ووجودها.

أمّا النُّقطة: فهي مبدأ الخطوط، وكُلّ خَطّ يَتكوَّن من حركة النُّقطة في مكان. فالنُّقطة هي الخَطّ بالقُوَّة، والخَطّ، هو مبدأ المِساحة.

وللمِساحة طول وعرض، ولا تَتشكَّل من إضافة الخطوط إلى بعضها، وإنّما هي حركة الخَطّ حركة جانبيّة.

والمِساحة مبدأ الحَجْم، وتَتكَّون الأحجام من حركة المِساحة.

ثُمّ يأتي نيقوماخوس إلى الإشارة إلى تكوين المُثلَّثات والمُربَّعات، والمُخمَّسات، والمُسدَّسات من التّحديدات السابقة. ويَتكلّم عن الأعداد المُثلَّثة، والمُربَّعة، والمُخمَّسة...

ويُورِد نوعين من الأعداد:

الأعداد الغيريّة: وهي أعداد لا تَتكرَّر عند الضَّرب مثل:

٥ × ٣= ١٥ .

والأعداد المُتكرِّرة: وهي أعداد تَكرَّر عند الضَّرب مثل:

٥ × ٥= ٢٥؛ ٦ × ٦= ٣٦ .

ويأتي إلى التَّوسطات (Progressions) وهي قياس حَدَّين أحدهما إلى الآخر. وتركيبها يحتاج إلى ثلاثة حدود يتلو بَعْضها بَعْضًا على تساوٍ من الاختلاف والبُعْد بينهما.

ويُنهي المَقالة الثانية بذكر ثلاث نِسَب أو تَوسُّطات كانت معروفة لدى اليونان وهي:

١- التَّناسُب العدديّ: يكون فيه التَّفاضُل بين الحدود المُتوالِية مِقدارًا واحدًا: ٥، ٧، ٩...

٢- التَّناسُب الهندسيّ: يكون فيه التَّفاضُل بين الحدود المتوالية الثَّلاثة نسبة متساوية ٢/٤ = ٤/٨ فالنِّسبة تبقى ذاتها مهما كَبُرَ العدد أو صَغُرَ.

٣- التَّناسب التأليفيّ: ويكون فيه الفرق بين الوسط والأكبر، مقسومًا على الأكبر، مُساويًا الفرق بين الوَسَط والأصغر مقسومًا على الأصغر كالأعداد ٣، ٤، ٦، ٦-٤/٦ = ٤-٣/٣ = ١/٣[1]

عُمْر العالَم

□ «زَعَمَ الفُرس والمجوس - بحسب البيروني - أنّ عُمْر العالَم إثنتا عشرة ألف سنة على عَدَد البُروج والشُّهور وأنّ زرادشت صاحِب شريعتهم زَعَمَ أنّ الماضيَ منها إلى وقت ظهوره ثلاثةُ آلاف سنة مكبوسة بالأرباع إذْ كان تَولّى حِسابَها ونُقصانَ ما كان لَزِمَها من جِهَة الأرباع حتّى انْكَبَسَتْ وصَحَّتْ. وبين ظهورِه وأوّلِ تأريخ الإسكندر مائتان وثمانٍ وخمسون سنة فيكون الماضي من أوّل العالَم إلى الإسكندر ثلاثة آلاف ومائتين وثمانيًا وخمسين سنة. ولٰكنا إذا حَسَبْنا من أوّل كيومرث وهو عندهم الإنسان الأوّل وجَمَعْنا مدّةَ كلّ مَلِكٍ بعده فإنّ المُلْكَ مُتَّسِقٌ فيهم غيرُ مُنْقَطِعٍ عنهم بلغ المُجْتَمِعُ من ذٰلك العدد إلى الإسكندر ثلاثة آلافٍ وثلثمائة وأربعة وخمسين، فليس يَتَّفِق التَّفصيل مع الجملة. واختلف الفُرس والروم مع ذٰلك فيما بعد الإسكندر وذٰلك أنّ ما بَيْنَهُ وبين أوّل مُلْك يزدجرد تسعُ مائة واثنتان وأربعون سنةً ومائتان وسبعة وخمسون يومًا فإذا نَقَصْنا من ذٰلك مُلْكَ بني ساسانَ إلى أوّلِ مُلْك يزدجردَ على قولهم وهي أربع مائة وخَمسَ عشرة سنة بالتَّقريب بَقِيَ خَمْس مائة وثمان وعشرون سنة وهي ما مَلَكَ الإسكندرُ وملوكُ الطَّوائف فإذا جَمَعْنا مُدَّةَ كُلِّ واحد من الأشكانيّة على ما أَثْبَتُوهُ بلغ مائتين وثمانين سنة ومع اختلافهم فيما لا يُجاوِز ثلثمائة سنة. وسأُصْلِحُ هٰذا الخِلافَ بَعْض إصْلاح فيما بَعْدُ. وطائفةٌ من الفرس زَعَمَت أنّ الثَّلاثَةَ آلافِ الماضيةَ المذكورة إنّما هي من لَدُن خَلْقِ كيومرث. فإنّه مَضى قَبْلَه مُدَّةُ سِتّةِ آلافِ سنة والفَلَكُ فيها واقف غير مُتحرِّك والطَّبائع غير مُستحيلة والأمّهات غير مُتمازِجَة والكَوْنُ والفَسادُ غير موجود فيها والأرض غير عامرة. فلمّا حُرِّكَ حَدَثَ الإنسانُ الأوّل في مُعَدَّلِ النَّهارِ شِقّ منه بالطُّول من جهة الشّمال وشِقّ من جهة الجنوب. وتَوَلَّدَ الحيوانُ وتَوالَدَ وتَناسَلَ الإنسُ فكَثُرُوا وامْتَزَجَتْ أجْزاءُ العناصر للكون والفساد فَعَمَرَ الدُّنيا وانْتَظَم العالَمُ. ولليهود مع النَّصارى في ذٰلك أعظمُ الخِلاف لأنّ اليهود تَزْعُمُ أنّ الماضِيَ من لدن آدم إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وأربع مائة وثمان وأربعون سنة، والنَّصارى يزعمون أنّه خمسة

(١) تاريخ العلوم عند العرب - ص ١٨٠-١٨٥.

آلاف ومائة وثمانون سنة ويَدَّعونَ على اليهود أنّهم نَقَصُوها لِيَقَعَ خُرُوج عيسى عليه السَّلام في الألف الرابع وسطَ السَّبْعة آلاف التي هي مقدارُ مدّةِ العالَم عندهم فيُخالِفَ الوَقْتَ الذي سَبَقَت البِشارةُ من الأنبياء بَعْدَ موسى عليه السَّلام بولادته فيه من العذراء البَتُولِ في آخِرِ الزَّمان، وكلّ واحد من الفريقين مُعْتَمِد في احتجاجه على تأويلات قد استخرجها بحساب الجُملِ، فاليهود مُنْتَظِرُونَ خُروجَ المسيح المُبَشَّر به عند تَمام ألْفٍ وثلثمائة وخمسة وثلاثين سنة للإسكندر انتظار شَيْء قد استيقنوه. حتّى إنّ كثيرًا من مُتَنَبّي فِرَقِهم كالراعي وأبي عيسى الأصفهانيّ وأمثالهم ادَّعوا أنّهم رُسُلُه إليهم وذلك لأنّهم زَعموا أنّ أوّل هٰذا التأريخ اتَّفَقَ مع وقت بُطْلان القَرابين وانقطاع الوَحْي وفَتْرةِ الرُّسُلِ»[1].

وجاء في المهابهاراتا الهنديّة أنّه في نهاية العالَم، يَنشقّ الأُفُق، وتَخرج سبع شموس، فتُبخِّر البحار، وتُحرِق الأرض، وتُخرِّب النار الكون كُلّه.

وفي العهد العتيق، يقول إشعيا النّبيّ:

«ويكون على كُلّ جبل شامخ وكلّ أكَمة عالية سَواقٍ وجداول مياه يوم القتل العظيم حين تَسقط الأبراج. ويَصير نور القمر كنور الشَّمس، ونور الشَّمس يَصير سبعة أضعاف كَنور سبعة أيّام، يوم يُجيز الرَّبّ كَسْر شَعْبه ويَشفي جرح ضربته» (٣٠: ٢٥). وفي هٰذا الخصوص، أيضًا، تقول رؤيا يوحنّا «إنّ الملاك الرابع صبّ جامه على الشَّمس، وأُبيح لها أن تَحرقَ الناس بنارها» (١٦: ٨).

وتَذكر الميثولوجيا الأميركيّة أنّه حصل، حتّى الآن، ثلاث أو أربع نهايات للعالَم، وهناك نهاية خامسة بالانتظار، وأنّ كُلّ «عالَم» انتهى بعدما حَرَقته الشَّمس، أو سَقطت عليه، أو زالت من الكون.

ونَقرأ في تَنبُّؤات نوستراداموس (Nostradamus): «بَعْدَ أن يَظلّ القمر يَحكم العالَم لأكثر من سبعة آلاف عام، ستثور الشَّمس وتَصبّ جام غضبها على الأرض فتَقضي على الأخضر واليابس». فهل يكون العام ٧٠٠٠ نهاية العالَم؟!

(١) الآثار الباقية – ص ١٤– ١٥.

حرف القاف[٧]

القاعدة الإثنا عشرية

□ ربّما هي القاعدة الأوسع انتشارًا، فالعدد ١٢ يُقسَم على ٢، ٣، ٤، و٦. وقد اعتُمِدَت هٰذه القاعدة خصوصًا في المُعامَلات التّجاريّة، والشاهد الأكبر هو الغروس (Grosse) والدّزّينة. وكان السومريّون والأشوريّون والبابليّون يَقسمون اليوم اثنتي عشرة وَحدة هي دانا (Dana) تساوي ساعتين في حِساب اليوم. واعتمد الرومان نظامًا حسابيًّا اثني عَشريًّا يَرتكز إلى الأونصة. وعشيّة الثّورة الفرنسيّة، اعتمدت أوروبا في وَحداتها الماليّة القاعدة الاثني عَشريّة التي تقوم على الوَحدة. وفي القياس، اعتمدت أوروبا على القَدم، فهي تساوي ١٢ إبهامًا، والإبهام ١٢ خَطًّا، والخَطّ ١٢ نقطة.

القاعدة الخَمْسِيّة

□ تُمثّل يد الإنسان الآلة الحاسبة الأولى في التاريخ، فاعتمد الإنسان، في البداية، على أصابع اليد للعمليّات الحسابيّة. وتُفيد نظريّة لغويّة أنّ الكلمات الهنديّة - الأوروبيّة والسّاميّة للأعداد العشرة الأولَى كانت تُمثّل أسماء تَتعلّق بأصابع اليد. واعتمدت شعوب في آسيا وأفريقيا وأوقيانيا القاعدة الخمسيّة، ففي لغة قبيلة آلي (Ali) في أفريقيا الوُسْطَى، تَعني مورو (Moro) خمسة أو اليد، كما تعني موروبوما (Moroboma) عشرة أو اليدين. وفي السّنسكريتيّة، تَعني باني (Pani) اليد والعدد خمسة. وفي الفارسيّة، تَعني باندج (Pandj) خمسة، وهي لفظة قريبة جدًّا من كلمة بانغا (Panga) ومعناها اليد. وفي لغة آبي (Api) في غرب بريطانيا تَعني لونا (Luna) خمسة أو اليد الواحدة، وتعني السّتّة الواحد الجديد، والسّبعة الاثنين الجديدة، والثّمانية الثّلاثة الجديدة، والتّسعة الأربعة الجديدة، والعَشرة اليدين أو لوالونا (Lualuna).

القاعدة السّتّينيّة

□ تُعتبَر السّتّين قاعدة مُتطوِّرة، ممّا يدلّ إلى أنّ الإنسان عَرف ستّين كلمة أو عَلامة. أوّل من استعمل هٰذه القاعدة هي سومر، ثمّ انتقلت إلى بابل، فاليونان، فالعرب... لٰكن لا أحد منَ الباحثين يَعلم سبب اعتماد سومر هٰذه الوَحدة بالضّبط. ويَعتقد طيونوس (Tionos)، وهو خبير عاش في الإسكندريّة في القرن الرابع م، أنّ السّومريّين اختاروا السّتّين باعتباره

«الأكثر سهولة من بين الأعداد كلّها». وفي القرن السّابعَ عَشَرَ أيَّد الخبير الإنكليزيّ جون واليس هذه النَّظريّة، كما تَبنّاها لاحقًا الخَبير لوفلر في العام ١٩١٠ م.

القاعدة العَشريّة

□ اعتمدت الحضارات الهنديّة - الأوروبّيّة مبدأ العشرة قاعدة للعَدّ، ومثلها فَعلت الحَضارات السّاميّة، بِمَعنى أنّ كُلّ عدد من واحد إلى تسعة يُمثّل وحدة عَشريّة. ففي مَنزلة العَشرات، يُساوي العدد ١١= ١٠+ ١، والعدد ١٢= ١٠+ ٢... والعشرون = ٢× ١٠، والثلاثون = ٣ × ١٠، والأربعون = ٤ × ١٠... وفي مَنزلة المئات تساوي المائتان = ٢ × ١٠٠، والثّلاثمائة = ٣ × ١٠٠... من هنا، يُحسَب العَشرة عددًا كاملًا. وقد اعتبر العُلَماء اعتماد العدد عشرة «حادِثًا طبيعيًّا»، ورَدّه البعض الآخَر إلى العناية الإلٰهيّة، فلو وَضعت الطَّبيعة ستّ أصابع في اليد الواحدة، لاعتمد الإنسان القاعدة الإثني عشريّة، ولو ضَمّت اليد أربع أصابع، لاعتمد الإنسانيّة قاعدة الثّمانية...

القاعدة العِشرينيّة

□ إعتَمدت شعوب أخرى قاعدة العِشرين، من بيْنها المالينكي في السّنغال العليا وغينيا، والباندا في أفريقيا الوسطى، والييو واليوروبا في نيجيريا، والتانانا في فنزويلا، والإسكيمو في غرووينلاند، والأنيوس في جزيرة ساخالين، والمايا والأزتيك في المكسيك. وفي لغة الأزتيك، تَدلّ الأعداد الخمسة الأولَى إلى أصابع اليد الخَمس، والأعداد الخَمسة الثّانية إلى الأصابع الخَمس لليد الثّانية، والأعداد الخَمسة الثّالثة إلى أصابع الرِّجْل الخمس، والأعداد الخمسة الرّابعة إلى الأصابع الخَمس للرِّجل الثانية. وكان أجداد الأزتيك يَعدّون مُقاتليهم في الحرب انطلاقًا من هٰذا المبدأ، فكُلّ إصبع تَدلّ إلى مُقاتِل واحد، أي كُلّ رِجْل إلى عِشْرين مُقاتِلًا، وهو عَدَد أصابع اليدين والرِّجْلين. وفي عَدد من اللُّغات القَبَليّة القديمة، تَعني لفظة عِشْرين رَجُلًا واحدًا.

في أوروبا، اعتمدت شعوب لاتينيّة قديمة قاعدة العشرين. وفي باريس، تَضمّ فِرْقة عَسكريّة مئتين وعِشْرين شُرْطِيًّا، كان يُطلَق عليها «فرقة ١١ × ٢٠ (Le Corps des onze-vingts). وكذٰلك، بُنِيَ مُستشفًى في باريس في القرن الثّالثَ عَشَرَ يَضمّ ثلاثمئة سرير للعُمْيان حَمَلَ اسم «مستشفى ١٥ × ٢٠ (Hôpital des Quinze-Vingts)» وهو مُستشفًى شهير أسّسه القِدّيس لويس في العام ١٢٦٠م.

قَداسة العَدَد

□ في بابل، كانت تُخصَّص للآلهة بعض الأعداد المُقدَّسة، فالعدد ٣٠ لإلٰه القمر نانا، والعدد ٤٠ للإلٰه إنكي، والـ ٥٠ للإلٰه إنليل، والـ ٦٠ لإلٰه السَّماء آنو. وجاء في رقيم مسماريّ أنّ مقاييس برج بابل وُضعت استنادًا إلى الأعداد المُقدَّسة، وكذٰلك الأمر بالنّسبة إلى مدينة بابل نَفْسها.

حرف الميم

مئة

□ يُعتبَر المئة جزءًا من كُلّ، وهٰذا الكلّ هو بدوره جزء من كُلّ أكبر منه. ويَرمز هٰذا العدد إلى الفَرْدانيّة[1].

في اليونان.

□ تُصوِّر الميثولوجيا اليونانيّة آرغوس (Argus) وَحْشًا بمئة عين أرسلته هيرا لمُراقبة الرَّبّة إيو (Eo) التي حَوَّلتها إلى عِجلة بعدما عرفت أن زوس وَقَعَ في حبّها[2]. ويُعتبَر أنسيلادوس (Enceladus) عملاقًا بمئة ذراع، دَفَنَتْه أثينا تحت جبل إيتنا بِسَبب موقفه ضدّ الأرباب في حَرْبهم مع التيتان. وعندما يَهتزّ أنسيلادوس، تَتأرجح صقلية من جَرّاء اهتزازاته، وهٰكذا استخدم الأقدمون هٰذه الميثولوجيا لِتفسير الزّلازل وانفجارات البراكين[3]. وتقول الميثولوجيا إنّ هيكاتونكيرس (Hecatonchires) هم أبناء أورانوس من جيا، لكلّ واحد مئة يد، ساعدوا الآلهة في حَرْبهم ضدّ التيتان، وقد سمّاهم الرومان الستيماني (ست: مئة، ماني: يد)[4].

ويَنقل خارون أرواح الموتى عبر نهر ستيكس (Styx) إلى العالَم السُّفليّ، بِشرط أن تكون الأجساد قد دُفِنَت في العالَم الأرضيّ ووُضِعَت تسعيرة العُبور في أفواههم في أثناء الدَّفن. أمّا الذين لم يُحقِّقوا هٰذه الشُّروط فسَيَظلّون هائمين على ضِفاف النّهر مئة سنة قَبْلَ السّماح لهم بدخول معدية خارون[5].

في فارس.

□ يقول الشِّعر الفارسيّ في امرأة جَميلة وذات صفات حسنة كثيرة «إنّها تَملك مئة شَعرة».

في الصِّين.

□ يقول الصِّينيّ عن عَقيدته الدِّينيّة إنّها تَحمل مئة زَهرة أي إنّها تَملك كُلّ الصِّفات الحَسنة. وفي الصِّين، يَطلب القائد العسكريّ مئة مُقاتِل، وهو رَمْز يَعني أنّ العدد يُحقّق له أهدافه العسكريّة.

(1) Le symbolisme des nombres. p.398

(2) معجم الأساطير - ص ٤٨.

(3) نفس المرجع - ص ٩٣.

(4) نفس المرجع - ص ١١٤.

(5) نفس المرجع - ص ٧٤.

في أميركا.

◻ بين الثّاني والعشرين من أيلول والثّاني والعشرين من تشرين الأوّل، وفي مُناسَبة عيد القمر لدى شعوب الإنكا (Incas)، يَقف أربعمئة (١٠٠ × ٤) مُقاتِل في السّاحة المُربّعة الشّكل في مَعبد كوريكانشا، مئة من كلّ جهة، ويتّجه كُلّ صفّ إلى الجهة التي يدير إليها وَجْهه، أي إلى الجهات الرّئيسة الأربع، في طَقْس يَهدف إلى طَرْد الأمراض. فالأربعة تَرمز إلى الأرض، والمئة تَرمز إلى الفَرْدانيّة التي عليها أن تَعبر كُلّ الأماكن المُحدَّدة.

عِنْدَ العبرانيّين.

◻ يَقول سِفْر الأحبار: «نُطرد الخمسة منكم مئة والمئة تَطرد ربوة» (٢٦ : ٨). ويَعتقد يشوع بن سيراخ «أنّ عِدّة أيّام الإنسان على الأكثر مئة سنة» (١٨ : ٨).

عند المسيحيّين.

◻ يَقول السّيّد المسيح في إنجيل متّى: «كلّ من ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًّا أو امرأة أو بنين أو حقولاً لأجل اسمي يأخذ مئة ضعف» (١٩ : ٢٩). ونَصف المسيحيّة الطاووس بالحيوان ذي المئة عين، وترى فيه رمز الطّوبى الخالدة، ورمز النّظر وجهًا لوجه الله.

عند المسلمين.

◻ روى البيهقي أنّ مُحمّدًا ﷺ قال: «إنّ أقربكم منّي يوم القيامة في كلّ مَوطن أكثركم عليّ صلاة في الدُّنيا من صلّى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة».

وجاء في الحديث الشريف أنّ رسول الله قال: «الجنّة مائة درجة، ما بين كُلّ درَجتين كما بين السّماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»[1].

مئة وأربعة وأربعون

◻ تقول رؤيا يوحنّا إنّ هٰذا العدد يُمثّل عدد المختارين: ١٤٤ ألفًا أي ١٢ ألفًا من كُلّ سبط (٧ : ٤ـ ٨) وهو عدد الشُّهداء الرّمزيّ من النّصارى من بني إسرائيل، وعدد العذارى التابعات للحمل من الأمميّين.

مئة وثمانية

◻ إنّه عدد الإنسان. في الهند، يَبلغ عَدَد حبّات المِسْبَحة البوذيّة مئة وثمانية. وكذٰلك عَدَد حبّات مِسْبَحة الإله شيفا. إنّه أيضًا عَدَد أعمدة مَعبد الإلٰهة دورغا (Durga).

المُدُن السّبع

◻ تَروي الميثولوجيا البابليّة أنّه كان في بابل سبع مدن. كلّ مدينة فيها أُعجوبة. كانَ في إحداها تمثال الأرض، فإذا انتفض على الملك أهْل مَملكته خرق أنهارها عليهم في التّمثال فلا يُطيق الشّعب سدّ الماء حتّى يَعتدلوا. وفي الثّانية حوض إذا أراد المَلك أن يَجمعهم

---

(١) رواه الإمام أحمد والتّرمذي.

لِطعامه أتى كُلّ واحد بما أحبّ من الشَّراب فصَبّه في ذٰلك الحوض فاختلطت الأشْرِبة فكُلّ من سَقى من ذٰلك الحوض كان شرابه الذي جاء به. وفي الثالثة طبل إذا أرادوا أن يَعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فإن كان حيًّا سُمِعَ له صوتٍ، وإن كان ميتًا لم يُسمَع له صوت. وفي الرابعة مرآة إذا أرادوا أن يَعلموا حال الغائب نَظروا فيها فأبصروه في أيّ حال هو وكأنّهم يُشاهدونه. وفي الخامسة إوَزّة من نُحاس، فإذا دَخَلَ الغريب صَوَّتت الإوَزّة صوتًا يَسمعه أهل المدينة. وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخَصمان فيَمشي المُحِقُّ على الماء حتّى يَجلس مع القاضيين ويَقع المبطِل في الماء. وفي السّابعة شجرة ضخمة لا تُظلّل إلاّ ساقها، فإن جَلَسَ تحتها أحد، أظلّته إلى ألْف شخص، فإذا زادوا على الألف واحدًا، جَلسوا في الشَّمس كُلّهم.

المَغاوِر السَّبْع

□ تَعتقد قَبائل المكسيك أنّ الأولاد يُولَدون من مَكان يُدعَى شيكوموزتوك (Shikomoztok) أي المكان ذا المَغاور السَّبْع.

حرف النون

النَّجمة الخُماسِيّة

□ في اليونان، تُعتَبر النَّجمة الخُماسيّة شِعار المُنظَّمة الفيثاغوريّة، وتَرمز إلى المَعرفة، وهي وسيلة لامتلاك القُدْرة.

في الهند، تُعَدّ النَّجمة الخُماسيّة المنيرة شِعار الإله شيفا، لذلك تَرسمه الأيقونوغرافيا أحيانًا بخمسة وجوه، وتَرمز إلى الحَواسّ الخَمْس.

وفي المسيحيّة، يَقول التُّراث إنّ النَّجمة التي بَشَّرت الرُّعاة بميلاد المسيح المُخلِّص في مَغارة بَيْتَ لَحْمَ لها خَمسة أَضلع.

حَرْفُ الوَاو

واحِد

□ الواحد أصْل العدد ومَنشأه وأوَّله وآخِره. ويُعتبَر الواحد عَدَدًا واحدًا لا جزء له ولا مِثْل في العدد، كما يُعتبَر نقطة انطلاق لبناء باقي العَمليّات الحسابيّة. ويَملك الواحد شكلًا وحجمًا واتّجاهًا، وهي خَصائص رمزيّة تَرتبط بفكرة الأُفُقيّة والتَّفوُّق، ولا يُمكِن بدونه لأيّ حَدَث أن يَتمظهر، فهو يَرمز إلى الشَّمس والعمود والقَضيب والسَّيف والرُّمْح... ومن حيث دوره الرِّياديّ، يَحتاج الواحد إلى الأعداد الباقية، كما تَحتاج الأعداد الأخرى إليه، فمُهمّته أن يكون قائدًا ومُوحِّدًا للأعداد الأُخرى.

يَرمز الواحد بشكل خاصّ إلى الإنسان في وضعيّة الوقوف، وهو الكائن الوحيد الذي يَتمتَّع بهذه الميزة، مِمّا حدا بعدد من علماء الأنتروبولوجيا إلى اعتبار العموديّة عَلامة تُميِّز الإنسان أكثر بكثير من ميزة الفِكْر. ويَتمثَّل الواحد، أيضًا، في صورة الحَجر المُنتصِب، وعُضْو الرَّجل المُنتصِب، والعصا العموديّة؛ إنّه يُمثِّل الإنسان الفاعل الذي يُشارِك في عَمليّة الخَلْق.

يُمثِّل الواحد، كذلك، المَبدأ، فهو لا يَتمظهر، لكن كلّ مَظهر يَخرج منه ويَعود إليه. إنّه المبدأ الفاعل والخالِق. فالواحد هو المكان الرَّمزيّ للكائن، ويَنبوع ونهاية كُلّ الأشياء، والمَركز الوَسَطِيّ الكونيّ والأونطولوجيّ...

ويَرمز الواحد أيضًا إلى الكائن، وإلى الوحي الذي يُعتبَر بِمَثابة الواسطة أو الرّافعة التي تَرفع الإنسان بواسطة المعرفة إلى أعلى مُستوًى. والواحد، هو المَركز الوَسَطيّ الصوفيّ، حيث تَشعّ الروح كما الشَّمس.

في مِصْرَ.

□ حازَ الواحد قَداسة خاصّة في الفِكْر المصريّ، فقد ارتبط بالألُوهة، وبالبَدْء، وبالزَّمَن الأوَّل الذي لم يَكن قد وُجِدَ فيه شيء على أرض مِصْرَ، فهو تَجسُّد المُطلَق والوَحدة، وهو الذي يُولِد التَّعدُّد من ذاته. ويُؤكِّد واليس بدج (Wallis Bedge) في كتابه «الدِّيانة الفرعونيّة» أنّ المصريّين القُدماء كانوا يؤمنون بإلٰه واحد، موجود بذاته، خالد، غير مَرئيّ، أبديّ، عَليم، قَدير، لا يُحيط به عَقْل، خالِق السَّماوات والأرض والعالَم الأسفل، خالِق السَّماء والبحر والرِّجال والنِّساء. الله واحد ووَحْده، وليس معه أَحَد سواه، الله هو الواحد، الواحد الذي خَلَقَ كُلّ شيء.

وتقول بَرْدِيَة «نسي آمسو»: «صَنَعَ الواحد فمه، وبِفَمه نَطَقَ باسمه، بكلمة القُدْرة، فأوجد ذاته، وبَزَغَ من المادّة الأولى التي وُجِدَت بغير شَكْل منذ الأزل، وكان الواحد كامِنًا فيها، وكان اسمه أوزيريس». وفي كتاب الموتى، يقول الإله: «أنا الواحد، أنا الأوْحد، أنا رع الذي بَزَغَ في البَدْء»[1].

في إيرلندا.

▫ كانت الشُّعوب السّلتيّة تَحتفل بأعياد الأوّل من أيّار، والأوّل من آب، والأوّل من تشرين الثاني، والأوّل من شُباط، وهي بِدايات الفصول في الروزنامة السّلتيّة.

عِنْدَ العبرانيّين.

▫ جاءَ وي العَهدْ القديم: «يهوه واحد اسمه واحد». ويعود الواحد إلى الرَّبّ الإله، فجاء في تثنية الإشتراع: «اسمع يا إسرائيل إنّ الرَّبّ إلٰهنا رَبّ واحد» (٦: ٤).

وفي الأبجديّة العبريّة، يَتطابق الواحد مع الحرف (N) الذي يُمثّل رَجُلًا يَرفع يده إلى السَّماء ويُشير بالثانية إلى الأرض، مُحقِّقًا الوَحْدة في الكون، تلك الوَحْدة التي تُعتبَر مَبدأ الحياة في خلاصة روح الكائن الآدميّ الكونيّ.

عند المسيحيّين.

▫ تُؤمِنُ المسيحيّة بإله واحد في ثلاثة أقانيم. ويقول القدّيس أثناسيوس «إنّ إله المسيحيّين هو الإله الواحد». ويُحدِّد القدّيس أغوسطينوس الوَحْدة بأنّها تَتمثّل «بالإله العَظيم الواحد، مَبدأ الأشياء كلّها».

أسواق العرب.

▫ ذكر أبو جعفر محمّد بن حبيب البغداديّ في كتاب المُجير أنّه كان يقوم سوقُ دُومة الجندل أوَّلَ يوم من ربيع الأوّل إلى النّصف، وكانت مُبايَعةُ العرب فيها إلقاء الحجارة وهو أنْ يَجْتمعَ القومُ على السِّلْعة فمن أعجبته ألْقى حَجَرا، فربّما اجتمع النَّفَرُ في السِّلْعة الواحدة فإذا ألقى الرَّجُلُ منهم الحجر فقد وَجَبَ البَيْعَ، ثمّ سوق المُشَقَّر كانت تقوم من أوّل يوم من جمادى الآخرة وكان بيعُهم فيها المُلامسةَ وهو الايماء والهَمْهَمَةُ مخافةَ الحَلْفِ والكِذْب، ثمّ صُحارُ تقوم سوقها لعشرٍ يمضين من رجب فتقوم خمسةَ أيّام، ثمّ دَبَا سوقها آخرُ يوم من رجب وكان بَيْعُهم فيها المساومة، ثمّ الشِّحْرُ وكانت سوقها تقوم للنصف من شعبان وبيعهم فيها الْقاءُ الحجارة، ثمّ عَدَنُ تقوم سوقُها أوّل يوم من شهر رمضان إلى عشرة أيّام منه، ثمّ صَنْعاءُ تقوم سوقها في النّصف من شهر رمضان إلى آخره، ثمّ الرابيَةُ وعُكاظٌ والرّابية بحضرموتَ وعكاظ بأعْلَى نَجْدٍ قريب من عَرَفاتَ وكانتا تقومان في يوم واحد، وهو النّصف من ذي القعدة، وكانت عُكاظٌ من أعظم أسواق العرب، وكانت قريش تَنْزِلُها وَهوازِنُ وغَطَفانُ وأسْلَمُ وعُقَيْلٌ والمُصْطَلِق والأحابِيشُ وطائفةٌ من أفناء الناس، وكان يقوم سوقُها في النّصف من ذي القعدة إلى آخر الشّهر، فإذا أُهِلَّ الهلالُ لذي الحجّة أتَوْا ذا

---

(١) الديانة الفرعونيّة.

المَجاز وهو قريب من عكاظ فتقوم سوقُها إلى يوم التَّروية، ثمّ يَصْدُرون إلى منى ثمّ تقوم سوق نَطاةَ بخَيْبَرَ وسوق حَجْرٍ باليمامة أوّلَ المحرّم إلى العاشر من الشهر وتُركت أكثرُ هٰذه الرُّسوم حين جاء الله بالإسلام.[١]

عند المسلمين.

□ جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة ﴿وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلّا هو (١٦٣). وفي سورة هود: «ولو شاءَ ربُّك لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحِدةً» (١١٨)﴾

يَفخر البطل بانتمائه إلى الدِّيانة الإسلاميّة حيث تقول الآية الشّهيرة ﴿لا إلٰه إلّا الله﴾. فالبطل هو المُدافع الأساسيّ عن الفكرة الدّينيّة التي نَشأَ عليها، وهو يُقاتِل ويَستشهد في سَبيل عَقيدته. ويُمكِن القول إنّ العدد واحد مَسؤول إلى حدّ ما عن هٰذا القتال.

ويَروي التُّراث الإسلاميّ أنّه إذا دَخَلَ شَخص مُسلِم إلى بلاد أحد الملوك أو الأمراء من غير المُسلِمين، فهو يقول في لَهجة ملؤها التَّحدّي: «سلامي، في هٰذا البلاط، على من يعرف أنّه في ثمانية عشر ألف كون، الله واحد». وفي التُّراث الإسلاميّ، يُرمَز إلى الله بالعدد واحد.

عند إخوان الصَّفاء.

□ يقول الإخوان إنّ العدد واحد يَدلّ إلى وحدانيّة الباري وكيفيّة اختراعه الأشياء وإبداعه لها، وذٰلك أنّ الواحد الذي قَبْلَ الاثنين، وإن كان منه يَتصوَّر وجود العَدَد وتَركيبه، فهو لم يَتغيَّر عمّا كان عليه، ولم يَتجزّأ. ويُضيف الإخوان أنّ الواحد هو أصْل الأعداد، وهو لا جزء له، ولا مِثل له، وهو يحوط الأعداد كلّها.

عند المُوحِّدين (الدُّروز).

□ يقول المُوحِّدون (الدُّروز) إن الله لا إلٰه إلّا هو، وَحْدَه لا شريك له، يُحيي ويُميت وهو على كلّ شيء قدير. له المُلْك وله الحَمْد، حيّ قَيُّوم، جَلّ ذِكْره عن وَصْف الواصفين، لا يُدرَك، رَحيم شَفوق، واحد أَحَد فَرْد صَمَد مُنزَّه عن الأزواج والعَدد، لا تأخذه سِنَة ولا نوم، وهو عَلّام الغيوب، والحَقّ الذي صَدَرَ عنه النور، دَيّان إليه المَرجع والمَصير.

عند المتصوّفة.

□ قُبضت الشُّرطة على الحَلّاج في الثالث عشر من تشرين الأوّل في العام ١٩١٣م وسَجنته في بغداد، وقُيِّد في السِّجن بسلسلة لها ثلاثَ عَشْرَةَ حَلقة. وعند تنفيذ الحكم فيه، جَلَدَه السَّياف ألْف سوط. وكان الحلّاج مع كل جلدة يقول: «أحد أحد». أكان في ذٰلك يَتذكَّر بلالاً الحبشيّ مُؤذِّن رَسول الله عندما امتحنته قريش في دينه فلم يقل وهو تحت وقع السِّياط إلّا «أحد أحد»؟ أم كان يَتهكَّم على جَلّاديه ويَسخر منهم، فلا يحسب من السِّياط الألف التي تنهال عليه إلّا واحدًا، على غرار ما فَعَلَه أبو يزيد البسطامي عندما جاءه رَجُل طالبًا إليه أن يَحسب له نقوده، فلمّا ألقاها إليه

(١) البيرونيّ - الآثار الباقية - ص ٣٢٨.

أخذ أبو يزيد يقول: «واحد واحد»، فسأله الرَّجُل مُستغرِبًا فأجابه: «لا أعلم سوى الواحد، والجمع يخرج من الواحد، والواحد لا يَخرج من الجمع، لأنّ الحِساب لا يَتمّ إلّا بالواحد. وإذا تمّ ألْف ونقص منه واحد يَسقط اسم الألف من الآلاف»[١].

في السِّحْر.

□ يَرى كورنيليوس آغريبا «أنّ العدد واحد يعود إلى الإله العظيم، فهو واحد ولا عدد له، يَخلق الأشياء العديدة ويَحتويها في شخصه».

وفي ورق اللَّعب، تُصوَّر الوَحدة بالورقة الأولى، البهلوان، فيَعكس خياله التَّمثيل الصُّوريّ للحرف العبريّ «ألِف ـ Aleph».

في عِلْم النَّفْس.

□ اختار عالم النَّفس يونغ (Jung)[٢] سلسلة من الرُّموز أطلَق عليها تسمية «الرُّموز الجامعة»، وهي رُموز تُصالِح ما بين المُتناقِضات، وتُحقّق خُلاصة للتَّضادّات، مثل مُربَّع الدائرة، خاتَم سليمان، الدولاب والزودياك. ويَكتنز الرَّمز الواحد المُوحَّد طاقة نفسيّة خارقة، ولا يَتمظهر في الأحلام إلّا عندما يكون مَفهوم الوَحدة مُتقدِّمًا.

عند الماسونيّين.

□ تؤمن الماسونيّة بإله واحد خالق السَّماء والأرض وتُسمّيه «مُهندِس الكون الأعظم»[٣].

في الماسونيّة الرَّمزيّة، تعطي وَحدة المحفل وتناسقه الداخليّ فكرة عن المُهندِس الأعظم في خطّته للخلق[٤].

في موضوع المُوظَّفين العظام وواجباتهم، يحافظ الحاجب الخارجيّ الأعظم على نظام المَحفل ونظافة داخله، ويُوزِّع المُراسَلات على الأعضاء في أوقاتها، ويُساعد الحارس الداخليّ في أعماله. وعلامته سيف واحد[٥].

واحد وعِشْرون

□ يَرمز العَدد واحد وعِشْرون إلى النُّضوج العقليّ[٦]. في الهند، تقول الميثولوجيا إنّ الكون يُقسَم إلى واحِد وعِشْرين قِسْمًا. ويَعتقد الهندوس بوجود واحد وعشرين جَهنَّم[٧].

وتَحتفل المكسيك بانقلاب (Equinox) الشَّمس الصَّيفيّ في الواحد والعشرين من آذار، والإنقلاب الشَّتويّ في الواحد والعشرين من أيلول. ويَرمز اعتدال فَصْلَي الرَّبيع والصَّيف إلى نُزول الإله كوكولكان إلى الأرض. وعلى شرفه، بَنى الهنود مَعبدًا تقوم شمس بَعْدَ الظُّهر، مرَّتين في السَّنة، بِرَسْم شكل ثُعبان على جُدْرانه.

وفي المسيحيّة، يُعطي الكتاب المُقدَّس هذا العَدَد صِفَة الحِكْمة، فيقول سِفْر الحكمة: «إنّ

(١) كتاب الحَلّاج - د. سامي مكارم - ص ٥٩.
(٢) عالِم نَفْس شَهير (١٨٧٥ - ١٩٦١).
(٣) الدُّستور الماسونيّ العامّ - ص ١.
(٤) Le symbolisme des nombres - Allendy - p.18
(٥) الدُّستور الماسونيّ العامّ - ص ٣١.
(٦) Le symbolisme des nombres. p.366
(٧) Les grandes figures des mythologies - p.22

في الحكمة الروح الفهم القدّوس المولود الوحيد ذا المزايا الكثيرة اللّطيف السّريع الحركة الفَصيح الطاهر النّيّر السّليم المُحِبّ للخير الحَديد الحرّ المُحسِن، المحبّ للبشر الثابت الراسخ المُطمئِنّ القدير الرَّقيب الذي ينفذ جميع الأرواح الفهمة الطاهرة اللّطيفة» (٧: ٢٢ـ ٢٣). إنّه رمز الحكمة الإلٰهيّة «لأنّ الحكمة أسرع حركة من كلّ مُتحرِّك فهي كطهارتها تلج وتنفذ في كلّ شيء» (٧: ٢٤ـ ٢٥).

ويُعتبَر العدد واحد وعشرون رمزًا للتّحيَّة والتّشريف، إذ تُطلِق المدفعيّة إحدى وعِشرين طلقة لدى مَراسم استقبال كبار الشّخصيّات السّياسيّة بين الدُّوَل أو عند إجراء مَراسم دَفْنها.

الوَحْدَة

▫ يَرمز إليها العَدَد واحِد. في الحساب، يُمثِّل العَدد فكرة العدديّة، فالوَحدة، في حَدّ ذاتها، ليست عددًا بالمعنى الحسابيّ للكلمة. إنّها بالأحرى فكرة مُميِّزة، فتُعتَبَر جَذْر كُلّ فكرة عدديّة، ومنها تَنطلق الأعداد كلّها، على اعتبار أنّ العدد «مجموعة وَحَدات» كما يرى «كانط»[1].

الوَحْدة الوُجوديّة

▫ الوَحدة الوجوديّة مَذهب فلسفيّ أخذت به المدارس الفكريّة القديمة، من بينها البراهمانيّة والرّواقيّة والأفلاطونيّة المُحدَثة والصوفيّة. يقول هٰذا المَذهب إنّه لا شيء إلّا الله، وإنّ كلّ شيء غير الله ليس إلّا مَظاهر خارجيّة وأحوالًا لله. إنّها وَحدة لا يَتميَّز فيها ما هو إلٰهيّ ممّا هو طبيعيّ، أي إنّ الله والأشياء شيء واحد أو إنّه يَحلّ فيها أو يَتوحَّد معها. ويَذهب عدد من الباحثين إلى اعتبار الدّيانة الهنديّة المَصدر الرّئيس لهٰذه الفلسفة. فقد جاء في الأوبانيشاد: «الكائن العظيم واحد يَتحرَّك ولا يَتحرَّك. إنّه بَعيد وقريب. إنّه في الكُلّ وخارج الكُلّ. إنّه بلا جَسد، طاهِر، حاضِر في كُلّ مَكان... أيّتها الشّمس، غذاء العالَم، افضحي الحقيقة أمام عينيّ، عَلّمني أستطيع أن أرى شمس العدالة والحقيقة». وهٰذا يدلّ إلى أنّ البراهمانيّة ديانة توحيديّة، على رغم تَعدُّد قدّيسيها.[2]

(١) فيلسوف ألمانيّ (١٧٢٤ - ١٨٠٤م).

(٢) موسوعة الفلسفة. د. عبد الرَّحمٰن بدوي.

حَرْفُ اليَاء

اليوبيل

□ يَحتفل اليابانيّون إثر مرور سنة على زَواجهم باليوبيل الوَرقيّ، وإثْر خمس سَنوات باليوبيل الخَشبيّ، وإثر عشر سنوات باليوبيل الحديديّ، وإثر خمس وعشرين سنة باليوبيل الفضّي، وإثر خمسين سنة باليوبيل الذّهبيّ، وإثر ستّين سنة باليوبيل الماسيّ[1].

(1) Dictionnaire des symboles - p.53

مَسْــرَد المُصْطلحَات
وَمُقَـابِلاتهَـا الفَرنسيَّة وَالإنكـليزيّة

أ

إثنان.	*Deux.*	Two.
إثنا عشر.	*Douze.*	Twelve.
إثنا عشر ألفًا.	*Douze Mille.*	Twelve Thousand.
إثنا عشر مليارًا.	*Douze Milliards.*	Twelve Billion.
الإثنا عشريّة.	*Duodécimale.*	Duodecimal.
إثنان وأربعون.	*Quarante-deux.*	Forty-Two.
إثنان وثلاثون.	*Trente-deux.*	Thirty-Two.
إثنان وخمسون.	*Cinquante-deux.*	Fifty-Two.
إثنان وسبعون.	*Soixante-douze.*	Seventy-Two.
إثنان وعشرون.	*Vingt-deux.*	Twenty-Two.
أحد عشر.	*Onze.*	Eleven.
الأحديّة.	*le Monisme.*	The Monism.
أربعة.	*Quatre.*	Four.
أربعة عشر.	*Quatorze.*	Fourteen.
أربعة وستّون.	*Soixante-quatre.*	Sixty-four.
أربعة وعشرون.	*Vingt-quatre.*	Twenty-four.
أربعون.	*Quarante.*	Forty.
أسبوع.	*Semaine.*	Week.
إسم السِّنين.	*Le nom des années.*	The name of the years.
إسم العدد.	*Le nom du nombre.*	The name of the number.
أعمدة الحكمة السَّبعة.	*Les sept colonnes de la sagesse.*	The seven pillars of the wisdom.

The research of the number.	*La découverte du nombre.*	اكتشاف العدد.
One thousand.	*Mille.*	ألف.
Thousand and one.	*Mille Un.*	ألف وواحد.
first of Ramadan.	*premier Ramadan.*	أوّل رمضان.
first of april.	*premier Avril.*	أوّل نيسان.

ب

the seven doors of Beirut.	*les sept portes de Beyrouth.*	بوّابات بيروت السّبع.

ت

the Ennead.	*les Ennéades.*	التاسوعات.
the inscription of the number.	*L'Inscription du nombre.*	تسجيل العدد
Nine.	*Neuf.*	تسعة
Nine thousand.	*Neuf Mille.*	تسعة آلاف
Nineteen.	*dix-neuf.*	تسعة عشر
forty-nine.	*Quarante-neuf.*	تسعة وأربعون
Ninety-nine.	*Quatre-vingt-dix-neuf.*	تسعة وتسعون
thirty-nine.	*trente-neuf.*	تسعة وثلاثون
Ninety.	*quatre-vingt-dix.*	تسعون

ث

Three.	*trois.*	ثلاثة
three thousand.	*trois Mille.*	ثلاثة آلاف
thirteen.	*Treize.*	ثلاثة عشر
thirty-three.	*trente-trois.*	ثلاثة وثلاثون
Seventy-three.	*Soixante-treize.*	ثلاثة وسبعون
Twenty-three.	*Vingt-trois.*	ثلاثة وعشرون
Three and a half.	*Trois-et-demi.*	ثلاثة ونصف
Thirty.	*Trente.*	ثلاثون.
eighty.	*quatre-vingts.*	ثمانون.
eight.	*huit.*	ثمانية.

eighteen.	dix-huit.	ثمانية عشر.
eighteen thoisand.	dix-huit-Mille.	ثمانية عشر ألفًا.
forty-eight.	quarante-huit.	ثمانية وأربعون.
thirty-eight.	Trente-huit.	ثمانية وثلاثون.
Eighty-eight.	Quatre-vingt-huit.	ثمانية وثمانون.
eight hundred eighty-eight.	huit Cent quatre-vingt-huit.	ثمانمائة وثمانية وثمانون.
Twenty-eight.	Vingt-huit.	ثمانية وعشرون.

خ

five.	Cinq.	خمسة.
fifteen.	quinze.	خمسة عشر.
Ninety-five.	quatre-vingt-quinze.	خمسة وتسعون.
thirty-five.	Trente-cinq.	خمسة وثلاثون.
Twenty-five.	Vingt-cinq.	خمسة وعشرون.
five hundred thirty.	Cinq Cents trente.	خمسمئة وثلاثون.
fifty.	Cinquante.	خمسون.
Thursday.	Jeudi.	خميس.

ذ

Birthday.	Anniversaire.	ذكرى الولادة.

ر

the figure and the number.	le chiffre et le nombre.	الرّقم والعدد.

ز

the time.	le temps.	الزّمن.

س

Seven.	Sept.	سبعة.
The Seven against thebes.	les sept Contre thèbes.	السّبعة ضدّ طيبة.
Seventeen.	dix-sept.	سبعة عشر.

Seventy-seven.	*Soixante dix-sept.*	سبعة وسبعون.
twenty-seven.	*Vingt-sept.*	سبعة وعشرون.
Seventy.	*soixante-dix.*	سبعون.
the septinans.	*les septinans.*	السَّبعيّة.
six.	*six.*	ستّة.
sixteen.	*Seize.*	ستّة عشر.
thirty-six.	*Trente-six.*	ستّة وثلاثون.
sixty-six	*Soixante-six*	ستّة وستُّون
Twenty-six.	*Vingt-six.*	ستّة وعشرون.
six hundred sixty-six	*Six cents soixante-six*	ستّمئة وستّ وستُّون
sixty.	*soixante.*	ستّون.
mystery of the number.	*Mystère du nombre.*	سرّ العدد.
the indian year.	*l'année indienne.*	السَّنة الهنديّة.

ش

the Moon's month.	*le mois lunaire.*	الشَّهر القمريّ.

ص

Zero.	*Zéro.*	الصِّفر.

ع

Hashoura'a.	*Hashoura'a.*	عاشوراء.
the seven wonders of the nature.	*les sept Merveilles du monde.*	عَجائب الدُّنيا السَّبع.
the golden number.	*le nombre d'or.*	العدد الذَّهبيّ.
the number and the music.	*le nombre et la musique.*	العدد والموسيقى.
ten.	*dix.*	عشرة.
ten thousaud.	*dix Mille.*	عشرة آلاف.
twenty.	*Vingt.*	عشرون.
number's science.	*science du nombre.*	عِلْم العدد.
age of the world.	*âge du monde.*	عُمْر العالَم.

ق

the base twelve.	*la base douze.*	القاعدة الإثنا عشريّة.
the base five.	*la base cinq.*	القاعدة الخمسيّة.
the base sixty.	*la base soixante.*	القاعدة السّتينيّة.
the base ten.	*la base dix.*	القاعدة العشريّة.
the base twenty.	*la base vingt.*	القاعدة العشرينيّة.
holiness of the number.	*sainteté du nombre.*	قداسة العدد.

م

one hundred.	*cent.*	مئة.
one hundred forty-four.	*cent-qaurante-quatre.*	مئة وأربعة وأربعون.
one hundred eight.	*cent huit.*	مئة وثمانية.
the seven cities.	*les sept cités.*	المدن السّبع.
the seven caves.	*les sept grottes.*	المغاور السّبع.

ن

the pentagon.	*le pentagone.*	النّجمة الخماسيّة.

و

one.	*un.*	واحد.
twenty-one.	*vingt-et-un.*	واحد وعشرون.
the unity.	*l'unité*	الوحدة.
the existentialist unity.	*l'unité existentialiste.*	الوحدة الوجوديّة.

ي

the jubilee	*le jubilé.*	اليوبيل.

المَــراجعُ الرَّئيسـة

١- الآثار الباقية عن القرون الخالية - البيروني - دار صادر - بيروت.

٢- حياة مُحمَّد - مُحمَّد حسين هيكل: مكتبة النهضة المصريّة - مصر.

٣- رسائل إخوان الصَّفاء وخلّان الوفاء (٤ أجزاء): دار صادر - بيروت.

٤- صفوة التَّفاسير (٣ أجزاء) - مُحمَّد علي الصَّابوني. مُؤسَّسة مناهل العرفان - بيروت.

٥- في طريق الميتولوجيا عند العرب - محمود سليم الحوت. دار النَّهار للنَّشر.

٦- الكتاب المُقدَّس: دار المشرق - بيروت.

٧- القرآن الكريم: دار الفكر - بيروت.

٨- مُعجَم الحضارات السّاميّة - هنري عبّودي. دار جروس برس - طرابلس - لبنان.

٩- مُعجَم اللاهوت الكتابيّ: دار المشرق - بيروت.

١٠- موسوعة الفلسفة (جُزءان) - د. عبد الرَّحمن بدوي. المُؤسَّسة العربيّة للدِّراسات والنَّشر - بيروت.

١١- إنجيل بوذا - دار الحداثة.

1- A Dictionary of Mythology-MAX S. Shapiro-Rhoda A. Hendricks-granada-London

2- Dictionnaire des religions-Eliade/Couliano-Plon.

3- Dictionnaire des symboles-Jean Chevalier et Alain gheerbrant-Robert Laffont.

4- World religions from ancient history to the present. Geoffrey Parrinder - New york - 1971

5- Les chiffres-georges IFRAH-Robert Laffont.

6- Le symbolisme des chiffres, Dr. R. Allendy. éditions traditionnelles.

7- Les sectes secrètes de l'Islam-Philippe AZIZ-Laffont.

8- Les symboles-Pr. Philippe Seringe-Helios.

9- Encyclopédie Civilisations, Peuples et mondes-LIDIS

10- New Larousse encyclopedia of Mythology-- 1968

11- Traité d'histoire des religions - Mircea Eliade - Payot.

12- MAYA - Pierre Ivanoff - Fernand Nathan, Paris.

13- Les grandes figures des mythologies - Bordas.

مَسْرَد مَوَادّ المُعْجَم